

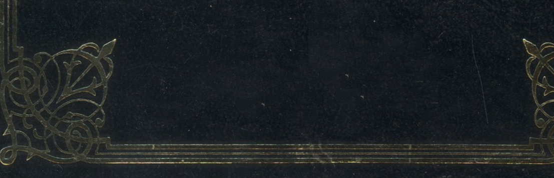


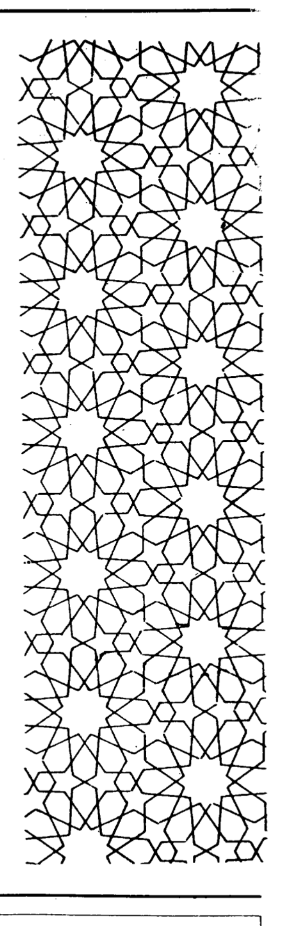
مجلة إسلامية شهرية جامعة

تصدر عن المنتدى الإسلامي

من العدد

الثالث والأربعين ــ الثامن والأربعين





البيان

العددان الثالث والرابع والأربعون
ربيع الأول ١٤١٢ هـ
١٠ / ١٩٩١ م

مجلة إسلامية شهرية جامعة
تصدر عن
المنتدى الإسلامي
لنــدن

رئيــس التحــرير
محمد العبــدة

العنـــوان

AL BAYAN MAGAZINE

7 Bridges Place, Parsons Green
London SW6 4HR U.K

Tel : 071 - 731 8145
Fax : 071 - 736 4255

بسم الله الرحمن الرحيم

المحتويات

- الافتتاحية ٤
- علماء الاجتماع والعداء للدين (٤) ٩

د. أحمد ابراهيم خضر
- خواطر في الدعوة ٢١

محمد العبدة
- إلى خطباء الجمعة ٢٣

الشيخ عبد الله بن حسن القعود
- مطلبان للدعاة ٢٨

د. سليمان التميمي
- خدعة الصدام المتعجل ٣٣

محمد محمد بدري
- منهج أهل السنة في النقد والحكم على الآخرين (٣) ٣٦

هشام بن اسماعيل
- وقفات مع التحقيق والمحققين ٤٤

محمد عبد الله آل شاكر
- الهدوء وضبط النفس سمة القيادة الناجحة ٥٥

سامي سلمان
- شيوع الأخلاق النفعية في العصر الحديث ٥٥

محمد الناصر

البيان الأدبي ________________________ ٦١

- دور المرأة في القصة والرواية ٦٢

د. عبد الله الخلف

- جزائر الخير ٦٥
د. عبد الرحمن صالح العشماوي
- أين الكعبة ٦٨
أبو سهل البخاري
- الزمان النجيب ٧٢
مروان كجك

المسلمون في العالم ٧٤

- أحداث(كنر) ومقتل الشيخ جميل الرحمن ٧٥
- مقابلة مع الشيخ سميع الله ٨٣
- بيان من جماعة الدعوة إلى القرآن والسنة ٨٦
- الصراع الحضاري في كشمير ٨٩
أحمد موفق زيدان
- باكستان : أقلية ساهرة وأكثرية نائمة ٩٥
- بيان من حركة الجهاد الأرتري ١٠٤

- مقال سياسي: تفكك الاتحاد السوفييتي ١٠٦
- كتب: البعد الديني في السياسة الأمريكية ١١١
تأليف: د. يوسف الحسن
عرض: أحمد عبد العزيز أبو عامر
- حديث وعبرة ١١٨
عبد العزيز بن أحمد باطرفي
- صحة ١٢٣
د. محمد صايل هليل
- منتدى القراء ١٢٧
- بريد القراء ١٣٥
- من نشاطات المنتدى ١٤٠
- الورقة الأخيرة ١٤٣

هل هذا من السياسة

إذا أردنا لحياتنا الفكرية أن تستقيم ويكون للكلمة معنى وتأثير، فلا بد أن نحدد المصطلحات التي يثار حولها الجدل أو تستعمل في غير معناها الحقيقي، وإن كلمة (سياسة) من هذه المصطلحات التي يمارس باسمها كل أنواع التهريج والعسف والخسف. وقد قرأت للمفكر الجزائري مالك بن نبي رحمه الله تفريقاً دقيقاً بين كلمتين: (السياسة) و (البوليتيكا) فالكلمة الأخيرة وإن كانت تعني في اللغات الأوروبية: السياسة ولكن بعض الناس أطلقوها على الذين يتقنون فن التهريج والمكر والكذب على الشعوب، أو يتخبطون في الأحلام والأوهام، وأطلقها هذا المفكر على الساسة المعاصرين له الذين يمارسون (البوليتيكا) ويظنون أنهم يمارسون السياسة.

السياسة توجيه محدد وأهداف واضحة، وفعل الممكن، هذا عند من يعتمد على ثقافة معينة وتجارب تاريخية، وأما عند المسلم فهي «استصلاح الخلف بإرشادهم إلى الطريق المنجي في الدنيا والآخرة»[1]. فهي سياسة شرعية مبنية على أصول ثابتة من القرآن والسنة وسيرة الرسول صلى الله عليه وسلم، وسيرة الخلفاء الراشدين. وما كتبه العلماء حول هذا الشأن. ونحن عندما نفرق بين السياسة القائمة على أصول ثابتة مع مراعاة المصلحة الشرعية وظروف الواقع وبين ما يسمى سياسة: فلأننا ندرك حجم المأساة التي جرتها ممارسة (البوليتيكا) على الدعوة والدعاة في العصر الحديث حيث المواقف المتناقضة، والدخول في الصراعات التافهة بين الأحزاب. ويحق لنا أن نتساءل: هل من السياسة أن تعقد عقداً أو تهادن عدواً ثم تنقضه في السر بحجة المصلحة وتظهر أمام الناس أنك تكيل بمكيالين وتتناقض مع مبادئك؟ والإسلام لا يبيح هذا، جاء في سورة الأنفال:

﴿ وإما تخافن من قوم خيانة فانبذ إليهم على سواء﴾ [الأنفال ٥٨]

أي إذا خفت «وتوقعت من قوم خيانة بنقض عهدك، وهذا يظهر لك بالدلائل القوية فاقطع عليهم طريق الخيانة بأن تنبذ إليهم عهدهم أي تعلمهم بفسخه على طريق سوي واضح لا خداع فيه ولا استخفاء ولا خيانة حتى تكون أنت وهم في العلم سواء، والحكمة في هذا النبذ أن الإسلام لا يبيح لأهله الخيانة مطلقاً، وقد روى البيهقي في شعب الإيمان عن ميمون بن مهران قال: «ثلاثة المسلم والكافر فيهن سواء، من

١-التهانوي: كشاف اصطلاحات الفنون ٦٦٥/١

عاهدت فوفِّ بعهده مسلماً كان أو كافراً، ومن كان بينك وبينه رحم فَصِلهْا مسلماً كان أو كافراً، ومن ائتمنك على أمانة فأدها اليه مسلماً كان أو كافراً»[1].

وفي معرض ولاية المؤمنين بعضهم لبعض وأن الذين لم يهاجروا إلى دار الإسلام فليس لهم ولاية وحقوق كمن هاجر « والذين آمنوا ولم يهاجروا ما لكم من ولايتهم من شيء حتى يهاجروا» واستثنى من ذلك اذا قاتلهم الكفار أو اضطهدوهم لأجل دينهم فيجب على دولة الإسلام والمسلمين في دار الإسلام نصرتهم «وإن استنصروكم في الدين فعليكم النصر» ثم استثنى من هذا الحكم حالة واحدة فقال «إلا على قوم بينكم وبينهم ميثاق» يعني «اذا استنصروكم فانصروهم اذا كانوا في دولة كافرة محاربة، أما إذا كانوا في دولة كافرة ولكنها معاهدة فهؤلاء يجب الوفاء بعهدهم لأن الإسلام لا يبيح الغدر والخيانة بنقض العهود والمواثيق»[2].

وجاء في صحيح مسلم عن الصحابي الجليل حذيفة بن اليمان قال:

«ما منعني أن أشهد بدراً إلا أني خرجت أنا وأبي:حُسيل، قال: فأخذنا كفار قريش، فقالوا: إنكم تريدون محمداً، فقلنا: ما نريده، ما نريد إلا المدينة، فأخذوا منا عهد الله وميثاقه لننصرفنّ إلى المدينة ولا نقاتل معه، فأتينا رسول الله صلى الله عليه وسلم فأخبرناه الخبر فقال:

١- رشيد رضا/تفسير المنار ٥٣/١٠
٢- المصدر السابق ١٠٨/١٠

«انصرفا، نفي لهم بعهدهم ونستعين الله عليهم»[1]

إلى هذا المرتقى يرتفع الإسلام ويراعى العهود والعقود، ونتساءل مرة ثانية: هل من السياسة ما يفعله البعض من إمساك العصا من الوسط ويعتبرها سياسة دائمة له ويظن أن هذا منتهى الكياسة أو يطلق التصريحات العائمة الغائمة فلا يدري السامع ماذا يريد؟ وماذا يعني. وهل من السياسة رفع شعارات لا يؤمن بها صاحبها، وما رفعها إلا إرضاء للعامة وغوغاء الناس أو إرضاء لفئة من الناس يحبون العيش فترة من حياتهم في أحلام اليقظة أو تستثيرهم التصريحات العاطفية.

قد يضطر المسلم للتورية أحياناً أو يصرح تصريحات عامة في ظروف معينة، ولكن أن يكون هذا ديدنه فهذا أقرب إلى الضعف والخور يلبسها لبوس السياسة بزعمه. ونحن نعتقد أن الحرب خدعة وأنه قد يستعمل المكر مع الأعداء ولكن هذا يختلف عن التصريحات الكاذبة أو نقض العهود. إن بعض أسباب ممارسة هذه (البوليتيكا) واضحة لمن يتأمل واقع المسلمين، فهذا الذي يتحدث، ويطلق التصريحات الفضفاضة والتي هي أكبر منه، وهذا الذي يقود ويتزعم... هؤلاء ليسوا من رجال الفطرة الذين يملكون الشجاعة والروح الوثابة والروح الايمانية الغامرة التي تدفعهم للتغيير، ذلك لأنهم نشأوا في ضعف وهزيمة، الواحد منهم لا يملك الاستعداد للأمور العظيمة، فهو دائماً في منتصف الطريق، وهو دائماً يمسخ المشاريع الكبيرة ليحيلها إلى (سياسة) حسب مفهومه فهو مستعد «لنصف جهد، ولنصف اجتهاد ونصف طريق»[2]

١- صحيح مسلم ١٤١٤/٣ كتاب الجهاد/١٧٨٧

٢- مالك بن نبي شروط النهضة/١١٠

وبعضهم لم يكن يتصور في يوم من الأيام أنه سيقود الجموع وتفتح له أبواب الجاه مشرعة فلما وسد إليه الأمر، لسبب وجاهته أو فصاحته أو... لم يكن يصدق ذلك فرجع إلى طبيعته من الضعف واستغل هذا لتحقيق أهدافه الدنيوية التافهة.

إذا أردنا التغيير فلا بد من رجال الفطرة الذين يفهمون السياسة الشرعية فهماً دقيقاً ويكفون عن ممارسة (البهلوانية) والظهور بوجهين، وإطلاق التصريحات العاطفية ويواجهون الواقع بحذر وحزم وعزم.



« فليس للانحراف طرق مرسومة نظرياً، ولكن له دروباً مظلمة يتعثر فيها السائر في كل خطوة »

مالك بن نبي

علماء الاجتماع
والعداء للدين
وللصحوة الإسلامية (٤)

رجال الاجتماع
و
مهمة تفكيك الدين

د. أحمد ابراهيم خضر

تناولنا في الحلقة الماضية قضية اتهام رجال الاجتماع في بلادنا لشباب الجماعات الإسلامية بالتطرف، وبأنهم مرضى عقليون يمثلون شخصيات مريضة تعاني من الجنون الدوري، أو جنون الاضطهاد والعظمة، وبينا سقوط هذا الادعاء على أساس ما توصل إليه مائة متخصص ومهني من علماء الطب النفسي في عام ١٩٨٠ بالولايات المتحدة من أنه لا علاقة بين الإصابة بالأمراض العقلية والسلوكيات وخاصة التطرف. كما عرضنا لاعتراف رجال الاجتماع بأن البديل لانضمام الشباب إلى الجماعات الإسلامية هو إما الهجرة أو ممارسة الأعمال غير المشروعة: كالاتجار في المخدرات، أو الرشوة، أو التهريب، أو ممارسة الجريمة التقليدية، وغير التقليدية. كما سجلنا على رجال الاجتماع اعترافهم بأصالة القيم التي يحملها شباب الجماعات الإسلامية، وبأن اتجاههم إلى الدين قد حماهم من الدمار الشامل الذي أصيب به غيرهم من الشباب.

ونتناول في هذه الحلقة الأسباب التي تكمن وراء سعي رجال الاجتماع في بلادنا لتفكيك الدين، ودور الدولة في تمهيد الطريق لإنجاح هذه المهمة.

لماذا يرى رجال الاجتماع في بلادنا أن تفكيك الدين ضرورة ؟

يدرك رجال الاجتماع في بلادنا تمام الإدراك أن الإسلام يقدم تصوراً معرفياً

لتفسير العالم الاجتماعي، وأنه لا يمكن تصور استقلالية لهذا العالم إلا في حدود (المشروع الرباني)الذي يمنحه إياها - هكذا قالوا بنص عباراتهم - كما يدركون أيضاً أن هذا الإسلام يشكل نمطاً للبناء الاجتماعي وإطاراً مرجعياً يلجأ إليه الناس بطريقة تلقائية للتفكر في هذا العالم الذي يعيشون فيه. ويرفض علم الاجتماع ذلك لأنه يريد أن يقدم معطيات الحياة الاجتماعية من عنده تحت غطاء تعرية هذه المعطيات، ولهذا السبب كان انتقاد علم الاجتماع للدين جزءا لا يتجزأ من طبيعة تكوينه، وكان صدامه مع الدين أمرا لا مفر منه، وإذا التقيا فإن التقاءهما لا يمكن أن يتم إلا عبر صراعات.

يقول محمد شقرون أستاذ الاجتماع في جامعة محمد الخامس بالمغرب: «تدخل السوسيولوجيا في هذا المجال في صدام مع الدين، إنها تصطدم به من جهة، لأن الدين يشكل نمطاً للبناء الاجتماعي للواقع، ونسقا مرجعيا يلجأ إليه الفاعلون الاجتماعيون بكيفية تلقائية لتفكر العالم الذي يعيشون فيه. ويشكل هنا انتقاد الدين جزءاً لا يتجزأ من تعرية المعطيات التلقائية للتجربة الاجتماعية، حيث تكون الوقائع السوسيولوجية ملتصقة. وتشكل هذه التعرية نقطة عبور لا مفر منها في عملية موضعة هذه المعطيات. وتلتقي السوسيولوجيا بالدين كذلك في الوقت الذي يعتبر الدين تصوراً عرفانيا لتفسير العالم الاجتماعي والذي لا يمكن أن يتصور أستقلالية لهذا العالم إلا في حدود المشروع الرباني الذي يمنحه إياها، لهذا فإن التقاء السوسيولوجيا بعلم اللاهوت لا يمكن أن يتم إلا عبر صراعات»[1]

يريد رجال الاجتماع في بلادنا إخضاع الدين لتحليلاتهم وتفسيراتهم وتصوراتهم. وفي أذهانهم اعتقاد خاطئ بأن الدين كان ولا يزال ينافس العلم في العالم العربي، وغاب عنهم تماماً أن الدين والعلم في الإسلام متساندان وليسا في تصارع وصدام كالحال في بلاد الغرب. ويعبر محمد شقرون عن هذا الاعتقاد الخاطئ فيقول: «إلا أنه لا يمكن أن نتجاهل الإشارة إلى هذا الصراع الأولي

عندما نتكلم عن الشروط التي جعل العلم فيها الدين موضوعاً له، لأنه قبل أن يصبح الدين موضوعاً من بين مواضيع السوسيولوجيا فإنه كان المنافس لها وما زال ينافسها في مجتمعاتنا العربية الحديثة العهد بالعلم الحديث»(٢)

انبثاقاً من هذا التصور الخاطئ بتصادم الدين والعلم في بلادنا قياساً على ما تعلمه هؤلاء من الغرب فإنهم قد أعلنوا ثورتهم على عقيدة الإسلام صراحة، ووقوفهم إلى جانب العلم تماماً، وقالوا أنهم إذا خُيِّروا بين عقيدة تحدد لهم أصل الإنسان ومصيره وعلة وجوده؛ وبين علم يقدم لهم ما يتصورونه أنه معارف وحقائق متاحة أمامهم فإنهم سيختارون طريق العلم بالرغم من اعترافهم بأن إسهام الأخير إسهام محدود.

يقول محمد الجوهري أستاذ علم الاجتماع بجامعة القاهرة (٣): «..ومن الممكن أن نجيب على هذا السؤال..الأشياء التي يقدر الإنسان على تحقيقها وما هو مدى قدرتها على التكيف بطريقتين مختلفتين الأول (كذا): على أساس عقيدة دينية أو دنيوية تحدد لنا المسائل المطلقة والنهائية في حياة البشر. عقيدة تحدد لنا أصل الإنسان ومصيره وعلة وجوده..الخ. والطريقة الثانية: أن نجيب على أساس المعارف والحقائق العلمية المتاحة لنا..وفي الحالة الثانية يتحتم علينا الإقلاع تماما منذ البداية عن محاولة الوصول إلى أي إجابة عن مثل هذه التساؤلات النهائية والمطلقة ونقصر أنفسنا على كل ما هو متاح (امبيريقيا) (*)، أي ما يمكن أن نتوصل إلى إدراكه من الواقع ونستطيع تحليله تحليلاً مفهوماً مقبولاً، ومن الواضح أننا - المشتغلين بالعلم - لا نفكر سوى في هذا الطريق الثاني طريق العلم والتأسيس على العلم. كما أننا لا نستطيع كمتخصصين اجتماعيين أن نقدم في هذا الطريق سوى إسهاماً محدوداً، وهذا قيد نعرفه ونسلم به منذ البداية».

لم يكتف رجال الاجتماع في بلادنا بناء على هذا التصور الخاطئ بتصادم الدين بالعلم بإعلان ثورتهم على عقيدة الإسلام ولكنهم اتجهوا أيضاً إلى مهمة أخرى

وهي تفكيك الدين سعياً وراء وهم اسمه «استقلالية العلم»، أو بمعنى آخر: الانفراد بتفسير شؤون الحياة الاجتماعية وفصلها تماماً عن الدين.

تصور رجال الاجتماع أن ممارستهم لهذا العلم لن تتحقق ولن تتم إلا إذا طرحوا قضية تفكيك الدين بجرأة وصراحة كضرورة واضحة لهذه الممارسة المزعومة.

يقول محمد شقرون: «إن ضرورة تفكيك الدين من أجل التحرير الضروري لمجال الفكر، وذلك لإنتاج تأويل علمي عن الاجتماعي لم تطرح بصراحة وجرأة في الوطن العربي كضرورة واضحة لممارسة العلم بصفة عامة وممارسة العلوم الإنسانية بصفة خاصة، ويرجع هذا بالطبع إلى غياب حقل علمي يتمتع بكامل الاستقلالية عن السياسي وعن الديني نفسه»(٤)

وربط رجال الاجتماع بين شرعية ممارستهم للعلم واستمرار صدامهم مع الدين لتحقيق هذه الاستقلالية التي يطمحون فيها، إلا أنهم رأوا أنه يمكن أن يقبلوا بين صفوفهم – تواضعا – أي عالم مؤمن شريطة ألا يتحدث عن إيمانه وبهذا كان إقصاء الدين شرطاً ضروريا لممارسة العلم.

يقول محمد شقرون: «ومازالت شرعية العمل العلمي مضمونة بالإحالة إلى هذا الصراع من أجل استقلالية المعرفة العلمية: يقبل عالم مؤمن في مجموعة العلماء شريطة ألا يتحدث عن إيمانه. إن كبر سنه وشهرته هما اللذان يسمحان له بـ«اعترافات» ذاتية بعيدة عن الممارسة العلمية»(٥)

ولو توقف طموح رجال الاجتماع في بلادنا عند حد السعي لاستقلالية العلم لهان الأمر، لكنهم لا يكتفون بذلك بل جعلوا مهمة تفكيك الدين – كما أوضحنا – ضرورة لتأويل وتفسير الحياة الاجتماعية وفقا لترهاتهم التي يطلقون عليها «علماً»، إنهم لا يكنون أي احترام للدين الذي يريدون التعامل معه مثلما

يتعاملون مع أي وقائع أخرى، ولا زالوا يصرون على التمسك بأسطورة «العقلانية» رغم اعترافهم - كما أوضحنا سابقاً - بسقوطها وإشارتهم هنا على استحياء بأن هذه العقلانية عليها مآخذ.

يقول محمد شقرون: «وطموح السوسيولوجيا الدينية يمكن تعريفه في هذا الإطار مهما تكن المآخذ على العقلانية العلمية. ويمكن تلخيص هذا الطموح بكيفية بسيطة: إن الامر يتعلق فقط بمعاملة الوقائع الدينية كما تعامل الوقائع الاجتماعية الأخرى من الناحية السوسيولوجية، أي بناء هذه الوقائع وتصنيفها ومقابلتها ومعالجتها بمفهومي العلاقات والصراعات»(٦)

ينتظر رجال الاجتماع في بلادنا ما يسمونه (بتراجع الدين)، يأملون أن تأتي العقلانية - رغم اعترافهم بفشلها - بثمارها مثلما حدث في الغرب. يتوقعون مواجهة منسجمة بين الدولة والإسلام مثلما حدث بين الدولة والكنيسة في الغرب. يطمحون أن تسجل بحوثهم شهادة على تراجع الدين ممثلة في قلة الممارسة الدينية وتطبيق الفروض الدينية وتفكك الشعائر الدينية تحت ضغط التمدن والتصنيع مثلما حدث في الغرب. يشكل هذا التراجع الذي يطمحون إليه بالنسبة إليهم أفقاً فكرياً وثقافياً يسمح لهم بالعبث في النسيج العقيدي لبلادنا وتخريبه. لا يريد رجال الاجتماع في بلادنا أي مقاومة من علماء الدين لمواجهة هذا التخريب، ويسعون إلي الانفلات من قبضتهم مثلما أفلت الغربيون من ضغوط الكنيسة، إن نجاحهم في الإفلات من قبضة علماء الدين سيسمح لهم بعمل مميز في علم الاجتماع ألا وهو - نقد الدين - الذي يمثل أول خطوة في تفكيك الدين.

يقول محمد شقرون: «وإذا كان الإرث الفلسفي للعقلانية قد أثر في تطور السوسيولوجيا الدينية في المجتمعات المتقدمة الغربية فإن ذلك يرجع إلى التجانس الخاص بتاريخ المواجهة بين الكنيسة والدولة في هذه المجتمعات من جهة، ويرجع ذلك من جهة أخرى إلى كون البحوث المقامة حول الوضعية الدينية في

هذه المجتمعات قد قدمت إثباتا أساسياً لمسلمة تراجع الدين في العالم الحديث: قلة الممارسات الدينية وتطبيق الفروض الدينية، تفكك الشعائر التقليدية تحت ضغط التمدن والتصنيع، تقلص نسبة الرجال والنساء الذين ينخرطون في الرهبانية..الخ وعملية تراجع الدين الذي هو الافق الفكري والثقافي الذي تفترضه الحداثة(**) كانت تشكل في هذه البحوث ظاهرة ملاحظة ومقاسة..من هنا جاءت ضرورة إفلات الممارسة السوسيولوجية من تأثير رجال الدين، إن هذه الإرادة في الإفلات أو الانعتاق من ضغوط الهرمية الكنسية ومن احتواء رجال الدين كانت تمثل الشكل الأول لمتطلبات النقد التي تميز كل عمل سوسيولوجي»(٧)

جاءت الصحوة الإسلامية لتصيب أماني وطموحات رجال الاجتماع في بلادنا في تراجع الدين وأحلام نقده وتفكيكه ثم اختفائه في الصميم. وبينت لهم المآل الحقيقي للحداثة، وأثبتت لهم أن الطريق الذي سلكوه ليس طريقا سهلاً، وفوجئ رجال الاجتماع بأن الدين بدلاً من أن يختفي فإنه يقاوم ويتحول ويمتد إلى قطاعات كانوا يسيطرون هم عليها. أصبح رجال الاجتماع أمام هذا الموقف الجديد في موقف الدفاع مع المقاومة الشديدة التي واجهتهم في ظروف غير مواتية لهم، لكنهم لازالوا يصممون على الكفاح من أجل الحفاظ على ما يسمونه الطموح في نقد الدين.

يقول محمد شقرون: «إن الأهمية القصوى التي أصبح يحظى بها الحدث الديني في المجتمعات الحديثة في أوساط المهتمين بالسياسة وفي أوساط المثقفين الذين يتحدد دورهم في فهم مآل الحداثة لا تسهل الوضع الفكري لعلماء اجتماع الدين تجاه موضوعهم. فقد بين هؤلاء منذ زمن بعيد أن الدين عوض أن يختفي، يقاوم ويتحول ويستولي على موضوعات جديدة لا صلة لها بالدين، وأنه بإمكانه أن يخلق ما هو جديد ولكنه يبدو أن مجموع هذه الظواهر (المقاومة، التحويل،

التعويض، التجديد..الخ) تأخذ قيمة جديدة في النظرة السوسيولوجية، فقد أصبحت السوسيولوجيا اليوم وخاصة في المجتمعات العربية أمام وضعية الكفاح من أجل الحفاظ على طموحها النقدي في ظرفية تتميز بتبني كل أشكال المقاومات الدينية واستخدامها لمصلحة اللاعقلانية»(٨)

يدرك رجال الاجتماع في بلادنا أن طموحاتهم في نقد الدين وتفكيكه لاتزال قائمة ما دامت الدولة تقاسمهم هذه المهمة وتشترك معهم في التآمر ضد الدين. تعطي الدولة وزناً كبيراً للعلوم الإنسانية لا يماثل هذا الوزن الذي تعطيه للعلوم الطبيعية، حيث تظهر العلوم الإنسانية أن سلوك الإنسان بما فيه (السلوك الديني) يخضع لتأثير معطيات نفسية واجتماعية، كما تبرهن العلوم الاجتماعية وخاصة علم الاجتماع وعلم النفس والتحليل النفسي أن القوى والدوافع التي تتحكم بالآراء والمعتقدات والإرادات هي قوى ودوافع ذات طبيعة متغيرة تبعاً لدرجة تطور المجتمعات، أي (لا تأثير للدين والعقيدة فيها) وتبين هذه العلوم (للدين) كما يقول – فرحان الديك – أن الإنسان تابع لنظام اجتماعي يرتبط فيه التفريق بين الديني والدنيوي. أي فصل الشؤون الدنيوية عن الدين.

ومن هنا لا نستغرب أن نجد أن عداء رجال الاجتماع في بلادنا مرتبط ومحتم بعداء الدولة للدين التي اتخذت منذ زمن بعيد خطوات محددة مهدت الطريق لرجال الاجتماع لأداء مهمتهم في تفكيك الدين، وقد كان أبرز هذه الخطوات الآتي:

أولاً: التركيز على القومية كهدف أعلى وغاية أسمى، والعمل على ترويض الإنسان ومحاولة الاستئثار به كليا وإبعاده عن الدين مع تشديد الدولة على رعاياها بالتأكيد على عدم الخلط بين الدين والدنيا، وتحرير السلطة السياسية من وصاية الدين، وتطوير أخلاق سياسية لا تمت بصلة إلى أي معيار سماوي، ولا تترك الدولة للإنسان فرصة اختيار موقف محايد في الصراعات الاجتماعية

والسياسية القائمة بتطبيقها، بل تصر على مبدأ «من ليس معنا فهو ضدنا».

يقول فرحان الديك: «في الماضي غير البعيد بالنسبة إلى المجتمع العربي كان الدين الإسلامي يتغلغل كلية أو في مجمل حياة الفرد وفكره. وعلى هذا الأساس كانت سيادته كأفق ثقافي للفرد، لكن عندما حلت الدولة بمفهومها الحديث محل الدين في مناخ صراعي حدث تنافس بين الدين والمجتمع، فالأمة عندما تكف عن الخضوع للدين ومنذ أن تصبح القومية الهدف الأعلى وتعد الغاية الاسمى تصبح بالضرورة عدوة للدين، فهي تتطلع إلى ترويض الإنسان لتجعل منه غرضها وشأنها وإبعاده عن الأجواء التقليدية لتستأثر به كلياً»[٩].

ثانيا: تطبيق سياسة العلمنة كتحد شامل وعام للدين خاصة لأن الدين في الإسلام ليس قضية خاصة أو مجالاً أو حيزاً محدداً بدقة مستقلا ومفصولاً عن المجالات الأخرى، وإنما يغطي بشمول كبير المحيط العائلي والاجتماعي والسياسي والقانوني، لا يترك حيزاً من الحياة الفردية والجماعية دون أحكام وقواعد، وتمتد فروعه إلى كل مجال، وتأثيره حاضر باستمرار. ولتحقيق هذا الاستقلال والانفصال بين شؤون الدنيا والدين قامت الدولة بما يلي:[١٠]

١- توطيد المؤسسات العلمانية التي تؤسسها، والتي تأخذ الطفل والشاب إلى جو يختلف كلية عن جو الأوساط الدينية، وإدخال الفرد في عدة جماعات ذات أهداف مستقلة لا تفكر مطلقاً في الدين أو اليوم الآخر. وتفرض الدولة على الفرد الانتقال باستمرار من المحيط الديني إلى محيط يجهل كل شيء عن الدين، أو يكن له عداءً مكشوفاً، ويتمركز أصلاً حول المصالح الدنيوية المادية، إلى أن ينتهي الأمر بالفرد إلى اعتبار الدين مؤسسة شبيهة بالمؤسسات الاجتماعية الأخرى، لا يكرس له من وقته ونفسه إلا حيزاً محدوداً.

٢- العمل على تحقيق العلمنة الفعلية للمجتمع بتأسيس منظمات وجمعيات

ثقافية ونقابية وحزبية وتنظيمية (كالنادي الرياضي، أو التنظيم المهني، أو الجماهيري، أو السكني) تتوسط بين الفرد والمجتمع دون ضرورة للمرور على المؤسسات الدينية كما كان الحال في الماضي. وبتأسيس هذه المنظمات يضعف اعتماد الفرد في تفسير أمور حياته على القيم الدينية. وتتسع هذه المنظمات التي لا تقيم اعتبارا لقيم الفرد الدينية، ولا تهتم إلا بمصلحة الفرد في ضوء هدفها الذي تسعى إلى تحقيقه، ومن ثم يتحول الدين إلى مسألة خيار شخصي لا يعنيها ولا يهمها.

٣- فصل المجالات الاقتصادية عن الدين، بإعادة بناء المجتمع وفقا لمقتضيات ومتطلبات الإنتاج والاستهلاك، بحيث تكون الكلمة العليا للربح والدعاية والتنافس وتقنيات الإنتاج والتسويق والإدارة، ولا يكون هناك تأثير مطلقاً للأخلاق الدينية، ويكون القرار في يد أولئك الذين يملكون سلطة سياسية واقتصادية وسيطرة لا حد لها. ومن هنا تختلف خيارات الإنسان المرتبطة بتصوره وحاجاته عن التصور الذي ينبثق من مبادئ وقيم الدين، بحيث يشتد التركيز على الجانب المادي من الحياة وعلى السعادة الدنيوية، دون وضع اعتبار لقيم الدين كالقناعة والابتعاد عن الغش والاحتكار..الخ.

٤- التركيز على سياسة تحديد النسل وتدخل السلطات الرسمية فيها، وهي تعلم أنه مجال يلقى معارضة شديدة من الدين وعلمائه. تؤكد الدولة للإنسان بأن له حق التصرف في جسده، كما تقوم بإدخال معطيات ديمغرافية وفيزيولوجية ونفسية وطبية وسياسية في مسألة الإنجاب، وهي معطيات من شأنها أن تقوض المرتكزات الدينية التي تقوم عليها هذه المسألة.

ثالثا: تصوير الحضارة الصناعية على أنها حضارة منافسة للدين متحدية له بما تقدمه من إمكانيات العلم والتقنية، وبتصويرها للإنسان على أنه سيد للطبيعة وأن على الإنسان أن يتكيف لهذه الحضارة بسبلها المادية والفكرية معاً، وهذا يستلزم

منه أن يعيد النظر في أفكاره الدينية التي تكونت عبر مراحل تنشئته الاجتماعية. وتؤدي هذه العملية إلى أن يصبح العالم الفكري للإنسان (عقلانياً) فلا يحتاج بالتالي إلى الدين الذي ينظر إلى هذه الحضارة – كما يتصور فرحان الديك – نظرة ترقب وتجاهل.

رابعاً: الاستفادة من انتشار العمران والحراك الجغرافي والاجتماعي بالتأكيد على التجديد والابتكار وبتعددية المواقف ونسبية الخيارات، كل ذلك بقصد ألا تنطلق المواقف والخيارات من الدين وحده، مع تأكيد النظرة إلى المسجد على أنه أحد القطاعات التي تضمها المدينة أو القرية الريفية، والعمل ألا يختلط المسجد بالحي أو بالوسط الريفي مثلما كان سائداً في الماضي مع تحجيم دوره بالصورة التي تمنع هذا الخلط.

* الامبيريقية Empricism مصطلح مشتق من الكلمة اليونانية Empeira وترجمتها إلى اللاتينية Experientia بمعنى التجربة، والامبيريقية على عكس العقلانية هي النظرية التي تقول أن التجربة وليس العقل هو مصدر المعرفة بمعنى أن كل ما نعرفه إنما يرتبط مباشرة بالخبرة الحسية أو يشتق منها بوسائل تجريبية تعتمد على الإدراك الحسي. انظر:

D.W Hamlyn Empricism the Encyclopedia of Philosophy, Paul Edwards, Macmillan Publishing, New York, London p 499

وحسبنا في بيان تعارض الامبيريقية مع العقيدة شهادة رجال الاجتماع في بلادنا في قولهم (إن الامبيريقية تستند إلى ما يسود العلوم الاجتماعية بوجه عام من اتجاه علماني ومن اهتمام بمسائل علمانية) ولأن الامبيريقية تعتمد فقط على الأساليب الفنية فإنها ترفض أي فكر وتبدأ بالواقع وتنتهي إلى الواقع وترى بصراحة (إن كل ما لا يخضع للتجريب فهو باطل).

انظر: محمد عاطف غيث، دراسات في تاريخ التفكير واتجاهات النظرية في علم الاجتماع، دار النهضة العربية بيروت ١٩٧٥ ص ٢٨٤

وعن الامبيريقية يقول رجال الاجتماع في بلادنا: أنها تلفيقية تلقيطية جزئية عديمة اللون والطعم، تعتمد على الموقف الخبري المبسط الذي يلاحق الظاهرات مبعثرة مسقطة من حسابها الإطار النظري الشامل الذي يحتويها. وتعتمد البحوث الامبيريقية على جمع فكرة من هنا وأخرى من هناك ثم اختيار عينة عشوائية عمدية في معظم الأحيان ثم تصميم استمارة بحث يعرض الباحث نتائجها في صورة جداول

إجابة المبحوث فيها هي التي يريدها الباحث، موقفها مفتعل ونتائجها مفتعلة ايضاً.
انظر عبد الباسط عبد المعطي، اتجاهات نظرية في علم الاجتماع، عالم المعرفة، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، ١٩٨١ ص ٢٧٣-٢٧٨

* *

الحداثة كمفهوم وكحركة نقلها البيغائيون العرب إلى مجتمعاتنا العربية من الغرب ولهذا لا يمكن فصل الحداثة العربية عن الحداثة الغربية باعتراف الحداثيين العرب أنفسهم. يقول محمد براده (إن الحديث عن حداثة عربية مشروط تاريخياً بوجود سابق للحداثة الغربية وبامتداد قنوات للتواصل بين الثقافتين) انظر محمد براده في اعتبارات نظرية لتحديد مفهوم الحداثة، فصول مجلد ٤ عدد ١٩٨٣ ص ١١ . أشار براده إلى ذلك أيضاً في الفقرة التي اقتبسها من جون بودريان في قوله (تفرض الحداثة نفسها وكأنها وحدة متجانسة مشعة عالمياً من الغرب). نفس المصدر ص ١٢ .
والحداثة كما تعرفها الموسوعات الغربية هي أي نظرة تقوم على الاقتناع بأن العلم والتقدم العلمي الحديث تتطلب إعادة تقييم أساسي للعقائد التقليدية ومن ثم لا تنظر إلى الدين على أنه صياغة دقيقة لسلطة جديرة باعتماد وقبول للحقائق المنزلة من الله وعلى أنه مقولات لمشاعر وخبرات دينية عاشها بعض الرجال عبر حقبة تاريخية معينة ولهذا تكون الحقائق الدينية عرضة لعملية تطوير مستمر كجزء من الخبرة المتقدمة للجنس البشري وتستلزم هذه العملية إدخال مفاهيم عديدة وجديدة كشيئ متطلب للتعبير عن الفكر والتقدم الحديث.
وليس الوحي في مفهوم الحداثة إلا مجرد خبرة شخصية حسية لمجموعة حقائق (عن) الله اكثر منه موضع اتصال لحقيقة شاملة (من) الله. انظر:

Modernism: in the Encyclopedia Americana, American Corporation, N.Y., 1967, p 289l

وترجع جذور الحداثة كحركة عامة إلى اواخر القرن التاسع عشر وأوائل القرن العشرين. اتجهت هذه الحركة الى تطبيق المناهج النقدية على التوراة والانجيل وتاريخ العقائد مما أدى الى الحط من قدرها والنظر إلى الله (تعالى) على أنه ليس فوق الوجود المادي. انظر:

Modernism: in the new Columbia Encyclopedia, Columbia University Press, U.S.A, 1970, p 1801

ويشير جون بوتي في الموسوعة الأكاديمية الأمريكية إلى أن هذا المصطلح قد استخدم في العصر الحديث لنقد الدين بصفة عامة. انظر:

John Booty, Modernism in Academia American Encyclopedia, Arete Publishing Comp. Inc., Princeton, Newjersey, 1980, p 498

بهذه المفاهيم التي نقلها البيغائيون العرب من الغرب شنوا هجومهم الضاري على الإسلام مفترضين عن

جهل تصادم الإسلام مع العلم كالحال في بلاد الغرب فراحوا يقيّمون ويعدلون في الإسلام والوحى والرسالة وفق اهوائهم.

ومن أبرز المعاصرين الذين حملوا على عاتقهم هذه المهمة (حسن حنفي) أستاذ الفلسفة الإسلامية بجامعة القاهرة. دعا حسن حنفي إلى اخضاع القرآن للنقد وللمنهج النقدي مثلما فعل (سبينوزا) مع التوراة والانجيل، رافضاً تفسير قوله تعالى: ﴿ إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون﴾ بمعنى انه حفظ للنص متهماً النظرة القائلة بأن معنى الآية حفظ للنص الحرفي المدون بأنها نظرة (لاهوتية صرفة تهرب من -النقد- وتلجأ- للسلطة الالهية). انظر:

أحمد إبراهيم خضر، وقفات مع اليسار الإسلامي، مجلة المجتمع عدد ٩٠١ وما بعده ١٧ جمادي الآخره ١٤٠٦/٢٤ يناير ١٩٨٩

وعن رفض الحداثيين العرب (لله) و(للدين) وتشبثهم بالفكر العلماني والنظر إلى الانسان على أنه محور الوجود وليس الله، يقول كمال أبو ديب:

(الحداثة انقطاع معرفي. ذلك أن مصادرها المعرفية لا تكمن في المصادر المعرفية للتراث في كتب ابن خلدون الأربعة أو في اللغة المؤسساتية والفكر الديني وكون الله مركز الوجود... الحداثة انقطاع، لأن مصادرها المعرفية هي اللغة البكر والفكر العلماني وكون الإنسان مركز الوجود). انظر:

كمال أبو ديب، الحداثة، السلطة، النص، مجلة فصول مجلد ٤ عدد ٣ عام ١٩٨٤ ص ٣٧ .

مصادر:

١- محمد شقرون، شروط إمكانية قيام سوسيولوجيا دينية في المجتمعات العربية، الدين والمجتمع العربي، مركز الدراسات العربية بيروت ١٩٩٠ ص ١٢٨

٢-تابع ص ١٢٨

٣- بوتومور، تمهيد في علم الاجتماع، محمد الجوهري وآخرون دار المعارف سلسلة علم الاجتماع الكتاب الرابع ١٩٨٧ ص ١٦

٤- محمد شقرون تابع ص ١٢٩

٥- تابع ص ١٢٨

٦- تابع ص ١٢٨-١٢٩

٧- محمد شقرون تابع ص ١٢٩-١٣٠

٨- تابع ص ١٣١-١٣٢

٩- فرحان الديك الأساس الديني في الشخصية العربية، الدين في المجتمع العربي، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت ص ١١٧

١٠- انظر فرحان الديك تحت (تحديات حضارة المجتمع الصناعي للدين وتراجع الدين في الحياة الاجتماعية)، المرجع السابق ص ١١١-١٢٥

أمراض القلوب

(٢)

من يتأمل النفس البشرية ويسبر غورها فسيجد العجب العجاب من مداخلها ومساربها، فهي إذا كرهت تبعد صورة من تكره بألف حيلة وتشوهها بألف لون، وإذا أحبت فمثل ذلك أن تلجم وتفطم عن مثل هذه المداخل.

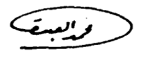
حدثني أحد الأخوة عن لقاء عابر مع صديق له وهو من العاملين في حقل الدعوة الإسلامية، قال: فوجئت بهذا الصديق يغمز ويلمز بأحد الدعاة الذين نحسبهم من أهل العلم والصدق – ولا نزكي على الله أحدا – وكان يغمز ويلمز بطريقة ذكية استعمل فيها التلميح دون التصريح. وتعجبت من تلميحاته وكرهه لهذا الداعية، وهو لم يلتق به من قريب ولم يقرأ له. فقلت لهذا الأخ: لا تعجب، إنه الحسد والمعاصرة، أليس هذان الأثنان من بلد واحد ومن منطقة واحدة؟ قال: بلى. قلت: إذن سأسمعك ما كتبه أبو بكر الرازي في هذا الموضوع – والحكمة ضالة المؤمن أنى وجدها فهو أحق بها –:

• إننا نرى الرجل الغريب حاكماً في بلد ما، متحكماً في أهله، ومع ذلك فلا يكادون يحسون نحوه بكراهية أما أن يحكمهم رجل من أهلهم فالأغلب أن تنصب عليه الكراهية، مع أنه قد يكون أرأف بهم من الحاكم الغريب، وسر

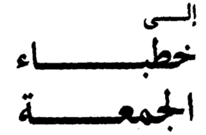
ذلك هو محبة الإنسان لنفسه، مما يجعله تواقاً إلى أن يكون ساقاً لسواه من أبناء قومه، فإذا رأى الناس أن من كان بالأمس منهم قد أصبح اليوم سابقاً لهم، مقدماً عليهم، اغتمّوا لذلك وصعب واشتد عليهم سبقه إياهم، أما المالك الغريب فمن أجل أنهم لم يشاهدوا حالته الأولى لا يتصورون قصورهم في كمال سبقه لهم وفضله عليهم، فيكون ذلك أقل لغمهم وأسفهم»[١].

والرازي ضرب مثلاً للحاكم ونحن ننقل هذا المثل لما يقع الآن مع الدعاة والعلماء، فنجد الرجل صاحب العلم والفضل يتكلم في أقرانه أو من أهل بلده ما لا يتكلم فيه الآخرون، وما يقطع هذا المرض القلبي إلا أن يفكر المسلم، ماذا يستفيد من هذا الحسد في الدنيا غير وباله في الآخرة، ويفكر في نفسه أن فضل الله يؤتيه من يشاء، ولا حرج في المنافسة في الخير والمزيد من العلم، وربما استطاع أن يسد ثغرة في جانب من الجوانب لا يسدها أخوه المحسود!

إننا نسمع هذه الأيام من يفرح بأخطاء أخيه ليجمعها ويؤلف فيها كتباً!! أهكذا أمر الإسلام أتباعه؟ أوهكذا تُضيّع الاوقات ، إنها مصيبة – والله – أن تهدر الطاقات ولا يتنبه الذي ينصّب نفسه داعية لأمراض قلبه وإحن صدره، ويعالجها بالدواء الشافي كما يعالج بدنه إن أصابه شيء، فيكون مرضياً عند الله وعند الناس.



١– الطب الروحاني لأبي بكر الرازي، نقلاً عن كتاب: عن الحرية أتحدث / ٧٣ زكي نجيب محمود



الشيخ عبد الله بن حسن القعود

إلى إخوتي في الله خطباء الجمعة. السلام عليكم ورحمة الله وبركاته، وأحمد الله تعالى وأصلي وأسلم على رسوله محمد بن عبد الله وبعد:

فتعلمون «وفقكم الله» أهمية خطبة الجمعة ومكانتها بين العبادات وما يتطلب ويتأكد فيها من إحياء وإظهار ما شرعت له، من عظة القلوب، وملامسة المشاعر التي أمرت هي من جانبها أن تتهيأ قلبا وقالبا جسما وروحا لاستماع الخطبة، الأمر الذي كماله المطلوب وتمامه الواجب الجاذب للقلوب والشاحذ للهمم أن يكون الواعظ فيه قد اتعظ، والآمر قد ائتمر، وأول ما يتطلب الاتعاظ به في هذا الأمر حمايتها وحفظها من أن يتطرق إليها أو إلى شيء من اجزائها ولو ألفاظ الدعاء فيها ما ينقص الاخلاص فيها ويضعف التقبل لها. وأن تكون وفق منهجه صلوات الله وسلامه عليه فلا يخرج بها عنه.

ويتتبع منهجه صلوات الله وسلامه عليه نجد أن خطبه مليئة بالثناء على الله وتعظيمه وبتذكير الناس بآلائه عليهم، بل وبأيامه وسننه فيهم ثوابا وعقابا. قال ابن القيم رحمه الله في ذكر خصائص يوم الجمعة: إن فيه الخطبة التي يقصد بها

الثناء على الله، وتمجيده، والشهادة له بالوحدانية، ولرسوله صلى الله عليه وسلم بالرسالة، وتذكير العباد بأيامه، وتحذيرهم من بأسه ونقمته وتوصيتهم بما يقربهم إليه وإلى جناته، ونهيهم عن ما يقربهم من سخطه وناره فهذا هو مقصود الخطبة والاجتماع لها»[1].

ومن هذا يعلم أن ما بدأ يظهر في خطب الجمعة في عالمنا المعاصر من تقليل الثناء على الله فيها، بحيث يكاد يقف القول فيه في بعض الأحيان عند أقل ما يجب، بل ومن جعلها في بعض الأحيان مادة للثناء على أقوام بأعيانهم، أو النيل من أقوام كذلك بأعيانهم، أمر مخالف لما كان عليه صلوات الله وسلامه عليه وما كان عليه أتباعه بإحسان رضي الله عنهم وعلى من سار على نهجهم إلى يوم الدين.

وخذوا مثلا المقارنة فيما يتعلق بالتركيز في خطب الجمعة ونحوها على الثناء على الله سبحانه والارتباط فيها بمضمون ما شرعت له مما أجمله ابن القيم رحمه الله خطب ابن القيم نفسه في مقدمات كتبه المنيء عن منهجه في الخطب رحمه الله، وخطب الشيخ محمد بن عبد الوهاب رحمه الله المطبوعة ونحوهما ،خطب بعض الناس اليوم وما طرأ عليها في بعض الأحيان وقارنوا بينهما -أخذا في الاعتبار البحث عن روح التوحيد الخالص- لتروا أن أولئكم رحمهم الله لم يسودوا ولم يؤموا ولم يبقوا بيننا بذكرهم المعطر للمجالس بتسخير أقلامهم وخطبهم في مواقف محضة للثناء على المخلوقين وانما الثناء على خالق المخلوقين.

ولا شك أن ذلك إدراك منهم رحمهم الله لروح التوحيد ولمراد الله سبحانه في قوله ﴿ فاسعوا إلى ذكر الله ﴾ وفسر الذكر بالخطبة، ويشهد له حديث «وحضرت الملائكة يستمعون الذكر» وفسر بالصلاة، ولا مشاحة فالأمر بالسعي للخطبة أمر بالصلاة ولن تكون الخطبة بالمعنى المطلوب الذي يصدق عليه أنه في

١- زاد المعاد ج ١ ص ٣٩٨

جملته ذكر إذا تضمنت مدح أقوام بأعيانهم، أو ذم أقوام بأعيانهم، ولذا كان بعض السلف رحمهم الله يستسيغ لنفسه الكلام أثناء خطبة خطيب الجمعة إذا خرج فيها عن مقتضاها. قال صاحب المغنى رحمه الله: «وكان سعيد بن جبير والنخعي والشعبي وإبراهيم بن مهاجر وأبو بردة يتكلمون والحجاج يخطب، وقال بعضهم: إنا لم نؤمر أن ننصت لهذا»[1].

وقال القرطبي رحمه الله في تفسيره لهذه الآية: «فإن قلت كيف يفسر ذكر الله بالخطبة وفيها غير ذلك؟ قلت ما كان من ذكر رسول الله صلى الله عليه وسلم والثناء عليه وعلى خلفائه الراشدين وأتقياء المؤمنين والموعظة والتذكير فهو في حكم ذكر الله، فأما ما عدا ذلك من ذكر الظلمة وألقابهم والثناء عليهم والدعاء لهم وهم أحقاء بعكس ذلك فهو من ذكر الشيطان وهو من ذكر الله على مراحل»[2].

ولا جرم أن يخرج هذا النفس من هذا العالم الجليل، فإن أمرا جعل شرطا لصحة صلاة الجمعة واعتبر جزءا من مجموعها ومعلوم وجوبها العيني أنه يتعين الاهتمام به وحمايته وأداؤه وفق المشروع كي لا يتطرق إليه نقص، فينسحب نقصه عليها.

فيا اخوتي في الله القائمين على هذا الثغر العظيم، ثغر توجيه وإبلاغ وإمامة وشهادة على الناس يوم يقوم الأشهاد: اعرفوا لهذا الموقف حقه، واذكروا به موقفكم أمام الله يوم تستشهدون على الناس، اسلكوا فيه الطريق السوي الذي لا غلو فيه ولا جفاء، فاستعمال الخطبة للنيل من أقوام بأعيانهم خروج بها عن الوسطية المطلوبة فيها، والمبالغة فيها بالثناء على أقوام بأعيانهم خروج كذلك عن الوسطية المطلوبة فيها. قال جابر بن سمرة رضي الله عنه: صليت «يعني الجمعة» مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فكانت صلاته قصدا وخطبته قصدا، رواه مسلم وغيره، والقصد الاعتدال، فالمطلوب في خطب الجمعة ونحوها على وجه

١- المغنى ج ٢ ص ٣٢٠

٢- تفسير القرطبي ح ١٨ ص ١٠٧

التقريب والتمثيل أن يختار الخطيب أوصافاً وأعمالاً فاضلة مما وصف به المؤمنون في القرآن الكريم والسنة المطهرة، فيحث عليها، ويرغب فيها، أو أوصافاً ذميمة وأعمالا سيئة من أعمال وأوصاف الكفار أو المنافقين أو فجار المسلمين، فيحذر وينذر منها، أو منكرا ظاهرا؛ فيذكره بأوصافه دون تسمية أهله في مثل هذا المقام المشترك في التقرب إلى الله بين المتكلم فيه والمستمع له، مبتعدا في لفظه عن وحشي الكلام ومبتذله، بادئاً بتقرير وبيان التوحيد الذي بعث الله به رسله وأنزل به كتبه، وبيان ما يناقض أصله أو كماله الواجب، فأصول الإيمان وأركان الإسلام، فالفضائل والمسائل، وبإمكانه أن يربط الموضوع الذي يريد علاجه بتلك الأوصاف لا بأعيان أهله كما فعل صلى الله عليه وسلم، عن عَائشة رضي الله عنها قالت:

«جاءتني بريرة. فقالت: إن أحب أهلك أن أعدها لهم ويكون ولاؤك لي فعلت، فذهبت بريرة إلى أهلها، فقالت لهم: فأبوا عليها، فجاءت من عندهم، ورسول الله صلى الله عليه وسلم جالس. فقالت: إني قد عرضت ذلك عليهم فأبوا إلا أن يكون الولاء لهم، فسمع النبي صلى الله عليه وسلم، فأخبرت عائشة النبي صلى الله عليه وسلم . فقال «خذيها واشترطي لهم الولاء، فإنما الولاء لمن اعتق» ففعلت عائشة رضي الله عنها، ثم قام رسول الله صلى الله عليه وسلم في الناس، فحمد وسلم في الناس، فحمد الله وأثنى. ثم قال «أما بعد، فما بال رجال يشترطون شروطا ليست في كتاب الله تعالى؟ ما كان من شرط ليس في كتاب الله تعالى فهو باطل، وإن كان مئة شرط، قضاء الله أحق، وشرط الله أوثق، وإنما الولاء لمن أعتق» (١).

وليعلم أن هذا التوبيخ لأشخاص في مخالفة قد لا تعد كبيرة، أما في الكبائر: الشرك فما دونه، فقد قال جابر بن عبد الله رضي الله عنه «كان رسول الله صلىالله عليه وسلم إذا خطب احمرت عيناه، وعلا صوته، واشتد غضبه،

١- متفق عليه، واللفظ للبخاري

حتى كأنه منذر جيش يقول صبحكم ومساكم» رواه مسلم. وفي باب الكبائر وما ذكره العلماء حولها مادة واسعة للخطباء عند ظهور أي منكر، فلا يكاد شيء من المنكرات الظاهرة يخرج عنها، وخذوا مثلا كتاب الكبائر للذهبي رحمه الله، وكتاب الكبائر للشيخ محمد بن عبد الوهاب رحمه الله، وكتاب الترغيب والترهيب للمنذري رحمه الله ونحوها، وما أسلفته من انتقاء الأوصاف الممدوحة من الكتاب أو السنة والحث عليها، أو المذمومة والنهي عنها، وربط الموضوع المراد علاجه بها لا بأسماء أو أعيان أهلها كما سلف. فلنأخذ بهذا المنهج مخلصين متبعين عسى أن يتقبل الله منا هذه الطاعة وغيرها، وأن يحقق بذلك المعنى العظيم الذي شرعت له الخطبة، من تعاهد الناس بين الفينة والأخرى بالتذكير والتبصير، بل التعرف على مشاكلهم وأمراضهم أمراض شهوة أو شبهة، لمحاولة علاجها بما جعله الله دواء وشفاء لها في قوله سبحانه:

﴿ يا أيها الناس قد جاءتكم موعظة من ربكم، وشفاء لما في الصدور وهدى ورحمة للمؤمنين. قل بفضل الله ورحمته فبذلك فليفرحوا هو خير مما يجمعون﴾.

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

مطلبان للدعاة

د. سليمان التميمي

يلاقي الدعاة إلى الله صنوف الأذى بدءاً من مضايقتهم، والتجسس عليهم، والتصنّتِ على كل مكالماتهم، ومراقبة أعمالهم، وتتبع حركاتهم، وإحصاء أنفاسهم وأقوالهم، وروحاتهم وغدواتهم، وأصحابهم وجلسائهم، وانتهاءً باعتقالهم وسجنهم، وضربهم أو قتلهم، وأخذهم بصورةٍ لا تليق بكرامة الإنسان. ويستقبل الدعاة هذا كله برحابة صدرٍ، وصبر واحتمال، وهم يعلمون أنّ العاقبة للمتقين، والبشرى للصابرين، وأنّ نصر الله -لا ريبَ- آتٍ والعجلة لا تقدّمه، كما أنّ التريُّث لا يؤخّره، محتسبين ما يجري عليهم من ظلمٍ وإفك، وأذىً واضطهادٍ عند الله، ولله.

وهم مع هذا متمسكون بدينهم، لا يتقهقرون عن دعوتهم، ويطلبون أن يخلى بينهم وبين الشعوب الإسلامية لدعوتها وإصلاحها، قياماً بالواجب الذي افترضه الله على عباده المؤمنين:

﴿ ومن أحسن قولاً ممّن دعا إلى الله وعمل صالحاً وقال : إنّني من المسلمين﴾

﴿ادع إلى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة وجادلهم بالتي هي أحسن، إن ربك هو أعلم بمن ضلَّ عن سبيله، وهو أعلم بالمهتدين﴾.

وهم في حالهم تلك لا يسألون الناس أجراً، يفرحون بهداية المهتدين، وعودة التائبين:

﴿ وجاء رجلٌ من أقصى المدينة يسعى، قال: يا قوم اتَّبِعُوا المرسلين، اتَّبِعُوا من لا يسألكم أجراً وهم مهتدون ﴾.

هذا وصف داع للإجابة، دالٌّ على الصدق:

﴿ ما أسألكم عليه من أجرٍ، إن أجري إلا على رب العالمين﴾.

ويتحملون ما يأتيهم من الأذى والاضطهاد ممَّن يدعونهم، ولا يؤاخذونهم على ما يصدر منهم من أذى، بل يعرضون عنه كأن لم يسمعوا ولم يروا:

﴿ فأعرض عمَّن تولَّى عن ذكرنا ولم يرد إلَّا الحياة الدنيا ﴾.

والإعراض -هنا- ليس هو ترك الدعوة، ومقاطعة المعرضين، بل عدم مؤاخذة المدعوين، بما يصدر عنهم من أذىً، مع الإستمرار في الدعوة والبلاغ، والحرص على الخير.

وفيما هم على هذه الحالة يعترض طريقهم المتنفذون من أصحاب الجاه والدنيا، يقطعون عليهم طريق الدعوة إلى الله، ويحاربونهم من أجلها، لا يطلبون أن يميّزوا بمعاملة خاصة، أو يعطوا شيئاً ليس لهم -وهم أقرب الناس إلى الزهد فيما هو من حقهم، ولهم- بل يطلبون مساواتهم بالمجرمين، من قطاع الطرق، والسراق، وغيرهم- وهو أمر مع ما يحمله من الظلم البين والإجحاف مطلبٌ يمنعه أصحاب السلطان- وذلك بأحالتهم إلى القضاء. إذ أنَّ هؤلاء اذا قبض عليهم أحيلوا على الشرع لإقامة حكم الله فيهم، بخلاف الدعاة الذين يحالون الى الجلادين من الشرط ورجال الأمن والاستخبارات بطريقة لا تمت إلى الإنسانية، فضلا عن الإسلام بصلة. أليس هذا الطلب عادلاً، بل متواضعاً، بل ظالماً، ومع ذلك يرضى به من نذروا أنفسهم ومالهم ووقتهم لدعوة الناس إلى الخير.

ويا لها من أمةٍ منكوبة، جعلت دعاة الإسلام يتواضعون إلى هذا الطلب الجائر، على حين أن الواجب أن يجعل الدعاة فوق الهام، وأن يؤخذ برأيهم، وأن يقدموا في كل شيء.

هذه حال الدعاة في الدول التي تدعي الإسلام. أمّا الدول التي أعلنت براءتها من الإسلام، وانخلعت من ربقته بجعل التحاكم إلى الجاهلية، والقوانين الوضعية، والبراءة من الإسلام في دساتيرها فالأمر فيها أسوأ، فإن مطلب الدعاة فيها أن يعاملوا معاملة إنسانيةً، تليق ببني ادم، على وفق ما تنادى به دول الكفر التي تدعي الديموقراطية، ورعاية حقوق الإنسان التي من أبسطها في نظرهم حرية التعبير.

وللدعاة مطلب آخر من حملة العلم والمؤمنين من عباد الله بأن يؤازروهم، ويقفوا معهم، ويشاركوهم في دعوتهم التي كلف بها كل مؤمن، ويدفعوا عنهم كل إفك وزور، وكل شر يتربص بهم، وإن لم يكن هذا فعلى الأقل أن يقفوا موقف مؤمن آل فرعون الذي قال:

﴿ أتقتلون رجلاً أن يقول: ربي الله، وقد جاءكم بالبينات من ربكم، وإن يك كاذبا فعليه كذبه، وإن يك صادقا يصبكم بعض الذي يعدكم، إن الله لا يهدي من هو مسرف كذاب، ويا قوم لكم الملك اليوم ظاهرين، فمن ينصرنا من بأس الله إن جاءنا، قال فرعون ما أريكم إلا ما أرى، وما أهديكم الا سبيل الرشاد﴾[1].

فأين المشايخ وحملة العلم من هذا الموقف؟! إن الدعاة يتوقعون من هؤلاء أن يقفوا هذا الموقف على أقل تقدير، إن لم يكن منهم قيادة للدعوة وتصدر وزعامة، ويرجون أن لا يأتي منهم خذلان في وقت الحاجة إليهم. وقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «المسلم أخو المسلم لا يظلمه ولا يخذله، ولا يكذبه، ولا يحقره» رواه مسلم من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

ألا فليعلم هؤلاء المتنفذون أصحاب الجاه، المتحكمون في شئون أمة محمد صلى الله عليه وسلم أن للباطل جولة، يعود بعدها الحق إلى الظهور، ثم تكون الغلبة له، وأن هذا الدين ما جعله الله آخر الأديان إلا ليعمَّ الأرض كلها:

١- غافر ٢٨-٢٩

﴿ **هو الذي أرسل رسوله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله ولو كره المشركون** ﴾ .

وأن رسول الله صلى الله عليه وسلم قد قال: «ليبلغن هذا الأمر ما بلغ الليل والنهار، ولا يترك الله بيت مدر ولا وبر إلا أدخله الله هذا الدين، بعز عزيز، أو بذل ذليل، عزاً يعز الله به الإسلام، وذلا يذل به الكفر» رواه ابن حبان. وأن الله قد وعد بإعلائه ونصره على الرغم من كيد الكائدين وعداوة الكفار والمنافقين، وسيكتب الخزي على المنافقين والمرجفين:

﴿ **يريدون ليطفئوا نور الله بأفواههم، والله متم نوره ولو كره الكافرون** ﴾

ألا فليعلم الذين يخادعون الله أن الله خادعهم، وأن الصدق والوضوح خير من النفاق والخداع، وأن الشعوب تعلم حقيقة أمرهم، وأنهم قد فقدوا مصداقيتهم أمام شعوبهم، وقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «إنها ستكون أمراء يكذبون ويظلمون، فمن صدقهم بكذبهم، وأعانهم على ظلمهم فليس مني ولست منه، ولا يرد عليَّ الحوض ومن لم يصدقهم بكذبهم ولم يعنهم على ظلمهم فهو مني وأنا منه، وسيرد عليَّ الحوض» أخرجه الإمام أحمد عن أربعة من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ورضي عنهم، هم أبو سعيد الخدري، وكعب بن عجرة، والنعمان بن بشير، وحذيفة بن اليمان.

ولا أظنُّ عصراً تجلى فيه الكذب مثلما تجلى في هذا العصر، بوسائل إعلامه من إذاعة وتلفاز وصحف، وغيرها. حتى صار في مقدور هذه الوسائل أن تحول الظلم إلى عدل، والنهب إلى رجولة وذكاء، والباطل إلى حق، والكذب إلى صدق، والخيانة إلى أمانة، ولكن هذا كله يبقى محصوراً في فئة من الناس وفي مكان محدود، وفي زمان معين ثم تنكشف الحقائق ولو بعد حين، فيعود كل شيء إلى أصله ووضعه الطبيعي، ويتصور هؤلاء أن حقيقتهم لن تكشف، وبواطنهم لن تظهر، وسرائرهم لن تعلن وقد أخطأوا في هذا الظن وسيقال لهم:

﴿ وذلكم ظنكم الذي ظننتم بربكم أرداكم فأصبحتم من الخاسرين﴾[1]

ألا فليعلم هؤلاء المخذِّلون ممن نسبوا إلى العلم الشرعيّ، وحسبوا عليه أن ما هم فيه محض ابتلاء والله ناصر دينه بهم أو بغيرهم:

﴿ وإن تتولّوا يستبدل قوماً غيركم، ثم لا يكونوا أمثالكم ﴾[2].

أخرج ابن أبي حاتم وابن جرير من حديث أبي هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم تلا هذه الآية، قالوا: يا رسول الله من هؤلاء الذين إن تولينا استبدلوا بنا ، ثم لا يكونوا أمثالنا قال: فضرب بيده على كتف سلمان الفارسي، ثم قال: هذا وقومه، ولوكان الدين عند الثريا لتناوله رجال من الفرس». قال ابن كثير: تفرد به مسلم بن خالد الزنجي ورواه عنه غير واحد وقد تكلم فيه بعض الأئمة والله أعلم به.

ألا فليعلم، ثم ليعلم هؤلاء أن الدين دين الله، وأنه لا بد غالب والعاقبة له، وأن الله هو الذي يختار له أنصاره والمؤمنين به:

﴿ ثم أورثنا الكتاب الذين اصطفينا من عبادنا، فمنهم ظالم لنفسه، ومنهم مقتصد، ومنهم سابق بالخيرات بإذن الله، ذلك هو الفضل الكبير ﴾[3].

وأن العاقبة تكون لهم ولمن ناصرهم في الدنيا، ويوم لا تنفع نصرة ولا شفاعة:

﴿ إنا لننصر رسلنا والذين آمنوا في الحياة الدنيا ويوم يقوم الأشهاد، يوم لا ينفع الظالمين معذرتهم، ولهم اللعنة، ولهم سوء الدار﴾[4].

والحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات.

١- فصلت ٢٣

٢- محمد ٣٨

٣- فصلت ٢٣

٤- محمد ٣٨

خُدعة الصدام المتعجل

محمد محمد بدري

قد نرى في الطرقات رجالاً يطاردون مجموعة من الاطفال لأن هؤلاء الأطفال قد نادوهم بألقاب معينة تثيرهم وتخرجهم عن وعيهم واتزانهم. فماذا تكون نظرتنا لهؤلاء الرجال؟ إننا نراهم حقاً جديرين بالرثاء لأن الأطفال استطاعوا أن يتحكموا في انفعالاتهم !!

وقد يذهب بعض الناس إلى إنسان يريدون إثارته فيذمون له رأياً أو يستخفون بشيء من معتقداته حتى تغلي مراجل قلبه فيخرجونه عن سمته وهديه واتزانه..لماذا؟ لأنهم كشفوا فيه موضع ضعفه فضغطوا على هذا الموضع ليثيروه، ولكن لنفرض أن هذا الذي أراد الآخرون اثارته جاءه من يخبره بقصدهم فماذا ستكون النتيجة؟ إن أغلب الظن أنه يستطيع بوعيه بقصدهم أن يتماسك أمام لعبتهم فيرجعهم فاشلين!!

وهذا بالضبط هو مقصدنا من هذه الكلمة القصيرة مع إخواننا العاملين للإسلام، مقصدنا هو محاولة زيادة الوعي بسبيل المجرمين في خدعة جديدة وهي «الصدام المتعجل !!» فما هي تلك الخدعة؟

إن هناك شرذمة تدربوا على

استدراج الدعوة الإسلامية وإثارتها ليؤدوا دورهم في الوقت المحدد..فإذا جاء هذا الوقت ضغط هؤلاء على نقاط الضعف فأثاروها وأخرجوها عن توازنها، واستدرجوها إلى الصدام معهم قبل الإعداد له وقبل وجود القاعدة الإسلامية الواعية، وعلى إثر هذا الصدام يقوم هؤلاء بضرب العمل الإسلامي ضرباً مؤلماً، أو يظهرونه في صورة السفيه الذي يجب أن يحجر عليه.

وهكذا تقوم حملة على المسلمين والناس غافلون عن حقيقة المعركة، وعن كون هؤلاء المجرمون إنما يعملون عداء للإسلام ذاته لا رداً على عمل بعينه؟!

ولذلك يعتبر الاندفاع في اتجاه الصدام وفقدان الصبر على مواجهة تحديات الأعداء مظهراً من مظاهر الضعف وليس القوة..والشرع والعقل يفرض على الدعوة الإسلامية في مثل هذه الظروف تفويت الفرصة على العدو حتى لا يحطم الحركة، مع الالتزام بالصبر والسيطرة على المشاعر والانفعالات والتفكير والتركيز في عمل دائب لصنع القاعدة المسلمة الواعية التي تحمي الدعوة.

قد يقول قائل: إن حياة المسلم لا تنفصل عن الابتلاء ..وهذا حق..وهذا لا يعني أن لا نأخذ حذرنا كما أمرنا ربنا عز وجل **﴿يا أيها الذين آمنوا خذوا حذركم﴾** ونخطط في عملنا آخذين في اعتبارنا الاستهداء بنور القرآن الكريم دون إهمال الأسباب المادية حتى لا نسقط ثمرات عملنا الإسلامي قبل أوانها..

فليست القوة بالحماس والانفعال بل بالسعي الدائب للوصول إلى الهدف والتخطيط لذلك وضبط النفس أمام التحديات الخارجية التي تحاول أن تنحرف بالدعوة عن

خطتها من خلال الضغوط التي تمارس ضدها من تشريد وقلق وعدم استقرار..

وقد يقول قائل: وهل نقف مكتوفي الأيدي ونترك الطغاة يفعلون ما يريدون؟! إنهم لا يجدون في السكوت إلا مظهراً من مظاهر الخوف والذعر أمام قوتهم ! !

ونحن لم نقل أبداً إننا سننسحب، ولم نقل أننا نريد ليناً مع الأعداء يحفظ علينا أرواحنا، بل نقول إننا نحاول الاستمرار حتى نصل إلى هدفنا بتوازن يحكم إحجامنا كما يحكم إقدامنا؛ فلا نستسلم لزهو البطولة الانفعالي الذي يدفع الإنسان إلى اتخاذ المواقف من خلال سياسة اللحظة السريعة لا من خلال سياسة النفس الطويل..

فالقوة الحقيقية هي في الصمود أمام التحديات العاطفية وعدم الوقوع ضحية عقلية الفروسية الفردية.

أما أن نفسح المجال أمام أعدائنا ليثيروا انفعالاتنا ويجرونا إلى مواقف محسوبة عندهم لمصلحتهم أو يدفعونا إلى معارك لم نعد لها، فهذا هو الضعف الحقيقي بل الصبر في مثل هذه المواقف هو مظهر القوة..الصبر على تحمل الآلام..والصبر على الإعداد الطويل للمستقبل. والإصلاح لا يتم في ليلة واحدة، والخير لا يأتي دفعة واحدة، وسنة الله في خلقه التدرج والنماء وصيحة الحق التي نريد أن تدوي في العالم لابد لها من أطوار تمهد لها..وواجب الفئة المستنيرة في مثل هذه الأيام أن تقوم بهذا التمهيد..وليس هذا التمهيد بالشيء اليسير إنه خطوة في سبيل انتزاع الأمة المسلمة من الوهدة التي وقعت فيها..وهو عمل طويل وشاق ومجهد ويحتاج إلى تضحيات كبيرة.

منهج أهل السنة
في
النقد والحكم على الآخرين (٣)

هشام بن اسماعيل

« تكلم الكاتب في الحلقات السابقة عن قواعد أهل السنة في النقد وذكر منها: حسن الظن بالمسلم والخوف من الله والعدل في وصف الآخرين. ويتابع في هذه الحلقة بقية القواعد....» البيان

القاعدة السادسة

العدل في المفاضلة بين الناس

والأصل في هذه القاعدة قول الله تعالى: ﴿**إن أكرمكم عند الله أتقاكم**﴾ [الحجرات ١٣] وقول الرسول صلى الله عليه وسلم عندما سئل: أي الناس أكرم؟ قال: «أكرمهم عند الله أتقاهم»[1]

والتفضيل بين الناس يكون على وجهين:

١- أخرجه البخاري برقم (٣٣٥٣) (٤٦٨٩) ومسلم (١٨٤٦/٤)

١- تفضيل مطلق.

٢- وتفضيل مقيد.

أما التفضيل المطلق بين الناس فيكون على أساس التقوى، وقوة الإيمان - ولنا الظاهر والله يتولى السرائر - فمن ظهر لنا أنه على تقوى أعظم من غيره كان أحب إلينا

وأما التفضيل المقيد: فهو بحسب قيده، فإن الناس يتفاضلون في أمور ومواهب وقدرات، فالنّاس يتفاضلون في العلم، وفي الذكاء والفهم، وفي قوة الحفظ، أو حسن الإدارة والتنظيم، وأمثال ذلك فهنا المفاضلة تكون بحسب الحاجة إليها، وهي مفاضلة مقيدة لا علاقة لها بالأفضلية عند الله تعالى وإنما فيما يظهر للناس.

فهذا السهروردي يقول عنه الذهبي: (كان يتوقد ذكاء، إلا أنه قليل الدين)[1] والأمثلة من ذلك كثير.

وقاعدة السلف - رضوان الله عليهم - أنا لا نقدم إلا من قدمه الله ورسوله، ولانؤخر إلا من أخره الله ورسوله صلى الله عليه وسلم. كما ينبغي هنا الإشارة إلى أن أعمال القلوب والتفاضل فيها يرفع أصحابها منازل عليا عند الله تعالى؛ (فإنك ترى الرجل الفاضل ذا الهمة العالية، والعمل الدؤوب في نشر الإسلام، وكثرة العبادة مع طول عمره، ثم تجد من هو أقل منه نشاطاً وعملاً، أو اقصر منه عمراً أحب إلى الله تعالى من الأول).

وأما من جهة كثرة العمل والعبادة، ومفاضلتها بما في القلب فقد وجد من العباد من اشتهر بكثرة الصلاة والصيام والإنفاق في سبيل الله تعالى، وملازمة التقوى والخوف من الله تعالى، كالحسن البصري، وسعيد بن المسيب، وسفيان الثوري، والإمام أحمد وغيرهم، وهم في أفرادهم بل في مجموعتهم لا يصلون رتبة أبي بكر الصديق رضي الله عنه، بل الأمة كلها لا تصل إلى رتبة الصديق

١- انظر سير أعلام النبلاء (٢٠٧/٢١)

رضي الله عنه لأنه جمع خصائص لم تجتمع لغيره بعد الأنبياء عليهم الصلاة والسلام .

ولذلك ينبغي أن يكون التفضيل بين الاشخاص قائماً على العدل والإنصاف واعتبارات الشرع لا على الهوى والتعصب، كما قال شيخ الإسلام ابن تيمية: (ومن سلك طريق الاعتدال عظم من يستحق التعظيم وأحبه ووالاه، وأعطى الحق حقه، فيعظم الحق ويرحم الخلق)[١]

كما أن التفضيل المطلق في كل الأمور يصعب الحكم به في كثير منها، وذلك لاشتمال كل واحد منهما على فضيلة لا توجد في الآخر فيلجأ حينئذ إلى التفضيل، لأن التفضيل بدون التفصيل لا يستقيم.

يقول ابن القيم رحمه الله: (الخلاف في كون عائشة أفضل من فاطمة، أو فاطمة أفضل، إذا حرر محل التفضيل صار وفاقاً، فالتفضيل بدون التفصيل لا يستقيم، فإن أريد بالفضل كثرة الثواب عند الله عز وجل فذلك أمر لا يطلع عليه إلا بالنص لأنه بحسب تفاضل أعمال القلوب لا بمجرد أعمال الجوارح، وكم من عاملين أحدهما أكثر عملا بجوارحه والآخر أرفع درجة منه في الجنة وإن أريد بالتفضيل التفضل بالعلم، فلا ريب أن عائشة أعلم وأنفع للأمة، وأدت للأمة من العلم ما لم يؤد غيرها، واحتاج إليها خاص الأمة وعامتها، وإن أريد بالتفضيل شرف الأصل وجلالة النسب فلا ريب أن فاطمة أفضل، فإنها بضعة من النبي صلى الله عليه وسلم وذلك اختصاص لم يشركها فيه غير إخوتها، وإن أريد السيادة ففاطمة سيدة نساء الأمة، وإذا ثبتت وجوه التفضيل وموارد الفضل وأسبابه صار الكلام بعلم وعدل، وأكثر الناس إذا تكلم في التفضيل لم يفصل جهات الفضل، ولم يوازن بينها، فيبخس الحق، وإن انضاف إلى ذلك نوع تعصب وهوى لمن يفضله تكلم بالجهل والظلم، وقد سئل شيخ الإسلام ابن تيمية عن مسائل عديدة من مسائل التفضيل فأجاب فيها بالتفصيل الشافي؛

١- انظر منهاج السنة النبوية (٥٤٣/٤)

فمنها أنه سئل عن تفضيل الغني الشاكر على الفقير الصابر أو العكس. فأجاب بما يشفي الصدور فقال: أفضلهما أتقاهما لله، فإن استويا في التقوى استويا في الدرجة..ومنها أنه سئل عن خديجة وعائشة أمي المؤمنين أيهما أفضل؟ فأجاب بأن سبق خديجة وتأثيرها في أول الإسلام، ونصرها وقيامها في الدين لم تشركها فيه عائشة ولا غيرها من أمهات المؤمنين، وتأثير عائشة في آخر الإسلام وحمل الدين

وتبليغه إلى الأمة وإدراكها من العلم ما لم تشركها فيه خديجة ولا غيرها مما تميزت به عن غيرها. فتأمل هذا الجواب الذي لو جئت بغيره من التفضيل مطلقاً لم تخلص من المعارضة.. فعلى المتكلم في هذا الباب:

١- أن يعرف أسباب الفضل أولا (بتعلم العلم الشرعي من مظانه).
٢- ثم درجاتها ونسبة بعضها إلى بعض والموازنة بينها ثانياً.
٣- ثم نسبتها إلى من قامت به - ثالثا - كثرة وقوة.
٤- ثم اعتبار تفاوتها بتفاوت محلها رابعاً.

فرب صفة هي كمال لشخص وليست كمالاً لغيره، بل كمال غيره بسواها؛ فكمال خالد بن الوليد بشجاعته وحروبه، وكمال ابن عباس بفقهه وعلمه، وكمال أبي ذر بزهده وتجرده عن الدنيا.

فهذه أربع مقامات يضطر إليها المتكلم في درجات التفضيل. وتفضيل الأنواع على الأنواع أسهل من تفضيل الأشخاص على الأشخاص، وأبعد من الهوى والغرض.

وههنا نكتة خفية لا ينتبه لها إلا من بصره الله: وهي أن كثيراً ممن يتكلم في التفضيل يستشعر نسبته وتعلقه بمن يفضله ولو على بعد، ثم يأخذ في تقريظه وتفضيله، وتكون تلك النسبة والتعلق مهيجة له على التفضيل، والمبالغة فيه، واستقصاء محاسن المفضل، والإغضاء عما سواها، ويكون نظره في المفضل عليه بالعكس ومن تأمل كلام أكثر الناس في هذا الباب رأى غالبه غير سالم من هذا، وهذا مناف لطريقة العلم والعدل التي لا يقبل الله سواها ولا يرضى بغيرها.

ومن هذا التفضيل كثير من أصحاب المذاهب والطرائق وأتباع الشيوخ كل منهم لمذهبه وطريقته أو شيخه، وكذلك الأنساب والقبائل والمدن والحرف والصناعات، فإن كان الرجل ممن لا يشك في علمه وورعه خيف عليه من جهة أخرى: وهو أنه يشهد حظه ونفعه المتعلق بتلك الجهة، ويغيب عن نفع غيره بسواها، لأن نفعه مشاهد له أقرب إليه من علمه بنفع غيره، فيفضل ما كان نفعه وحظه من جهته باعتبار شهوده ذلك وغيبته عن سواه، فهذه نكت جامعة مختصرة إذا تأملها المنصف عظم انتفاعه بها واستقام له نظره ومناظرته)[١]

القاعدة السابعة

المنهج الصحيح في الحب والبغض

من المسلمين من يجتمع فيه أمران: أمر من الخير فيحب بسببه ويمدح عليه، وأمر من الشر فيذم بسببه ويبغض من جهته. وأما الحب والولاء بإطلاق فهو للمؤمنين، والبغض والبراء بإطلاق - أيضا - فهو للكافرين، فإن الحب والبغض من أوثق عرى الإيمان، كما ثبت ذلك في الأثر.[٢]

وإنما القاعدة في المسلم الذي يخلط عملاً صالحاً وآخر سيئاً أنه يحب من جهة عمله للصالحات، ويمدح لذلك، ويبغض من جهة عمله للسيئات، ويذم لذلك.

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: (وإنه كثيراً ما يجتمع في الفعل الواحد، أو في الشخص الواحد الأمران: فالذم والنهي والعقاب قد يتوجه إلى ما تضمنه أحدهما، فلا يغفل عما فيه من النوع الآخر، وقد يمدح الرجل بترك بعض السيئات البدعية الفجورية، لكن قد يسلب مع ذلك ما حمد به غيره على فعل

١- انظر بدائع الفوائد لابن القيم (٣/١٦١-١٦٤)).

٢- انظر مسند الإمام أحمد (٤/٢٨٦)، وحسنه الألباني في السلسلة (١٧٢٨).

بعض الحسنات السنية البرية، فهذا طريق الموازنة والمعادلة، ومن سلكه كان قائماً بالقسط الذي أنزل الله له الكتاب والميزان)[1]

ويقول في موضع آخر: (ولا منافاة بين أن يكون الشخص الواحد يرحم ويحب من وجه، ويعذب ويبغض من وجه آخر)[2]

ويقول الذهبي رحمه الله عن أبي جعفر الباقر: (ولقد كان أبو جعفر إماماً مجتهداً، تالياً لكتاب الله، كبير الشأن، لكن لا يبلغ في القرآن درجة ابن كثير[3] ونحوه، ولا في الفقه درجة أبي الزناد وربيعة، ولا في الحفظ ومعرفة السنن درجة قتادة وابن شهاب، فلا نحابيه، ولا نحيف عليه، ونحبه في الله لما تجمع فيه من صفات الكمال)[4]

وينبغي هنا التنبيه إلى أمر مهم، وهو: أن من الناس من يبني الحب والبغض على مدى موافقة الآخرين له، فتجد من يحب فلاناً من الناس لأنه على مذهبه، أو طريقته في الدعوة، أو لأنه ضمن جماعته؟! وأمثال ذلك، ويبغض الآخرين إذا خالفوه في رأي فقهي اجتهادي، أو نظري عملي، أو وما شابه ذلك، وهذا كله دليل على اختلال الإيمان في القلب، لأن هذا الأمر مبني على أوثق عرى الإيمان، فإن كان مختلاً في الواقع، فهو كذلك في القلب.

يقول ابن تيمية رحمه الله: (فإن الإنسان عليه أولاً أن يكون أمره لله، وقصده طاعة الله فيما أمر به، وهو يحب صلاح المأمور، أو إقامة الحجة عليه، فإن فعل ذلك لطلب الرئاسة لنفسه ولطائفته، وتنقيص غيره، كان ذلك حمية لا يقبله الله، وكذلك إذا فعل ذلك لطلب السمعة والرياء كان عمله حابطاً، ثم إذا ردّ عليه ذلك وأوذي أو نسب إلى أنه مخطئ وغرضه فاسد، طلبت نفسه

١- الفتاوى (١٠/٣٦٦)

٢- الفتاوى (٥١/٢٩٤)

٣- المقصود ابن كثير الذي هو أحد القراء، وليس ابن كثير صاحب التفسير الذي هو من أقران الذهبي.

٤- انظر سير أعلام النبلاء (٤/٤٠٢).

الانتصار لنفسه، وأتاه الشيطان، فكان مبدأ عمله لله، ثم صار له هوى يطلب به أن ينتصر على من آذاه، وربما اعتدى على ذلك المؤذي.

وهكذا يصيب أصحاب المقالات المختلفة، إذا كان كل منهم يعتقد أن الحق معه، وأنه على السنة، فإن أكثرهم قد صار لهم في ذلك هوى أن ينتصر جاههم أو رياستهم وما نسب إليهم، لا يقصدون أن تكون كلمة الله هي العليا، وأن يكون الدين كله لله، بل يغضبون على من خالفهم، وإن كان مجتهداً معذوراً لا يغضب الله عليه، ويرضون عمن يوافقهم، وإن كان جاهلاً سيئ القصد، ليس له علم ولا حسن قصد، فيفضي هذا إلى أن يحمدوا من لم يحمده الله ورسوله، ويذموا من لم يذمه الله ورسوله، وتصير موالاتهم ومعاداتهم على أهواء نفوسهم لا على دين الله ورسوله.

ومن هنا تنشأ الفتن بين الناس، قال تعالى: **﴿وقاتلوهم حتى لا تكون فتنة ويكون الدين كله لله﴾** [الأنفال ٣٩]

فإذا لم يكن الدين كله لله كانت فتنة.(١)

وأصل الدين أن يكون الحب لله، والبغض لله، والموالاة لله ، والمعاداة لله، والعبادة لله، والاستعانة بالله...

وصاحب الهوى يعميه الهوى ويصمه، فلا يستحضر ما لله ورسوله في ذلك، ولا يطلبه، ولا يرضى لرضا الله ورسوله، ولا يغضب لغضب الله ورسوله، بل يرضى إذا حصل ما يرضاه بهواه، ويغضب إذا حصل ما يغضب له بهواه، ويكون مع ذلك له شبهة دين: أن الذي يرضى له ويغضب له أنه السنة، وهو الحق، وهو الدين، فإذا قدر أن الذي معه هو الحق المحض دين الإسلام، ولم يكن قصده أن يكون الدين كله لله، وأن تكون كلمة الله هي العليا، بل قصد الحمية لنفسه وطائفته، أو الرياء، ليعظم هو ويثنى عليه، أو فعل ذلك شجاعة

(١) منهاج السنة النبوية ٥/٢٥٤-٢٥٦ باختصار

وطبعاً، أو لغرض من الدنيا، لم يكن لله، ولم يكن مجاهداً في سبيل الله، فكيف إذا كان الذي يدعي الحق والسنة هو كنظيره، معه حق وباطل، وسنة وبدعة، ومع خصمه حق وباطل وسنة وبدعة؟!

وهذا حال المختلفين الذين فرقوا دينهم وكانوا شيعاً، وكفر بعضهم بعضاً، وفسق بعضهم بعضا، ولهذا قال الله تعالى فيهم: **﴿وما تفرق الذين أوتوا الكتاب إلا من بعد ما جاءتهم البينة، وما أمروا إلا ليعبدوا الله مخلصين له الدين حنفاء ويقيموا الصلاة ويؤتوا الزكاة وذلك دين القيمة﴾** [البينة].

الخلاصة

من خلال ما تقدم على الإنسان أن يتقي الله عز وجل في نقده وألفاظه، ويخلص النية لله ويتجرد عن الهوى وحظوظ النفس، و لا يتكلم إلا بعلم وعدل وإنصاف ويقدم حسن الظن بالمسلم، ويوازن بين المحاسن والمساوئ، ويجعل لكثرة الحسنات أو قوتها اعتبارها، ويتذكر أن الشخص الواحد غالبا ما يجتمع فيه أمران، فيحمد ويحب بسبب أحدهما، ويذم ويبغض بسبب الآخر، ثم تكون ألفاظه مهذبة ويبتغي بذلك وجه الله تعالى.

فمن سلك هذا السبيل، فيرجى له الصواب والسداد، وعدم التبعة يوم القيامة بما يقول، ومن أخل بشيء مما سبق فقد وقف على حفرة من حفر النار، فلينظر موقع قدمه أن تزل وهو لا يشعر ولا حول ولا قوة إلا بالله.

وعلى شباب الدعوة إلى الله أن يستفيدوا من كلام السلف الصالح عند عرض سير أعلام النبلاء فإنهم إذا كان لا بد لهم من الحديث عرضوا ما للشخص وما عليه. وإلا كفوا عن ذلك وشغلتهم عيوبهم عن عيوب غيرهم.

والله أعلم وصلى الله وسلم على سيدنا ونبينا محمد وآله وصحبه.

وقفات مع التحقيق والمحققين

محمد عبد الله آل شاكر

-١-

منذ قرون بعيدة أدرك العلماء أهمية تحقيق النصوص وتصحيحها، وعلموا أنها مسئولية عظمى تحتاج إلى جهد كبير وإلى دراية ومهارة، فقال الجاحظ في مقدمة كتاب «الحيوان»: «ولربما أراد مؤلف الكتاب أن يصلح تصحيفاً أوكلمةً ساقطةً، فيكون إنشاء عشر ورقات من حر اللفظ وشريف المعنى، أيسر عليه من إتمام ذلك النقص حتى يرده إلى موضعه من اتصال الكلام».

ثم دار الزمن دورته، وجاء أناس يزعمون لأنفسهم التحقيق. والضبط والمراجعة، وقد انقلبت عندهم المفاهيم رأسا على عقب، وابتدعوا طريقة في التحقيق جديدة، لم يعرفها السابقون، ولا يرضى عنها المعاصرون. بل إن عملية التحقيق نفسها أصبحت عند بعضهم «هلوسة»، كلهم يريد أن يحقق، وكلهم يريد أن يحقق كل شيء، حتى القرآن الكريم!

ومن عجيب ما وقع في يدي من هذا اللون كتاب بعنوان «دليل آيات

العبادات والأحكام الشرعية» جمع وتحقيق ذخر الدين شوكة، عميد كلية الشريعة بالجامعة الأردنية، الطبعة الأولى ١٤٠٣ هـ، طبع جمعية المطابع التعاونية في عمّان. وهو يحتوي على مجموعة من الآيات القرآنية الكريمة مصورة من المصحف ويقابلها ترجمة معانيها بالانجليزية، من كتاب «تفسير آيات القرآن الكريم» لمحمد بكتال، الذي قامت بطبعه رابطة العالم الإسلامي، عن طريق مكتبها الدائم في هيئة الأمم المتحدة بنيويورك! (انظر صفحة ا من مقدمة الكتاب).

رأيت هذا الكتاب في معرض للكتاب، فدعاني ذلك لسؤال صاحب المكتبة مازحاً: هل عندك القرآن الكريم محققاً؟ وأبدى المسكين تأسفه لعدم وجوده!!

واستكمالاً لما سبق نشره في أعداد سابقة من البيان الغراء، حول تراثنا وطريقة التعامل معه، أشير في هذه المقالة إلى بعض الملاحظات، والله الموفق.

—٢—

اضطرب مفهوم التحقيق عند بعض الدارسين الذين استهواهم هذا الاسم، فغدا التحقيق في عملهم شرحاً لمتن، أو حاشية على الشرح، أو تقريراً على الحاشية، يستعرض فيه أحدهم قدرته على تتبع كل كلمة في النص وشرحها. ومن أعجب ما رأيت من هذا اللون من التحقيق ما أسميته بـ«التحقيق الأزهري»، (وللأزهر في نفوسنا مكانة، فهو مقصد طلاب العلم والعلماء)، فقد لفت نظري إعلان عن كتاب استهواني موضوعه، ولي فيه نوع اهتمام، وهو «تحرير المقال فيما يحلُّ ويحرم من بيت المال» للحافظ تقي الدين، أبي بكر محمد بن محمد البلاطُنُسي، تحقيق ودراسة: فتح الله محمد غازي الصباغ، منشورات دار الوفاء بالمنصورة الطبعة الأولى، ١٤٠٩ هـ. واستعنت بالله ولم أستكثر الجنيهات التي دفعتها ثمناً له، فهو رسالة ماجستير قدمت لكلية الشريعة بالأزهر، وبإشراف أحد الدكاترة «الذي كان له الفضل في أن يسير البحث في خطواته الصحيحة (ليته كان) حتى وصل إلى الصورة التي عليها الآن» (كما يقول صاحب التحقيق

والدراسة ص ١٦). وتجاوزت المقدمة والدراسة التي بلغت ثمانين صفحة، ووصلت إلى متن الكتاب نفسه، وأصبت بصداع، وأظلمت الدنيا في عيني، وأسفت على الحال التي وصل إليها التحقيق... فالمحقق وضع عنوان الكتاب في سطر واحد، وأمام كل كلمة رقم إحالة، وفي الهامش شرح لكل كلمة في العنوان: تحرير... القول.... الحلال.... الحرام....

واستغرق هذا الجهد ستة وعشرين سطراً بحرف صغير حتى أتى على شرح العنوان كله في ص (٨٥) وفي الصفحة التالية: تعليقات ثمانية على سطرين اثنين يشرح فيها المحقق لفظ «المقدمة».. ولماذا بدأ المؤلف بالبسملة والحمدلة، ثم شرح لمعاني المفردات! وفي ص (١٣٠) شرح للكلمات الآتية: الباب، الفصل...الخ

ثم قلبت ورقة واحدة، فوجدت هذا العنوان: «سبب تأليف الكتاب» وفي الهامش مع الإحالة هكذا: «المحقق»، (يقصد أن العنوان من عمل المحقق) وكثيراً ما تطالعك هذه التعليقة البارعة. وبمناسبة ورود كلمة «بدعة» في المقدمة، بدأ صاحبنا يشرح معناها وأنواعها نقلاً عن الشاطبي والعز بن عبد السلام، رحمهما الله تعالى. وعجبت من هذا الإسلوب في التحقيق أشد العجب، وقلت في نفسي: لاضير، فلكل شيخ طريقة، ولشيخنا هذا طريقة أقره عليها المشرف على الرسالة، ويبدو أنهما لم يفرقا بين التأليف والشرح والتحقيق. ومن الطريف أن صاحبنا رقم على غلاف الكتاب: «تحقيق ودراسة» وفي آخر الإهداء في ص (٥) التوقيع: «المؤلف»، فهل هو محقق الكتاب أم المؤلف؟ أم أن الإهداء من البلاطنسي لوالديّ المحقق ولكل من يؤمن بالإسلام طريقاً للنجاة..؟!

وليت صاحبنا اقتصد في عمله، وقرأ كتاباً في أصول تحقيق النصوص ونشرها إذن لأفاد واستفاد، وأراح واستراح.

وسار على هذا المنهج في التحقيق آخرون كما نجد في «المنتخب» للحافظ عبد ابن حميد، تحقيق وتعليق أبي عبد الله مصطفى بن العدوي شلباية، الجزء الأول، دار الأرقم، الكويت ، الطبعة الأولى ١٤٠٩ هـ.. وأين هذا مما كان يفعله علماؤنا

في التحقيق وضبط النص، رغم أنهم لم يتبجحوا بهذه الكلمة التي ابتذلت في أعمال كثير من الناس اليوم؟ ومن أراد معرفة ذلك فلينظر إلى كتب أدب الطلب، وليقرأ مقدمة كتاب «إرشاد الساري بشرح البخاري» للقسطلاني ص(٣٩-٤١)، أو مقدمة الملاّ علي القاري لكتابه «مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح»!

-٣-

وإذا اردت صورة أخرى من التعالم في «التحقيق والضبط والمراجعة» فستجد أمثلة كثيرة لذلك في الكتب التي أفسدها المحققون والمراجعون الأدعياء، الذين يضعون أسماءهم على أغلفة هذه الكتب المظلومة المفترى عليها باسم التحقيق، وقد شحنوها بالأخطاء الفاحشة والنقص والسقط، ولم يقابلوا نسخها المخطوطة، وهي قريبة منهم وفي متناول أيديهم ولم يكلفوا أنفسهم عناء القراءة المتأنية للكتاب، ولم يصححوا فيه خطأً، أو يضعوا عليه تعليقاً مفيداً، بله أن يصنعوا له الفهارس التي تيسر الإفادة من الكتاب.

ولكي لا نكون ممن يلقي الكلام على عواهنه، نأخذ مثلا على ذلك، وهو كتاب «قواعد الأحكام في مصالح الأنام» للعز بن عبد السلام رحمه الله، الذي نشرته مكتبة الكليات الأزهرية من حوالي عشرين سنة، نشرة سقيمة سيئة جداً، ثم أعادت نشره بطبعة جديدة «مضبوطة منقحة» (هكذا زعم الناشر أو المحقق) في شهر صفر عام (١٣٨٨) هـ، راجعه وعلق عليه: طه عبد الرؤوف سعد.

وهذا الكتاب النفيس وأمثاله له مكانة في نفسي، وتستهويني قراءته التي أشعر بلذتها، ويعكر علي هذا أنني أقف عاجزاً عن فهم كثير من المواطن في الكتاب.. واتهمت نفسي وفهمي، وأحسنت الظن بغيري، إلى أن حصلت على صورة من النسخة الخطية المحفوظة بالمكتبة الأزهرية (وهي على بعد أمتار من ناشر الكتاب!) وأخرى من مكتبة الحرم المكي، وثالثة من دار الكتب المصرية بالقاهرة. ورجعت إلى بعض النصوص التي كنت بحاجة إليها، فهالني ما رأيت، عندما قابلت المطبوع بالمخطوط، فلم أجد صفحة واحدة، بل مقطعاً واحداً،

وأحياناً سطراً واحداً في صفحة، خالياً من الأخطاء والتصحيفات والنقص، حتى ليكاد النقص في المطبوع يربو على عشر ورقات ذات وجهين، ومثاله في الجزء الثاني ص (٢٧) ، ويقابله في النسخة الخطية المكية الورقة (١٧٩) وما بعدها.

وحتى التعليقات على الكتاب، وعددها لا يتجاوز أصابع اليد الواحدة في كتاب يزيد عن الخمسمائة صفحة، هذه التعليقات مسروقة عن الطبعة الأولى (المكتبة الحسينية،١٣٥٣هـ) المأخوذة أو المقابلة على نسخة الشنقيطي، وهي الطبعة التي اعتمدها محقق الكتاب، ونشرها من جديد بنصها وفصها، دون أن يشير إلى ذلك. فما أدري، ما الذي بقي من جهد أو عمل لهذا المحقق المحترم؟!

وليت شعري، كيف يثق القارىء - بعد ذلك - بهذه الكتب التي أخرجها، أو أخرجت باسمه، وقد يقع الكتاب منها في مجلدات ذوات عدد مثل: «الروض الأنف» بشرح سيرة ابن هشام للسهيلي، وهو من أعظم شروح السيرة وأدقها وأكثرها فوائد، و«تبصرة الحكام في أصول الأقضية ومناهج الأحكام» لابن فرحون، وهو عمدة الدارسين في القضاء والسياسة الشرعية، و«القواعد الكبرى» لابن رجب الحنبلي، وغيرها. فلا بد من إعادة النظر في طبعاتها كلها.

-٤-

وعلى هذا النهج من التحقيق يسر الدكتور الطبيب (!) عبد المعطي أمين قلعجي، في تحقيقاته المزعومة، كتحقيقه لكتاب الحازمي «الاعتبار في الناسخ والمنسوخ من الآثار» دار الوعي بحلب، الطبعة الأولى، القاهرة ١٤٠٣ هـ. وإن تعجب من تحقيقه، فعجبك أكثر من تخريجه للحديث! والطبيب المحقق هذا، يبدو أنه يستحل جهود الآخرين وأتعابهم، فيأخذ منهم كتباً ليطبعها لهم، أو يكلفهم بالعمل على تحقيقها بالإشتراك ثم يطبعها باسمه وحده، وقد حدثني بذلك أحدكبار أساتذة الأزهر، فقد وقع هو في أحابيله، وجرأه على ذلك كبر سن الشيخ وعدم قدرته على متابعة الطبيب المحقق!

وأما تحقيقات «محمد صادق قمحاوي» عضو لجنة مراجعة المصاحف بالأزهر

الشريف، والمدرس بالأزهر الشريف، (كما هو مثبت على صفحة العنوان لكتاب «أحكام القرآن» لأبي بكر الجصاص، طبعة دار المصحف بالقاهرة، الطبعة الثانية).. وهذه التحقيقات، طراز آخر من التحقيق، لا تجد فيه ضبطاً لكلمة، ولا شرحاً لمصطلح، ولا تعليقاً على رأي مثلاً، ولا توثيقاً لنص ولا تخريجاً لحديث، بل ولا تجد علامة من علامات الترقيم، ولا إخراجاً فنياً يساعد القراء على القراءة والفهم حتى إنه ليصعب عليك أن تميز الآية التي يستشهد بها المؤلف عن الآية التي يشرحها، وقد بخل على الكتاب والقارىء باسم السورة التي يفسرها المؤلف. أما صنع الفهارس المتنوعة للكتاب فهذا أبعد من نجوم السماء وكأنه بدعة ضلالة!

ولئلا نبخس الرجل أو نهضمه حقه، فإن جهده -ولعله جهد المطبعة- يتمثل في أنه أخرج الكتاب في خمس مجلدات بدلاً من الثلاثة في طبعة الآستانة. ووجدت له كذلك تعليقين في الجزءالأول من الكتاب، احدهما في الصفحة الخامسة، يقول فيها: «المراد بهذه المقدمة التي ذكرها المصنف- الكتاب الذي ألفه في أصول الفقه». وفي ص (٣٠) عند قول المؤلف عن نافقاء اليربوع: «لأن له أجحرة يدخل بعضها عند الطلب...» قال المحقق: «هكذا في النسخ التي بأيدينا، وصوابه جِحَرة» (بكسر الجيم المعجمة وفتح الحاء) وكفى الله المؤمنين القتال! وكفى الله القارئين الجهد والتعب!

« يتبع »

الهدوء وضبط النفس

سمة

القيادة الناجحة

سامي سلمان

أقصد بالقائد الشخصية القادرة على اختيار الرجال، وفرض احترامه عليهم، والحصول على محبتهم ومعرفة امكاناتهم واستغلالها، ووضع كل منهم في المكان الذي يلائمه، وبث فكرة القوة والمساواة بينهم، وتوزيع المسئوليات عليهم، وإشراكهم جميعاً في خدمة هدفٍ سامٍ على أن يتمثل فيه إيمان جاد بالمهمة التي يقوم بها.

وسوف أشير هنا إلى عنصر واحد من عناصر سمات القيادة الناجحة وهو الهدوء وضبط النفس، وهي صفة جلية في رسول الله صلى الله عليه وسلم في جميع أحواله، إن الهدوء وضبط النفس موهبة فطرية وسمة خلقية تكتسب كذلك، ولا بأس بذكر موقفين له صلى الله عليه وسلم تتبين فيهما هذه الصفة:

أولاً: في معركة حنين عندما فوجئ المسلمون بهجوم قوي من الكفار (هوازن ومن معها) وفرّ من فرّ ممن أسلم بعد الفتح، وتراجع

المسلمون عشوائياً، في هذه اللحظات الحرجة والصعبة كان رسول الله صلى الله عليه وسلم ثابت الجأش هادئ الأعصاب يقول: أيها الناس هلموا إليّ أنا رسول الله، أنا محمد بن عبد الله، ويقول لعمه العباس: ناد أصحاب الشجرة، وبفضل الله ثم بفضل هذا الثبات من الرسول صلى الله عليه وسلم آب المسلمون إليه ورجعوا يتجمعون حوله وانتصروا بعدئذ بإذن الله.

هذا الموقف يحتاج إلى تأمل، ففيه الشجاعة وحسن التصرف، وفيه هدوء النفس وعدم الهيجان، وفيه التوازن مع ما في الحدث من شدة انعكست على الألوف ممن سار في الجيش، يذكرني هذا الهدوء من رسول الله صلى الله عليه وسلم بقول أحدهم: «لكي يحافظ القائد على هدوئه، عليه أن يعتاد على معالجة الأمور المفجعة وكأنها عادية، بدلاً من معالجة الأمور العادية وكأنها فواجع»[1]، ويقول كذلك: «على القائد الذي يود أن يكون أهلاً للقيادة أن يبدأ بقيادة نفسه ولا يمكن لمن لا يسيطر على نفسه أن يسيطر على الآخرين».[2]

إن استقبال أي حدث مهما كانت درجة عظمته بهدوء وضبط نفس يمكن المسؤول والقائد من عدة أمور منها:

أولاً: استيعاب الحدث بمعرفة حجمه الحقيقي، فكم من موقف استقبلناه بشدة وغلظة بينما هو أبسط وأصغر من أن يواجه ويستعد له على حساب أمور أخرى والعكس صحيح فكم من حدث ظهر لنا بسيطاً فلم يحسب له أي حساب فلما تبين لنا أنه كبير ويحتاج إلى موقف سريع منا لم نتمكن من استيعابه، ففي كلا الحالتين ضبط النفس وهدوءها يعين القائد على دراسة حجم الأحداث.

ثانياً: استيعاب الحدث بمعرفة

١- لمحات في فن القيادة ج.كورتوا الطبعة الثالثة ١٩٨٦م
٢- المصدر السابق

مسبباته، الأسباب التي من شأنها أن تؤدي إلى وقوع الحدث يعين على معرفة أفضل المواقف التي ينبغي اتخاذها.

ثالثا: استيعاب الحدث بمعرفة أبعاده المستقبلية، فما من حدث إلا وله ما وراءه، والهدوء وضبط النفس مما يعين القائد على الاستعداد لمواجهته بعقلية الواعي لما يدور حوله.

فبمثل هذه الأمور الثلاثة وغيرها يوحي القائد والرئيس والمسؤول للآخرين ممن حوله أنه متمكن من الموقف وممسك بزمامه فلا يظهر عليه الخوف والارتباك، فالقائد الحقيقي هو الذي لا يعرف الخوف ويتقن إخفاءه عندما يشعر به ليوحي لمرؤوسيه بأنه دائماً أصلب من الخطر. فإن تجنّب ردود الفعل العصبية وكبح جماح نفسه واستقبال المتاعب بروح مرحة، وتقبل المخاطر بصبر، طمأن بهدوئه مرؤوسيه ودفع عنهم الهلع الذي يعتبر في الأزمات أكبر الأخطار.

يقول (كورتوا): (ينظر المرؤوسون في ساعات الخطر غريزيا إلى وجه رئيسهم، فإذا اكتشفوا لديه قلقاً أو توتراً عصبيا، انتشر هذا الشعور بينهم بسرعة تزداد بمقدار ما يكون هذا الرئيس محبوباً وموثوقاً.[1]

وحتى لا يظن القارئ أن الحاجة إلى مثل هذه السمة قاصرة على المعارك مثلاً نسوق هنا موقفاً آخر لرسول الله صلى الله عليه وسلم، ففي غزوة حنين نفسها غنم المسلمون غنائم كثيرة جداً، فأعطى رسول الله صلى الله عليه وسلم من هذه الغنائم أعطيات كبيرة للمؤلفة قلوبهم من أهل مكة وبعض زعماء الأعراب، فوجد الأنصار في أنفسهم شيئاً لأن رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يعطهم، وظنوا أنه قسّمه في قومه، فجمعهم رسول الله صلى الله عليه وسلم في مكان وخاطبهم قائلاً: «يا معشر

١- المصدر السابق

الأنصار، مقالة بلغتني عنكم، وموجدة وجدتموها علي في أنفسكم، ألم آتكم ضلالا فهداكم الله، وعالة فأغناكم الله، وأعداء فألف الله بين قلوبكم! قالوا: بلى، لله ولرسوله المن والفضل!

ثم قال: ألا تجيبونني يا معشر الأنصار؟ قالوا: بماذا نجيبك يا رسول الله؟ لله ولرسوله المن والفضل. قال صلى الله عليه وسلم: أما والله لو شئتم لقلتم، فلصدقتم ولصدقكم: أتيناك مُكَذِّباً فصدقناك، ومخذولاً فنصرناك، وطريداً فآويناك، وعائلاً فآسيناك. أوجدتم يا معشر الأنصار في أنفسكم في لعاعة من الدنيا تألفت بها قوماً ليسلموا ووكلتكم إلى إسلامكم! ألا ترضون يا معشر الأنصار أن يذهب الناس بالشاة والبعير وترجعوا برسول الله إلى رحالكم؟ فوالذي نفس محمد بيده لولا الهجرة لكنت امرءا من الأنصار، ولو سلك الناس شعبا وسلكت الأنصار شعبا لسلكت شعب الأنصار! اللهم ارحم الأنصار وأبناء الأنصار وأبناء أبناء الأنصار.

قال: فبكى القوم حتى أخضلوا لحاهم، وقالوا: رضينا برسول الله قسماً وحظا. ثم انصرف رسول الله صلى الله عليه وسلم وتفرقوا.[1]

وأنقلك أخي القارئ إلى مظهر أحد الرؤساء وهو في حالة ضيق وهيجان وعصبية عندما نُقل له تذمر أحد مرؤوسيه أو جماعة منهم على تصرف أو تصريح بدر منه فما كان منه إلا أن أصدر قراره العاجل بالحكم عليهم بسوء الفهم وقلة الادراك وبدأ يخطط لتأديبهم بالسبل المختلفة. وأنا أطالب القارئ أن يقارن بين هذا الموقف الذي اتخذه هذا الرئيس وبين موقف رسول الله صلى الله عليه وسلم الذي يظهر فيه الهدوء وضبط النفس الذي مكنه من استيعاب الموقف خير استيعاب. ولنمضي جميعاً ونحلل موقف هذا الرئيس فنسأله:

١-السيرة النبوية لابن هشام، دار القلم الجزء الرابع ص ٨٥

١- هل راجعت نفسك في صحة ما بدر منك من عدمه ؟

٢- هل تأكدت من صدق ما نقل لك ومدى دقة هذا النقل ؟

٣- هل فكرت في سبب تذمر مرؤوسيك مما بدى منك ؟

٤- هل فكرت في أفضل السبل لإيجاد حل للموقف ؟

٥- هل هناك مضاعفات للموقف تحتاج أن تلم بها ؟

وسوف تجد أن الذي لم يتحلَّ بالهدوء وضبط النفس لن يتمكن من سؤال نفسه مثل هذه الأسئلة بل ينساق وراء ما تمليه عليه نفسه المضطربة من وقع الموقف. وما أجمل ما قاله أحد الخبراء: «لا يتأثر الرئيس الفعال لأن شخصاً خالفه أو انتقد رأيه بل يعتبر هذا الشخص عنصراً جديداً من عناصر المعضلة الواجب حلها».

ومما تقدم يبرز أثر انعدام صفة الهدوء والقدرة على ضبط النفس من سلبيات وخيمة في ميزان القيادة الحكيمة وإن من المسلمات في علم الإدارة أنه لا يمكن لرئيس عصبي سريع الانفعال أن يقوم بمهمته الأساسية وبشكل مشوق وهو في الحقيقة مثال للقلق والرعونة، تلك الأمور التي عليه أن يحاربها لدى الآخرين.

يقول صاحب كتاب فن القيادة: «يوحي الهدوء بأن صاحبه ذو إرادة لا تتحول عن هدفها وتسبب نظرة الرئيس الهادئة العميقة شعورا من القلق لدى المشاغبين ومثيري المشاكل من المرؤوسين، وإحساساً غريزياً بأنهم أمام قوة لا تقهر».

شيوع الأخلاق النفعية في العصر الحديث

محمد الناصر

إن ظاهرة الأخلاق النفعية أضحت أمراً مقلقاً ولافتاً للنظر في هذا العصر..وقد أدت إلى نتائج خطيرة في التعامل بين الأفراد والجماعات..بل أصبح المرء يصاب بإحباط شديد وخيبة مريرة لما يجده من ازدواجية عند صنف من الناس، وتزداد الغرابة عندما نلمس ذلك عند بعض مَنْ يتخذون ظاهرة التورع والتدين وسيلة لمآربهم الخاصة.

وبعد أن يضمحل أثر الإيمان في النفوس، يستمد الناس قيمهم في التعامل من الهوى والمصلحة الشخصية، بل تصبح هذه المصلحة هي الشاغل الأول لأمثال هؤلاء، ومن هنا فلا يرجى من أعمالهم خير مهما تلبسوا بالصلاح، لأن الإخلاص والتجرد لله من أعظم خصائص هذا الدين، قال تعالى: ﴿**وما أمروا إلا ليعبدوا الله مخلصين له الدين حنفاء**﴾ [البينة ٥]. ويقول صلى الله عليه وسلم: «إنما الأعمال بالنيات وإنما لكل امرئ ما نوى» متفق عليه.

ويقول ابن تيمية رحمه الله في هذا المجال: «والأعمال الظاهرة لا تكون

صالحة مقبولة إلا بتوسط عمل القلب، فإن القلب ملك والأعضاء جنوده... ولهذا قال صلى الله عليه وسلم: «ألا وإن في الجسد مضغة إذا صلحت صلح الجسد كله، وإذا فسدت فسد الجسد كله، ألا وهي القلب»[١].

فالإخلاص يبعث في نفس المؤمن كريم البواعث، فيعمل جاهداً على إشاعة الخير والتعاون والعدل بين الناس. إلا أن هذه النزعة، نزعة الأنانية والنفعية غزت مجتمعاتنا بعد أن سادت أخلاق الغربيين من خلال غزوهم الفكري لبلادنا.

سيادة الأخلاق النفعية في ديار الغرب:

لقد غزت فلسفة الغربيين مجتمعاتنا المسلمة، ويرى أصحاب هذه الفلسفة (النفعية) أن السعادة الحقة هي التي يشعر بها الإنسان نتيجة لإشباع دوافعه الطبيعية وغرائزه الحسية دون التقيد بدين أو خلق قويم.

«وأصبحت الأخلاق الحديثة تُستمد من القيم المادية النفعية تحدوها ميكافيلية صريحة، وأضحى التعامل الاجتماعي قائماً على رابطة المصلحة وحدها، على الأخلاق التجارية.

لقد كفرت أوربا بالدين والأخلاق، ونبذ المجتمع كل مقوماته المستمدة من هذين الاتجاهين»[٢].

تطور هذا الاتجاه النفعي في أوربا وأمريكا، وأخذ صوراً مختلفة، يمكن إيجازها في ثلاثة مذاهب[٣]. لعل ذلك يوضح لنا ما نحن في صدده، وأثر هذه الأخلاق في سياسة القوم.

المذهب الأول: .مذهب المنفعة الشخصية، وله صورتان:

صورة دعا إليها أحد تلامذة سقراط «أرستبوس» وقد فسر السعادة لدى

١- الفتاوى ٣٨١/١١

٢- العلمانية د. سفر الحوالي ص ٤١٠

٣- انظر الاتجاه النفعي: من كتاب الاتجاه الأخلاقي في الإسلام د. مقداد يالجن ص ٢٧-٣٩

أستاذه باللذات العاجلة بدلاً من الآجلة، وأن إشباع الدوافع في حينها أمر ضروري لأن تأخيرها يؤدي إلى الشعور بالحرمان والكآبة، فلا حياء ولا خجل في طلب اللذات في أية صورة كانت، ويعتبرون أن السلوك الذي يحقق هذه السعادة سلوك أخلاقي.

والصورة الأخرى: تتمثل في الفردية التي دعا إليها «هوبز» ومن سلك مسلكه، فقد ادعى أن الطبيعة الإنسانية طبيعة أنانية تعمل لمصلحة الذات، وقد اخترع الإنسان المبادئ الأخلاقية ليتخذها وسيلة يحقق فيها منفعته الشخصية.

ومن هنا يرى أن الأخلاق ما هي إلا وسيلة لتحقيق المنفعة وليست طبيعة في الإنسان.

المذهب الثاني: مذهب المنفعة العامة.

قال أصحابه: على الإنسان أن ينشد منفعة البشر عامة حتى الحيوانات، واعتبروا أن إقرار المنفعة غاية للأفعال الإنسانية، ومعيار للأخلاق، وتقاس أخلاقية الفعل بنتائجها لا ببواعثها.

المذهب الثالث: مذهب النفعية العملية «المذهب البراغماتي» ويمثله جون ديوي، ويهتم البراغماتي عادة بماله من قيمة معنوية.

والخطورة في هذا المذهب أن ديوي أرجع المثل الأخلاقية إلى نتائج الظروف الواقعية للإنسان، فهي ليست مبادئ مطلقة ثابتة يضعها الفلاسفة، كما أنها ليست من وضع المجتمع، ولا من وضع السماء.

ثم أنكر أن تكون للأخلاق غاية عليا سامية وثابتة، وأن لها مبادئ مطلقة لا تقبل التغير، ذلك لأن الحياة متطورة[1].

لقد سيطرت هذه الفلسفة بمذاهبها المختلفة على أخلاق الناس والحكومات

١- تجديد الفلسفة: جون ديوي ص ٢٧٣ نقلاً عن الاتجاه الأخلاقي في الإسلام مقداد يالجن.

في أوربا بقسميها وفي أمريكا، فاهتزت الأخلاق واضطربت الموازين، وسيطرت المنفعة والأنانية، وتحول الناس إلى ذئاب بشرية، ومن ثم طغت الروح الرومانية والفلسفة الإغريقية على أوربا من جديد.

وصارت بعض القيم، كالصدق والأمانة والاستقامة مثلاً لا تطبق إلا في حدود القومية ومصلحة البلاد، على أساس ما تجلبه من النفع لحاملها، وتبطل إذا بطلت المنفعة القريبة أو البعيدة.

وها هي المواثيق تعقد وتوثق، وفي لحظة غادرة تنقض وتصبح حبراً على ورق مجرد أن تنوح المصلحة القومية في نقض الميثاق.

ويمر الناس بهذا الأمر غير مبالين، لأن النظرية شيء والتطبيق شيء آخر بموجب فلسفة الجاهلية اليونانية»[١]

وقد عانت أمتنا من هذه الأخلاق الأمرين خلال الاستعمار القديم وأثناء التعامل المعاصر من ازدواجية مريرة في قرارات الأمم وما يسمى بمجلس أمنها.

«إن السياسة لا تتفق مع الأخلاق في شيء، والحاكم المقيد بالأخلاق ليس بسياسي بارع، وهو لذلك غير راسخ على عرشه»[٢]

هذا ما ينصح به أشرار اليهود في خططهم. وهذا ما يفسر لنا سياسة المستعمرين.

«كان الاستعمار يتوسل بكل سفالات الأرض ليوطد سلطانه، ويمتص دماء الناس، ولا يرى في ذلك انحرافاً فالغاية تبرر الوسيلة، ولا يهم عندهم أن تكون الغاية ذاتها نظيفة»[٣]

١- جاهلية القرن العشرين: الأستاذ محمد قطب ص ١٥٩-١٦٢

٢- بروتوكولات حكماء صهيون: البروتوكول الأول ص ٣٢ ط ٢

٣- جاهلية القرن العشرين ص ١٥٣

وهذا ما أشار إليه الشاعر العربي إذ يقول:

قتل امرئ في غابة جريمة لا تغتفر

وقتل شعب آمن مسألة فيها نظر

ورغم ذلك كله فقد فُتِنَ بعض المسلمين في القرن الحالي بحضارة أوربا وظنوا أنها ذات ركائز تصلح لأن يقتدى بها، ونسي كثير منهم أن يميزوا بين التقدم المادي والتخلف العقدي والأخلاقي، فتنوا ببعض ما يبدو من صدق وأمانة حينا، لأنها عند القوم تؤمن لهم ثقة ووقتاً، إلا أن أخلاقهم هذه ستتغير إذا لاحت منفعة أشد، ومصلحة أقوى.

فالأخلاق النفعية سمة بارزة من سمات الجاهلية المعاصرة، بينما كان للعرب في جاهليتهم بعض الترفع والإيثار كإغاثة الملهوف ونجدة الصريخ والذب عن حرمات الجيران.

الغاية لا تبرر الوسيلة:

هذا مبدأ إسلامي أصيل، إذ لا بد أن تكون الوسائل الأخلاقية سامية كالغايات تماما ولابد أن يكون العمل خالصاً وصواباً حتى يتقبل، ولهذا قال الأصوليون: الغاية لا تبرر الوسيلة، واتخذوا ذلك قاعدة تشريعية مستدلين بقوله تعالى:

﴿يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وابتغوا إليه الوسيلة، وجاهدوا في سبيله لعلكم تفلحون﴾ [المائدة ٣٥]

فالآية ترسم طريق الفلاح بأن يتقي المسلم ربه بترك المحرمات وأن يتقرب إليه تعالى بأداء الواجبات والتمسك بالقيم الأخلاقية، ولا يمكن التقرب إليه بالمحرمات.[١]

١- الاتجاه الأخلاقي في الإسلام: مقداد يالجن ٢٩٦

نتائج وملاحظات:

١- المعروف أن المجتمعات الإسلامية تتميز بالمحبة والتآخي والإخلاص، ومقاومة الأهواء.

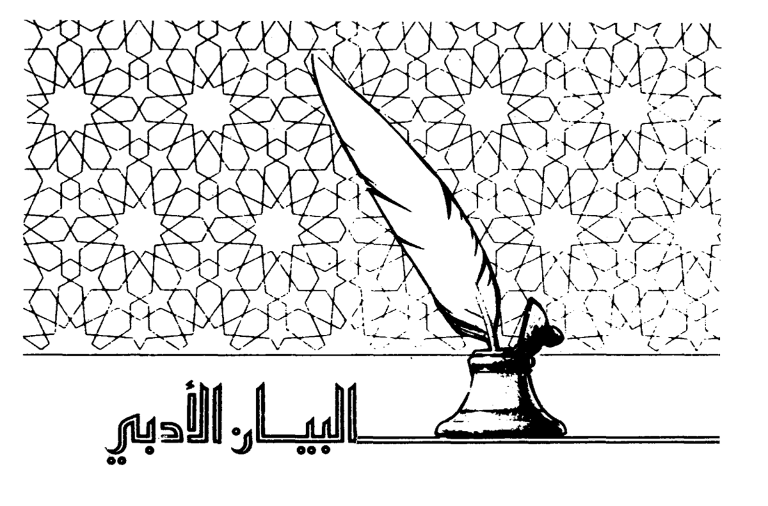
وأن الإيثار والتضحية والشهامة من أخص أخلاق العرب في جاهليتهم وإسلامهم..وأن الأنانية والنفعية أخلاق وافدة على أمتنا قد غزتها بعد أن ضعف وازع العقيدة ودواعي الإخلاص.

٢- النفعية أخلاق غربية بنيت على مذاهب فلسفية تنسجم مع تطلعات أصحابها ومعتقداتهم وتصوراتهم عن الحياة والإنسان، وهي أخلاق دخيلة غريبة على أمتنا.

٣- لابد للمربين والدعاة إلى الله أن يهتموا بمعالجة هذه الظاهرة من خلال التربية والتوجيه؛ بإبراز النماذج الرائدة عند سلف هذه الأمة، وأن يضرب الدعاة والمربون من واقع حياتهم أمثلة صادقة بالمعايشة والقدوة الحسنة.

٤- إن النفعيين والانتهازيين خطرهم جسيم، في المؤسسات التجارية والعلمية والدعوية، لأنهم سيتجاوزون كل القيم في سبيل مطامعهم وطموحاتهم، ومن تمعّن في أحداث التاريخ أسعفته الشواهد، والعاقل من اتعظ بغيره، والحذرُ يجنب صاحبه المزالق والندم قبل فوات الأوان.

٥- لابد أن يتميز الداعية إلى الله، والمربي الجاد بصفات الإيثار والتضحية وكرم النفس بعيداً عن الجشع والمراوغة والاحتيال، عسى أن يساهم في البناء العقدي والأخلاقي المتماسك لهذه الأمة بإذنه تعالى.

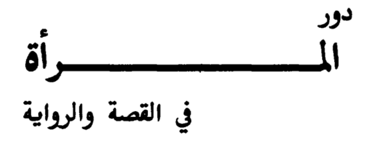


- دور المرأة في القصة والرواية

- جزائر الخير

- أين الكعبة

- الزمان النجيب



دور المـــــرأة في القصة والرواية

د. عبد الله الخلف

ما الدور الذي يمكن أن تمثله المرأة في القصة القصيرة أو الرواية ؟ وهل من الضروري أن يسند إليها دور معين فيها؟

إن القصة قصيرة كانت أو طويلة لا بد أن ترتبط بواقع الحياة بصورة ما، والمرأة تمثل دوراً هاماً وأساسياً في حياة البشر، لذلك كان من الطبيعي أن يكون لها مكانها الذي تمثله في هذا العمل الأدبي.

وإذا نظرنا في قصص القرآن الكريم فسوف نجد من بين شخصياتها عددا من الشخصيات النسائية. فأم موسى قامت بدور الأم المؤمنة المستسلمة لقضاء ربها. ومثلت امرأة فرعون دور المؤمنة الصابرة على الأذى في بسيل الله. ومثلت امرأة العزيز دور المرأة الفتنة التي يمكن أن يتعرض المؤمن للامتحان بها. ومثلت حواء بالمشاركة مع آدم عليها السلام دور الإنسان عندما يتعرض للابتلاء ولإغواء الشيطان فينهزم أمامه، ثم يدرك أنه لا ملجأ من الله إلا إليه فيعود إليه تائباً منيباً.

وقد ورد ذكر نساء أخريات أو تمت الإشارة إليهن في بعض قصص القرآن.

وهكذا نجد أن المرأة كانت حاضرة في ذلك القصص، وهو أمر يدل على أن

لها مكانها ودورها الهام الذي يمكن أن تقوم به في القصة.

وإذا ما نظرنا إلى الأعمال الروائية في العصر الحديث فسنجد أن المرأة دخلتها من أوسع أبوابها، واحتلت مكاناً بارزاً فيها، غير أن الكثير من كتاب الرواية قد أدخلوا المرأة في أعمالهم لا بوصفها عنصراً فنياً تقتضيه الضرورة الفنية للعمل الأدبي، بل بوصفها عنصراً يساعد على جذب القارئ وشد انتباهه لمتابعة الأحداث، أو لإغرائه باقتناء الرواية وقراءتها، وكأنهم يلتقون في ذلك مع شركات الدعاية والإعلان، التي تظهر المرأة في إعلاناتها، ولو لم يكن لها أي صلة بالمادة المعلن عنها، مستغلة إياها في جذب المشاهد ومداعبة غرائزه. لذلك نجد الدور البارز الذي لعبته المرأة في تلك الروايات يدور حول العلاقات الغرامية أو الجنسية المثيرة.

وإذا كان هناك عدد كبير جداً من كتاب الرواية قد أسندوا إلى المرأة مثل هذه الأدوار، فإن منطلقاتهم لم تكن دائماً واحدة. فمنهم من كان قصده إشاعة الفساد والانحلال من غير أن ينظر إلى مدى أهمية ما قام به من الناحية الفنية.

ومنهم من هو متأثر بالآراء والنظريات والدراسات النفسية الحديثة ولا سيما نظريات فرويد التي تعطي الجنس الأهمية الكبرى في حياة البشر، وترى أنه المؤثر الأعظم في سلوكهم.

ومنهم من يشعر بضعف القيمة الفنية لعمله، ويدرك أنه لا يستطيع اجتذاب القراء، فيجعل في تناوله لهذا الجانب وسيلة لاجتذابهم وشركاً يصطادهم به.

ونتيجة لشيوع إسناد مثل هذه الأدوار إلى المرأة في القصة الحديثة ظن البعض أن ذلك مقوم من مقوماتها وعامل فعال من عوامل نجاحها، وشرط أساسي لبلوغها المستوى المطلوب. وظنوا أنه لا غنى للكاتب ولا مفر له من أن يضمن قصصه شيئاً من ذلك، وإلا فقد عمله قدراً كبيراً من قيمته وجاذبيته.

ويبدو أن هذا الظن تسرب إلى بعض كتاب القصة من ذوي الاتجاه الإسلامي، فأسندوا إلى المرأة أدواراً غرامية، وأصبح الهيكل العام لبعض رواياتهم قائماً على أساس وجود هذه العلاقة بين بطل القصة وبطلتها، دون أن يكون لهذا مغزىً جوهري أو قيمة فنية، نجد مثل ذلك عند نجيب الكيلاني، وعلي أحمد باكثير.

وإذا كان هذا الأسلوب قد أدى إلى جذب بعض القراء فإنه أدى أيضاً إلى نفور طائفة أخرى. وهو أسلوب لا يخلو من آثار سلبية ونتائج عكسية.

أما الظن بأن إسناد مثل هذه الأدوار إلى المرأة تقتضيه الضرورة الفنية فإنه ظن بعيد عن الصواب، وهناك من الروايات ما نال الإعجاب الكبير، ونال به صاحبه شهرة واسعة على الرغم من خلوه من النموذج النسائي. فرواية الشيخ والبحر للأديب الأمريكي أرنست همنجواي من أشهر الروايات، وترجمت إلى كثير من اللغات، ونال عليها صاحبها جائزة نوبل للآداب مع أنه ليس من بين شخصياتها أي شخصية نسائية. وهي رواية تبرز قيمة العمل والكفاح والمثابرة والاعتماد على الذات.

ومن الروايات المشهورة رواية الطاعون للأديب الفرنسي ألبير كامو الحائز على جائزة نوبل، وهي أيضاً تخلو من الحديث عن الحب والغرام وأبرز الشخصيات النسائية فيها لعبت دور الأم.

لذلك يمكننا القول بأن القيمة الفنية للعمل الأدبي لا تتوقف على نوع الأحداث أو الشخصيات، إذ أن الكاتب القدير يستطيع أن يحول أحداثاً بسيطة وشخصيات مألوفة إلى عمل فني جميل قادر على أن يحوز على إعجاب النقاد، ويترك أعمق الأثر في نفوس قرائه.

جزائر الخير

د.عبد الرحمن صالح العشماوي

جزائرَ الخير ... أين الرائح الغادي
أين «ابنُ باديسَ» أين الغصن والشادي

جزائرَ الخير ... تاه اللحن في شفتي
وضاق عن حسراتي ثغرُ إنشادي

ووثَّق الحزنُ في قلبي روابطه
وقد رأى من جراحي خيرَ إمدادِ

جزائرَ الخير ... لا ظلٌّ ولا ثمرُ
ولا خُزامى ولا فُلٌّ ولا كادي

تصحَّرت أرضُ أحلامي، فقافلتي
تسير فيها بلا ماءٍ ولا زادِ

نام الخليّون في أحضان رغبتهم
ونحن في أرقٍ مُضنٍ وتَسهادِ

نخشى على أمّةِ الإسلام حين نرى
قوافل الخير تمضي دونما حادي

نخشى من الراكبين الوهمَ، ما قطعوا
شوطاً، ولا فتحوا باباً لإنجادِ

تعمى بصائرهم عن كلِّ منحرفٍ ... ويرصدون ذوي التقوى بمرصادِ

ما بالهم سلبوا عينيكِ نورهما ... وكبَّلوكِ بأغلالٍ وأصفادِ

ما بالهم جعلوا الأبواب مشرعةً ... للغرب، مغلقةً في وجه أجدادِ

ما بالهم جعلوا «باريس» قدوتَهم ... ووجَّهوا نحوها وجدانَ منقادِ

ما للصحافة تجري في أعنَّتها ... على مساحاتِ أوهامٍ وأحقادِ

ما بالُها لاترى إلَّا الظلامَ ولا ... ترى معالم إنقاذٍ وإرشادِ

جزائرَ الخير ما بال الربيع شكا ... موت الزهور وصَمْت البلبل الشادي

ما لي أرى تلمسان الحبُّ واجمةً ... وفي الجنوب أرى إطراقةَ الوادي

تدفُّقُ النور من كفيك أفزعهم ... والنور يُفزع من يَسعى لإفسادِ

وأبصروا من شباب الحقِّ همَّته ... ما بين حافظ قرآنٍ وسَجَّادِ

فاستوقفوكِ على أبواب حيرتهم ... وحرَّكوا ألفَ كوهينٍ وحدَّادِ

تسعين في طرق الإيمان جاهدةً ... وتشرئبّين في شوقٍ إلى الهادي

وتنشدين لنور الفجر أغنيةً ... تسجِّلين بها تاريخَ ميلادِ

وهم يغنون ألحان الضياع وقد ... ملَّت ترانيمَهم أوتارُ أعوادِ

جزائرَ الخير ما هانت روابطُنا ولا خضعنا لأعداءٍ وحُسّادِ
ولا خُدعنا بأقوالٍ ملفقةٍ تُدار ما بين خوّازٍ وزرّادِ
بين المشاعر جسرٌ من عقيدتنا وبين أفواهنا جسرٌ من الضّادِ
ما زلتُ أذكر مليوناً، جماجمهم شواهدُ العزِّ في تاريخ أمجادي
روّت دماؤهم الأرضَ التي كسرتْ طَوقَ الخضوع لأمر الغاصب العادي
جزائرَ الخير، هذا نَهْرُ صحوتنا ما زال ينبع من قافٍ ومن صادِ
ما زال يغلسنا من كل منقصةٍ فينا، لبسنا بها أثوابَ إخلادِ
غداً- بإذن إله العرش- سوف نرى كتائب الحق تمحو كلَّ إلحاد
وسوف نمسح عن أجفان أمتنا ما خَلّف اللمعُ من آثار إجهادِ
جزائرَ الخير، إني سوف أُعلنها صريحةً ذات إبراقٍ وإرعادِ
الظالمون سواءٌ، كيفما اختلفتْ أوصافُهم، كلُّهم «جزّارُ بغدادِ»
تعدّدتْ رُتَبُ الأقوام واختلفوا وجمّعتْ بينهم أوصافُ جلّادِ
هذا ندائي فيا دنيا اسمعي وخذي وبلّغي، وافهمي معناه وازدادي:
يا ساسةَ القمع: هذا صوتُ أمتنا يقول: لا تقتلوا بالظلم أولادي

أين الكعبـة

أبو سهل البخاري

وأنا أسير في ساحة الحرم متجهاً إلى الكعبة، سمعت صوتاً ينادي (حاجي، حاجي !!!) فالتفت فإذا بحاج قد بدت في وجهه آثار الجهد والإرهاق، كانت هيئة وملامح وجهه تدل على أنه من بلاد ما وراء النهر، قال لي بالأزبكية مع حركات يديه الكثيرة محاولا إفهامي: كم علي أن أطوف بالبيت؟ فأجبته بالأزبكية، (وهي كل ما تبق لنا من ذكريات بلادناالمنسية): عليك أن تطوف سبعة أشواط. فرأيت السرور داخله بمعرفتي لغته، ثم ما لبث أن قال باستعجاب: سبعة أشواط! وهل تستطيعون ذلك، لقد بلغ الجهد مني مبلغه من أول شوط حول بيت الله وأشار إلى مبنى الحرم الخارجي، ففهمت سبب تعجبه من كلامي ومدى ما أصابه من إرهاق، لقد ظن هذا المسكين أن هذا المبنى هو الكعبة فشرع في الطواف حول الحرم كله دون تردد،

يا الله !... لم ير البيت قبل الآن!!!

فقطع تفكيري صوته قائلا: استعين بالله وأكمل الطواف، ثم أخذ في الإنصراف، فوجدتها فرصة سانحة للتعرف على ما يدور داخل بلاد المسلمين فاستوقفته عارضا عليه مساعدته، فرحب مسرورا.

ذهبنا سويا إلى داخل الحرم وأشرت إلى الكعبة المشرفة وقلت له: هذا هو

بيت الله، لا الذي طفت حوله قبل قليل،

فما هي الا لحظات حتى رأيت الدموع تنهمر من عينيه،

وقال: يا الله!... هذا هو بيت الله، سمعت به كثيراً...

ولم أره إلا الآن!!... فأسرع الخطا نحو البيت وأسرعت معه قائلا: هذا من فضل الله عليك أن يسر لك القدوم إلى بيته وقد حُرِمَ من ذلك الكثير، فقال بصوت منتحب: كم سمعت أبي رحمه الله وهو يدعو ويتمنى رؤية بيت الله ولكن الشيوعيين لم يمكنوه من ذلك... فمات وفي قلبه حسرة وألم. لقد ذقنا يا بني الكثير مما لا أظن أن أحداً ذاق مثله، ولكن... دعنا نطوف بالبيت أولا ثم أقصُّ لك شيئا مما نلناه.

وبعد طواف رقّ به قلبي وذرفت عيناي مما شاهدت من عجيب انكساره بين يدي الله وبكائه وعظيم حمده لله على تمكينه من حج بيته انطلقنا بعيدا عن الزحام وجلسنا في ناحية مستقبلين البيت العتيق،

فقال لي ما اسمك؟ وكيف تعلم لغتنا؟

قلت: اسمي عبد اللطيف البخاري، هاجر والد جدي مع أهله وأبنائه في بداية المحنة، وانقطعت عنهم الأخبار فلم يبق لدينا إلا هذه اللغة وقصصا تروى عن البلاد.. دعك مني الآن وأخبرني عن أحوال المسلمين هناك؟ هيا أخبرني بالتفصيل فالوقت يدركنا.

قال: أنتم في نعمة عظيمة لا بد لكم من شكرها، نحن عشنا هناك مسلمين ولسنا مسلمين!!! لم يترك لنا الروس شيئا يمت إلى الإسلام بصلة إلا وحاولوا إبادته وإنهاءه حتى اسماءنا، هل تصدق..؟

والدي أسماني عبد الحكيم ولكني لاأعرف بهذا الإسم إلا في البيت..

أما رسميا فاسمي حكيموف!! إن الروس قد فعلوا هذا بالأسماء وهي أسماء لا تضرهم ولا تقاومهم فماذا تظن أن يفعلوا في علمائنا ومشايخنا الذين يعلموننا القرآن والسنة؟ نعم لقد ضيقوا علينا جداً حتى إن شعائر الإسلام قد اندرست أو كادت.

دعني أقص عليك طريقة كان بعض علمائنا يتبعونها في تعليم الصبية كتاب الله، كان الشيخ يصعد فوق سقف المنزل من الداخل بسلم ويصعد الطلاب خلفه ثم يرفع السلم إليه ويخبئه ويلقي الدرس بصوت خافت لكي لا يعلم أحد بهم... وقل مثل ذلك في مخازن تحت المنزل. كان الشباب في المصانع إذا أرادوا المذاكرة ومراجعة شيءٍ من العلم اجتمع كل أربعة أو خمسة في وقت تناول الطعام ويتحدث كل واحد بما عنده دون أن يلتفت إليه الباقون لكي لا يعلم بأمرهم.

حتى الصلاة.. التي هي عماد الدين كان الواحد يذهب ويختبىء بعيدا ويصليها سريعة ويعود لكي يذهب الآخر فلم نعرف الجماعة منذ عهد بعيد. هكذا كان حال المهتمين والحريصين على بقاء شعائر الإسلام عند أبنائهم أما عامة الناس فحدث ولا حرج.

وماذا تستطيع أن تفعل لهم وأنت لا تأمن على نفسك وأهل بيتك؟ آه، كم أشعر بالأسى على مشايخنا وعلمائنا الذين كان لهم الفضل بعد الله على بقائنا مسلمين، نلنا ما لم يستطيعوا أن ينالوه، بل لم نستطع أن نقدم لهم أبسط حقوق المسلم، لم نستطع أن نغسلهم ونكفنهم كما يأمرنا ديننا فماتوا ودفنوا حسب مراسم الدفن الشيوعية حتى الصلاة عليهم لم تكن إلا سراً في جوف بيته.

لم أتمالك نفسي فبكيت وأنا أسمع ما يقول، حقا إننا في نعمة من أمرنا، هذه النعمة جعلتنا ننسى شكرها (إلا من رحم الله)،

يا إلهي كم نال هؤلاء القوم ليتركوا دينهم رغم ذلك وبعد هذه السنين الطويلة لا يزال هناك من يقول لا إله إلا الله محمد رسول الله. ولا يعبد إلا الله، نعم صدق الله

﴿ ويمكرون ويمكر الله والله خير الماكرين﴾.

كم كنت أعيش في غفلة، أشعر أنني تعلمت من هذا الشيخ الشيء الكثير، شيئاً قد لا أجده مسطراً في الكتب، لكنه موجود في الواقع، أشعر أن أمامي مسؤلية عظيمة وحملاً ثقيلاً. ولكن نعم! من قال إن أمر هذا الدين سهل، لقد

كان شاقا حتى على رسول الله صلى الله عليه وسلم:

﴿ إنا سنلقي عليك قولاً ثقيلاً ﴾

فهل نحن أعز على الله من نبيه ومصطفاه. حاشا وكلا، فلا بد من العمل، لا بد من العيش للآخرين، لأن من عاش لنفسه عاش صغيراً ومات حقيراً؛ ومن عاش لغيره عاش عظيما وعمر طويلا حتى بعد موته.

ثم ودعته وشكرته بحرارة وانصرفت وكأن على كاهلي جبلا عظيما، رغم ذلك، كنت مسروراً سعيداً، أفكر فيما حدث هذه الليلة وأعيد شريط الاحداث من بدايته، وأنا أشق جموع الحجاج بين الصفا والمروة لأخرج من الحرم فاذا بي أسمع حاجا روسياً يقول لشخص بجانبه: ها أنا ذا في الشوط السادس ولكن أين الكعبة أريد رؤيتها!!!!.

* * * *

* * *

* *

*

الزمانُ النجيب

مروان كجك

سيأتي زمانٌ فتيٌّ نجيبْ بعونِ الإلهِ السميعِ المجيبْ
ويخضرُّ عُودِيَ، والمكرماتُ يَلُذْنَ بشعبٍ طَهُورٍ نسيبْ
أقامَ الحضارةَ في كل صقعٍ وأعطى الهدايةَ كلَّ الدروبْ
فمنْ ضلَّ ضلَّ عَزوفاً جَهولاً وعاشَ الحياةَ رهينَ الذنوبْ

* * *

سيأتي زمانٌ رؤوفٌ رحيمٌ وتنهارُ جدرانُ حِقدٍ رهيبْ
وتأتي إلينا الطيورُ الثُّكالى يزاوِجْنَ أُنْساً ورَوْضاً مَهيبْ
وينثُرْنَ في أرضِنا دندناتٍ ويهتِفْنَ: عاشَ النداءُ الحبيبْ
تباركتَ يا ربَّنا فانتشلْنا من الذلِّ واكسِرْ شَبَاةَ الصليبْ

* * *

سيأتي زمانٌ ينيرُ الليالي وينهضُ شعبٌ زكيٌّ أريبْ

ويـمـلأُ أفـقَ الـفـضـاءِ رعـودٌ ويـهـتـزُّ حبـلُ الـدعـيِّ الـكَـذوبْ
ويـسـقـطُ عـن عـرشـه كـلُّ خِـبٍّ ويـصـرخ بـالـكـفـر صـوت رعيبْ:
أنـا الموتُ أقـبـضُـكـم لا أبـالي فـقـد جـاءَ مـوعـدكـم مـن قـريـبْ

* * *

سـيـأتي زمـانٌ تُـدَكُّ قِـلاعٌ بنـاهـا الـطـغـاةُ لـصُنْـعِ الـكـروبْ
ويـشـق رجـالٌ تـمادَوْا خِـداعـاً وظـنـوا الهـدايـةَ قـتـلَ الـشـعـوبْ
فـأسـرف هَـذا بـوأدِ الـرجـالِ وأسـرفَ ذاكَ بِـكَـيْـلِ الخـطُـوبْ
فـهـاتِ الحـديـدَ المحَمَّى لـنـمضي لهـذا وذاك ونـكـوي الجُـنـوبْ

* * *

سـيـأتي زمـانٌ تخـرُّ الـليالي عـلى قـدمـيـه وتُـطـوى الـرُّتـوبْ
ويـبـزغُ فـجـرٌ بـديـعُ المحـيَّـا ويَـفْـتَـرُّ ثـغـرٌ وطَـرْفٌ هَـيـوبْ
ويـرجـع لـلـحـيِّ أهـلٌ وصـحـبٌ وأشـواقُ عُـمْـرٍ وطـفـلٌ لَـعُـوبْ
وتـبـتـلـعُ الأرضُ كـلَّ الأفـاعـي ويَـنْـبَـتُّ حـبـلُ الخـنـا والـعُـيـوبْ

* * *

سـيـأتي بحـوْلِ الإلهِ زمـانٌ تجـوسُ الـعـدالـةُ كـلَّ الـقـلـوبْ
ويـنـكـشـفُ الـسـتْرُ عن كـلِّ وغـدٍ وتُـبْـلى الـسـرائـرُ في كُـلِّ ذِيـبْ
ويـصـحـو نـيـامٌ أطـالـوا الـرقـود على الرَّضْفِ واستعمرتْهم كُروبْ
ويـنـهـزِمُ الـشـرْكُ والمشـركـون ويـأتي زمـانٌ فـتـيٌّ نجـيـبْ



- أحداث (كنر) ومقتل الشيخ جميل الرحمن
- مقابلة مع الشيخ سميع الله
- بيان من جماعة الدعوة إلى القرآن والسنة
- الصراع الحضاري في كشمير
- باكستان: أقلية ساهرة وأكثرية نائمة
- بيان من حركة الجهاد الأرتري

أحداث (كنر)
ومقتل الشيخ جميل الرحمن

بحزن بالغ وألم عميق تلقينا أخبار القتال المؤسف الذي وقع بين فصائل المجاهدين في ولاية (كنر) وما أعقب ذلك من الاغتيال الغادر للشيخ جميل الرحمن رحمه الله رحمة واسعة.

كان حرصنا دائماً أن نكتب عن انتصارات المجاهدين، وكنا ننتظر أخبار فتح كابل، ولكن ضريبة التفرق والتحزب جاءت بأخبار القتال في (كنر) التي سالت فيها دماء الشباب المسلم من المجاهدين العرب والأفغان. ولاندري كيف يبيح المسلم لنفسه قتل مسلم شهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله، وكم نتمنى أن يؤوب المسلمون هناك إلى الحق، ويتراجعوا عن هذه الأساليب ويتقوا الله في أنفسهم.

لقد وقعت أحداث قتل قبل هذا ولكنها ليست بهذا الحجم، وكنا لا نذكرها حرصاً على سمعة الجهاد الأفغاني وخوفاً من شماتة الأعداء، ولكن ما وقع أخيراً هو من الخطورة بمكان، ولا بد من توضيح الصورة على حقيقتها، حرصاً على مصلحة الائتلاف ووحدة المسلمين، وحرصاً على نصيحة المسلمين بالابتعاد عن الوسائل غير الشرعية في حل مشاكلهم.

وستتكلم في هذه العجالة عن:

١- ولاية كنر والصراع عليها

٢- الأحداث الأخيرة ومقتل الشيخ جميل الرحمن

٣- البيانات الصادرة عن الأحزاب الإسلامية وجو الإشاعات المؤسف.

٤- التنبيه إلى خطورة ما يكاد للجهاد الأفغاني من أعدائه الداخليين ومن الخارج.

٥- أهمية المنهج وخطورة الاتهامات ونقل الأخبار والدعوة إلى الوحدة والائتلاف.

ولاية كنر والصراع عليها:

تقع ولاية كنر في شمال شرقي أفغانستان شمال مدينة جلال آباد، ويجري فيها نهر كنر الذي يجتمع من عدة فروع أهمها وادي بيج حيث منطقة الشيخ جميل الرحمن، وأما شمال الولاية فيكون منطقة (نورستان) التي يسكنها قبائل النورستانية، وهؤلاء لهم وضعهم الخاص وتنظيمهم الذي ارتضوه منذ بداية الجهاد، وقد تركتهم الأحزاب الأفغانية على أنهم واقع موجود مع مسالمتهم للجميع. وغالبية أهل كنر ممن تأثروا بالمنهج السلفي وبرز من دعاتها وعلمائها (في كنر) المتبعين لهذا المنهج:

الشيخ جميل الرحمن - جماعة الدعوة إلى القرآن والسنة

الشيخ محمد أفضل - نورستاني

الشيخ غلام رباني - الجمعية الإسلامية

الشيخ فقير الله - الحزب الإسلامي

كانت كنر من الولايات الأولى التي بدأ فيها الجهاد منذ عام ١٩٧٨ في نهاية حكم محمد داود الذي استغله الشيوعيون ثم انقلبوا عليه، والشيخ جميل الرحمن بدأ الجهاد مع إخوانه أهل المنطقة منذ ذلك الوقت، ثم هاجر إلى باكستان وكان عضواً في الحزب الإسلامي ثم انفصل عنه وكون تجمعاً خاصاً أطلق عليه فيما بعد (جماعة الدعوة إلى القرآن والسنة)، وقد دمرت قريته (ننجلام) تدميراً كاملاً من جراء قصف الشيوعيين وبقي القسم الأسفل من الوادي وفيه العاصمة (أسد آباد) بأيدي الشيوعيين إلى أن انسحبوا منها قبل ثلاث سنوات لأسباب غير واضحة، ربما يكون منها أن ما تحتاجه من حماية ودفاع أمام هجمات المجاهدين المستمرة أكبر من أهميتها الستراتيجية، وبعد هذا الانسحاب دخلت أحزاب المجاهدين إلى المدينة وشكلوا مجلساً للشورى لحكم الولاية يرأسه غلام رباني ويرتبط بالحكومة الإسلامية الأفغانية المؤقتة في (بشاور) ولكن جماعة الدعوة بزعامة الشيخ جميل الرحمن رفضت الانضمام لهذا المجلس ورأت أنه مجلس غير صحيح، وأنها صاحبة الحق في إدارة الولاية. باعتبار أن معظم السكان من أتباعها ثم جرت الإنتخابات في الولاية أكثر من مرة ولكن ثار جدل في نتيجتها مما دعى الجماعة أن تعلن حكمها الفعلي للولاية وسلطتها الكاملة وتسمية الولاية باسم (إمارة كنر الإسلامية) وطلبت من الأحزاب الانضمام والبيعة أو يخرجون، ولم تحصل مواجهة مع الأحزاب لضعفها ما عدا الحزب الإسلامي الذي لا يرى استقلال الولاية بنفسها، ولذلك حوصر مقر الحزب ثم سمح لأميره فقير الله بالخروج فذهب إلى قريته واعتزل القتال الذي حدث بعدئذ.

الأجواء المشحونة وفتنة القتال الأخير:

حين رأى الحزب أن الجماعة سيطرت على الولاية قرر إلغاء هذه السيطرة، خاصة بعد أن تسممت الأجواء بالإشاعات والاتهامات المتبادلة، ولا نستبعد أن

يكون هناك أطراف ثالثة لها مصلحة في إذكاء نار العداوة والبغضاء. وهي متآمرة على الجهاد الأفغاني وهذه شنشنة نعرف من يقولها ويشيعها بين المسلمين، وتهجمت جريدة الحزب الإسلامي (شهادت) على الوهابية وصنفتها بأنها مثل القاديانية وإن كان الحزب قد اعتذر عنها في بيانه الصادر بتاريخ ١٤١٢/٢/١٨ هـ حيث قال: «وقد نشرت في جريدة (شهادت) معبرة عن رأي كاتبها ولا تمثل الموقف الرسمي للحزب، ولقد ساءنا ما نشر في الجريدة».

في هذه الأجواء المسمومة أصدر الحزب تحذيره للشباب العرب في كنر بأن يخرجوا من الولاية للبعد عن أجواء الفتنة، وفعلاً ابتعد بعضهم إيثاراً للبعد عن الفتن والخلافات، ورأى البعض أنه لا يمكن التخلي عن جماعة الدعوة واشتدت الحرب الكلامية بين الطرفين، وأصدرت جماعة الدعوة بياناً توضح فيه وجهة نظرها وتجددت مساعي الصلح ولكنها فشلت كلها وقام الحزب بأمر خطير، حيث استقدم مجموعة كبيرة من المقاتلين من خارج المنطقة، وأما أهل المنطقة فالقليل منهم من شارك سواء مع الحزب أو مع الجماعة.

استمر الهجوم عدة أيام، وقد شارك بعض أفراد الأحزاب الأخرى وليس كلها مع الحزب الإسلامي في هجومه، سواء بصفته الرسمية أو الشخصية، ويظهر أن الحكومة الباكستانية قدمت دعماً ظاهراً للحزب وكأنها ترى الوقوف بجانب القوي. تمكن الحزب بعد الهجوم على الولاية من السيطرة على المنطقة المتنازع عليها وقد وصل عدد القتلى والجرحى إلى المئات كما ذكرت بعض المصادر بينهم بضعة عشر عربياً.

أثناء هذه الأحداث تكونت لجنة للمصالحة بتاريخ ١٨/صفر/١٤١٢ بموافقة الشيخ جميل الرحمن والمهندس حكمتيار من بعض الأخوة العرب من الذين لهم علاقة طيبة بالطرفين، ومن أبرزهم الأخ أسامة بن لادن، وقد تقدمت اللجنة بأعمالها حسب ما هو مقرر لها، وكان من المقرر أن تعلن وقف إطلاق النار بين

الطرفين صباح يوم الجمعة ١٤١٢/٢/٢٠ .

وكان من قدر الله أن لا يصل وفد الحزب إلى مكتب الشيخ جميل الرحمن للالتقاء بوفد جماعة الدعوة ويذهبوا إلى كنر لإعلان وقف إطلاق النار، وذلك لوقوع الحادث الأثيم على الشيخ جميل الرحمن في منزله في منطقة (باجور) وهي منطقة قبلية تقع على الحدود مع أفغانستان.

نبذة عن حياة الشيخ وكيف وقع الاعتداء عليه:

ولد الشيخ جميل الرحمن بن عبد المنان عام ١٩٣٤ بقرية (ننجلام) بوادي بيج من محافظة (كنر)، وقد تلقى علومه الدينية في أفغانستان وباكستان، وبعد ذلك بدأ دعوته إلى التمسك بالكتاب والسنة، وكان من السباقين إلى مقارعة الحكومات الشيوعية وفي عهد محمد داود أمرت الحكومة بالقبض عليه، وتتابعت الحملات على قريته ففرّ الشيخ إلى الجبال ومعه تلاميذه وأبناء إخوته وبعد ذلك هاجر إلى باكستان وأسس جماعة الدعوة إلى القرآن والسنة. وكان له جهود طيبة في تأسيس المدارس الإسلامية في أوساط المهاجرين الأفغان والمناطق المحررة.

وبتاريخ ١٤١٢/٢/٢٠ الموافق ١٩٩١/٨/٣٠ تمكن القاتل عبد الله الرومي - ليس هذه اسمه الحقيقي - المصري الجنسية[1] من الدخول إلى منزل الشيخ بحجة السلام عليه وملاقاته، وجلس ينتظر ويقرأ القرآن وبعد أن أنهى الشيخ حديثه مع أحد القادة اقترب هذه المجرم منه ليوهمه أنه يعانقه ثم صوب مسدسه وأطلق رصاصات أصابت وجه الشيخ ورأسه عند منطقة الأذن، فقضى نحبه فوراً رحمه الله وحاول القاتل الفرار ولكن الحرس انهالوا عليه بالرصاص فأردوه قتيلاً، وقد

١- كان يعمل مراسلاً لمجلة الجهاد ومجلة البنيان المرصوص التابعة للاتحاد الإسلامي واسمه الحقيقي أشرف أنور علي النيلي والغريب أنه قد صدر بيان من مكتب سمى نفسه مكتب التحقيقات - إسلام آباد يحاول فيه تبرئة عبد الله الرومي من جريمة القتل.

أصدرت جماعة الدعوة بياناً تذكر فيه حادثة القتل نقتطف منه هذه الفقرة:

«ولئن ظن أعداء الدين أنهم بقتلهم للشيخ جميل الرحمن فإنهم سيقضون على الدعوة التي آمن بها ودعا إليها فقد خاب ظنهم، وإن الله يقيض لهذا الدين من يحمله ويدافع عنه ويقدم له نفسه وماله، والحمد لله الذي لم يعلق دينه على الرجال ولم يتعبدنا بتعظيمهم ولا تقديمهم على الحق، ولسنا - بفضل الله تعالى - ممن يطري ويغلو في قادتهم، فإن الشيخ أفضى إلى ما قدم - لا نقول أنه من الشهداء، ولا في الجنان العلى، بل ندعو الله عز وجل أن يكون من الشهداء، ويعفو عنه ويغفر له ويدخله فسيح جناته».

مَنْ وراء هذه الجريمة:

لم يتهم الشيخ سميع الله نائب الشيخ جميل الرحمن والذي اختير أميراً للجماعة بعده، لم يتهم أحداً ودعا للتريث وانتظار نتائج التحقيق كما أن الحزب الإسلامي تبرأ من القتل وأدانه في بيان له بتاريخ ١٩٩١/٨/٣٠، ولم يعرف عن القاتل عبد الله الرومي انتماء معين، وقد كان يسأل كثيراً عن لجنة الإصلاح، وكتب إليهم يستحثهم على الإسراع في إنهاء المشكلة، ويظهر أن قلبه امتلأ حقداً وبغضاً للشيخ، وساعد على ذلك الأجواء المسمومة التي أحاطت بالقتال في (كنر) ولا يستبعد أن تظهر الأيام القادمة أنه كان مدفوعاً بشكل غير مباشر، من جهات تكره أهل السنة وتخطط دائماً لاغتيال علمائهم، وربما تكون هي وراء مقتل الشيخ عبد الله عزام رحمه الله.

وقفات مع الأحداث:

١- لا شك أن أجواء الاتهامات المتبادلة كان لها تأثير كبير في شحن النفوس

وجعل جهلة المسلمين يقدمون على قتل إخوانهم دون أن يرفّ لهم جفن، ووصلت هذه الأجواء إلى حد تصريح حكمتيار بأن العرب الذين مع جميل الرحمن يرون أن قتال الأفغان مقدم على قتال الشيوعيين[1] وأصدر الحزب في صحيفة (شهادت) مقالات يتهم فيها ما يدعونه (الوهابية) بأنها صنيعة الانكليز! ! ثم تبرأوا من ذلك كما ذكرنا، وقد يوجد من الطرف الآخر الشباب المندفع الذي يتفوه بكلمات لا يدري مواقعها، ولا يستعمل الحكمة في دعوة الناس، ولكن تبعة القتال الأخير تبقى على الحزب الإسلامي،الذي استقدم جهال القبائل للإغارة على إخوانه، وكان الواجب استعمال الطرق السلمية الشرعية ولو طالت.

٢- إن أحداث كنر وغيرها من أحداث العالم الإسلامي تؤكد على أهمية المنهج في حياتنا وأن الابتعاد عن هذا بالطرق الملتوية التي يسمونها (سياسة) لا يوصلنا إلا إلى التفرق والضعف، وإن تقريب المبتدعة والمنحرفين والمشبوهين وإعطاءهم من لين الكلام وأننا نجاهد معهم في خندق واحد، كل هذا لم ينفع شيئاً. ونذكر القراء بما كتبناه في العدد الأول من البيان حول أهمية وضوح المنهج في حياة المسلمين.

٣- لا زلنا نحذر من المكايد التي تحاك ضد الجهاد الأفغاني سواء كانت مكايد داخلية من أصحاب الفرق المنحرفة الضالة؛ أو مكايد خارجية من الدول التي لا تريد أن تعلو كلمة لا إله إلا الله. وتاريخنا الإسلامي في القديم والحديث يشهد على خطورة مثل هذه الاتجاهات، وعدم تورعها في ضرب أهل السنة في أحلك الظروف.

٤- إننا ندعو الإخوة الأفغان بعد هذا الحادث الأليم أن يتفكروا في أسباب

١- من مقابلة بين أحد المجاهدين مع المهندس حكمتيار

النصر، وأنه بيد الله يعطيه من يشاء من عباده الذين تتمحض صفوفهم للحق، وتتوحد وجهتهم، وأن دولة الإسلام لا تقام على أشلاء القتلى والجرحى بين المسلمين أنفسهم ولا باستغلال القبلية التي تزيد التفرق والتشرذم، ومن طبيعة الجهاد في سبيل الله أنه يوحد الصفوف.

وبعد:

إننا ونحن نكتب هذه المقالة عن الأحداث المؤلمة التي جرت في كنر تطالعنا الأخبار باتفاق أمريكا وروسيا على تصفية القضية الأفغانية أي تصفية الجهاد الأفغاني عموماً وفرض الحل الدولي من خلال إجراءات تتفق عليها أمريكا وروسيا مع دول المنطقة ذات العلاقة بالقضية الأفغانية، ولذا فنحن نحذر أصحاب القضية الأفغانية ومن يتعامل معها أن يعينوا هذه التوجهات الدولية تجاه القضية الأفغانية من خلال هذا القتال والتنازع والاختلاف وهي أحد الوسائل التي يراهن عليها أعداء الجهاد الأفغاني لتصفيته ولا نكون كالتي نقضت غزلها من بعد قوة.

نسأل الله أن يعلي كلمته وينصر راية السنة ويوحد كلمة المسلمين على الحق.

لقاء مع الشيخ سميع الله

حرصاً من البيان على وحدة الصف الإسلامي وذكر الحقائق من أصحابها مباشرة، قام مندوبنا لدى الجهاد الأفغاني بطرح أسئلة على الشيخ سميع الله أمير جماعة الدعوة إلى القرآن والسنة فأجاب مشكوراً:

س: كيف حصل مقتل الشيخ جميل الرحمن (رحمه الله) ومن كان وراء ذلك؟

ج: إن هناك بياناً صادراً عن الجماعة حول مقتل الشيخ بعنوان «البيان الرسمي والوحيد حول مقتل الشيخ... يمكنكم نشره.

س: متى أسست جماعة الدعوة بعد الهجرة بشكلها الحالي؟

ج: إذا كان يفهم أن لنا جماعة بمفهوم حزبي، يفرق المسلمين ويجعلهم أحزاباً، فليس لنا بهذا الاعتبار أية جماعة، أو أي تنظيم، لأن الحزبية والتحزب من أبطل الباطل في دين الله... وقد دل الكتاب والسنة وإجماع المسلمين على ذلك. وما نعانيه الآن على أرض أفغانستان من الاقتتال، وتأخير النصر، ما هو إلا ثمرة مشئومة لهذا التفرق اللعين.

ولذلك ليس عندنا في جماعتنا أي مظهر من مظاهر التحزب لغير كتاب الله وسنة رسوله وفهم سلفنا الصالح، وإنما المقصود بجماعة الدعوة... جماعة

تجمعت على الدعوة إلى التوحيد، ونصرة سلفنا الصالح، ولذلك لسنا من الحزبية في شيء، فليس عندنا انتسابات حزبية، ولا فصل عن الجماعة ولا سرية في التنظيم، ولا تقوقع... ولا تقليد لأشخاص، ولا تفريق عندنا بين المسلمين بغير العقيدة والمنهاج ولا غير ذلك من مظاهر الحزبية المحرمة، ولذلك من كان من عقيدتنا وعلى منهاجنا، فهو منا ونحن منه، سواء كان قريباً أو بعيداً... مطيعاً أو مخاصماً.

وجماعتنا اجتمعت على عقيدة السلف ومنهاجهم... وهي إذن بهذا الاعتبار امتداد لأهل السنة والجماعة.. أهل الحديث... وهم في أفغانستان قبل تلك الأحزاب جميعها وقبل ولادة قادتها.

س: ما هي المناطق التي فيها نشاطات لجماعة الدعوة؟

ج: نشاطاتنا في كل بقعة نصل إليها... وفي كل مجلس نغشاه، فنحن لا ندعو إلى جماعتنا، ولا ندعو إلى حزب معين ولا إلى قائد... وإنما ندعو إلى الكتاب والسنة على فهم سلفنا الصالح.

س: ما هو تصوركم عن شكل الدولة الإسلامية التي ستقام بعد سقوط حكومة نجيب الله إن شاء الله تعالى؟

ليس لنا تصور عن شكل الدولة الإسلامية!! ولا يجوز لنا ولا لغيرنا أن يتصور شكلاً غير شكل ما كان عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه. والواجب على المسلمين في أفغانستان إقامة دولتهم منذ أن حرروا أول شبر من أراضيها، ولا يجوز لهم تأخير هذا الواجب الذي شرع الجهاد من أجله حتى سقوط كابل أو سقوط نجيب.

فالمسلمون عندما فتحوا دمشق أقاموا فيها إمارة، ولم ينتظروا حتى فتح

الشام جميعها، أو حتى يسقط هرقل...

إن عدم قيامنا بهذا الواجب ما هو إلا لبعدنا عن منهج سلفنا وبسبب اتباعنا سنة غيرنا من الكفرة الملحدين الذين يؤمنون بالحدود والعواصم وهيئة الأمم وغيرها!.

إن إقامة دين الإسلام... دين الله.. ليس مرهوناً بموت أحد... ولا بفتح بلد!!

إن بعض الأساليب التي ينادي بها بعض الأحزاب الإسلامية لإقامة الدولة الإسلامية، عن طريق الانتخابات البرلمانية، أو التحالفات الدولية... إنما هي أشكال من أشكال الطاغوت والجاهلية، وإنما أتوا من جهلهم بهذا الإسلام العظيم..

﴿ فبأي حديث بعده يؤمنون﴾

﴿ أفحكم الجاهلية يبغون ومن أحسن من الله حكماً لقوم يوقنون ﴾

جماعة الدعوة إلى القرآن والسنة

البيان الرسمي والوحيد الصادر عن الجماعة حول اغتيال الشيخ جميل الرحمن رحمه الله

﴿ وما كان لنفس أن تموت إلا بأذن الله ﴾

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله...

أما بعد

فبقلوب مطمئنة، ونفوس مسلمة لأمر الله، وقضائه، تلقت جماعة الدعوة إلى القرآن والسنة ومن وراءها من إخوانهم العرب والعجم نبأ اغتيال أميرها جميل الرحمن رحمه الله وأجزل له المثوبة.

فقبل ظهيرة يوم الجمعة ١٤١٢/٢/٢٠ هـ وقفت سيارة بجوار مجمع الدعوة في « باجور » ونزل منها عربي حنطي السحنة، وبقي فيها أفغانيان..

ولما كانت جماعة الدعوة أكثر الجماعات ارتباطاً بالأحبة الأنصار العرب، وأشدها مودة بهم كان الشيخ رحمه الله قد أصدر أمراً بعدم تفتيش العرب الذين يطلبون مقابلته... وذلك احتراماً لهم، وتقديراً لجهودهم، ولبعد الشبهة عنهم.

وتقدم هذا العربي من الشيخ موهماً معانقته، فإذا به يطلق عدة طلقات من مسدس على رأس الشيخ رحمه الله تعالى ليرديه قتيلاً، ثم ولى هارباً باتجاه السيارة المنتظرة عند الباب.. فتبعه أحد الحراس فأطلق القاتل عليه طلقة أصابته في بطنه.. ثم تتابع عليه الحرس فأمطروه وابلاً من الرصاص أرداه قتيلاً.

فلما سمعت السيارة إطلاق النار الغزير...لاذت بالفرار.

ثم بعد تبين هوية القاتل تبين أنه:

كان يتسمى بعدة أسماء، من أشهرها «عبد الله الرومي» وإسمه الحقيقي «أشرف بن أنور بن محمد النيلي». وأنه كان من العاملين في أحد الأحزاب الإسلامية الأفغانية العاملة على الساحة. وله مقالات في بعض مجلات الجهاد. وكان موغر الصدر مشحون القلب على أصحاب دعوة التوحيد. شديد الحقد عليهم، سليط اللسان.

وإن ما أشيع من أنه كان مضطرب النفس..وأنه قتل نفسه وأننا برأنا إحدى الجهات، وغير ذلك من الإشاعات الكاذبة إنما هي أخبار مفرطة عارية من الصحة..أريد بها تمييع القضية ومن وراءها.

وأن لدى جماعة الدعوة من الأدلة الشرعية ما يبطل دعاوى المتخرصين وبعضها بخط يد القاتل، ولا يزال التحقيق جارياً إلى ساعة كتابة هذا البيان وسنبين ذلك إن شاء الله عند اكتماله.

وجماعة الدعوة وإن لم توجه الإتهام الرسمي حتى الآن إلى أحد... فإنها تؤمن أن الجريمة لم تكن فردية.. وأنها دبرت بليل..وأن هذه اليد الآثمة كان وراءها من وراءها من الذين يكرهون الدعوة السلفية ويكيدون لها وقد ساهم في قتله كل من تعرض للتوحيد..أو للجماعة، أو للشيخ..باتهام أو إنذار أو شتم سواء كان ذلك بمقال أو خطبة أو كلام وسواء كانوا من العرب أو العجم حتى أوغروا صدره ودفعوه إلى هذه الجريمة المنكرة، وأن على هؤلاء وزر هذا الحادث الأليم.

ولقد خاب ظن من ظن، أن بدفعهم عربياً لقتل الشيخ لإبعاد الشبهة عنهم.. وللإيقاع بيننا وبين أحبابنا العرب..كيف والعرب أحبابنا وأنصارنا بالمال والأنفس.

ولولا الله ثم إخواننا العرب لما قامت كثير من المنظمات الجهادية ولذا فنحن نبرئ كل العرب الشرفاء الذين وقفوا معنا، وأيدوا دعوتنا...ونعلنها صريحة..أننا لا نستغني عنهم بعد الله، وأن هذه الحملة من أعداء الجهاد المبارك ضد إخواننا العرب، فإننا نحمل مسؤليتها من دفع هذا العربي الجاهل إلى هذا الفعل الآثم ويخطئ من يظن أن دعوة الرجوع إلى الكتاب والسنة على فهم سلفنا الصالح

دعوة تتعلق بالرجال أو الأرض أو الديار، إنهم يظنون دعوتنا – دعوة الأنبياء – مثل أحزابهم المبتدعة المتعلقة بالأشخاص..إذا ماتوا ماتت..

وما جميل الرحمن – عندنا – إلا رجل داعية، قد خلت الدعاة من قبله، فإن مات أو قتل استبدلناه برجل آخر..وحفظ دعوتنا من حقنا على ربنا...

﴿ إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون ﴾

ولذلك فإن أولياء الشيخ جميل الرحمن رحمه الله تعالى وجماعة الدعوة لايسمحون للناس جميعاً، بنشر صور الشيخ ولا بوصفه بالشهيد، فالله أعلم بمن يكلم في سبيله، ولكننا ندعو الله له بالرحمة والشهادة وأن يتقبل عمله، ويجعله في جنان فردوسه. وسوف يتحمل المخالفون لهذا مسؤليتهم القضائية.

واتباعاً لسنة سلفنا الصالح... فقد تم اختيار الشيخ « سميع الله » أميراً للجماعة قبل دفن الشيخ رحمه الله تعالى.

وجماعة الدعوة إذ تعلن هذا، تعلن أن هذا هو البيان الوحيد الرسمي الذي صدر عنها بخصوص إغتيال الشيخ رحمه الله تعالى.

وختاماً فإننا نتوجه بالشكر والدعاء لكل من واسانا في مصيبتنا، وندعو الله تعالى أن يتغمد فقيدنا برحمته، ويسكنه فسيح جنانه، وأن يعلي كلمته، ويرفع راية التوحيد، راية سلفنا الصالح، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

أمير جماعة الدعوة

سميع الله

الصراع الحضاري في كشمير

محاولة إختطاف الكوماندوس الإسرائيلي

المحاولة الفاشلة التي قامت بها حركة حراس الثورة الإسلامية في اختطاف سبعة كوماندوس اسرائيليين، من بينهم امرأة يهودية، قدموا لمساعدة الجيش الهندي في ضرب الانتفاضة التي بدأت في أغسطس ١٩٨٨ بعد هذا كله يكون الصراع الكشميري قد وضحت معالمه أكثر وأكثر لمن كان في قلبه شك من أن الصراع حضاري وليس مرتبطاً بقطعة أرض ولا تحده حدود، وعلى الرغم من إعلان الهند بأن المختطفين سوّاح وليسوا عسكريين؛ إلا أن التقارير والظروف تكذب هذا الادعاء، فمنذ أشهر طويلة أعلنت الهند عن منع وصول السواح الأجانب إلى كشمير، وطلبت الدول الغربية من رعاياها مغادرة الأماكن المضطربة في كشمير والبنجاب الهندية والتاميل ونحوها، إضافة إلى أن مصادر المحللين العسكريين في لندن أكدت أن الكوماندوس تدربوا لخمسة أشهر في فلسطين المحتلة، ثم توجهوا إلى نيبال والهند، وتقول هذه المصادر أن الكوماندوس أرادوا وضع ألغام ومتفجرات على بعد ٦٠ ميل عن المفاعل النووي الباكستاني في كاهوتا قرب إسلام أباد لتفجيره عن طريق الرادار أو التفجير من بعد.

العامل اليهودي: لم يكن وجود اليهود في كشمير شيئاً جديداً خاصة للمتابعين، فقد نشرت البيان في أحد أعدادها مقالاً بعنوان (تعاون هندي إسرائيلي لقمع الانتفاضة في كشمير) وكشفت وكالة الأنباء الباكستانية مؤخراً أن وجود العامل اليهودي قديم من حيث التعاون المعلوماتي أو الإرهاب والتدريب. وقد أكدت مصادر المجاهدين في كشمير وجود أكثر من ٣٥٠ كوماندوس يهودي يتعاونون مع الهند لضرب الانتفاضة الكشميرية، وتطمح إسرائيل من وجودها في هذه المنطقة الهامة إلى ضرب المفاعل النووي الباكستاني الذي تعدّ المحطة النووية الوحيدة في العالم الإسلامي بعد ما حدث في العراق. والمفاعل الباكستاني هدف يهودي قديم وتقول المصادر الباكستانية بأنه غدا هدفاً رسمياً يهودياً منذ عام ١٩٨٦ عندما صرّح رئيس هيئة أركان العدو اليهودي الجنرال (رافائيل يتان) بأن لابد من تدمير المفاعل وأن أي مصدر يهدد أمن الدولة اليهودية لابد من تدميره، مما يؤكد أن الصراع ليس عربياً - إسرائيليا وإنما إسلامياً يهودياً. وفي كتابه «الخدعة» قال عميل موساد سابق: (إن الإسرائيليين يملكون كل المعلومات المتعلقة بالمفاعل النووي الباكستاني والتي قدمها لهم (جوناثان بولارد) الجاسوس الإسرائيلي الذي قبض عليه الأمريكان وهو يتجسس لصالح اليهود في نوفمبر ١٩٨٥) وتحدثت فيها معظم الصحف الأمريكية عن تسريب (بولارد) معلومات عن المفاعل النووي الباكستاني لإسرائيل.

وقد صرح مؤخراً (**تشودري** شجاعت حسين) وزير الداخلية الباكستاني الفدرالي بأن عملاء الموساد تسربوا إلى باكستان لضرب المفاعل، إضافة إلى البيان الرسمي الصادر مؤخراً عن المجلس الوزاري الباكستاني الذي أكد قيام عملاء الموساد والهنود بإثارة الاضطرابات في البلاد لزعزعة استقرار البلاد.

وأيام الرئيس الباكستاني السابق

(ضياء الحق) ذاعت شائعات بأن طائرات يهودية تزودت بالوقود من دلهي لضرب المفاعل الباكستاني، وعقب (ضياء الحق) على هذا بقوله: إنه لو حصل هذا فسيعتبر هذا اعتداء على باكستان ويؤدي إلى حرب كبيرة وشاملة.

وفي تطور ذي علاقة بهذا الأمر وصل مبعوث رئيس الوزراء الإسرائيلي (اسحاق شامير) إلى الهند، وهذه أول زيارة علنية لمسؤول يهودي للهند منذ قيام الكيان اليهودي. ومما يذكر أن وجود اليهود في كشمير أو غيرها كما حصل في مساعدتهم للحكومة السريلانكية عام ١٩٨٣ ضد المتمردين التاميل إنما يهدف إلى الاقتراب من الحدود الباكستانية ودراسة إمكانية ضرب المفاعل.

أتواصوا به!! اتبعت الهند استراتيجية قريبة من استراتيجية اليهود والروس ومحاكم التفتيش في الأندلس في التعامل مع المسلمين، وأرسلت القيادة الهندية خبراء كباراً لإسبانيا لدراسة السياسة التي اتبعها حكامها السابقون ضد المسلمين أيام محاكم التفتيش، ووصل إلى هناك السياسي الهندي المتمرس (د.بي.دهر) وأعد تقريراً مطولاً ومفصلاً بهذا الشأن، وتوجه بعدها إلى الاتحاد السوفياتي ليعين سفيراً لبلاده هناك، ودرس أيضاً الأساليب الروسية (القياصرة والبلاشفة) في مقاومة المسلمين، وبعد هذا خرجت الهند بضرورة محاربة التعليم الإسلامي، وطمس هوية كشمير المسلمة ونشر التعليم العلماني وتشجيع الحركات العلمانية على حساب الحركات الإسلامية خاصة بعد ظهور الحركات الجهادية التي يتردد بأن للجهاد الأفغاني دوراً فيها، مما يؤكد على عمق التواصل التاريخي الحضاري.

ويقول الدكتور أليف الدين الترابي نائب أمير الجماعة الإسلامية لـ(البيان) (لقد أدركنا هذا منذ فترة طويلة فركزنا على التعليم وبناء مؤسسات

تعليمية موازية للمؤسسات الحكومية التي كانت تنتهج المنهج العلماني، ويطغى فيها تمجيد معبودات الهندوس على حساب ديننا. ويضيف فيقول: لقد تخرجت من هذه المدارس ولا أعرف الفرق بين معبودات الهندوس وبين الله تبارك وتعالى، حتى وصل عدد المدارس والكليات التعليمية الإسلامية إلى ١٢٠٠ مدرسة ابتدائية وثانوية وكلية وقررت الهند فيما بعد إغراق البلاد بالفساد والفاحشة والإباحية وفصل الجيل الحاضر عن ماضيه، وتشجيع الزواج من الهندوسيات، ولهذا كان لابد من التمايز وإشعار الشعب الكشميري بهويته).

والحركة الإسلامية بتعدد تنظيماتها أدركت خطورة هذا الوضع فهاجمت في البداية محلات الخمور والفيديو والسينما ونحوها قطعاً للطريق على إفساد الشعب الكشميري، ويقول الدكتور الترابي في تقريره عن الوضع: (لقد قامت الحركة الجهادية بحرب حضارية على الحضارة الهندوسية عندما أغلقت وحطمت دور السينما وبيوت الدعارة ومراكز الخمور والملاهي حيث أغلقت جميعها في ديسمبر ١٩٨٩)

وبخصوص تشجيع الحركات العلمانية خاصة جبهة تحرير كشمير المحتلة بقيادة (أمان الله خان) فهي يسارية علمانية والبعض يتهمها بالعمالة، فقد ذكرت صحيفة هندوستان تايمز الهندية يوم ١/٩/٩٠ بأن عدداً من أعضاء جبهة تحرير كشمير انضموا لأحزاب المجاهدين وذلك لفقدان المعنويات وعدم توفر الأسلحة في صفوف الجبهة) مما يدل على تخلي الشبان عن الإيديولوجيات غير الإسلامية التي أثبتت عقمها طوال هذا الصراع المرير منذ عام ١٩٤٧ والذي لم يكن عبثاً أن يتزامن مع قرار تقسيم فلسطين، وكان أمان الله نفسه قد صرّح في مقابلة صحفية مع مجلة «الهيرالد» الباكستانية الصادرة في شهر فبراير (شباط) ١٩٩٠ بأن الحل العسكري غير ممكن ولابد أن يسود الحل السياسي.

أما الاعتقالات فتتركز على الأحزاب الجهادية خاصة حزب المجاهدين صاحب القوة العسكرية في المنطقة. أما مجلة (اندياتودي) الصادرة في ٣٠ سبتمبر(أيلول) ١٩٩٠ فقالت بأن المخابرات الهندية (RAW) ستقيم علاقات مع الانفصاليين من جبهة تحرير كشمير الحرة بزعامة أمان الله خان خاصة مع نائبه المعين حديثاً حامد شكيل).

النظرة الهندية: الاستراتيجية التي تسلكها الهند حالياً في المنطقة بشكل عام، وكشمير بشكل خاص، ليست وليدة الآن، وإنما استراتيجية وسياسة أملتها النظرة الحضارية الهندوسية الحاقدة على العالم الإسلامي بشكل عام. وتود الهند لعب دور هام وخطير في هذه المنطقة التي تضم مئات الملايين من المسلمين.

يقول الدكتور (إيس آزباتيل) وهو خبير سياسي هندي كبير في الخارجية الهندية في كتابه «السياسة الهندية الخارجية» (يسود فراغ سياسي هائل في المنطقة بعد مغادرة الانجليز، ويجب ملء هذا الفراغ، ومن الضروري للهند كونها قوة بحرية عظمى أن يتحول المحيط الهندي من سنغافورة إلى السويس إلى بحيرة هندية).

ويعلق أحد الاستراتيجيين الهنود على تنامي قوة بلاده فيقول: (إن البناء العسكري الهندي سيقنع العالم بمنح الهند الحق في الدبلوماسية الدولية) ويبدو أن الاستراتيجية الأمريكية تريد للهند لعب مثل هذا الدور، ولكن لمدى معين، حيث صرح قسم الدفاع الأمريكي في ٨/ ١٩٨٩/٤ إنه يعمل على تطوير العلاقات العسكرية بين بلاده والهند لأن الأخيرة تلعب دوراً مهماً في أمن واستقرار المنطقة، وإنها دولة ديمقراطية عالمية وقائدة في منظمة دول عدم الانحياز) ولذلك لم تظهر الولايات المتحدة أي تبرم أو امتعاض حيال أربعة تدخلات هندية في دول المنطقة وهي تدخلها عام ١٩٨٦ بعملية (براستاكس) وفي ١٩٨٧ بسيرلنكا، و١٩٨٨ في مالديف وفي

١٩٨٩ حاولت أن تتنَّمر على نيبال التي تعتبرها (مملكة هندية) وقد علّق رئيس دول منظمة الكومنولث على تدخل الهند في سريلانكا بقوله: «تدخل راجيف في سريلانكا سلام تاريخي» وأشادت مارغاريت تاتشر بالسرعة والأداء الذي قدمته القوات الهندية في إفشال انقلاب مالديف عام ١٩٨٨

وتأكيداً لمسألة الدور المحدود الذي تريده أمريكا للهند وذلك ضمن دائرة نفوذها فقد صرح قائد القوات الجوية في البحرية الأمريكية الأدميرال (وليوم بندلي) (نحن نفهم أن للهند دوراً في المنطقة ولكن حتى الآن لم تظهر سبباً معقولاً لتنامي قوتها البحرية) ولكن لعل تصريح الدكتور (باتيل) الهندوكي المتعصب يجيب على تساؤل «بندلي» عندما قال في كتابه المؤثرات الجغرافية (إن مصالح الهند تقوم في المناطق القريبة مثل نيبال وباكستان وبنغلاديش وأفغانستان وبورما وماليزيا وأندونيسيا وسيريلانكا، وهي بلاد ضرورية لسلامة الهند، ولذا فمن الضروري جداً أن تسيطر الهند على خط سنغافورة قناة السويس لأنها بمثابة الباب الرئيسي للهند) ثم يضيف فيقول: (إن حاجة الهند إلى البترول يلح عليها بالالتفات نحو الجزيرة العربية والعراق، وإن الهند قوة بحرية عظيمة ومن الواجب أن يتحول المحيط الهندي من سنغافورة إلى السويس ليصبح خليجاً تملكه الهند).

ولمن يحسن الظن بالهند والهندوس حتى الآن ننقل له القول المأثور عندهم في كتاب الأب الروحي للهندوس وهو (جو تليه) الذي كان (نهرو) لا ينام إلّا ويضعه تحت وسادته يقول المثل: (إذا أردت قتل عدوك فأظهر له العلاقة، وإذا عزمت على قتله فعانقه ثم اقتله، وحينها اذرف عليه الدموع!).

باكستان

أقلية ساهرة وأكثرية نائمة

منذ تأسيس باكستان وظهورها كدولة مستقلة في أغسطس (آب) من عام ١٩٤٧ والباطنيون من الاسماعيلية وغيرهم يتحكمون في قيادتها السياسية والاقتصادية وغير ذلك، ورغم فرح العديد من المسلمين بظهور هذه الدولة إلا أن القليل منهم من أدرك هذا الخطر، ومن أدركه خشي أن يجهر به، على الرغم من أن النسبة السكانية الشيعية في باكستان لا تتجاوز ٥٪ إلا أن العبرة ليست في التعداد السكاني وإنما بالنفوذ والقوة والسطوة. وبنظرة سريعة على بعض البلدان الأخرى يتأكد لدينا هذا حيث أن النسبة السكانية الضئيلة هي التي تتحكم برقاب الأغلبية.

لقد نفذ الشيعة إلى العديد من المراكز الحساسة بدءاً بالوزارات الفاعلة والحيوية، مروراً بمراكز الدراسات والتخطيط والاعلام والجامعات والأحزاب السياسية، وتزويج بناتهم لقيادات الأحزاب العلمانية التي لها أصول سنية وانتهاءاً بالنفوذ الاقتصادي والتجاري.

وفي هذا التحقيق المطوّل شيئاً ما ستحاول **(البيان)** إيضاح الحقيقة ووضعها أمام القارئ وإلقاء الضوء على هذه المشكلة.

المؤسس والقيادة: أكد عدد من الكتاب والمؤرخين بأن أصل (محمد علي جناح) والذي ركب موجة الاستقلال وأصبح زعيم ومؤسس باكستان رغم عدم اتقانه اللغة القومية (الأوردو) أكد هؤلاء المؤرخون أنه إسماعيلي باطني، ولكن بعد وصوله إلى باكستان قبل الاستقلال بسنوات قليلة تحول إلى المذهب الشيعي، ومنذ تلك الفترة و(محمد علي جناح) أو من يسميه الباكستانيون السذج بـ (قائدي أعظم) يقوّي ويعزز من وجود الاسماعيلية والشيعة في مراكز الدولة، فمعظم الذين جاؤوا بعده من زعماء وقادة هم من الشيعة مثل (لياقت علي خان) الذي اغتيل في روالبندي قرب إسلام أباد، والذي يدعوه الباكستانيون بـ (قائد الأمة)، كما تسلم زعامة باكستان أيضاً (يحيى خان) وهو شيعي أيضاً وهو الذي عين وزير خارجيته (ذو الفقار علي بوتو) حيث حصل في زمنهم تقسيم باكستان ونشوء دولة بنغلاديش وبتواطؤ مجيب الرحمن زعيم بنغلاديش الشيعي أيضاً، وذلك عندما رفض (ذو الفقار علي بوتو) قبول نتيجة الانتخابات التي ظهرت بأنها في صالح مجيب الرحمن وقال قولته الشهيرة آنذاك (لن أقبل أن يقودني البنغال) وفي المفارقات أو الموافقات أن تقود ابنته بي نظير بوتو نفس الحملة في الانتخابات الباكستانية لعام ١٩٨٨ عندما قالت (لن أقبل أن يحكمني البنجابيون) لأن أصلها من السند في كراتشي.

وبنظرة متفحصة لتاريخ باكستان نرى أن القيادات السنية التي مرت عليها ثلاثة فقط، على الرغم أنها تعد من أكبر الدول السنية في العالم الإسلامي، وهذه القيادات هي: الجنرال أيوب خان، وضياء الحق، ونواز شريف، ولكن مع هذا استمر النفوذ الشيعي في الوزارات والأماكن الحساسة حيث ان تغيير الرئيس أو رئيس الوزراء أو حتى الوزير لا يعني تصفية الأنظمة البائدة لأن الوزير يأتي ويذهب، ولكن القوة والفعالية للأشخاص الذين تحت الوزير والمسؤولين الكبار.

النفوذ الشيعي في الأحزاب السياسية:

للشيعة عدة أحزاب سياسية منها حزب تنظيم تطبيق الفقه الجعفري بزعامة ساجد علي نقوي، وجناح آخر انشق عن الأول قبل سنوات بزعامة حسين الموسوي، وتنظيم آخر هو حزب الله وسكرتيره العام اقتدار علي مظهر، وميليشيات عسكرية صغيرة يربو عددها حسب مصادر مطلعة على عشرات الميليشيات العسكرية. وثمة تنظيم آخر أيضاً باسم الجهاد ويقوده (آغا مرتضي بويا) وشغل منصب السكرتير الإعلامي للتحالف الجمهوري الإسلامي، ويشغل منصب رئيس مجلس إدارة صحيفة (المسلم) الباكستانية الشيعية القوية وحزب آخر يقوده (فخر إمام) وكان رئيس مجموعة المعارضة البرلمانية في أيام ضياء الحق، وأما بالنسبة للأحزاب السياسية الأخرى فنفوذهم قوي فمثلاً أصغر خان رئيس حزب الاستقلال متزوج من سيدة شيعية ولذلك انضم في تحالف ديمقراطي مع حزب الشعب بزعامة بي نظير بوتو والحزب الشيعي جماعة (نقوي)، أما زوجة محمد خان جونيجو أحد أعمدة حزب الرابطة الإسلامية فشيعية أيضاً.

وبالنسبة لحزب الشعب الباكستاني والذي تتزعمه (نصرت) زوجة (ذو الفقار علي بوتو) وابنتها بي نظير فالمعروف عنهم بأنهم شيعة، وكان ذو الفقار عاملاً سابقاً بإيران ثم نزح إلى باكستان وتدرج في الحياة السياسية حتى غدا رئيساً للوزراء، وقد أخذت بي نظير (السيف) شعارها الانتخابي في إشارة لسيف علي حيث كتب تحت السيف (لا فتى إلا علي ولا سيف إلا ذو الفقار) ولكن قرار المحكمة برفض شعار السيف جعلها تتخذ شعار السهم، وعلق بعض السياسيين آنذاك بأن والدها (ذو الفقار) عندما اتخذ شعار السيف انفصلت باكستان إلى قسمين، وباتخاذ بي نظير شعار (السهم) سينطلق إلى المفاعل النووي في (كاهوتا) قرب إسلام أباد وسيقضي عليه خاصة وأنه في تلك

الفترة كانت بي نظير قد أبدت استعدادها لفتح المنشآت للتفتيش. وصرحت بي نظير قبل انتخابات ١٩٨٨ والتي أوصلتها للسلطة بأنها ستقتلع جذور اليزيدية في افغانستان، والمقصود بهم أهل السنة. كما أكدت في خطبها الانتخابية على أن مهمتها هي امتداد لخط الإمام زين العابدين وذلك في إشارة لاستقطاب الشيعة إلى صفوفها خاصة وأنها ترشحت من «جترال» المنطقة الموبوءة بالإسماعيلية.

ووزعت الأحزاب الشيعية الدينية منشورات سرية لأتباعهم تحثهم فيها على انتخاب بي نظير ونصرت، وأنهم اتفقوا معهم سرياً دون ان يكشفوا عن هذه الاتفاقيات السرية، وقد نشرت المنشور في حينه مجلة «تكبير» الأوردية الأسبوعية الصادرة في كراتشي.

النفوذ الشيعي في الحكومة الحالية:

على الرغم من وصول «نواز شريف» المنتمي لأصول سنية للسلطة إلا أن الشيعة ما يزالون في المراكز الحساسة حتى وأنه أسند لهم مراكز حساسة جديدة، فمثلاً وزير التربية والتعليم (فخر إمام) وهو شيعي وزعيم «مجموعة الأحرار» الذي مرّ الحديث عنه قبل قليل، وفي مهرجان دسپاه الصحابة (أي المدافعين عن الصحابة) و الذي عقد تكريماً لمقتل زعيم الحزب ويعتقد أن الشيعة قتلوه طلب منظمو المؤتمر بطرد فخر إمام من وزارة التربية والتعليم، كما طلبوا بتحويل باكستان إلى دولة سنية، وكان بعض أعضاء مجلس الشيوخ المنتمين للمدرسة الديوبندية (الحنفية) قد طالبوا أيام ضياء الحق بتقديم أسماء الضباط وأصحاب النفوذ من الشيعة إلى أعضاء مجلس الشيوخ كما حصل بالقاديانية حيث تم تقديم أسماء أصحاب النفوذ لمجلس الشيوخ.

وقد عيّن نواز شريف مؤخراً (عابدة حسين) الشيعية وهي زوجة (فخر إمام) ومعروفة بتعصبها الشيعي ويعدها الباكستانيون أنها سياسية أكثر

من بي نظير كما قادت الوفد الباكستاني أيام زعامة بوتو إلى روسيا.

أما (إجلال حيدر زيدي) الشيعي والذي كان مستشار رئيس الوزراء لشئون الدفاع فقد تم طرده من المنصب لاختلاسات ونحوها ولم يتم التحقيق معه.

وبالنسبة لحقيبة الخارجية فكأنها وقف على الشيعة في باكستان، أما في الدول الأخرى فكأنها حكر لغير المسلمين، فمثلاً أغاشاهي والذي كان وزير خارجية ضياء الحق في بداية حكمه شيعي ومعروف بولائه للخميني، والذي خلفه (صاحب زاده يعقوب علي خان) شيعي وعادة لا يذكر «علي» في اسمه، و(زين نوراني) والذي جاء لفترة محدودة أثناء توقيع اتفاقيات جنيف شيعي أيضاً.

ويقول بعض الباكستانيين المطلعين أن معظم سكرتيري الوزراء وكبار وزراء الأقاليم المحلية من الشيعة.

الإعلام والنفوذ الشيعي:

للشيعة نفوذ قوي في الإعلام حيث حدثنا بعض الأصدقاء الإعلاميين الباكستانيين بأنهم عندما زاروا خلية الإعلام في البنجاب تعجبوا لنفوذ الشيعة حيث أن معظم الأساتذة من الشيعة وكذلك في التلفزيون حيث يحرصون على عدم تشغيل غير أبناء مذهبهم.

وبالنسبة للصحافة فمثلاً صحيفة «المسلم» الانجليزية اليومية يرأس تحريرها (أغا مرتضي بويا) ويطالب وبصراحة بدولة إسلامية على نموذج الدولة الإيرانية ويعمل بها الشيعة، حيث أن معظم العاملين والمحررين شيعة، والعجيب أنه رغم كون مؤسسها وصاحبها من التحالف الجمهوري الإسلامي إلا أنها تؤيد بي نظير بوتو.

وأما صحيفة «النيوز» اليومية الانجليزية والتي تملكها عائلة (عبد الرحمن) في باكستان وهي عائلة سنية

إلا أن رئيسة تحريرها امرأة شيعية الدكتورة (حليمة لودي) وكانت ترأس تحرير صحيفة «المسلم» سابقاً، وهناك صحيفة (فرايدي تايمز) أسبوعية شيعية أيضاً. أما النفوذ الشيعي في الصحافة الأخرى فملحوظ فمثلاً الصحفي الباكستاني المعروف (شاهد حسين) يكتب في عدة صحف يومية ويراسل صحفاً عالمية، وكذلك الصحفية (نسيم زهرة) شيعية، وهناك صحفيون آخرون ولكن الأسماء التي ذكرت تعتبر بحق من أقوى الإعلاميين الباكستانيين.

بالنسبة لمركز الدراسات الاستراتيجية والذي يخطط السياسة الخارجية الباكستانية تغير رئيس المعهد عقب وصول بي نظير للسلطة وأزاحت الجنرال عبد السني المعروف بميوله لضياء الحق ووضعت (راه مسعود حسين) وهو شيعي معروف.

التجارة: للشيعة نفوذ ملحوظ في التجارة والاقتصاد فمثلاً الأسواق الرئيسية في إسلام أباد مثل سوبرماركت وجناح ماركت للشيعة، وكذلك حصة كبيرة من بنك حبيب المشهور في باكستان إضافة لفندق كراتشي المعروف بـ (لكسري هوتل) وغيره من المؤسسات التجارية الأخرى. كما أن سوق الصرافة في بيشاور والتي ازدهرت خلال حقبة الجهاد الأفغاني المسيطر عليه تجار شيعة معروفون ومشهورون.

أسلوب الاغتيال والتصفية الجسدية:

تشير التقارير الموثقة أن للشيعة دوراً قوياً في اغتيال الرئيس ضياء الحق حيث قيل بأن طياره الذي انتحر كان شيعياً إضافة إلى أن الاستخبارات الباكستانية قد ألقت القبض مؤخراً على شخص أمريكي ثبت تورطه بالمؤامرة ومعه أرقام هواتف لمسؤولين إيرانيين يعيشون في إسلام أباد، كما قتل مؤخرا ثلاثة أشخاص من أقرباء الجنرال (فضل الحق) حاكم إقليم (سرهد) سا.

والمعروف بقربه من ضياء الحق وكرهه للشيعة، وتشير الأدلة إلى تورط حزب تطبيق الفقه الجعفري في ذلك.

كما تفيد أدلة عديدة على تورط الشيعة في اغتيال الشيخ د.عبد الله عزام رحمه الله ولكن تم إغلاق الملف عندما وصلت التحقيقات إلى نقاط حساسة، وقبله وبعده تم اغتيال الشيخ (إحسان إلهي ظهير) و(حق جهانكوي) زعيم (مدافعي الصحابة) المعادية للشيعة، ثم خليفة (إيثار القاسمي) ورد عليهم (مدافعوا الصحابة) باغتيال مدير المركز الثقافي الإيراني في لاهور حيث كان وراء اغتيال (إيثار القاسمي) والذي كان عضو البرلمان الباكستاني.

تورط إيراني في بلوجستان:

أوائل حكم ضياء الحق قبضت السلطات الباكستانية على عدد من حراس الثورة الإيرانية ومعهم الأسلحة في داخل الأراضي الباكستانية لزرع الفتنة في الإقليم، ولكن بعد مفاوضات مطولة تم تسوية الأمر مع الحكومة الإيرانية، وأطلق سراح أصحاب الفتنة، وكان يشغل في تلك الفترة حكم الإقليم (محمد موسى) وهو شيعي وزوجته شيعية، وعندما توفيت زوجته نقلها إلى قم ودفنت هناك، وعندما هلك هو أيضاً نقل إلى قم ودفن فيها.

ماذا تريد إيران من باكستان:

برزت إيران بعد حرب الخليج بدون شك قوة إقليمية كبرى، وأشارت إلى هذا بي نظير بوتو في محاضرة لها ببيشاور عندما قالت: (إن إيران خرجت من حرب الخليج دولة إقليمية كبرى ولها طموحات في أفغانستان) ولكن طموحاتها تتعدى أفغانستان وتحلم بدولة باطنية في المنطقة. ويبدو أن العقبة الهامة في وجه طموحاتها بعد القضاء على العراق هي باكستان، ولذلك تعمل حالياً على دفع باكستان لتوتير علاقاتها مع الهند بسبب كشمير وتظهر لها بأنها حريصة على باكستان وإعادة كشمير المسلوبة

والحقيقة غير هذا، وتحدثت مصادر أفغانية موثوقة لـ (**البيان**) أنه في الاجتماع الأخير الذي ضم نواز شريف رئيس وزراء باكستان مع زعيم الحزب الإسلامي الأفغاني السيد قلب الدين حكمتيار قال الأخير لنواز شريف بأن إيران تدفعكم للحرب مع الهند لإضعاف بلدكم وبهذا ينفسح المجال لها لتكون قوة إقليمية كبرى، وتحاول إيران حاليا جاهدة أن تفصل باكستان عن المجاهدين، وتوتر علاقاتها معهم، وذلك حتى لا يبرز تحالف أفغاني باكستاني قوي، وهذا ليس في مصلحة إيران مستقبلاً، وهذا ما يؤكد تخوف حكمتيار الأخير من موافقة باكستان على مقترحات الأمم المتحدة لحل القضية الأفغانية والمجيء بحكومة من غير المجاهدين وتتلخص السياسة الإيرانية في أفغانستان بقيام حكومة من الشيوعيين في كابل والمعتدلين (جيلاني، مجددي، محمدي) وهذه نفس السياسة الغربية وما صرحت به الإدارة الفرنسية مؤخراً، وبهذا تكون الحكومة الأفغانية ضعيفة هزيلة تتحكم بها إيران.

إن أفغانستان تعد عمقاً استراتيجيا مهما جدا لأهل السنة. وأي ضربة قادمة بغيابها عن هذا التحالف – لا سمح الله – ستكون بالعمق والقلب.

والمعروف أن المعتدلين علاقاتهم غير طيبة مع باكستان وبهذا لن تكون الحكومة القادمة في صالح باكستان، إضافة إلى هذا مسألة المسلمين في آسيا الوسطى حيث ترغب إيران في التأثير عليهم من خلال أفغانستان التي تشترك معهم بحدود طولها ١٥٠٠ كلم تقريباً، وأما إن كانت الحكومة الأفغانية المقبلة مؤيدة لباكستان فسيكون التأثير عليهم باكستانيا وأفغانيا وحينها ستنتعش التجارة الباكستانية في الجمهوريات الإسلامية المحتلة خاصة وأن سكان هذه الجمهوريات لا تستطيع شراء السلع الحديثة الغربية لارتفاع أسعارها أما البضائع الباكستانية فرخيصة نظراً

لرخصها بالأصل وقربها الجغرافي أيضاً.

حقيقة الهجوم على أمريكا:

يلاحظ المراقبون في باكستان هجوم قيادات الشيعة: كتابهم ومسؤوليهم على أمريكا ولكن هل الحقيقة كذلك أم أن وراء الأكمة ما وراءها؟ والحقيقة أنه قد كتب الكثير عن علاقات طهران مع المسؤولين الأمريكان وتوسط أمريكا في إنجاح الثورة الشيعية.

الشيعة وتطبيق الشريعة:

منذ أيام ضياء الحق وإعلانه عن تطبيق الشريعة وحتى الآن والشيعة يعرقلون ويضعون العقبات في طريق سن أي دستور لهذا الأمر، وإن كانت بعض المنظمات الإسلامية الأخرى تتحدث عن تطبيق الشريعة الإسلامية من باب النقص وعدم الجدية، فالشيعة يريدون تطبيق الفقه الجعفري على باكستان التي لا تضم سوى ٥٪ من الشيعة وحاولت الأحزاب الشيعية جاهدة عرقلة التطبيق.

وبعد: أخي المسلم هذه حقائق نضعها حول منطقة تلعب دوراً خطيراً في العالم، خاصة وأن العامل السكاني المسلم مهم جداً في هذه المنطقة والمؤلف من مجموع سكان باكستان وأفغانستان وبنغلاديش ومسلمي الهند. ونأمل أن يتم وضع استراتيجية فعالة لمواجهة هذه التحركات الباطنية الخطيرة.

بيان من
حركة الجهاد الإسلامي الأرتري

قال الله تعالى: **﴿ولا يزالون يقاتلونكم حتى يردوكم عن دينكم إن استطاعوا ومن يرتدد منكم عن دينه فيمت وهو كافر فأولئك حبطت أعمالهم في الدنيا والآخرة وأولئك أصحاب النار هم فيها خالدون﴾**

إن من دأب الصليبيين واليهود على مر التاريخ ومنذ بزوغ فجر الإسلام معاداة ومحاربة الإسلام والغدر بالمسلمين ومقاتلتهم حتى لا يتمكنوا من إعادة مجدهم الإسلامي التليد.

وتبعا لهذا النهج العدائي للإسلام والمسلمين الذي تتبعه الصليبية واليهودية المعاصرة فإن ما يحدث الآن من تطورات خطيرة في أثيوبيا وإرتريا بعد سقوط نظام منغستو وتسلم الصليبية المحلية الناشئة والمتطورة السلطة في كل من أثيوبيا (جبهة ملس زيناوي) وإرتريا (جبهة إسياس أفورقي)، بدعم ورعاية الصليبية الغربية، والكنائس العالمية، والمتمثلة في تجاهل التنظيمات السياسية الإرترية ذات التوجه الإسلامي والعربي وفي مقدمتها حركة الجهاد الإسلامي الأرتري، وحرمان هذه التنظيمات من ممارسة حقها المشروع في تقرير مصير وطنها، عن طريق فرض الإجراءات التعسفية عليها، إن هذه التطورات سوف تؤدي بلا شك إلى تفاقم الأحداث وسوف تدخل المنطقة في حرب جديدة ذات أبعاد خطيرة.

إن ما يحدث الآن في أثيوبيا وإرتريا من ترتيبات سياسية، يدخل في إطار إستراتيجية ما يسمى (بالأمن الإقليمي لحوض البحر الاحمر) لخدمة القوى الاستعمارية الغربية ومنظمات الكنائس واليهودية العالمية، في هذا الجزء من العالم. والجدير بالذكر فإن الحركة أبرمت

إتفاقيات التنسيق مع ثلاثة تنظيمات إرترية على أساس صيغة (الجبهة الإرترية المتحدة) تتركز في المجالات السياسية، والعسكرية، والإقتصادية، والعلاقات الخارجية، وذلك للتصدي ومواجهة حجم المؤامرة الصليبية الكبيرة التي تستهدف المسلمين في المنطقة، ومن المتوقع أن تقوي هذه الخطوة جبهة المعارضة الإرترية وتصديها لمخططات أسياس أفورقي الانفرادية المدعومة بالقوى الصليبية المحلية والعالمية، وتبرز دور (حركة الجهاد الإسلامي الإرتري) الرائد في مواجهة أعداء الإسلام وحشد الطاقات الإسلامية لذلك.

وإنه لما يدعو إلى الأسى والحزن أن ينفذ أعداء الإسلام والمسلمين من الصليبين واليهود مخططاتهم تلك على مرأى ومسمع الدول العربية والإسلامية. وإن مسايرة بعض من دول الجوار من الدول العربية لهذه المخططات وتلك الإستراتيجية المعادية والتعامل معها من منطلق المصالح المتبادلة ودون المراعاة لحقوق ومصالح المسلمين في المنطقة يمثل تطوراً خطيراً لا يمكن قبوله ولا يجوز السكوت عليه، لأنه يتعارض أولا مع عقيدة الإسلام في الولاء والبراء، كما يتعارض مع مبدأ احترام حقوق الإنسان في حرية التفكير والتعبير واتخاذ القرارات.

وبهذه المناسبة تتوجه (حركة الجهاد الإسلامي الإرتري) إلى المسلمين كافة وإلى الهيئات والمنظمات الإسلامية والدعات الى الله في كل مكان بالنداء لدعم الجهاد الإسلامي في إرتريا ماديا ومعنويا وإزالة المعوقات التي تقف أمامه والدفاع عن حقوق المسلمين الإرتريين في حق المشاركة لتقرير مصير وطنهم عبر التنظيمات التي تعبر عنهم من خلال الجهد المبارك والمتواصل والسعي الحميد لدى إخوة الإسلام من الدول العربية لتنهض بواجبها الإسلامي.

قال تعالى: **﴿يا أيها الذين أمنوا لا تتخذوا بطانة من دونكم لا يألونكم خبالا ودوا ما عنتم قد بدت البغضاء من أفواههم وما تخفي صدورهم أكبر قد بينا لكم الآيات إن كنتم تعقلون﴾**

تفكك الاتحاد السوفييتي

وماذا بعد الانهيار

انتهت الحرب العالمية الثانية بانقسام العالم إلى معسكرين متعارضين سياسياً واقتصادياً، المعسكر الاشتراكي الشرقي بقيادة الاتحاد السوفييتي؛ والمعسكر الرأسمالي الغربي بقيادة الولايات المتحدة. ولكن طبيعة الصراع بين هذين المعسكرين الجديدين، كانت مختلفة تماماً عن طبيعة الصراع بين المعسكرات المتناحرة في ما قبل الحرب العالمية الثانية أو الأولى، ذلك أن ظهور نوع مختلف من الأسلحة هو السلاح النووي؛ وتخوف المعسكرين ورعبهما من خطر نشوب حرب نووية، كان عاملا نفسياً قوياً أجبر الفريقين على فتح أبواب الحوار لتسوية المشاكل المستعصية. وبذلك انتقلت أشكال الصراع الرئيسي من ميادين القتال إلى معامل التجارب العلمية، ومحطات أبحاث وصناعة سفن فضاء، فكان صراعاً من نوع آخر. التكنولوجيا الحديثة سلاحه وأجهزة المخابرات جنده ومنفذه، فكانت الحرب الباردة.

في نهاية القرن التاسع عشر، ظهر على الساحة الأيديولوجية كتابا « رأس المال» «والبيان الشيوعي» اللذان كتبا من قبل كارل ماركس وإنجلز في لندن ، فكانا بمثابة أنظمة وشرائع ارتكزت على أساسها النظرية الشيوعية. قام الحزب الشيوعي ليستولي على سلطة أكبر دول العالم من حيث المساحة وثالثها من حيث السكان وذلك عقب ثورة ١٧ اكتوبر ١٩١٧ الروسية. لقد سيطر هذا الحزب

على روسيا ومن ثم الاتحاد السوفييتي وحكمها فترة ٧٤ سنة، تعاقب على رأس الحكم فيها، وعلى مدى تلك الفترة، كل من لينين وستالين ومالينكوف وخروتشوف وبريجينيف وأندروبوف وتشيرنينكو وآخرهم غورباتشوف... وخلال حكم هؤلاء كلهم، جرى ذبح ألوف من أهل الحكم الطامعين والطامحين، كما جرى ذبح خمسة ملايين في حرب أهلية، ثم ذبح حوالي عشرة ملايين في عملية تصفيات ستالينية داخلية في الثلاثينات، ثم ذبح ضعف هذا العدد في الحرب العالمية الثانية، ثم ذبح الآلاف في حرب أفغانستان، فكانت حصيلة حكم هذا الحزب لتلك البلاد، انسحاق حوالي الأربعين مليون سوفييتي في موت غير طبيعي وفي تدابير استبدادية تعسفية تحولت معها الكنائس والمساجد زرائب للخنازير، والأملاك الخاصة إلى مشاعات يتصرف بها أفراد الحزب الحاكم، ناهيك عن الحالة الاجتماعية والاقتصادية المخزية التي وصلت إليها البلاد.

ونظراً لضعف النظرية التي اتبعها وقصر نظرها، ونتيجة لهشاشة السياسة العملية التي انتهجها، بالإضافة إلى الكفر والاستعلاء والاستكبار والقتل والظلم والقهر بحق شعبه وغيره، اعترف الاتحاد السوفييتي، ومع بداية الثمانينات ، بعجزه، وذلك بعد أن ظهرت، وبشكل واضح، علامات ضعفه وفشله في الحرب الباردة مع المعسكر الرأسمالي الغربي.

لقد بدأ العد العكسي عند المعسكر الشرقي وخاصة في الاتحاد السوفيتي حيث بدات الأمور تتفاقم والحالة الاجتماعية والاقتصادية من سيء إلى أسوأ، حتى جاء غورباتشوف وفي منتصف العقد الماضي ليقدم عرضه «البيريسترويكا» أو «إعادة البناء»، والذي شكل ثورة في المواقف والأفكار والممارسات، ودعا إلى تغيير جذري في السياسة الداخلية والخارجية على السواء؛ يقول غورباتشوف في مقدمة كتابه «البيريسترويكا» :

« نحن نعرف ونأخذ في الاعتبار الدور الكبير الذي تلعبه الولايات المتحدة في العالم الحديث، ونقدر إسهام الامريكيين في الحضارة العالمية، ونحسب حساباً للمصالح المشروعة للولايات المتحدة، وندرك أنه بدون هذا البلد يستحيل إزالة

خطر الكارثة النووية، وضمان سلم وطيد. وليست لدينا أية نوايا سيئة تجاه الشعب الأمريكي. ونحن راغبون ومستعدون للتعاون في كافة المجالات. لكننا نريد أن نتعاون على أساس المساواة، والتفاهم المتبادل والمعاملة بالمثل».

لقد جاءت «البيريسترويكا» في الاتحاد السوفييتي لتنهي مرحلة حرب باردة خارجية دامت ٤٠ سنة وتفتح، في الوقت نفسه، مرحلة حرب باردة داخلية، دارت لمدة ستة أعوام بين تيارين متناحرين أفرزتها تلك «البيريسترويكا»: تيار المحافظين الماركسيين اللينينيين، وتيار الليبراليين الديموقراطيين. كان المعسكر الغربي ما يزال مستمراً في تركيز مواقعه وتشديد الخناق على المعسكر الشرقي. فلقد عملت أوروبا والولايات المتحدة واليابان بكل قوتها من أجل تجهيز المسرح العالمي لانتهاء الحرب الباردة، ليس من خلال تنازلات، وإنما من خلال زيادة الضغوط لتصفية المعسكر الشرقي بمقوماته المختلفة، وحصار الاتحاد السوفييتي ودفعه إلى داخل حدوده، وتقليص نفوذه الدولي ليصل إلى أدنى حد ممكن.

في سنة ١٩٨٤، كانت اللجنة الثلاثية –وهي لجنة غير رسمية تضم ممثلين عن الولايات المتحدة وأوروبا الغربية واليابان– قد طالبت الدول الأعضاء – وخاصة دول أوروبا الغربية – ببذل جهود من أجل تكثيف روابطها الاقتصادية والعلمية والثقافية مع دول شرقي أوروبا في محاولة لإنهاء تقسيم القارة الذي طرأ منذ عام ١٩٤٥، وذلك تحت عنوان « الديموقراطية لا بد أن تنتصر »، وشعارات حقوق الإنسان، والحرية الديموقراطية، وإصلاح النظام الاقتصادي، إضافة إلى موضوع مواجهة الإرهاب...

لقد نجحت دول التحالف الثلاثي على مدار السنوات الست، في اتخاذ خطوات أدت فعلياً إلى تقليص النفوذالسوفيتي في العالم الثالث وقلب النظام السياسي البولندي سلمياً، ثم تداعي نظم أوروبا الشرقية بسرعة لا تصدق وسقوط رؤوسها، رفاق غورباتشوف والاتحاد السوفييتي، الواحد تلو الآخر. وشهدت برلين قمة الأحدلث المثيرة في شهر نوفمبر ١٩٨٩، عندما سقط جدار برلين وتدفق المواطنون الألمان الشرقيون إلى الغرب، مما أدى فعلياً إلى إنهاء ارتباط

الاتحاد السوفييتي بدول شرق ووسط أوروبا، وأصبح السوفيات في حاجة للغرب أكثر من أي وقت مضى؛ فلقد صرح الرئيس البولندي ليخ فاليسا، وخلال زيارته إلى بريطانيا في ٩١/٤/٢٥، أنه ينبغي هل الاتحاد السوفييتي والسماح لشعوبه بتشكيل اتحاد جديد قائم على أساس الديموقراطية، وحذر في خطاب ألقاه أمام مؤتمر للسياسيين الأوروبيين الشباب من أن الغرب قد يواجه هجرة جماعية من أوروبا الشرقية إلا إذا ساعد البلدان الشيوعية على إنعاش اقتصادياتها...

لقد سقطت إذن أوروبا الشرقية في أيدي المعسكر الغربي الذي تمكن معها بدفع المعسكر الشرقي إلى داخل حدوده وتقليص نفوذه، فوقعت تائهة تنتظر العون والمدد من جاراتها الغربيات، فما كان من تلك الأخيرة، ولكي تضمن انسلاخ تلك الدول عن معسكرها السابق، إلا أن ربطت تلك المساعدات بالانتقال السريع المباشر من اقتصاد «رأسمالية الدولة» حيث يتحكم القطاع العام بكل شيء إلى « دولة الرأسمالية»...

وفي مطلع الأسبوع الثالث من شهر نيسان ١٩٩١، افتتح في لندن البنك الأوروبي للتعمير والتنمية. ولقد أعلن هذا البنك صراحة أن قروضه مشروطة سياسياً، أي ربط التمويل بأهداف سياسية صرفة، وهذا أمر غير متاح من خلال قوانين المؤسسات الدولية الأخرى مثل البنك الدولي أو صندوق النقد الدولي على الرغم من الخضوع المتزايد لهذه المؤسسات لاعتبارات سياسية. فلقد حدد هذه البنك هدفه الأساسي بمساعدة دول أوروبا الشرقية على الانتقال من الاشتراكية إلى الرأسمالية، وسيتضمن ذلك بصورة ملموسة مساعدة الدول الخارجة من النظام الشيوعي على تصفية القطاع العام وتكوين البنى التحتية لنظام الاقتصاد الحر.

في ٩١/٤/٢٤، وخلال اجتماع عقد في براغ وضم عشرين وزير عمل أوروبي، نقلت وكالة الأنباء التشيكوسلوفاكية عن وزير العمال السوفيتي فاليري بولمان توقعه أن يُجبر الوضع الاقتصادي حوالي ثمانية ملايين عامل على البحث عن

عمل في الخارج خلال السنوات الثلاث المقبلة. ولكن الرد الغربي كان صارماً وصريحاً: مزيداً من التنازلات، الانتقال السريع، وإليكم الدعم...

وهكذا، وتنفيذاً لشروط الغرب للحصول على مساعداته، وتحت شعار تكريس الديموقراطية في الاتحاد السوفييتي وتحسين أحواله الاقتصادية، قام الكرملين بقيادة غورباتشوف بالانسحاب من كل مواقعه الاستراتيجية في العالم وأهمها الشرق الأوسط، وبانسحابه، تفرد الغرب بالقرار هناك، فتم تدمير قوة الأمة والهيمنة على مقدراتها وثرواتها، وتُنَفَّذ حالياً التسوية السلمية للصراع العربي الإسرائيلي بالشروط الإسرائيلية الكاملة، وتتم تصفية القضية الفلسطينية، ولكي يبيض سجله لدى السلطات الأمريكية في مجال حقوق الإنسان، فقد سمح بهجرة يهود الاتحاد السوفياتي إلى إسرائيل وعددهم بالملايين.

هذا على الصعيد الخارجي. أما على الصعيد الداخلي للاتحاد السوفياتي، فالحرب الباردة كانت مستمرة، تهدأ تارة وتشتد تارة، مرت فيها البلاد في ظروف صعبة جداً وصلت بها أحياناً إلى حافة الهاوية، ثم تخطَّتها حتى كان الانقلاب فجر ١٩٩١/٨/١٩ . فكيف دارت أحداث تلك الحرب الداخلية الباردة؟ ما هي الأحداث التي سبقت الانقلاب؟ لماذا وقع الانقلاب وما هي أهدافه ونتائجه؟..

«يتبع»

البعد الديني في السياسة الأمريكية
تجاه
الصراع العربي - الإسرائيلي

تأليف: د. يوسف الحسن
عرض: أحمد عبد العزيز أبو عامر

حدد القرآن الكريم والسنة المطهرة العلاقة بين المسلمين وأهل الكتاب في السلم والحرب، وحذر من أعداء الإسلام وخاصة من اليهود لما جبلوا عليه من غدر ولؤم وعداء صريح للإسلام والمسلمين يقول تعالى: **﴿لتجدن أشد الناس عداوة للذين آمنوا اليهود والذين أشركوا﴾** ويشتركون مع النصارى في عدم الرضا عن المسلمين لقوله تعالى: **﴿ولن ترضى عنك اليهود ولا النصارى حتى تتبع ملتهم﴾** وهذا ما يؤكد أن العداء مع هؤلاء عداء عقيدة، لكن كثيراً من العلمانيين في عالمنا العربي اليوم يحاولون بكل جهودهم تحجيم هذا العداء وأن المسألة خلاف قومي بمزاعم موهومة يكذبها الواقع، ولذا كثيراً ما نجدهم يطنطنون بالأخوة القومية بعيداً عن الأخوة العقدية، ويفرقون بين (الصهيونية واليهودية) بدعوى أن عداءنا مع الصهاينة وليس مع اليهود وقد ألفت في هذه الدعوى كتب ورسائل ولعله يتسنى لي في فرصة قريبة بيان خطأ هذا التوجه وبيان زيف مدعيه.

والمتابع للأحداث الجارية في المنطقة ولا سيما أهمها وهي ما تسمى بأزمة

الشرق الاوسط التي هي (مشكلة العدوان الصهيوني واحتلال الأرض المباركة في فلسطين ظلماً وعدواناً) يلمس التعاطف الكبير بين اليهود والنصارى الذين لولا دعمهم لليهود لم تقم لدولتهم قائمة مع العداء الديني بين هاتين الملتين. ولقد استطاع الصهاينة بخبثهم أن يوظفوا (الكتاب المقدس) لصالحهم بشكل نتجت عنه اتجاهات صهيونية في المسيحية كما سترى في هذا الكتاب.

والكتاب الذي سنقدم عرضاً له في هذا المقال هو أحد مطبوعات (مركز دراسات الوحدة العربية) وهو مؤسسة قومية علمانية تصدر عدة سلاسل ثقافية، والكتاب يحمل رقم ١٥ في سلسلة (أطروحات الدكتوراه) ويبلغ الكتاب ٢٢٢ صفحة مع الفهارس وقد قام المؤلف بجهد في رصد وتحليل الاتجاهات الصهيونية في الحركة الأصولية المسيحية الأمريكية المعاصرة وكشف عن قوة تأثيرها في صنع وتشكيل السياسة الخارجية الأمريكية تجاه الصراع العربي الصهيوني ودورها في توفير المناخ الملائم لنزعة أمريكية عامة متحيزة لإسرائيل، كما سعى إلى كشف الغطاء عن المدى الواسع في استعمال الرموز الخطابية التوراتية في العمل السياسي الأمركي نتيجة تاثير الكنيسة في المجتمع المدني وبخاصة في ثقافته العامة بحيث صور الصراع العربي الصهيوني في الخيال العام الامريكي على أنه امتداد للصراع التوراتي بين اليهود وغيرهم، وعلى أن العلاقة الأمريكية الإسرائيلية هي علاقة خاصة قائمة على فهم توراتي تراثي مشترك. ولذا وجد في الخطاب السياسي الأمريكي اصطلاح (الالتزام الأخلاقي بدعم إسرائيل) وهو ما لم يستعمل مع دولة أخرى غير ربيبتهم تلك.

وقد قسم المؤلف الكتاب إلى خمسة فصول وخاتمة على النحو التالي:

الفصل الأول: تناول فيه جذور الصهيونية في المسيحية الأصولية الأوربية منذ القرن (١٦م) محللاً كيف اختلفت المعتقدات الدينية وتزاوجت بالأهداف السياسية والاستراتيجية، ومهدت المناخ الملائم لولادة الحركة الصهيونية السياسية

للجماعات اليهودية.

الفصل الثاني: البحث عن التأصيل التاريخي للاتجاهات الصهيونية في المسيحية الأصولية الأمريكية موضحاً أهم المنظمات الصهيونية المسيحية الأمريكية في النصف الأول من القرن العشرين ومحللاً مواقفها تجاه الصراع العربي الصهيوني واشتمل هذا الفصل على ثلاثة مباحث هي:

١- جذور الصهيونية في التاريخ الأمريكي.
٢- جذورها في الكنائس البروتستانية.
٣- الاتجاهات الصهيونية والكنيسة الكاثوليكية.

الفصل الثالث: ناقش الكاتب الحركة المسيحية الأصولية في الفترة بين عامي ١٩٦٧-١٩٦٨ وحلل أهمية دور الكنيسة في المجتمع الأمريكي وعلاقاتها بالدولة دستورياً، كما تناول العوامل التي تقف وراء نهوض الحركة المسيحية الأصولية الأمريكية وبخاصة تأثير نكبة ١٩٦٧ في إحياء فكر الحركة وتنشيط صهيونيتها وازدياد تأثيرها في السياسة الخارجية.

الفصل الرابع: البحث في مؤسسات الحركة المسيحية الأصولية ومنظماتها وتحالفاتها وجماعات الضغط فيها، كما ناقش الظاهرة الجديدة المسماة بالكنيسة المرئية، وبين أهم منظماتها وأبرز قادتها وأكثر برامجها انتشارا وتأثيراً إضافة إلى علاقاتها السياسية والإعلامية والمالية وامتدادها إلى خارج أمريكا.

الفصل الخامس: ناقش المؤلف في بحثين هامين الخلافات بين الحركة المسيحية الأصولية والحركة الصهيونية اليهودية وإسرائيل، كما تناول الآفاق المستقبلية لحركة المسيحية الصولية في المجتمع الأمريكي.

وفي الخاتمة: تناول أهم نتائج دراسته التي لخصها فيما يلي:

١- بيان الأصول والاتجاهات الصهيونية في الحركة المسيحية الأصولية في

أمريكا وهي التي تزعم بأن عودة اليهود إلى فلسطين مفتاح النبوءات المقدسة والمبشرة بعودة المسيح الثانية.

أن مقولة (أرض بلا شعب لشعب بلا أرض) هي مشروع مسيحي صهيوني قدم لمؤتمر لندن عام ١٨٤٠ وأن أول جماعة ضغط صهيونية بأمريكا أسسها رجل دين بروتستاني هو (بلاكستون) عام ١٨٨٧

٣- إن قناعات (بلفور) الدينية والمعتقدات التوراتية (للويد جورج) رئيس الوزراء البريطاني آنذاك وتأثرها بالفلسفة اليهودية وخلفياتها الفكرية الدينية وراء بلورة موقفها السياسي تجاه المشروع الصهيوني.

٤- وبتحليل الجذور التاريخية للاتجاهات الصهيونة غير اليهودية في التاريخ الأمريكي وفي الكنائس البروتستانية والكاثوليكية في أمريكا. توصلت الدراسة إلى أن هذه الاتجاهات قد شكلت عنصراً بارزاً في الحياة الثقافية والسياسة الأمريكية منذ بداية تأسيس أمريكا عن طريق (البيوريتان) الذين حملوا معهم التقاليد والقناعات التوراتية التي انتشرت في انجلترا بعد القرن ١٦م.

٥- تبين أن المؤسسات والمنظمات المسيحية الصهيونية تلقت الدعم العلني والسري من الحركة الصهيونية وبقيام دولة إسرائيل تدعمت المعتقدات المسيحية الأصولية بدعوى أن الحدث إشارة إلى النبوءات المقدسة عندهم.

٦- إن الكنيسة الأمريكية نظام شمولي في أغراضه وأنشطته وعلاقاته حيث تمزج الدين بالتعليم وبالخدمات الاجتماعية وبالطب والسياسة والفن والحرب والسلام ولا يفلت من شباكها شيء يتعلق بالإنسان.

٧- إن الصحوة المسيحية الاصولية تجسدت في تيار جماهيري له مؤسسات متعددة الأغراض والإمكانات المالية ليس من السهل مقاومته وتستطيع تعبئة عدة ملايين للانخراط في العملية السياسية الانتخابية.

٨- إن المسيحية الأصولية جسدت حركتها في مؤسسات إعلامية ومنظمات وجماعات وتحالفات متعددة خارج أمريكا، وتعاونت مع إسرائيل في تأسيس منظمة أصولية في القدس وقد أسست الكنيسة المرئية التي تستخدم برامجها الاستعراضية لجمع أموال التبرعات، ولا تكتفي بالدروس الدينية بل تهتم بكل المسائل الاجتماعية والسياسية والعسكرية والترفيهية وتهتم باكتساب القوة والنفوذ السياسيين أكثر من اهتمامها بالدين وتقدم رؤيتها السياسية لقضية الصراع العربي الصهيوني من خلال رؤيتها التوراتية.

ويختم المؤلف كتابه بما سماه (خطة عمل عربية لمواجهة صهيونية الحركة المسيحية الاصولية) ومن أهم بنود هذه الخطة:

١- اعداد دراسة جادة ومفصلة حول مواد التعليم في مدارس الأحد والمدارس الدينية المسيحية لاستكشاف العناصر الخفية والظاهرة للاتجاهات الصهيونية المؤيدة لاسرائيل. وتقديمها لقادة المسيحيين المتعاطفين مع وجهة النظر العربية وتشجيعهم بالمطالبة باصلاح برامج تعليم تلك المدارس!!

٢- دعم وتشجيع عقد مؤتمرات دينية مسيحية في أمريكا وبشكل دوري تناقش فيها مسائل العلاقات بين الدين وحقوق الانسان يهدف استكشاف استخدام الصهيونية السياسية التوراة لمصالحها ومؤتمرات أخرى في بعض البلاد العربية حيث يوجد فيها المسيحيين.

٣- تنظيم حملة اعلامية مستمرة في أمريكا مستخدمة اللغة الكنسية نفسها لتنفيذ مزاعم الصهيونية المسيحية كاطروحة شعب الله المختار ووضع مدينة القدس. على ان تبدأ في الأرياف قبل المدن.

٤- دعم وتشجيع ونشر معلومات معدة بشكل علمي وميسر حول الاسلام ومعالجة للقضايا الاجتماعية والسياسية ونظرية الاديان ودور الحضارة الاسلامية في حفظ الحضارة الانسانية.

٥- وضع أسس حوار دائم بين المسيحية. واليهودية والاسلام واستحداث اقسام داخل المنظمات والمعاهد والمراكز والمؤسسات الاسلامية في الوطن العربي مختصة بهذا الشأن وتنظيمه.

٦- دعم وتشجيع نشر مقالات واخبار حول مسائل تتعلق بحقوق الانسان الفلسطيني في الارض المحتلة واثارة اسئلة حول معتقدات المسيحيين في العهد القديم.

٧- استعملت الاصولية المسيحية المتصهينة تقنية الاقمار الصناعية للاتصال بغيرها عبر العالم لنشر دينهم عبر الكرة الارضية واي خطة لمواجهتهم لا بد أن تشمل استخدام هذه التقنية المعاصرة.

ملاحظات عاجلة على الاطروحة

أولاً / اشار المؤلف بأن اطروحته هذه هي أول الابحاث التي تناولت هذا الجانب من السياسة الأمريكية. وهذا بنظري ليس صحيحاً إذ سبق الكاتب في بحث هذا الموضوع بالعديد من الدراسات والكتب المنشورة ومنها:

١- الخلفية التوراتية للموقف الإمريكي (حيال القضية الفلسطينية)

٢- النبوة والسياسة تأليف (غريس هالسل) ترجمة الاستاذ محمد السماك. حيث تطرقت المؤلفة لعمل المؤسسات والشخصيات داخل أمريكا لصالح اسرائيل.

٣-قبل ان يهدم الأقصى كتاب للاستاذ عبد العزيز مصطفى وبيان دور الصهاينة النصارى في دعم اسرائيل.

٤-دراسة الاصولية الدينية والثقافية للقرار الغربي في الصراع على فلسطين

للأستاذ طارق متر نشرته مجلة الفكر الإسلامي البيروتية العدد ١/السنة ٩١ الصادر في جمادي الأول ١٤٠٩

ثانياً / المؤلف كتب اطروحته من منظور قومي ولم يذكر وجهة نظر الإسلام في هذا الموضوع وبالمنطلق القومي اراد استخدام النصرانية - فيما يزعم - لصالح وجهة النظر العربية.

ثالثاً / من أعجب العجب أن يستغل اليهود والنصارى الدين لمصالحهم العليا لكننا نرى (القوميين العرب) يستغلون الدين لمصالحهم القومية الضيقة ولا يهم إن كان ذلك يصح شرعاً او لا. المهم ان يخدم مصالحهم.

رابعاً / أغفل المؤلف الحلول الاسلامية الجذرية لمعالجة قضية الصراع العربي الصهيوني وأنه لا ينفع معهم إلا القوة الايمانية المنبثقة من الجهاد الإسلامي الذي يعرفون حقيقته حق المعرفة يوم حاربهم المجاهدون الاوائل في بدايات قيام دولتهم وأبلوا بلاء حسناً ولولا القرارات المحبوكة ضدهم لتغير التاريخ ولكن قدر الله لا بد أن يتم وعسى أن نعرف الحل الجذري لمشكلتنا معهم فالحرب معهم لا بد أن تكون عقائدية ولا يمكن أن نهزمهم بالعلمانية الحاكمة في البلدان العربية، والله غالب على أمره.

حـــــديث و عبـــــرة

عبد العزيز بن أحمد باطرفي

الحديث:

عن زينب الثقفية امرأة عبد الله بن مسعود رضي الله عنهما قالت قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «تصدّقن يا معشر النساء ولو من حُليكن».

قالت: فرجعتُ إلى عبد الله بن مسعود فقلتُ له: إنك رجل خفيف ذات اليد[1]، وإن رسول الله صلى الله عليه وسلم قد أمرنا بالصدقة؛ فأته فاسأله؛ فإن كان ذلك يُجزئُ عني[2] وإلا صرفتها إلى غيركم.

فقال عبد الله: لا، ائتيه أنت.

فانطلقتُ، فإذا امرأة من الأنصار باب رسول الله صلى الله عليه وسلم حاجتي حاجتها. وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم عليه المهابة، فخرج علينا

١- خفيف ذات اليد: أي قليل المال.

٢- يجزئ عني: دفعتها لكم.

بلال فقلنا له: ائت رسول الله صلى الله عليه وسلم، فأخبره أن امرأتين في الباب تسألانك:

أتجزئُ الصدقة عنهما على أزواجهما وعلى أيتام في حجورهما[1] ؟ ولا تخبره من نحن.

فدخل بلال على رسول الله صلى الله عليه وسلم، فسأله، فقال الرسول صلى الله عليه وسلم: «من هما ؟»

فقال: امرأة من الأنصار وزينب،

فقال رسول الله صى الله عليه وسلم: «أيُّ الزيانب هي؟»

قال: امرأة عبد الله.

فقال الرسول صلى الله عليه وسلم: «لهما أجران: أجْرُ القرابة وأجر الصدقة» متفق عليه واللفظ لمسلم.

دروس من الحادثة:

من هذه الحادثة التي وقع فيها بلال رضي الله عنه في موقف حرج وطريف بين الرسول صلى الله عليه وسلم وبين وصية الصحابيتين له بعدم ذكر اسميهما نخلص بفوائد ودروس منها:

* كثيراً ما تمر علينا مواقف حرجة، وعندما يحاول البعض الخروج من هذا الموقف بالتورية نراهم يقعون في الكذب سواءً علمه الناس أو كان بين الواحد منا وبين ربه. وإن كان في التورية مندوحة عن الكذب إذا احتيج إلى ذلك.

١- على أيتام في حجورهما: أي في ولايتها وتحت حمايتها.

وبلال رضي الله عنه حاول التورية لكي يُنفذ ما طلبته الصحابيتان منه بقوله «امرأة من الأنصار وزينب» والزيانب كثيرات، ولكن فطنة الرسول صلوات الله وسلامه عليه أوقعت بلال في موقف؛ فلم يجد مخرجاً منه غير الصدق لأنه يهدي إلى البر والبر يهدي إلى الجنّة ولان ليس أمامه إلا التصريح ولا مضرة في ذلك.

• أن مجال الخير ليس مقصوراً على الرجال دون النساء والباب مفتوح للجميع فهذا رسول الله صلى الله عليه وسلم يخص فيها النساء بموعظة وتذكير ويحث النساء على التصدق، والأصل في الأوامر أنها للرجال والنساء معاً. وهذا يشجع الأخوات على حضور المحاضرات والدروس التي يوجد فيها مكان لهنّ. إذا كان ذلك لا يخل بواجب ولا يعرضها لفتنة.

• تنبيه المرأة المسلمة وحثها على الإنفاق.

إن ما ينفق على الكماليات والزينة والأزياء فيها من الإسراف ماالله به عليم فلو خصصت كل أخت مبلغاً معيناً للإنفاق في سبيل الله ووجوه الخير لكان خيراً لها وأعظم أجراً.

• كم..وكم يسمع الواحد منا من مواعظ..أو كلمات..أو خطب عن طريق الدروس والمحاضرات..أو الأشرطة..أو المذياع أو غيرها مما تأمرنا بمعروف وتنهانا عن منكر..ولكن هل أحس كل واحد منا أنه هو المعني بالخطاب؟ فامتثل الأمر واجتنب النهي واتقى الله.

والصحابة رضوان الله عليهم كل واحد منهم عندما يسمع الخطاب يعتقد أنه هو المخاطب به، دون سواه.

وبهذا الأدب في الاستماع يبادر الجميع إلى العمل كما ترى في هاتين

الصحابيتين رضي الله عنهما، وهذا ما تعلمه الصحابة رضوان الله عليهم من النبي صلى الله عليه وسلم: العلم والعمل.

• إخفاء أعمال الخير عن الناس قدر الاستطاعة وهذا خلق من لا يريد الرياء والسمعة والشهرة بين الناس و إنما نقلت لنا الصحابية الخبر لكي لا تكتم علماً.. «لهما أجران: أجر القرابة وأجر الصدقة».

• كان رجال الصحابة رضي الله عنهم يعلمون ويشعرون بقوامة الرجل على المرأة، وكأن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه تحرج من سؤال النبي صلى الله عليه وسلم عن صحة إنفاق زوجته عليه وعلى أبنائه مع حاجته الماسة والشديدة إلى ذلك لأنه كان خفيف ذات اليد أي قليل المال فاستحيا أن تنفق عليه المرأة.

وما أكثر الرجال في وقتنا المعاصر الذين يتربصون بما في أيدي النساء ويرضون أن يكونوا عالة عليهن، بل ربما عضل بعضهم ابنته عن الزواج ليكسب من ورائها شيئاً من حطام الدنيا الزائل.

حب الزواج وستر حاله:

ونرى ذلك في مساعدة الزوجة زوجها وأبنائها بالصدقة وستر أمر الزوج وفقره عن الناس عندما طلب الصحابيتان رضي الله عنهما من بلال عدم ذكر اسمهما لرسول الله صلى الله عليه وسلم.

التحلي بالصبر:

ومن أنواعه الصبر على ضيق العيش فهاتان الصحابيتان صابرتان محتسبتان على شظف العيش مع أزواجهما من غير تذمر ولا سخط ولا غضب. بل إنهما تكتسبان وتنفقان وإنما تحرجتا من إنفاق الزكاة الواجبة على الزوج ومن في حجورهما من الأيتام فسألتا عن ذلك.

* حازت الصحابيتان الخير الكثير فلهما أجران: أجر القرابة وأجر الصدقة، وهو عمل واحد فيا له من خير عظيم.

* على المرأة المسلمة أن تسأل أهل العلم فيما يعرض لها من مسائل في الدين والدنيا فإنه لا حياء في الدين وإذا أمكن أن يكون ذلك بواسطة زوجها أو قريب لها كان أفضل وأبعد لها عن الفتنة وذلك ما بدأت به زينب زوج عبد الله.

ومن أسهل هذه الطرق - وبحمد الله - الهاتف فأرقام أهل العلم من المشايخ متوفرة؛ ولا يبقى إلا كسر حاجز الشيطان الذي يضعه أمام كل مؤمن ومؤمنة ليمنعه من معرفة الحكم الشرعي الصحيح.

وأخيراً فإن الإمام النووي وضع هذا الحديث في باب «بر الوالدين وصلة الأرحام».

* * *

حوادث التسمم

د. محمد صايل هليل

يقع التسمم العارض *Accidental Poisoning* بين واحد إلى اثنين من كل مئة طفل دون الخامسة. وهو يشكل أحد الأسباب الرئيسية لوفاة الأطفال في هذه الفترة من العمر. إن حوادث تسمم الأطفال تسجل أعلى معدل لها عند الأطفال في السنة الثانية من العمر، إلا أن نسبتها في الأطفال الذين تقل أعمارهم عن سنة واحدة عالية ايضاً. إن ثلث حوادث تسمم الأطفال تقع في مطبخ البيت كما بينت بعض الدراسات. وان أهم عنصر في حوادث التسمم هو تخزين المواد بشكل خاطىء.

تبدأ حوادث التسمم عند الأطفال حالما يبدأ الطفل الحبو والتحرك داخل البيت. فالأطفال الذين تقل أعمارهم عن سنتين يتناولون المواد الضارة المخزونة في أماكن قريبة من الأرض، كخزائن المطبخ السفلية مثلا، وان الأطفال بين ٣-٤ سنوات من العمر، يتناولون المواد المحفوظة في أماكن مرتفعة بعد تسلقهم والوصول إليها.

ان حركة الطفل المفرطة، وفضوله الشديد لمعرفة كل ما في البيت، إضافة إلى أن الطفل يمر بمرحلة نمو نفسي- المرحلة السلبية- يحاول فيها بناء ذاته واستقلال شخصيته، بحيث لا ينصاع للأوامر والنواهي، كل هذه الأمور تعرضه إلى التسمم أكثر من غيره. لذا فان حوادث التسمم لا تعني تقصير وإهمال الأهل بالضرورة. إن المواد السامة كثيرة وعديدة وهي أكثر من أن تحصى، وفي بعض

الدول انشئت مراكز ضبط التسمم ***Poisoning Control Centres***، ويمكننا تقسيمها في المجموعات التالية:

١- الأدوية: وتشمل كل الأدوية مهما كانت دون استثناء مطلقا.

٢- المواد البترولية: كالبنزين، الكيروسين (الكاز) وسوائل القداحات وغيرها وهي خطرة جدا لما تحدثه من تلف يصيب الرئتين وأحيانا القلب والدماغ.

٣- المبيدات: وهي مبيدات الحشرات وهي مواد شديدة السمومية، تؤثر على الجهاز العصبي.

٤- مواد التنظيف: وهي المستخدمة لتنظيف الحمامات والمراحيض والمصارف. وهي مواد كاوية حارقة تتلف القناة الهضمية تلفا شديدا إذا اخذت عن طريق الفم وتسبب مضاعفات خطيرة تلازم الطفل طيلة عمره.

٥- التبغ وأعواد الثقاب لما تسببه إثر تناولها عن طريق الفم.

٦- النباتات: سواء نباتات الزينة أو ما ينبت قريبا من البيت من النباتات البرية، أو ما يضاف للنباتات من مواد كيماوية - وهي عديدة جدا.

٧- مواد التجميل والعطور وطلاء الأظافر والآسيتون.

٨- الغازات السامة المنبعثة من المدافىء والمواقد: كمواقد الفحم والكيروسين وغيرهما.

٩- التسمم باللدغ: كلدغ العقرب والأفعى والحشرات الأخرى.

١٠- المواد الكيماوية الأخرى: مثل كرات العث (كرات النافثالين) التي توضع مع الملابس.

ويقع حادث التسمم إما بوضع المادة الضارة قريبا من متناول الطفل، وهذا هو الأغلب، أو وضعها في أوعية يختلط على الطفل بأنها مواد غذائية. فوضع الكاز في زجاجات المياه المعدنية عادة خاطئة، غالبا ما تكون السبب - وكما نراه - في تسمم الطفل العطشان الذي لا يستطيع ان يفرق بين الماء والكاز إلا بعد شربه فقط.

تصل هذه المواد إلى داخل الجسم بطرق عديدة كالفم والتنفس والجلد او

داخل الجلد كاللدغ مثلا أو غيرها. إن تاثيرها يتفاوت بحسب نوع المواد المتناولة وعددها وكمياتها والفترة المنقضية ما بين تناولها وزيارة الطبيب وعوامل أخرى لا مجال لبحثها.

اذن ما العمل لتفادى تسمم الأطفال؟

هذا سؤال حتمي أمام الحقائق، والجواب يتلخص في هذه الإرشادات كخطوط عامة:

١- بالرغم من أن البعض قد يظن أنه ليس عمليا أن نرفع كل المواد الضارة بعيداً عن متناول الأطفال: إلا أن هذا هو أهم إجراء وقائي. نعم وضع المواد السامة في مكان مرتفع ومحكم الإغلاق.

٢- لتسهيل ما سبق، ينصح بعدم تخزين كميات كبيرة جدا من المواد «الضارة» كالمنظفات والدهانات والمبيدات ومواد تلميع الآثاث وغيرها في البيت.

٣- عند الانتهاء من استعمال مادة معينة أو نفاذها يرجى عدم الاحتفاظ بعبوتها الفارغة أو تركها للأطفال يلعبون بها، بل إلقاؤها في القمامة.

٤- عند وضع مادة سامة أو ربما تكون ضارة في أوعية مواد نافعة، كالكاز – أو سائل التنظيف الأبيض – في زجاجات المياه الفارغة، يرجى وضع ملصق صغير يبين ما بداخل الزجاجة مثلا (كاز) أو (سائل تنظيف) حتى يتجنب الكبار تناولها، ورفعها في أماكن عالية بعيدا عن الأطفال، لا سيما وأن الاطفال لا يقرأون ما بداخلها.

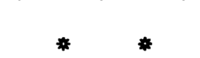
٥- عدم وضع المواد «السامة» قريبا من المواد الغذائية.

٦- تربية الطفل – عمليا – مبدأ مهم وهو أنه ليس كل ما تقع عليه اليد يصلح للأكل، وتبيان مخاطر المواد السامة للطفل إذا كان في عمر يدرك معنى الكلام.

٧- فيما يتعلق بالأدوية بالذات، نؤكد على ما يلي:

– الاحتفاظ بالأدوية بعيدا عن متناول الأطفال مهما كان الدواء.

- استعمال الأوعية التي يصعب على الطفل فتحها وعدم ترك الأدوية متناثرة.
وعادة ما تصرف الأدوية في مثل هذه العبوات التي يصعب فتحها.
- عدم استعمال أي دواء فقدت أو تلفت الكتابة التي تحدد اسمه.
- عدم وضع أدوية في زجاجات أدوية فارغة اخرى.
- عدم إعطاء الدواء إلا للمريض، وعدم إعطاء أي طفل آخر دواء أخيه دون استشارة الطبيب.
- عدم إعطاء الأدوية للأطفال في الظلام، إلا بعد التأكد من اسم وكمية الدواء واسم الطفل على الزجاجة.
- عدم خداع الطفل أن الدواء هو حلوى أو شراب بل يجب خلق الثقة بين الأبوين والطفل ويجب أن نبين للطفل بكلام بسيط أن هذا دواء يشربه ليزول مرضه، نشرح له هذا بلغة بسيطة يفهمها ما أمكن.
- الانتباه إلى أن الأطفال يقلدون الكبار في تناول الأدوية: فالطفل يرى جده يتناول بعض حبوب القلب قد يتناول بعض الحبات التي ربما تقتله.
- عدم ترك الزجاجات الفارغة أو الأدوية التي انتهت صلاحيتها بين يدي الأطفال يلعبون بها، بل يجب التخلص منها بشكل جيد.



تعقيب على مقال:

هل هناك صحافة إسلامية ؟

فقد قرأت ما كتبه الأخ عبد القادر حامد في مجلة البيان العدد ٣٧ تحت عنوان (هل هناك صحافة إسلامية؟).

وقد أثار الأستاذ عبد القادر في هذا المقال مشكلة خطيرة يجب ألا تغيب عن بال أي مسلم فضلاً عن الدعاة والمفكرين، وهي مشكلة محدودية الطرح والمعالجة لكثير من قضايا الإسلام المصيرية والبالغة الأهمية في الصحافة الإسلامية.

ولا شك أن هذا القصور في الطرح والمعالجة في الصحافة الإسلامية ليس ناتجاً عن عجز في الطرح أو جهل فيما يجب أن يطرح من قضايا وإنما هو قصور ناتج عن ترجيح مصلحة الاستمرارية في الكتابة والوصول إلى كل مسلم في كل بلد إسلامي. ولا شك أن الله لا يكلف أحداً ما لا يطيق، وما يطلبه الأخ عبد القادر ومعه كل مسلم غيور ليس في طاقة مثل هذه المجلات ولكن هل نعذر أمام الله سبحانه وتعالى بهذا أم أننا مطالبون بالعمل على إيجاد وسائل أخرى يمكن أن نطرح مثل هذه القضايا فيها بحيث تصل إلى كل مسلم.

لا شك أننا مطالبون بذلك كما لا أشك أن المسلمين هم أولوا الألباب والعقول التي لن يعجزها – بحول الله وقوته – أن تجد مثل هذه الوسائل وإن مما يدور في خلد كثير ممن يحملون هم الدعوة إلى الله أن توجد إذاعة إسلامية تقوم بهذا الدور بحيث لا تمر مثل تلك القضايا على مقص الرقيب أو منفذ الحدود في طريقها إلى كل مسلم ولا شك أن هذه الفكرة و أمثالها صعبة التحقيق لوجود

كثير من العوائق التي من أهمها القاعدة الصالحة للانطلاق منها والتمويل..الخ.

ولكنها على أية حال ليست مستحيلة إذا ما وجدت رجالاً صادقين يقدرون الدور الذي يمكن أن تقوم به ويبيعون أنفسهم لله، وإني في هذه المناسبة أدعو الإخوة الفضلاء في المنتدى الإسلامي إلى تبني مناقشة هذه الفكرة ومدى تطبيقها خاصة وأن من أهم ما يجب أن يراعى في ذلك أن تكون في أيدٍ تحمل عقائد صحيحة حتى لا تكون طامّة على المسلمين.

عبد الله بن حمد السكاكر

البيان : لقد وضع الأخ الكريم إصبعه على لب المشكلة ونحن نشاركه ذلك، ولكن كيف يتجاوزها المنتدى أو غيره؟ وهل يستطيعون؟!

تعقيبات

على ما جاء في العدد ٣٨

ورد في ص ٨٣ في نهاية المقال لفظ (تقنين شرع الله) والصواب القول: تطبيق شرع الله، أما التقنين فلا، ولعلها زلة قلم.

وفي ص ٨٥ حديث عائشة في خيل سليمان وهو حديث صحيح كما في آداب الزفاف للألباني ص ١٧٠ (الطبعة السابعة المكتب الإسلامي) والمشكاة (٢/ ٩٧٤) وصحيح أبو داود (٩٣٢/٣).

وأما حديث «نعم الجمل جملكما..» فضعفه الهيثمي في مجمع الزوائد (٩/ ١٨٢) لكن ذكر رواية للطبراني في الأوسط وحسن إسنادها وهي:

عن البراء بن عازب قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يصلي فجاء الحسن والحسين أو أحدهما فركب على ظهره فكان إذا رفع رأسه قال بيده فأمسكه أو أمسكهما قال: نعم المطية مطيتكما» وانظر روايات غير هذه في المجمع. وعند الترمذي وضعفه وهو كما قال عن ابن عباس رضي الله عنه قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم حامل الحسن بن علي على عاتقه فقال رجل نعم المركب ركبت ياغلام فقال النبي صلى الله عليه وسلم: ونعم الراكب هو» جامع الأصول (٣٧/٩) والمشكاة (١٧٣٩/٣). ورواه الطبراني بقصة لكنها ضعيفة (مجمع الزوائد ١٨٢/٩).

وقصة النبي صلى الله عليه وسلم عندما أطال السجود لوجود الحسن أو الحسين على ظهره مشهورة صحيحة كما رواها النسائي (١٤٦/١ صحيح النسائي) وانظر صفة الصلاة للألباني (ص ١٤٨ ط مكتبة المعارف).

وحديث «كفوا صبيانكم ..» أصله في الصحيحين بلفظ «إذا كان جنح الليل أو أمسيتم فكفوا صبيانكم فإن الشيطان ينتشر حينئذ فإذا ذهب ساعة من الليل فخلوهم، واغلقوا..» وفي رواية البخاري: «..واكفتوا صبيانكم عند المساء فإن للجن انتشار أو خطفة..»

وفي ص ٥٨ حديث «لأن يمشي أحدكم مع أخيه..» أورده الألباني في الصحيحة (٩٠٦) لكن الصواب أنه ضعيف انظر النافلة في الأحاديث الضعيفة والباطلة تأليف الجويني (١٨٠/٢) والرواية التي عندهم بلفظ (شهر) وفي المجلة بلفظ شهرين.

وفي ص ٥٩ حديث «الخلق كلهم عيال الله..» ضعيف انظر السلسلة الضعيفة (٣٧٤/٤) والنافلة للجويني (٥٣/٢) لكن ثبت لفظ «خير الناس أنفعهم للناس» كما في السلسة الصحيحة (٤٢٦) (٧١٢/١).

الدولة العثمانية في محكمة التاريخ

عابد حميان

من المفارقات العجيبة حقا في عالمنا العربي الإسلامي اليوم من يوجه أصبع الاتهام إلى الدولة العثمانية وسلاطينها، لما لحق بالعالم العربي والإسلامي من رزايا وتسلط وانحطاط، ولعل من أخطر هذه الاتهامات وأشنعها على التاريخ فضلا عن الإسلام أن هذه الدولة لم تكن في يوم من الإيام تمثل الخلافة الإسلامية بشكل أو بآخر، إضافة إلى ذلك أنها جهاز استعماري استبدادي، وأن سلاطين آل عثمان ظلمة مستبدون كانوا يلقون خصومهم بالعشرات وإن شئت بالآلاف في البوسفور، كما كانت لها قوة ضخمة تشتغل بالتجسس وتصادر الحريات العامة في جميع الأقاليم التي كانت خاضعة لصولجانه.

والحقيقة أن هذه الافتراءات فات أوانها وأصبح بطلانها من نافلة القول، وإن كانت من النظريات الدخيلة التي يحاول الغزو الفكري والتبشير إذاعتها في الأوساط العلمية، ولكن لا بأس أن نوضح ثم نصحح تلك المفاهيم متوخين في ذلك القدر الكافي في استنطاق أحداث التاريخ.

ومن الآراء التي تفند هذه المزاعم مقال طويل كتبه عبد الله النديم في مجلة «**الأستاذ**» عام ١٨٩٣ هـ جاء فيه: «لو كانت الدولة العثمانية مسيحية الدين لبقيت بقاء الدهر بين تلك الدول الكبرى، ولكن مغايرة الدين وسعي أوربا الحثيث في تلاشي الدين الإسلامي أوجب هذا التحامل». أما محمد عبده الذي قال أثناء إقامته في بيروت عام ١٨٨٩: «ان الدولة العثمانية وحدها المحافظة على سلطان الدين الكافلة لبقاء حوزته وليس للدين سلطان في سواها»

أما مسألة ما يقال عن الدولة بأنها كانت تمارس الاستعمار فإنها فكرة مردودة

بحكم التاريخ ذلك أنّ الدولة العثمانية عملت على توحيد الشعوب الإسلامية تحت سلطة واحدة محاولة الالتقاء والتكامل بين عناصر الأمة الواحدة من عرب وترك على إثر ضعف المماليك وتعرض بلاد الشام للغزو الصليبي في القرن السادس عشر ويؤكد العديد من المؤرخين والباحثين المنصفين أن هذه الدولة قد حمت أكثر من خمسة قرون ظهر العالم الإسلامي من الغزو الصليبي الاستعماري فما إن سقط أسطولها البحري عام ١٨٣٧ حتى دخلت فرنسا الجزائر بحملة عسكرية بعد ثلاثة سنوات (١٨٣٠م) ثم تونس (١٨٨١) ثم انعقاد مؤتمر برلين الاستعماري عام ١٨٧٨ الذي يرمي إلى تقسيم ممتلكات الدولة التي كانت تُعرف «برجل أوربا المريض» حسب زعم تلك الدول.

ويعتبر تاريخ القرن السادس عشر والسابع عشر بداية التآكل على المستويين الداخلي والخارجي بعد مدٍ وجزرٍ...وتقدم وتأخر...وإشراق ونكوص...انتصار وخيبة...فتح واستردادٍ.. وقد حكمها خلال القرون المتعاقبة العديد من السلاطين، منهم من امتاز بعظمته كالسلطان مراد الرابع الذي حكم للفترة ١٦٣٣–١٦٤٠م والذي استطاع أن يُخلص بغداد قبل موته بسنة واحدة من سيطرة الفرس الصفويين الثانية على العراق وذلك سنة ١٦٣٨م. فاقترن اسمه بعد ذلك بـ (فاتح بغداد). ومن السلاطين الآخرين من امتاز بقلة تجربته، وضعف شكيمته كالسلطان مصطفى الأول الذي حكم للفترة (١٦٢٢–١٦٢٣) فقد تدخل الجيش في شؤون الدولة. كما يحتفظ التاريخ للشعب التركي المسلم بمزايا عديدة منها أنه شعب مناهض متحمس طموح فيه روح الجهاد وكان سليماً بحكم نشأته وقرب عهده بالفطرة والبساطة في الحياة.

لقد لعبت الطائفة اليهودية المعروفة بـ (يهود الدونمة) دوراً خطيراً في تأليب الوضع السياسي داخل الدولة بحيث كانت صاحبة اليد الطولى في إنشاء حزب الاتحاد والترقي المتشبع بالعصبية الطورانية المعادية للعروبة والإسلام حتى يومنا هذا.

شجاعة....

عبد الله العنزي

طلب مقابلتي على وجه السرعة على أن يكون اللقاء انفرادياً،

قلت: عسى أن يكون الأمر خيراً، قال أمر هام وسأخبرك عند لقائنا.

حضر قبل الموعد المضروب وبعد مجاملات الاستقبال قال بصراحة أريد منك أن تخبرني بعيوبي فإني أثق فيك وفي تقويمك، تملكتني الدهشة لعلمي بمدى الحواجز بيني وبينه ولعلمي بطبيعته الشخصية التي تأبى النقد وكشف عيوبها، ولهذا كانت نبرة صوته المتقطعة توحي بمدى المعاناة في قهر كبرياء النفس، وبعد أن أفقت من لحظة المفاجأة خطر في بالي أن أجامله وأقول له بأني لا أرى فيه عيباً واحداً يستحق الذكر، ولكن الله عصمني من هذه الزلة -وهي كتمان النصح للمسلم- فبدأت أذكر له عيوبه عيباً عيباً مستدلاً لكل عيب بموقف يبرهن على وجوده فيه، شكرني بحرارة ثم انصرف واعداً بتلافي تلك العيوب.

كم نحن بحاجة إلى مثل هذا الأخ الذي يطلب النصح ممن يراه قادراً عليه،

كم نحن بحاجة إلى قهر كبر النفس وعجرفتها في هذا الأمر،

كم نحن بحاجة إلى أن نكون مثل هذا الشخص.

إن مما يحز في النفس أن يمضي الإخوة في الله سنين دون أن يبدي واحد منهم لأخيه عيوبه مع كونه عالماً بها ، إن هذا الموقف حتم علي الكتابة لكم حتى يُقتدى بهذا الأخ والله من وراء القصد.

زوجة الداعية

عبد الله الشرايده

إنّ محاسبة النفس مراراً وتكراراً تساعد على الرُقي بمستوى الداعية وبالتالي دعوته، ومن محاسبة النفس ان يسأل الداعية نفسه:

ما هو دوري تجاه زوجتي؟

هل قمت بنصحها وإرشادها؟

قد يظن ظانّ أنّ دور الداعية ينتهي متذ أن يعثر على تلك الشابة الملتزمة بدين الإسلام، والتي ارتضاها شريكة حياته دون سائر الفتيات. ولكن هذا هو جزء من الدور، والدور الحقيقي هو متابعة النصح والإرشاد بعد الزواج، بالاسلوب المناسب وبالقدوة الصالحة.

ومتابعة النصح والإرشاد لا تعني المطالبة بان تكون الزوجة كاملة ولكننا بحاجة، في هذه الفترة بالذات (فترة بداية الدعوة)، إلى ان تكون زوجة الداعية قدوة بمعنى الكلمة وإلا فإنّ اول أثر سيء لها سيكون على زوجها حيث ستعيقه عن الاستمرار في حمل دعوته.

ثم إنّ الداعية الذي يُخلّ بتربية زوجته، أو يتساهل في تعليمها المبادىء الاساسية في حياة الدعاة إلى الله ستخذله هذه الزوجة في وسط الطريق وهو في أمس الحاجة إليها، وسيضطر إلى أن يلتفت إليها ويعاود نصحها وإرشادها بعد أن خسر الكثير. كما أنَّ نقص المفاهيم الأساسية عندها قد يتسرب إلى زوجات الدعاة الآخرين، وبذلك يكون الداعية قد أضرّ بدعوته من حيث لا يدري، كما

أنه من الواضح أنّ الداعية الذي يصلح نفسه وزوجته، سيشجع الآخرين ولا شك على إصلاح زوجاتهم، لذا فإنّ مسؤولية تربية الزوجة مسؤولية عظيمة.

إنّ بعض الدعاة يظن أن الرحمة والرأفة يتعارضان مع النصح والإرشاد وهذا بلا شك فهم خاطىء، لأن الرأفة والرحمة هما من أساليب التربية وليستا مانعين لها أو متعارضين معها. بل أنّ بعض الدعاة يظن أنّ تربية الزوجة على الأخلاق الاجتماعية الفاضلة مثل صلة الأرحام وبر الوالدين والإحسان إلى الناس والقيام بحقهم وإيثارهم وتحمّل أذاهم و.... قد يعدّ ذلك تدخلا في شؤون النساء الداخلية، وهذا ايضاً فهم خاطىء لأن ذلك من تمام القوامة التي أمر الله بها والله أعلم، ولأن الزوجة التي تخل بالأخلاق الفاضلة ستكون عائقاً في وجه اقتداء الناس بها وبزوجها.

إن المفاهيم التي يجب أن تعيها زوجة الداعية كثيرة. نذكر منها ما يلي باختصار:

أولاً: اقتضاء العلم العمل. وهذا مطلب للجميع وإن تطبيقه في الواقع مما يشجع الداعية وزوجته ويشيع روح التفاؤل في الأسرة.

ثانياً: «من حسن إسلام المرء تركه ما لا يعنيه» وهو حديث شريف إن عمل به الداعية وزوجته عصمها الله من كثير من الذنوب والمعاصي كالغيبة والنميمة والحسد وما سوى ذلك

ثالثاً: «لا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه» وهذا أيضاً حديث شريف يعين على مكارم الأخلاق كالايثار ومحبة الخير للناس والفرح لفرحهم والحزن لحزنهم... إلى غير ذلك من الخصال الاجتماعية الطيبة.

بريد القراء

وردتنا رسالة من مدير مكتبة التراث الإسلامي في مصر يعترض فيها على ما ورد في البيان عدد (٤٠) في نقد الأستاذ محمد عبد الله آل شاكر لصنيعهم ببعض الكتب، فعرضنا الرسالة على الكاتب وتفضل بالرد التالي:

... اطلعت على ما في الرسالة التي جاءت إقراراً آخر على ما قلناه، فهو قد دافع عن عمله في كتاب « السحر والكهانة » وقال: إنه مجمع من كذا... والمأخذ كان على عملية التجميع هذه. وإن كان قد كتب في مقدمة الكتاب ما يوضح من أين أخذه، فإنه – في كتب أخرى – لم يشر إطلاقاً إلى ذلك. ومثاله الكتاب الذي يلي هذا مما أشرت إليه في المقال، وهو ما أصدره عن « أشراط الساعة » وقد أخذه من: « لوامع الأنوار البهية » للسفاريني، دون أية إشارة، وينبغي التصريح بذلك على الغلاف، ولا تكفي إشارة عابرة على استحياء داخل الكتاب. وقد أشرت في مقالي إلى النوعين من العمل، ولكن الأخ الناشر لم يقرأ ما كتبته جيداً. أما مقدمة الدكتور محمد جميل غازي (رحمه الله) فهي رأي تشجيعي للأستاذ حجاج، ولا تعني بحال تسويغاً لهذا العمل على هذا النطاق الواسع في تفتيت الكتب حتى يصبح الكتاب الواحد كتباً عدة، دعك من إضافة فصول من كتاب لمؤلف إلى كتاب لمؤلف آخر – مما ذكره الأستاذ حجاج نفسه – فأصبح الكاتب مهجّناً.. أليس هذا هو العبث بعينه، وقد أقر الأستاذ بنفسه؟! وعلى كل حال؛ إن إريد إلا الاصلاح ما استطعت.

من الأخ **عبد الله حجراف** - أبها - وصلت هذه الكلمة القصيرة:

«هناك نماذج من الشباب المسلم المتحمس الذي خالط هذا الدين بشاشة قلوبهم، ولكن ينقصهم فقه الدعوة. إن بعض الشباب لا يهمه كيف يطرح الحكم على الناس، إنما همه أن يقول: هذا حرام وهذا حلال وكان الأولى أن يبين للنّاس حكمة هذا التحليل أو التحريم (إن أمكن) وربط هذا بالواقع.

الأخ عبد الله الشريم - عنيزة -

وصلت مشاركتك التي أرسلتها حول (المسؤولية) وجزاك الله خيراً، وزادك حرصاً على الاهتمام بأمور المسلمين. ولأهمية الموضوع فهو بحاجة إلى تفصيل ومعرفة واقعنا الآن، ولا تكفي فيه هذه الصفحات، ونرجو أن نلقاك على صفحات البيان في مشاركة أخرى.

من الأخ **محمد مصطفى** - مصر - جاءتنا هذه الكلمات:

«ترددت كثيراً في الكتابة إليكم منذ العدد ٣٦ ثم عزمت على ذلك لأن المسلم الذي يرى إخوانه من شتى بقاع الأرض يؤيدونه ويناصرونه ويباركون خطواته ولو بالكلمة الطيبة فهذا بلا شك يزيد من نشاطه ويقوي من عزيمته.

فلتواصلوا سيركم ولتحرصوا في كل كلمة وسطر على الإخلاص لله والمتابعة لرسوله صلى الله عليه وسلم وعليكم باللجوء إلى الله عز وجل في السراء والضراء، والاعتصام به فإنه خير معين..»

من الأخ **أبو هشام خراز** جاءتنا هذه الخاطرة:

فقد اطلعت على العدد ٤٠ من مجلة البيان وقد كان في بالي خاطرة رأيت من المناسب طرحها وعدم تأخيرها. «خاطرة للعزّاب»

لقد كان الحوار مع الأخت خولة درويش حفظها الله جيداً ومفيداً والحمد لله. وهو يوضح ما ينبغي أن تكون عليه المرأة المسلمة. إلا أن بعض الشباب المستقيمين يريد عندما يختار زوجته أن تنطبق فيها الصفات المذكورة في الحوار. وهذا غير صحيح فلماذا لا نريد أن نبذل جهداً في توجيه الزوجات وتعليمهن، وأين تجد مثل تلك المرأة خاصة في مثل هذا العصر. نعم إن وجدت فبها ونعمت. والحمد لله على توفيقه، وإن لم توجد وهو الأغلب فحسبنا ما قاله صلى الله عليه وسلم «إذا صلت المرأة خمسها وحصّنت فرجها وأطاعت بعلها دخلت من أي أبواب الجنة شاءت» حديث حسن صحيح (آداب الزفاف للألباني الحديث الأخير).

الأخ **أبو أسامة** – الرياض

أرسل لنا قصة واقعية عن توبة شاب ونعتذر عن نشرها لأسباب فنية، أدبية، ولا مانع من تكرار المحاولة مع الإكثار من القراءة.

نشكر الأخ أبو أسامة على المشاركة.

الأخت «مسلمة» من الرياض

أرسلت لنا رسالة مطولة نقتطف منها ما يلي:

«.... البيان، أريدها أن تشفي صدري وشفاء الصدر في هذه الأيام لا بد أن

يكون قوياً جريئاً، يغضب الأعداء. وأرجو أن لا يخلو عدد من أعداد البيان من (حديث، خبر، تعليق) عن الجهاد في الأقصى، أفغانستان، كشمير، ارتريا...

من أين لي أن أقف على حقيقة الحياة من حولي بمنظار المسلم الوآعي ما لم تقم البيان وأمثالها بذلك.

ثم ملاحظات عابرة:

١- أرشيف البيان: هل أرشيف كلمة عربية فصيحة؟

٢- قصة (السعادة الوهمية) نحب أن يكون مستواها الأدبي أرفع من ذلك.

البيان: نشكر الأخت مسلمة على عواطفها الصادقة وملاحظاتها القيمة وكلمة أرشيف ليست عربية بل هي من أصل يوناني ودخلت اللغات الأوربية، وبعض البلاد العربية يستخدمون بدلاً عنها السجلات، الأضابير، المحفوظات.

من الأخ **سامي سعيد** -جدة- وصلتنا هذه الرسالة :

إشارة لما ورد في مجلتنا العزيزة العدد الثاني والأربعون لشهر صفر من عام ١٤١٢ هـ من الأخت التي رمزت لنفسها «بمسلمة» وتعترض فيها على تسمية ركن الأسرة على انه يهدف إلى حصر المرأة المسلمة فيه وحده دون غيره من أبواب المجلة وكان ردكم بأنكم لم تروا بأساً في العنوان وقد كنت أحبذ لو أنكم أوضحتم للأخت الفاضلة بأن هذا الباب قد يعرض فيه أشياء خاصة بالنساء وموجه لها بالدرجة الأولى قبل غيرها مع أن بقية أبواب المجلة عامة لكل مسلم ومسلمة، فهي ابراز شيء كاد أن يختفي وليس حصره مع ما في هذه المجلة من توجيه سليم لأمهاتنا واخواتنا العزيزات..

الأخ **بندر المسعود** – الزلفي –

أرسل رسالة يستحث المسلمين في لندن للرد على دعاة التنصير الذين يدعون لنحلتهم في حديقة (الهايد بارك) وربما أثروا على ضعاف الإيمان من المسلمين.

الأخ المهندس **جعفر أحمد الفوال**

وصل للبيان البحث الذي أرسلتموه وجزاكم الله خيراً.

غربــــة

شعر عبد الله الخميس

يستوي الليل عنده والصباح	ومن العيش بالممات يراح
يعتريه الأسى ويكسوه حزن	ويُرى منه صبره والكفاح
ملء عينيه سؤله كيف صارت	من هدي الله أمة تستباح؟
غارة لوعة وظلم كبير	ولهيبٌ وخسَّة واجتياح
صرخة دمعة وذل عظيم	ودماء وحسرة وجراح
داعي الخير ناله الظلم مِّمن	قلبه للفساد والظلم ساح
صوتهم في الخفا وإن جُنَّ ليلٌ	يملأ الكون في الظلام النِّباح
أيها الطامعون -لا- لن تنالوا	مطمعاً فارجعوا إلى من أباحوا
ارجعوا أيها الطغاة وإلا	سينال الرقاب منكم سلاح
سوف يبقى الدعاة كي يطردوكم	مثلما يطرد الظلامَ الصَّباحُ
ويعود الربيع من بعد غيثٍ	وتولي أدبارهنَّ الرياح

من أنشطة

المنتدى الإسلامي

في فترة الصيف لعام ١٤١٢هـ/١٩٩١م

- الملتقى الثقافي التاسع – مانشستر.
- دورة العلوم الشرعية الرابعة – لندن.
- الملتقى الثقافي العاشر – لندن.
- جولات للمحاضرين – عدد من المدن البريطانية.

(١) الملتقى الثقافي التاسع:

ضمن البرنامج الثقافي لهذا العام، نظم المنتدى الإسلامي يوم السبت السابع من صفر ١٤١٢، الموافق السابع عشر من اغسطس **١٩٩١** الملتقى الثقافي التاسع (الثالث لهذا العام)، وذلك في مدينة مانشستر في وسط بريطانيا. **ويأتي عقد هذا الملتقى خارج مدينة لندن حرصاً من المنتدى على بث نشاطاته في أماكن رئيسية متعددة من بريطانيا لتعم الفائدة، ويتيسر الأمر لعدد أكبر من المسلمين للاستفادة منها.**

وقد تضمن الملتقى التاسع محاضرتين وندوة. المحاضرة الأولى عن مقومات الألفة بين المسلمين كما يصورها القرآن الكريم، والثانية بعنوان: «**أسس لا بد** منها في فهم القضية الفلسطينية».

أما الندوة فتناولت تطبيقات النظام العالمي الجديد، وأحداث الجزائر، وأحداث الصومال والقرن الأفريقي. وقد عرض في الملتقى شريط فيديو عن أحداث الجزائر وأحداث الصومال.

وبحمد الله كان الحضور جيداً، إذ توافد الكثير من الإخوة من أرجاء مختلفة من بريطانيا. وكانت المحاضرات قيمة ومفيدة.

(٢) الدورة الرابعة للعلوم الشرعية:

أقام المنتدى الإسلامي دورته الرابعة للعلوم الشرعية في الفترة بين ٢٣ صفر – ٤ ربيع اول لهذا العام استمراراً للخطوة الإيجابية التي بدأها المنـتدى الإسلامي – بحمد الله – منذ سنوات في إقامة الدورات الشرعية لتأصيل ونشر منهج أهل السنة والجماعة في أوساط الدعاة وأئمة المساجد وطلبة العلم، وتزويدهم بالعلوم النافعة.

ولقد اشتملت هذه الدورة على أكثر من ثلاثين درساً في القرآن والحديث والعقيدة والسيرة والفقه وأصوله والدعوة والتاريخ واللغة والأدب. ومن أبرزها:

- لا إله إلا الله شروطها ونواقضها.
- مفهوم الإيمان عند أهل السنة والجماعة وضوابط التكفير.
- مآخذ أهل البدع في الإستدلال.
- العقل والنقل.
- مناهج التفسير.
- دروس في مصطلح الحديث.
- الأحاديث الضعيفة والموضوعة.
- فقه التعامل مع الكفار.
- أسباب اختلاف الفقهاء وموقفنا منه.
- تنبيهات هامة في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.
- من تاريخ المسلمين المعاصر.
- قضية فلسطين.
- تحكيم الشريعة المبدأ والدعاوى

(٣) جولات المحاضرين داخل بريطانيا

تعميماً للفائدة من زيارة المحاضرين لبريطانيا، فقد نظم المنتدى لهم جولات لإلقاء المحاضرات في مناطق متعددة من بريطانيا وذلك بالتعاون مع بعض المساجد والمراكز والجمعيات الإسلامية الأخرى. وقد شملت الجولات جلاسجو، مانشستر، شيفيلد، ليدز، هَلْ، برادفورد وكاردف، بالإضافة إلى زيارة بعض المساجد الأخرى في مدينة لندن.

ومن أبرز المحاضرات التي قدمت في هذه الجولات:

١- ترشيد التعددية في العمل الإسلامي المعاصر.

٢- أصول التفقه في دين الله.

٣- اليهود في القرآن.

٤- مقدمة في فقه الخلاف بين العاملين للإسلام.

(٤) الملتقى الثقافي العاشر:

وختاماً لنشاطات المنتدى لهذا الصيف، فقد عقد الملتقى الثقافي العاشر عقب الدورة الشرعية، وقَدِم لها الكثير من الشباب المسلم من شتى انحاء بريطانيا، ومن بين فقراته:

- ندوة عن مقومات شخصية الداعية.
- الثوابت والمتغيرات في مسيرة العمل الإسلامي.

وقد ختم الملتقى بلقاء مفتوح بين المشاركين والمحاضرين أجيب فيه عن مختلف الأسئلة التي تدور في أذهان الشباب.

والمنتدى الإسلامي يعلن عن توفر تسجيلات (كاسيت) لجميع هذه المحاضرات في مكتبته، ويأمل أن نتمكن من عرضها لعموم الراغبين في وقت قريب سائلين الله أن ينفع بها الجميع.

والمنتدى الإسلامي يشكر الإخوة الأفاضل الذين استجابوا للمشاركة، كما يشكر جميع من ساهم في إنجاح الملتقى، والله لا يضيع أجر من أحسن عملاً.

كذب وكذب!

عبد القادر حامد

هل كان الغرب ينتظر هذه النتيجة: انهيار وانهزام الشيوعية كنظام؛ ومصير الاتحاد السوفييتي إلى بوابة المجهول؟ هذا ما هو مشكوك فيه. ولم يكن أكثر المحللين والمؤرخين دقةً يصل إلى توقع ما وصلت إليه الأمور هناك، ولعل في هذه النهاية عبرة لمن يريد أن يبني نظاماً على فلسفة الكذب.

إن العقيدة الشيوعية اتخذت من الكذب أساساً تقيم عليه تصورات، ووسيلة تثبت بها أركانها في حياة الناس. ولا شك أن ما بني على الباطل فهو باطل، وهو - وإن غرّ كثيراً من الناس بمظهره وتزويقاته وألاعيبه - سيصل إلى نقطة يتعذر عندها الاستمرار، وسيقف ثم يسقط. وهذا بالضبط ما حصل في دول أوربا الشرقية وفي الاتحاد السوفييتي. فآلة الدعاية استنفدت أغراضها، فماذا ينفع الشعب القول له: إنه عظيم، وإنه جبار، وإنه دولة قوة عظمى، وإن جيشه يعد كذا وكذا ومسلح بكيت وكيت من أسلحة الدمار النووية ومن الصواريخ العابرة للقارات... وهو شعب جائع، عارٍ ، مقهور محروم من أشياء يراها عند غيره من الشعوب، قربتها إليه وسائل الاتصال، يراها كالأحلام، وتصل حقائقها إليه عبر الحقائب السوداء، والأسواق السوداء، فلا يستطيع عنها صبراً، وكيف يصبر؛ وقد استمرت «الاشتراكية» تلح عليه ليتخلى عن عقيدة الصبر التي غرسها في وجدانه «الإقطاعيون والبورجوازيون ورجال الدين!»، ثم بعد ذلك تكتشف هذه الجماهير المضللة أن الذين يتقلبون في ثمار البورجوازية والإقطاع هم « مبشرو الشيوعية » أنفسهم: فهم تجار السوق السوداء، وتجار الحقائب: دبلوماسية وغيرها، وهم

الذين يتشدقون بألفاظ واصطلاحات مثل: «الطهر الثوري» و«المناقبية» بينما هم يعيشون أضدادها، ويتضمخون بنجاساتها.

قد يمكن لأنظمة صغيرة العيش في ظل سياسة الكذب، ولكن القوى الكبرى لا تستطيع ذلك، وذلك لأن الأنظمة الصغيرة -عادة- ما تنبري قوى أكبر منها تسندها، لأن في إسنادها ضمانة لمصالح هذه القوى أو بعضها، ولهذا فإن كيانها لا يقوم على الكذب الخالص؛ بل على مصالح حقيقية، سواءً أكانت هذه المصالح ظاهرة مكشوفة، أو مستترة. ولكن من ذا الذي يستطيع أن يسند نظرية كذبها العقل قبل أن توجد، وكذبها الواقع بعد أن أوجدت؟! من ذا الذي ينفخ الحياة في جسم ميت؟!

وكذلك فإن الكذب على بضعة ملايين أسهل منه على عشرات الملايين، والكذب المنوّع أرجى للقبول من الكذب ذيَ اللون الواحد. فلو نظرنا إلى الأهداف التي من أجلها يكذب ويتكاذب[1] الناس خلال سبعين سنة (وهي عمر الشيوعية العقيم) في مجالين: العالم العربي، والبلاد التي شاعت فيها هذه العقيدة؛ لهالنا تنوع الأهداف في المجال الأول؛ وتفردها وجمودها في المجال الثاني. فمثلاً في المجال الأول نجد غنى وتنوعاً في هذه الأهداف: التحرر وطرد الاستعمار، الدخول في العصر الحديث، رفع راية الإسلام، رفع راية القومية العربية، الوحدة العربية، تحرير فلسطين، بناء المستقبل، تحرير الأرض، إزالة آثار العدوان، الصمود والتصدي، التوازن الاستراتيجي، السلام القائم على العدل، السلام، الوفاق، ...الخ... أما في المجال الثاني: فهو هدف واحد يبدأ من البروليتاريا وإليها يعود، ويدور حول البيان الشيوعي وأسطورة وحدة عمال العالم ووحدة العمال والفلاحين.

ما أغنانا بالأهداف والأساليب!

وما أفقر الشيوعية والشيوعيين.

ولا عجب! فأرضنا مهد الحضارات، ونحن أساتذة العالم! أليس كذلك؟!

---

(١) التكاذب: أن يكذب كل واحد على الآخر، أو كل جهة على الأخرى، وهما يعلمان أن كلاً منهما كاذب ومكذوب عليه.

البيان

العدد الخامس والأربعون

جمادي الأولى ١٤١٢ هـ

١١ / ١٩٩١ م

مجلة إسلامية شهرية جامعة

تصدر عن

المنتدى الإسلامي

لنــدن

رئيــس التحــرير

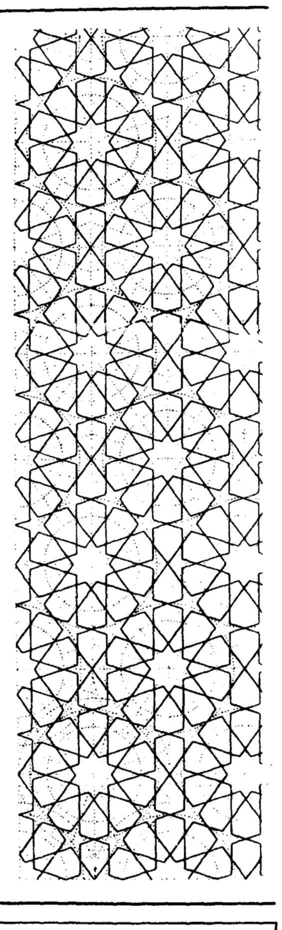
محمد العبــدة

العنــوان

AL BAYAN MAGAZINE

7 Bridges Place, Parsons Green
London SW6 4HR U.K

Tel : 071 - 731 8145
Fax : 071 - 736 4255



بسم الله الرحمن الرحيم

المحتويات

● الافتتاحية ٤

● حوار مع الشيخ علي بن سعيد الغامدي ١١

● بيان من بعض علماء الأزهر.................................. ١٦

● خواطر في الدعوة ٢٨

محمد العبدة

● وقفات مع التحقيق والمحققين (٢)............................ ٣٠

محمد عبد الله آل شاكر

● علماء الاجتماع والعداء للدين (٥) ٣٧

د. أحمد ابراهيم خضر

● لماذا نرفض العلمانية؟...................................... ٤٥

محمد محمد بدري

● شذرات وقطوف ٥٣

إعداد: أبو خالد التميمي

● ضوابط في تلقي النصوص الشرعية ٥٥

عبد العزيز بن محمد آل عبد اللطيف

● بين التقصير والتآمر ٦٥
د. نعمان السامرائي

البيان الأدبي ____________________ ٦٩

● حول التجديد في الأدب ومفهوم الحداثة ٧٠
د.عبد الله الخلف
● قراءة في زمن المحنة (شعر) ٧٦
عبد العزيز بن محمد السالم
● الدين دينك فانتصر (شعر) ٧٨
مروان كجك

المسلمون في العالم ____________________ ٨٠

● تفكك الاتحاد السوفييتي ٨١
● فلسطين ٨٣
● رسالة تركيا ٨٥
عبد المنان جولحة

● امرأة وموقف ٨٧
مؤمنة الشلبي
● استنشاق الأجسام الغريبة ٩٠
د. محمد صايل اهليل
● مع الكتاب ٩٣
● منتدى القراء ٩٤
● بريد القراء ٩٩
● مبادئ العالم الحر ١٠١
● الورقة الأخيرة ١٠٥

في اللهب ولا نحترق!

إن الأمم والشعوب كالأفراد، يقلد بعضها بعضاً، ويتأثر ويؤثر بعضها في بعض، وهذا أمر طبيعي وسر من أسرار الصراع الذي تقوم عليه الحضارات. وهذا التأثر والتأثير: بعضه ما تسعى إليه الجهة الغالبة، على غير رغبة من المغلوبة، وبعضه ما تسعى إليه الجهة المغلوبة على غير رغبة من الغالبة.

ونحن - المسلمين - لا نشذ عن هذه القاعدة فقد أثّرنا وتأثرنا، واقترضنا وأقرضنا، سواء عن رضاً ووعي، أم عن كره وإذعان. غير أن كفة الاقتراض والاستدانة قد بدأت ترجح يوماً بعد يوم، حتى وصلنا إلى مرحلة الإفلاس والاعتماد على الاستدانة في جميع المجالات تقريباً.

ومنذ أن دَهَمنا الغرب دَهْمَتَهُ الثانية بحضارته الوثنية المسيحية، قبل حوالي قرنين تقريباً، ونحن نتخبط كالعميان في ظلمة مطبقة، نحاول المخرج من هذا المصير الذي صرنا إليه، وكلما ظننا - أو ظن بعضنا - أننا كدنا ننجو، جَبَهَنا جدار جهم قاسٍ، فأصابنا دوار يشل الحركة زمناً، ثم ننهض نتلمّس

المخارج من جديد. ولا ننفك – ونحن في هذه الحالة البائسة – عن التلاوم وتبادل التهم التي تؤدي كثيراً إلى أن يأخذ بعضنا برقاب بعض، وتشحن القلوب، وتنتفخ الأوداج، فمن ملقٍ سبب ارتطام رأسه بالجدار على زيد الذي لم يحذره، وآخر على عبيد الذي قاده إلى ذلك، وثالث على الجدار نفسه أنْ كان صلباً قاسياً، ولم يكن ليناً كالعجين يجد الناطح في نطحه متعة! وننسى أننا عميان، أو كالعميان، وغفلنا عن السبب الأساسي لما نعانيه، وهو فقدان الحاسة التي بها نرى ونبصر.

نقف اليوم على عتبة مرحلة يبدو أنها جديدة و « منعطف تاريخي حاسم» بلغة مفكرينا الذين يكتبون ويخطبون[1]. وكاتب هذه السطور ما زال – منذ نعومة أظفاره – يسمع ويقرأ عن « المنعطفات التاريخية الحاسمة » في تاريخنا الحديث، وبينما كانت هذه المصطلحات تعجبه بطنينها ورنينها وهو صغير؛ دون أن يفهم مدلولاتها ومراميها، إذا به يكتشف بعد برهة – وقد زالت الأغشية عن بصيرته – أن هذه الكلمات استنفدت أغراضها، وجفت عصارتها، وأن مكانها المناسب هو « سلة المهجور من الكلام » الذي تتجاوزه الفِطَرُ البشرية لأنه لم يعد يعبر عما في نفوسها، ولم يعد مرآة صقيلة ناصعة تنعكس عليها نفس متحدثيها واضحة محددة صحيحة.

وإذا استعملت هذه الكلمات، مع هذا الموقف منها؛ فلأنني متأثر بما حولي، ومنفق من « عملة » زمني، وهدفي أن أصل بالقارئ إلى هذه المرحلة التي نحن وأجيالنا الآتية مقبلون عليها.

لقد وصلنا إلى هنا، حيث فقد الناسَ الثقة بكل ما نصب من الأصنام خلال تاريخ العرب الحديث. أخرجوا المستعمرين من الأبواب فجاؤوهم

١– كثير من الناس يجادلون في هذه الدعوى، وفي حججهم الكثير من الحق.

من النوافذ، آمن بعضهم بالشيوعية والاشتراكية فماتت وبالت عليها الثعالب، وضعوا ثقتهم في ما سمي بالثورات فاحرقت هذه الثورات الأخضر واليابس وأهلكت الحرث والنسل واستأصلت الزرع، وجففت الضرع.

وقد تميزت هذه الفترة بأمرين متزامنين تقريباً، يحسن الوقوف عندهما لاستشراف نتائجها وهما:

١- سقوط الشيوعية وتمرد الشعوب التي كانت محكومة بها عليها، قبل حرب الخليج وبعدها.

٢- حرب الخليج نفسها، وما تمخض عنها من نتائج مأساوية على العرب بشكل خاص، وعلى الأمة الإسلامية بشكل عام.

وقد استبشرت شعوب كثيرة بسقوط الشيوعية، ورأت في ذلك مؤشراً وإرهاصاً لما تتمناه من تغيير هي بحاجة ماسة إليه، ولم يقتصر هذا الاستبشار على الشعوب التي اكتوت بنار هذا المبدأ الخبيث بشكل مباشر، بل إن شعوباً كثيرة اهتزت فرحة لهذا السقوط - وإن لم تطبق عليها الشيوعية بحذافيرها - بل لأن الأنظمة التي جُرِّبَت عليها كان فيها شَبَهٌ ما بالأسلوب الذي طبق في روسيا وأوربا الشرقية والصين وغيرها... نعني به أسلوب الكبت والقهر والعسف وتكميم الأفواه ومصادرة الحريات والاستهانة بالإنسان من حيث هو إنسان، وجعل السلطة والتنعم بخيراتها حكراً - في دائرة مغلقة من المقربين والمحاسيب، دائرة لا يدخلها إلا من رضي بالدون واستهان بالقيم، ورضي أن يقاد من أسوأ جانب يقاد منه الإنسان وهو جانب الشهوات والجري وراء حظوظ النفس الرخيصة.

لكن على الرغم من هذه التغييرات العميقة هنا وهناك؛ فقد ظلت شعوب ترسف في واقعها المر الذي فرض عليها فرضاً، وينتقل بها من سيء

إلى أسوأ، وإن العاقل الذي يحاول استخلاص جامع يجمع هذه الشعوب يكتشف بأدنى نظرة أن صفة مشتركة تجمعها وهي الإسلام الذي ما زال عبر القرون - ولن يزال - العدو الأول للغرب « الوثني المسيحي ». إن كثيراً من أبناء جلدتنا المخدوعين يظنون أن الحضارة الغربية اليوم لا صلة لها بوثنية ولا بمسيحية، بل هي قائمة على مصالح، وأن المجال مفتوح للعرب للتأثير في هذه المصالح. وهذا ظن مضلل لأنه في حقيقته دعوة للعرب وللمسلمين أن يتخلوا عن عقيدتهم وتاريخهم، وأن يبنوا خططهم على المصالح الآنية كالغرب. وسبب الضلال والتضليل كامن في هذه الدعوى، وهو الاعتقاد بأن الغرب الذي يعبد المادة قد تخلى عن عقائده وتجاهل تاريخه. إن التاريخ الذي يصوغ عقلية الغربيين والذائبين في حضارتهم هو مزيج من الوثنية ومن المسيحية المحرفة والخاضعة للمفاهيم الوثنية، فهو تاريخ وثني في منطلقاته وأهدافه مموه ببعض التمويه المسيحي، واليوم - ونحن نرى هذا الرجل الغربي وقد تمرد على الأديان كلها - ومنها النصرانية نفسها- فلأن المسيحية التي عهدها لم تعد قادرة على تمويه هيكل الحضارة الوثنية الذي كبر وتشعب وأصبح له كثير من الرؤوس المخيفة التي يعجز طلاء المسيحية الهش عن سترها وتجميلها وتغطية القبح البادي منها.

ولكن مع كل هذا فلا زال هذا الغربي على الرغم مما صار إليه، يزعم ويظن أنه على شيء من المسيحية التي دان بها أجداده، وعملوا باسمها أعمالاً يرى هو أنها أعمال عظيمة، ويتصور أنه حامل هذه المفاهيم وأن هناك دوراً ينتظره، ومن يستعرض خطب « بوش » وأحاديثه أثناء وبعد أزمة الخليج يكتشف بسهولة أنه الناطق الرسمي المعاصر للتاريخ الغربي الوثني المسيحي، وأن لا شئ جديد في النظام العالمي الجديد الذي يبشر به هو وفريقه، بل هو « خمر عتيق في دنان جديدة».

ونريد أن نخلص من هذا الاستطراد الذي لا جديد فيه إلى التساؤل:

● ألا يحق لنا نحن - المسلمين - أن تكون لنا مطامح كسائر البشر وأهداف عليا نعمل من أجلها ونتنافس مع غيرنا من البشر لتحقيقها؟

● هل عقيدتنا الإسلامية بمثل هذا السواد؛وتاريخنا الإسلامي بمثل هذا العار حتى نتهرب من تبعاتها ونتخلى عنها - كما نفعل الآن - ونلهث وراء السراب فنضع ثقتنا كلها في الولايات المتحدة أو الأمم المتحدة؟

● هل صحيح أن منطقتنا قد وقعت وقوعاً لا رجعة فيه تحت الهيمنة المطلقة لواضعي (النظام العالمي الجديد!) وأن ذلك أصبح قدراً مقدوراً وكتاباً مسطوراً؟

هذه الأسئلة وغيرها نابعة من الواقع الذي نعيشه، كل الأمم تحاول أن تجدد في حياتها باستقلالية ودون وصاية إلا نحن، لا يسمح لنا أن ننظر إلى المستقبل بأعيننا بل بأعين غيرنا، ولا يؤذن لنا أن نقرأ تاريخنا بعقولنا بل بعقول من صنعهم التبشير وعبيد الغرب، ولا يراد لنا أن نعيش بشراً كالبشر بل بشراً منزوعةً عنهم مميزات البشر،

أبناء المسلمين « لحم على وضم »[1] ودم مستباح مطلول لا يستقاد له، وأموالهم نُهبى لكل طامع، وغيرهم يمشي مرفوع الرأس على أرضهم، مضمون الحقوق، سالماً من المحاسبة على كثرة المخالفة، بينما هم المتهمون في أرضهم حتى تثبت براءتهم، وحالهم اليوم ليست بعيدة من الحال التي وصف فيها الشيخ محمد عبده أهل مصر في عهد حكم محمد علي وأسرته حيث قال:

« أخذ (أي محمد علي) يرفع الأسافل ويعليهم في البلاد والقرى، كأنه

١- الوضم: لوح الخشب الذي يقطّع عليه الجزار اللحم، وهذل مثل للذليل ولمن لا يستطيع ردّ الظلم عن نفسه.

كان يحن لشتبهٍ فيه ورثه عن أصله الكريم، حتى انحط الكرام وساد اللئام، ولم يبق في البلاد إلا آلات له يستعملها في جباية الأموال وجمع العساكر بأية طريقة، وعلى أية وجهة.. فمحق بذلك جميع عناصر الحياة الطيبة من رأي وعزيمة واستقلال نفسي لتصير البلاد المصرية جميعها إقطاعاً واحداً له ولأولاده على أثر إقطاعات كثيرة كانت لأمراء عدة.

ماذا صنع بعد ذلك؟.. اشرأبت نفسه لأن يكون ملكاً غير تابع للسلطان العثماني.. فجعل من العدة لذلك أن يستعين بالأجانب من الأوروبيين فأوسع لهم في المجاملة وزاد لهم في الامتياز خارجاً عن حدود المعاهدات المنعقدة بينهم وبين الدولة العثمانية، حتى صار كل صعلوك منهم - لم يكن يملك قوت يومه - ملكاً من الملوك في بلادنا، يفعل ما يشاء، ولا يسأل عمّا يفعل. وصغرت نفوس الأهالي بين أيدي الأجانب بقوة الحاكم، وتمتع الأجنبي بحقوق الوطني التي حرم منها، وانقلب الوطني غريباً في داره، غير مطمئن في قراره، فاجتمع على سكان البلاد المصرية ذلان:

١- ذل ضربته الحكومة الاستبدادية المطلقة.

٢- وذل سامهم الأجنبي إياه ليصل إلى ما يريده منهم غير واقف عند حد أو مردود إلى شريعة »[١]

عجباً لهذه الأمة = الأمة الإسلامية! لقد مَرَنَتْ على الظلم حتى كدنا نقول: إنها تستحلي طعمه، وتجد في ممارسته عليها لذة وأي لذة! وقد شاء الله لها هذا الموقع لتستفيد العبر ممن يعبرها مُشَرِّقاً ومُغَرِّباً، وتقطف ثمار التجارب دون كبير عناء، ولكننا نكاد نقول: تحجرت وفقدت الحس،

١- من مقال للشيخ محمد عبده بمناسبة مرور مئة سنة على تسلم أسرة محمد علي الحكم في مصر، أنظر الأعمال الكاملة للشيخ محمد عبده ٧٢١/١ .

الأمم تمشي وهي واقفة، والأحداث تتوالى وهي تقابلها بهز الكتفين. وفي هذا الليل المدلهم، يبزغ نور حق هنا ويرتفع صوت مخلص هناك، سرعان ما يكبته الكابتون ليعود بعد ذلك صوت ونور آخر من حيث لا يحتسبون صارخاً في الأمة أن أفيقي فقد طال السبات ويكون مصداقاً واقعياً لقوله صلى الله عليه وسلم: «لا تزال طائفة من أمتي ظاهرين على الحق، لا يضرهم من خذلهم حتى يأتي أمر الله وهم كذلك »[1].

إن المسلمين ليتطلعون - في هذه الفترة العصيبة - إلى تغيير يمسُّ الأسس التي تقوم عليها حياتهم المعاصرة، ولن تجديهم بعض التعديلات السطحية التي تجري للدعاية والخداع، ولا يحل عُقَدَهم؛ ولا يطلق طاقاتهم إلا تجديد قائم على العقيدة الإسلامية، وليس تقليداً لأفكار الغرب وصنائع الغرب وعبيد الغرب المفروضين عليهم بشتى الوسائل غير الأخلاقية الظاهرة والمستترة. لقد آن الأوان للمسلمين - في كل بلد - أن ينظروا إلى أنفسهم ويوحدوا جهودهم ويكثفوها للخروج مما هو مضروب عليهم، وأن تكون لهم أهداف كبيرة، وأن لا تشغلهم الصغائر والمثبطات التي ينفذ منها الشياطين ويستغلونها لضربهم وتفريق جمعهم.

« حتَّامَ نحن نساري النجمَ في الظُّلمِ »[2]؟!

١- صحيح مسلم ١٥٢٣/٣ ط محمد فؤاد عبد الباقي.

٢- صدر بيت للمتنبي، وتكملته: وما سراه على خفٍ ولا قدمِ.

حول الفقه والتفقه

حوار مع الشيخ
علي بن سعيد الغامدي

زار المنتدى الإسلامي هذا الصيف الشيخ الدكتور علي بن سعيد بن علي الغامدي فكانت فرصة للحوار حول الفقه والتفقه.

● **البيان: نرحب بكم في المنتدى وشكراً لزيارتكم، وفي البداية نود إعطاء القارئ لمحة عن حياتكم العلمية:**

بسم الله الرحمن الرحيم، والحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله. درست المرحلة الجامعية في كلية الشريعة بالرياض، أما الدراسات العليا الماجستير والدكتوراه ففي كلية الشريعة بالأزهر، والعمل الآن في جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، بين كلية أصول الدين وكلية الشريعة ثم المعهد العالي للدعوة في المدينة المنورة، وإلى جانب ذلك فإني أدرس في المسجد النبوي الشريف.

● **البيان: ما هي المادة التي تدرسها في المسجد النبوي؟**

مادة الفقه، أدّرس كتاب « منار السبيل » وقد أنهينا منه جزءاً طيباً ولله الحمد.

● **البيان: ما دمنا بدأنا الحديث عن دروس الفقه، فما رأيكم بطلاب العلم الذين يحضرون دروسكم في المسجد؟**

لا شك أن الناس في حاجة ماسة إلى الفقه لأن الفقه يمس حياتهم، فهم محتاجون إليه في كل شيء، والناس في وقتنا الحاضر والحمد لله يقبلون على الخير وعلى العلم، ولكن هم أنواع وأقسام، فمنهم من يود التفقه بأسرع وقت ممكن، وهذا صعب المنال، ومنهم الملتزم الذي يستطيع الإقبال بجد وعلى النفس الطويل، ويتواضع لله ثم لأهل العلم، ويلازم حلقة التدريس ويسأل عنها، عدد هؤلاء قليل ولكنه مبارك إن شاء الله، ويتميز هؤلاء بالحضور المبكر وحسن التواضع والاستماع والمناقشة سواء في أثناء الدرس أو بعد الانتهاء. وهناك آخرون من عامة الناس يحضرون في المناسبات وتشدهم بعض الدروس فيستمعون ويستفيدون.

- **البيان: بالنسبة لهؤلاء الطلبة الذين يداومون هل ترون أنهم إذا أنهوا كتاباً معيناً، فإنهم يصبحون أهلاً لتمكن المعرفة والتعليم؟**

ليس كل الطلاب، فالقليل الذي يدرك المسائل التي درسها واستفاد منها، وهذا نادر لأن مراجعاته مثلاً تكون جيدة ومستمر مع الكتاب وهؤلاء ظروفهم صعبة لانشغالهم بالدروس الأخرى.

- **البيان: بدأنا الحديث عن حلقات العلم ودروس المساجد، هل ترون تعميم هذا الأمر، أعني الرجوع إلى حلقات الدرس المعروفة في تاريخ المسلمين، لعلها تعطي فائدة أكثر من المدارس العادية؟**

بدون شك إن الرجوع للحلقات العلمية في المساجد هو طريق صحيح، لأن الدراسة بالمسجد يحيط بها جو روحاني، والشيء الثاني أنه لا يأتي إلى الحلقة إلا طالب علم محبٌ للعلم، أما الدراسة النظامية في الوقت الحاضر فقد أصبحت مفروضة على الناس، ومَنْ لا يتجاوز هذه المراحل فإنه لا يستطيع شق طريقه في الحياة، ويمكن الجمع بين الأمرين وهو إخلاص النية في الدراسة في الكليات ثم يضم إليها حِلَق العلم في المساجد.

- **البيان: ما هي الخطة التي اختططها لنفسك في درسك بالمسجد النبوي، فلعله يستفيد**

منها من يود إعادة هذه الحلقات إلى المساجد؟

الخطة كانت حسب الوقت المتاح. قراءة كتاب « منار السبيل »، يقرأ الطالب جملة صغيرة وشرحها بما يسر الله من ذكر الحكم والأدلة، وأحياناً نشير إلى الخلاف. وعندما ينتهي الطالب من القراءة أبدأ في عرض المسألة وأبين الحكم الذي عرض وإذا كان هناك تعريف أشرحه، وإذا كان هناك تأصيل بذكر الأدلة من الكتاب والسنة والإجماع أذكره.

وكذلك أذكر أحياناً حكمة الشارع في مسألة من المسائل من غير تكلف، وأتعرض لما يثار حول هذه النقطة أحياناً من خلاف له ثمرة وخلاف له دليل، أما الخلاف البسيط أو الذي دليله ضعيف فأتركه لأن إثارة الخلاف في هذه المسائل ليس فيه مصلحة. ومع معرفة الحكم والدليل فإنه إذا عرض خلاف قوي ودليله أقوى مما ندرس وهو على مذهب الإمام نختار الأقوى وما هو أقرب إلى الدليل بعد بحث مستفيض قبل المجيء إلى الدرس، ثم هناك جانب آخر وهو التوجيه والدعوة من خلال النصوص التي تعرض المسألة، فإن جو المسجد النبوي أو أي مسجد هو جو تربوي.

- **البيان: إذا كان هناك مسألة في مذهب الإمام أحمد وهناك ما هو أرجح منها في المذاهب الأخرى أو عند العلماء المعتبرين هل تبينون للحضور أنها مسألة مرجوحة؟**

لا شك في هذا لأن طبيعة دراستي كانت في الفقه المقارن، ولقد اطلعت بحمد الله على الأقل على أصول كل مذهب من المذاهب، وكما هو معلوم فإن هذه المذاهب أخذت من الكتاب والسنة، وكان لكل إمام أصوله التي أصل عليها وله رأيه المعتبر، فأحياناً نميل إلى قول غير قول المذهب الحنبلي، وإذا كان هناك مسألة من المسائل في فقه الخلاف نعرض لما اختاره الأئمة المحققون الذين جمعوا الأقوال وجمعوا الأدلة واختاروا، فنحن نستأنس بذلك أيضاً، ثم ننظر في حال المستفتي وحال الواقعة وحال الزمن الذي يعيش فيه، فلا شك

أن هذه الأشياء مرجحات لمأخذ القول، والمهم أن يكون هذا القول مبنياً على الدليل الصحيح.

- **بعض الناس يرون أن هذه الكتب «كتب المذاهب» تعود الطالب على التعصب ويجب الرجوع إلى كتب فقه الحديث مباشرة مثل: نيل الأوطار، أو سبل السلام... فما رأيكم؟**

هذا في نظري غير صحيح، والسبب هو أن هؤلاء العلماء ما وصلوا إلى هذه الشروح إلا بعد أن درسوا كتب المذاهب ومروا بحلقات العلم، ولهذا نجد أنهم في كتبهم وشروحهم يذكرون الأقوال ويناقشون الأدلة، وهذا دليل على أنهم مروا بهذه المرحلة، وهذا في نظري هو الأفضل، فلا بد أن يصعد الطالب درجة درجة، طبعاً مع تزوده من الكتاب والسنة وشروحها، كأن يأخذ الطالب مختصراً من المختصرات ثم يقرؤه على شيخ ويطالب بالدليل، والمطالبة بالدليل ظاهرة صحيحة، ولا يبدأ بالمقارنات وهو ما زال في أول الطلب، فإنه ليس أهلاً لهذه المقارنات، وفي هذه الحالة يستطيع أن يؤسس نفسه على الأقل.

- **البيان: ولكن كيف نستطيع التخلص من موضوع التعصب المذهبي؛ وفي الوقت نفسه نستفيد من الفقه الإسلامي الذي هو ثروة عظيمة للأمة الإسلامية؟**

لا شك أن هذا الكلام كلام صحيح، ولعلّ الشوكاني رحمه الله ممن دعا إلى هذا في كتابه «طلب العلم» وغيره، لكن يجب أن ندرس الظروف التي ظهرت فيها مثل هذه الفتاوي، ولقد وقع التعصب المذهبي فعلاً إلى درجة أنه يتوقف عن أخذ الدليل الذي يعتبر مخالفاً لقول إمامه ولا يتراجع عن رأيه الخطأ، ويقول: لقد فرغ الإمام من دراسة الأحكام واستنباطها، فلم يبق لنا في الكتاب والسنة إلا القراءة للبركة! وهذا عين التعصب. ولكن كما ذكرت، الاستفادة من الفقه الإسلامي الموجود أمر ضروري جداً كمرحلة أولى، والأصل مع الدليل، ولكن يؤسس نفسه أولاً، وكل العلماء السابقين كانوا يقولون: إذا صح الحديث فهو مذهبي، ويقولون: خذوا مما أخذنا منه، لكن

بشرط أن نصل إلى المرتبة التي تؤهلنا لذلك، والكتاب والسنة والحمد لله ميسران، ولكن النصوص فيها عام وخاص، ومطلق ومقيد، وفيها أيضاً محكم ومتشابه، وناسخ ومنسوخ، فليس لنا الحق في أن نأخذ مثلاً بالمنسوخ ونجلس وننتظر فترة من الزمن حتى نعرف الناسخ مع أننا نستطيع أن نصل إليه في وقت يسير بالعلم والتعلم.

● **البيان: سمعنا أن لكم جهوداً في دراسة كتاب « المغني » لابن قدامة. هل لكم أن تحدثونا عنها؟**

الجهود هي دراسة اختيارات ابن قدامة رحمه الله، وهي موضوع رسالة الدكتوراه ،كانت حول فقه الخلاف، وهذه المسألة أرجو أن أكون قد استفدت منها أولاً لنفسي وأنني أخرجت شيئاً من الفقه المحرر المجموع، وذلك بأنني أستعرض المسألة، وليس كل مسائل الخلاف، ولكن أهم مسائل الخلاف، مثلاً آخذ رأس المسألة ثم أذكر أقوال أهل العلم من كتبهم الخاصة المعتمدة عندهم وأشير في الهامش إلى المراجع، وأحاول أن أحرر المذهب نفسه لأنه أحياناً يكون في المذهب نفسه أقوال وروايات، وإذا قلت : قال الشافعي أو مذهب الشافعي فإنني أرجع إلى أصوله كالأم مثلاً، ثم بعد ذلك أستعرض الأدلة من كتب المذاهب الموجودة وأجمع أدلة هذا القول. ثم بعد ذلك أستعرض القول الثاني وأذكر أدلته، ثم أذكر اختيار ابن قدامة وما مال إليه من الأقوال، وقد يكون لي أحياناً موقف معين، لأنني لا أكتفي بهذا بل أدرس رأي المحققين: كالخطابي، وابن عبد البر، وابن تيمية، وابن دقيق العيد، وكذلك مثل ابن القيم، وابن حجر، رحمهم الله جميعاً، هؤلاء جمعوا الأقوال وأدلتها وناقشوها، فقد يكون لي أحياناً موقف يتناسب مع ظروف الوقت الحاضر، كما في إحياء الموات بالنسبة للكافر، والشفعة وما أشبه ذلك، فيكون لي رأي يخالف الشيخ أميل فيه لبعض آراء الآخرين لمصلحة تتحقق.

« يتبع »

بيان من بعض علماء الأزهر
عن حرمة معاملات البنوك

هذا بيان أصدره بعض علماء الأزهر ممن يدرسون في جامعة أم القرى في مكة المكرمة رداً على مفتي مصر في موقفه من بعض المعاملات الربوية.

- البيان -

الحمد لله الحكيم في شرعه، الحفيظ على دنياه، والصلاة والسلام على سيدنا محمد المبلغ عن ربه، المبين لحكمه، وعلى آله وصحبه ومن سار على دربه.

أما بعد:

فإن هناك حقيقة غائبة عن المجتمعات الإسلامية الآن، ولها خطورتها في تعمية السبل أمام نهضتها من كبوتها، وكنا نظنها واضحة لدى النخبة المثقفة فيها، وخاصة من أبناء الأزهر، حتى فوجئنا وفوجيء الفكر الإسلامي الحديث كله بما صدر عن الشيخ محمد الطنطاوي مفتي مصر بشأن شهادات الاستثمار مرة، وفوائد البنوك ومعاملاتها مرة أخرى، ثم اختلاط الفتيات بالشبان في الجامعات والمعسكرات أخيراً.. هذه الحقيقة الغائبة تتلخص في أن الإسلام لا يمكن تطويعه لأوضاع نبتت في غير أرضه؛ إذ هو القيم المهيمن على ما سواه من أديان وأنظمة وقوانين.

إنه قد جاء ليغير ما عليه المجتمعات من أنظمة وضعية فاسدة اعتماداً على بديهة إيمانية هي أن الله يعلم المصلح من المفسد، وأن كل ما يخالف تشريعه فهو هوى يفسد السموات والأرض، قال تعالى:

﴿ ولو اتبع الحق أهواءهم لفسدت السموات والأرض ومن فيهن بل أتيناهم بذكرهم فهم عن ذكرهم معرضون ﴾.

وأن الإيمان منفيٌّ عمن لا يكون هواه تبعاً لما جاء به الشرع الحنيف.

وقد نتج عن غياب هذه الحقيقة ظاهرة غريبة تحاول أن تفرض الواقع المستجلب من بيئة لا تؤمن بضوابط الوحي الخاتم على ما جاء به الإسلام من تشريعات، هادفة لإخضاع الإسلام للواقع مهما كان هذا الواقع، مستخدمة أسلوب الادعاء بأن باب الاجتهاد مفتوح لمن هب ودب.

وقد تعلمنا من وقائع التاريخ الحديث - منذ قدر للاستعمار أن يتحكم في بلاد المسلمين، وينحّي عنهم تشريعهم - أن أعداء الدعوة الإسلامية يحاولون بشتى الطرق - وبإصرار غريب متواصل - أن يغيّبوا عن المجتمع الإسلامي نموذج الحياة الفاضل العادل الذي تكفل سابقاً بتقدمه ومجده، وأن يعملوا على إبراز نموذج الحياة الغربية على أنه المثل الذي لا بد من السير خلفه مهما كان فيه من عورات، ولذا نراهم يثيرون بين الحين والآخر قضايا انتهى الفكر الإسلامي المستنير من قتلها بحثاً، ولكنهم يستغلون في ذلك بعض المثقفين على غير وعي منهم، وإننا لنشهد لهم بالمهارة في اختيار الضحايا. وهذه القضايا هي التي بثها الاستعمار الفكري في أوائل هذا القرن، إننا ما زلنا على ذكر من إثارة الشكوك حول صلاحية التطبيق الإسلامي في العصر الحاضر، وما كتب فيها من المخدوعين المغرر بهم. وما أثير في الستينات من تطويع بعض تشريعات الإسلام للفكر الاشتراكي، حتى ظهر من يقول: إن الإسلام هو الاشتراكية، وما أثير من التشكيك في موضوع انطباق وصف الربا على فوائد البنوك وصناديق توفير البريد حتى يقال حينئذ: إن الإسلام هو الرأسمالية! والإسلام إسلام قبل ظهور هذه المذاهب الوضعية الفاسدة. والآن تطرح معظم هذه القضايا بنفس

الحجج التي أثيرت بها من قبل ولكن بأسلوب آخر... والذي يهمنا منها الآن ما خرج علينا به الشيخ المفتي بما لم يكن في الحسبان، وبما كنا ننأى به عن الوقوع في هذه الخطيئة.. إن الجديد في كلام الشيخ أن خياله قد سرح وجنح وتصور - أو صور له - أن البنوك قبل أن تنشأ في المجتمع الإسلامي جمع ولي الأمر علماء الأمة وخبراءها واستشارهم في أنظمتها ولما وجد أن ضمائر الناس قد فسدت قرر إلغاء شرط المضاربة، وفرض على البنوك أن تحدد الفائدة مقدماً لأن ذلك هو الذي يصلح للمجتمع ! !

ونسأل الشيخ: هل نظام البنوك في مصر يختلف عن بقية بنوك العالم؟! وهل جرى لكل بنوك العالم مثل هذه المراجعة والتقويم من ولاة الأمر وهم كفار؟! ثم متى كان هذا اللقاء بين ولي الأمر وعلماء الإسلام حين استشارهم في ذلك كما تدعي؟ ومن كان ولّي الأمر حين أنشىء بنك باركليز مثلاً في مصر؟! وهل كان المجتمع الإسلامي وقت إنشاء البنوك فيه يملك قراره؟! ألم يكن مذلاً مقهوراً منبهراً بالحضارة الغربية، والقوة الغازية الغالبة؟

ومع ذلك ففي كلام المفتي مغالطات لا تخفى على ذي بصيرة، فبالرغم من أن الشيخ يعيب على من يتوقع الخسارة في عملية المضاربة بأنه متشائم نجده هنا يفترض في المجتمع فساد الضمائر ويحسب نفسه بذلك متفائلاً! ثم إنه يحكم المصلحة في النصوص بما يؤدي إلى تعطيل جميع النصوص من وجهة نظر المصالح المعتمدة على الأهواء؛ إن في الخمر مثلاً مصلحة ومنفعة، بل فيها منافع للناس كما صرح بذلك القرآن الكريم: فيها مصلحة للصانع وللبائع، بل وللمتعاطي من وجهة نظره، فهل نلغي نص تحريم الخمر من أجل هذه المنافع؟! ! ! وهكذا في الزنا وفي غيره مما فصل الشرع فيه بحكم يتعارض مع بعض الأهواء والمصالح! !

ولقد توقعنا أن تنشر جريدة الأهرام التي أعلن فيها المفتي في عدد ١٩٩١/٥/٢٩ حل المعاملات البنكية ما جاءها من ردود الغيورين على الدين من العلماء الأثبات؛ إذ هي التي أعلنت فتح المجال للمناقشة، ولكنها سكتت وأغلقت الباب الذي فتحته على مصراعيه للمفتي فقط ولم تسمح أجهزة الأعلام الرسمية الأخرى بنشر ما يخالف

وجهة نظر المفتي لأنها ملتزمة برأيه فقط، ولوكان الرأي المخالف صادراً من الإمام الأكبر ومن مجمع البحوث الإسلامية ومن جامعة الأزهر لدرجة أن نائب رئيس تحرير الأهرام الأستاذ رجب البنا يعلن بعد كلام المفتي تأييده لرأيه ملقياً تهمة العمل لحساب البنوك الإسلامية وشركات توظيف الأموال الإسلامية على كل من يعارض المفتي ! ! وهذا لون من ألوان الإرهاب الفكري الذي تمارسه أجهزة الإعلام ضد علماء الإسلام ودعاته.

على كل فالذي يهمنا هو المسلم الذي يريد أن يرضي ربه، ويريح ضميره، ويعرف الشرع على حقيقته، كما يهمنا أن نبلغ عن الله، ونحذر من التمادي في معاصيه، ومن التعرض لحربه المعلنة حتى ننجو من مساءلة الله وعذابه، فالساكت عن الحق شيطان أخرس والنصيحة واجبة على كل مسلم لله ولرسوله ولأئمة المسلمين وعامتهم. من هنا نقدم هذا البيان للأمة من أقدس بقعة من الأرض من جوار بيت الله العتيق، ومن علماء الأزهر الذين استنفرهم الله عز وجل ليتفقهوا في دينه ولينذروا قومهم لعلهم يحذرون.

إن شريعة الإسلام محكمة خالدة، لايعتريها تحريف ولا تبديل؛ إذ أحاطها الله بحفظه وقدرته، ورد عنها كيد المحرفين الذين يريدون أن يخضعوها لأهوائهم، وسخر لها من العلماء في كل جيل من ينفي عنها مغالاة الغالين وانحراف المضلين، وكم من شبهة أثارها أعداء الله على مر الأجيال فوجدت من حراس الشريعة سهاماً نافذة قضت عليها، وكم من رأي شاذ خارج عن إجماع الأمة قد فنده الراسخون في العلم، وكم من تهمة ألقيت على تشريعات الإسلام فردها الله في نحور الكائدين.

ومن البديهيات التي لا تقبل المناقشة أن فكرة البنوك مبنية أساساً على المعاملات الربوية وأن وظيفة البنك – كما يحددها أهل الاختصاص الأمناء – ما هي إلا التعامل في الديون أو القروض أو الائتمان، ويشمل هذا التعامل شقين: الأول: الاتجار في الديون والقروض والائتمان.

الثاني: خلق الديون والقروض والائتمان.

والدين والائتمان هما وجها القرض، فمن وجهة نظر المدين يسمى ديناً، ومن

وجهة نظر الدائن يسمى ائتماناً، ولذا يمكننا القول أن البنوك تتاجر في النقود، ولا تتاجر في النقود، وأنها امتداد السلوك اليهودي الذي كان مشهوراً لدى العرب وغيرهم، حيث كان يضع اليهودي نقوده على المنضدة ليقرض المحتاج بفائدة تزداد بمضي المدة التي تبقى فيها النقود عند من يقترضها، وقد بقي اسم البنك دالاً على هذه الصورة المقيتة، ومن البدهيات كذلك أن البنوك التجارية وهي أكثر البنوك العاملة في مصر وغيرها ما هي إلا واسطة بين المودع والمقترض: فهي تأخذ الوديعة من صاحبها وتحدد له نسبة مئوية سنوية معلومة من قيمة هذه الوديعة، ثم تعطى هذه الوديعة لمن يريد استثمارها أو لمن هو محتاج إليها في ضروراته بنسبة مئوية سنوية أعلى والفرق بين النسبتين هو الذي يعيش عليه العاملون في البنوك، وإذا شارك البنك في تأسيس شركة أو مصنع فإنه يشتري أسهماً محددة بنسبة ضئيلة يحددها القانون ويفرض على البنك أن يكون الجزء الأكبر من أمواله قابلاً للسيولة السريعة.

وعلى هذا يكون من الظلم والتعسف والافتراء افتراض أو تخيل أن البنك يعمل بنظام المضاربة الشرعي، فنظام البنوك في العالم متحد، والمضاربة الشرعية كما وضحتها كل أجيال الأمة المسلمة من العلماء والأئمة الأربعة؛ وكما اعترف بها فضيلة المفتي في مقالاته الأربع، وكما يعبر عنها ابن رشد في كتابه بداية المجتهد[1]: « أجمعوا على صفتها أن يعطي الرجل الرجل المال على أن يتجر فيه على جزء معلوم يأخذه العامل من ربح المال أيّ جزء كان مما يتفقان عليه: ثلثاً أو ربعاً أو نصفاً» وهذا الصورة المجمع عليها تشير إلى شرطين أساسيين في هذا العقد:

أولهما: أن الذي يأخذ المال يأخذه للاستثمار في التجارة أو الصناعة أو أي عمل مشروع.

ثانيهما: أن الجزء المعلوم المتفق عليه من الربح لا من رأس المال، وأن هذا الجزء شائع كالثلث والربع.

وهذان الشرطان لم يخترعهما الفقهاء برأيهم أو اجتهادهم كما يدعي الشيخ المفتي، بل إن المعتمد الأساسي لهما هو النص، وهو نص عملي لا يحتاج إلى تأويل، والنص ممن أرسله الله عز وجل ليبين للناس ما نزل إليهم. وليس صحيحاً ما قرره فضيلة

المفتي بأن هذا الشرط – وهو شيوع نصيب كل من المتعاقدين في الربح – ليس في كتاب الله ولا في سنة رسول الله، وكان أولى بالشيخ وهو أستاذ سابق للكتاب والسنة في أعرق جامعة إسلامية أن يتريث ويحتاط ويبحث ولا يظهر عدم معرفته بالسنة، إذ هل يستطيع أحد أن ينكر أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قد تعاقد مع أهل خيبر على شطر ما يخرج منها من تمر وزرع؟.

بل هل ينكر أحد ما رواه البخاري ومسلم بأكثر من رواية من النهي النبوي عن استئجار الأرض بتحديد ناحية معينة منها يكون نتاجها لصاحب الأرض؟

لقد أخرجا في صحيحيهما عن رافع بن خديج قال: «كنا أكثر الأنصار حقلاً، فكنا نكري الأرض على أن لنا هذه ولهم هذه، فربما أخرجت هذه ولم تخرج هذه فنهانا عن ذلك »[٢] وروى مثل ذلك أيضاً أبو داود والنسائي والإمام أحمد بألفاظ متقاربة.. وخضع الأئمة الأربعة والظاهرية لهذه النصوص النبوية المحكمة التي بينت الحكم والحكمة معاً حيث نهى الرسول صلى الله عليه وسلم عن ذلك لما يترتب عليه من الظلم وعدم العدل بين الشريكين، وأكدوا هذا الشرط في المزارعة والمساقاة والمضاربة وسائر الشركات، واعتبروه شرطاً شرعياً لا تجوز مخالفته، وليس شرطاً جعلياً للمتعاقدين حرية فيه، وأجمعوا عليه، وما كان لهم أن يفعلوا سوى ذلك وهم القائلون: لا اجتهاد مع النص.

يقول الدكتور الشيخ عبد الرحمن تاج – رحمه الله – رداً على مثل هذه الفتوى وكأنه يرد الآن على المفتي الحالي:[٣]

« وإذا كان اشتراط جزء معين من الخارج لصاحب الأرض في المزارعة قد حظرته الشريعة، ونهى عنه الرسول صلى الله عليه وسلم لما فيه من الظلم والغبن بأحد الشريكين المتعاقدين على الاشتراك في الربح والخسارة، فلماذا يرد في وجه الأئمة الفقهاء قولهم بلزوم خلو العقد من ذلك الاشتراط الجائر الظالم، وهم لم يقولوه إلا تطبيقاً للسنة الصحيحة مدعماً بما تدل عليه نصوصها الصريحة؟!

وكيف يسوغ لمطلع على نصوص الشريعة ومواردها أن يقول في اشتراط ربح محدد لرب المال في المضاربة أنه جائز وغير مخالف للكتاب والسنة وإن كان فيه مخالفة لأقوال

الفقهاء؟ (يلاحظ أن هذا هو ما قاله المفتي حرفياً) أو لا يكفي النص على حظر ذلك الاشتراط ومنعه في المزارعة ونعلم أنه محظور وممنوع في المضاربة والمساقاة وغيرهما من فروع الشركات؟ وهل من حسن الظن بالشريعة العادلة أن يقال: إنها تمنع من الظلم والجور في شركة المزارعة وتبيح ذلك في شركة القراض؟!»

وقد ساق الشيخ عبد الرحمن تاج رحمه الله مع هذه النصوص القاطعة إجماع علماء الأمة الذين لا يجتمعون على باطل فيما قاله ابن المنذر: « أجمع كل من نحفظ من أهل العلم على إبطال القراض (المضاربة) إذا اشترط أحدهما أو كلاهما لنفسه دراهم معلومة »[٤].

وعلل هذا الإجماع الإمام ابن رشد بأنه إذا اشترطت دراهم معلومة فمن المحتمل ألا يربح غيرها فيستضر العامل، ومن المحتمل كذلك ألا يربح مطلقاً فيأخذ من رأس المال ومن المحتمل كذلك أن يربح كثيراً فيستضر من شرطت له الدراهم. ثم إن حصة العامل لما تعذر كونها معلومة المقدار كان لا بد أن تكون معلومة الأجزاء، فإذا جهلت الأجزاء، فسدت.

وإذا كان المفتي يعترض على البنوك الإسلامية الحالية في أنها لا تحدد للمودع نصيبه من الربح بنسبة النصف أو الربع... فإننا نقول إن هذه البنوك ليست حجة على الشرع وإذا كانت تفعل ذلك فنحن أيضاً معه، فلسنا بحمد الله ممن يحابي في دين الله أحداً، وليست لنا مصالح خاصة تمنعنا من قول الحق والجهر به كما يدعي علينا الأهرام...

وهذا الإجماع من علماء الأمة كما يستند إلى السنة في نصوصها الصريحة السابقة فإنه يعتمد أيضاً على القواعد الفقهية الثابتة بالتواتر، ذلك أن جعل الربح في المضاربة محددا كعشرة من مائة يتعارض مع القاعدة الفقهية: «الضرر يزال » تلك القاعدة المأخوذة من قول النبي صلى الله عليه وسلم في حديثه الصحيح عن أبي سعيد الخدري: « لا ضرر ولا ضرار، من ضار ضره الله، ومن شاق شق الله عليه » وبذلك يتبين بما لا مجال للشك فيه أن شرط كون الربح في المضاربة جزءا مشاعا معلوما من واحد صحيح لكل من المتعاقدين قد ثبتت بالسنة والإجماع والقياس

والقواعد الفقهية، وإن القول بغير هذا افتيات على الشرع ومخالفة للسنة الصحيحة وإجماع الأمة...

أما الشبهة التي أثارها الشيخ المفتي في أنه لو سلم جدلاً بهذا الشرط فإن الفقهاء قرروا في المضاربة الفاسدة أن للعامل أجر مثله؛ وعلى هذا يكون ما أخذه البنك من الأرباح بعد خصم النسب المئوية التي يأخذها المودع هو أجرة المثل مهما بلغت.. فإننا هنا لا بد أن نتوقف لنقول للشيخ: إن فقدان هذا الشرط لا يجعل المضاربة فاسدة، ولكنها باطلة كما نص عليه العلماء الفاقهون فيما سبق. ثم لو سلمنا جدلاً - كما هو أسلوبك - بأنها فاسدة فهل يحل للمسلم أن يقدم على عقد فاسد؟! إن الإجماع أيها الشيخ منعقد على أن الإقدام على العقود الفاسدة حرام، وإذا وقع وجب فسخه وإلا كان هذا العقد بعد الوقوع باطلاً، يقول ابن رشد: « واتفقوا على أن القراض الفاسد يجب فسخه ورد المال لصاحبه ». هكذا هم يتفقون على ألا يستمر الفساد لأن استمراره إصرار على مخالفة النهي النبوي، ولكن فضيلة المفتي يريد أن يستمر الفساد في هذه المعاملة البنكية التي يدعي أنها مضاربة فاسدة!!

ثم أليس في هذا الادعاء لّي لأعناق الواقع الملموس؟! فمن الذي يأخذ من الصورة التي عليها تعامل البنوك أجر المثل هل هو البنك أم المودع؟ إن الذي حدد له مبلغه هو المودع فهل نجعل صاحب المال أجيراً عند البنك وهذا أجر مثله أم العكس هو الصحيح على رأي فضيلته؟.

إنها معاملة ربوية واضحة مهما حاول الشيخ بخيالاته وأوهامه التي ساعده عليها المغرضون، وهي معاملة متحدة في كل بنوك الدنيا لم يؤخذ فيها رأي الإسلام.

الشبهة الثانية التي أثارها المفتي مبنية على فساد الذمم والضمائر لدى العاملين في البنوك فلهم أن يدعوا أن المضاربة خسرت أو ربحت قليلاً فيضيع على المستثمر ربحه بل قد يضيع ماله كله، وبناء على ذلك كان لولي الأمر أن يعرض على البنوك تحديد الربح مقدماً وكان له أيضاً أن يحمل البنك ضمان ما عنده من مال إذا تلف.

وقد أشرنا سابقاً إلى هذه التهمة التي لسنا معه في وصم جميع الناس بفساد الذمم والضمائر فما زال الخير في المسلمين بحمد الله وسيظل ولا أدل على ذلك من

إقبالهم واندفاعهم نحو الحلال ونفرتهم من التعامل بالربا، والإسلام يفترض دائماً في أبنائه الصلاح إلى أن يثبت عكس ذلك، وبناء على هذه الثقة يقول الفقهاء: «والعامل أمين فيما تحت يده، وإن تلف المال في يده من غير تفريط لم يضمن؛ لأنه ناب عن رب المال في التصرف فلم يضمن من غير تفريط كالمودع»[٥]. والأئمة الأربعة والظاهرية قد اتفقوا على ذلك، بل صرح صاحب المغني بأنه: «متى شرط على المضارب ضمان المال أو سهماً من الوضيعة فالشرط باطل ولا نعلم فيه خلافاً»[٦]

واستدلال المفتي بمسألة تضمين الإمام عليّ للصناع للمحافظة على أموال الناس قياس أقل ما يقال فيه أنه فاسد، لأنه:

أولاً: لا قياس مع النص والإجماع الذي يقول عنه ابن قدامة إنه لا يعلم فيه خلافاً،

ثانياً: لأن مسألة تضمين الصناع - وهي الأصل المقيس عليه - مختلف فيها عند الفقهاء، بل إن إسنادها إلى عليّ فيه مقال، ومعلوم أنه لا يجوز القياس على حكم مختلف فيه.

أما أنه حكم مختلف فيه فيقول الصنعاني في سبل السلام[٧]: «اختلف أهل العلم في تضمين الصناع فقالت طائفة هم ضامنون إلا أن يجيء شيء غالب وهذا قول مالك. ثم قال: وروى عن عليّ أنه ضمن الأجير وفي إسناده مقال، ثم قال: وقالت طائفة أخرى: لا ضمان على الصناع، وروي هذا القول عن ابن سيرين وطاووس، ثم قال: والصحيح من مذهب الشافعي أنه لا ضمان على الأجير إلا ما تجنيه يده»

وما قيل في مسألة تضمين الصناع يقال في استدلاله بمسألة التسعير، ذلك أن فضيلته يقول: «إن الأصل في التسعير ألا يجوز لرفض رسول الله إياه، ومع ذلك أجاز كثير من الفقهاء لولي الأمر تسعير السلع إذا غالى التجار أو احتكروا». ذلك أن الخلاف واضح من هذه المسألة بين الفقهاء، وقد وضحه الشوكاني والصنعاني، وما دام هنالك خلاف في مسألة فلا يجوز القياس عليها، كما هو مقرر في علم الأصول.

ومما يستلفت النظر في مقال الشيخ المفتي أن في أسلوبه وأفكاره جنوحاً وتعمية:

١- يقول: ليست مسألة تحديد الربح وعدمه من العقائد والعبادات التي لا يجوز

التغيير فيها، وإنما هي من المعاملات الاقتصادية التي تتوقف على تراضي الطرفين.

ونحن نقول: إن التفرقة في تعاليم الإسلام بين العقيدة والعبادة والمعاملة مرفوضة من الأساس، فكل نص ورد في الكتاب والسنة وجب على كل مسلم أن يلتزم به مهما كان مجاله، وفي هذا الالتزام معنى العبودية لله تعالى، فإقامة الحد على السارق والزاني عبادة، وإعطاء الذكر مثل حظ الأنثيين في الميراث عبادة، والتزام العدل في المعاملات عبادة، وما قسم الفقهاء أحكام الدين إلى عقائد وأخلاق وعبادات ومعاملات إلا ليسهل على الدارس استيعابها، وإلا فهل لأي مسلم أن يغير في غير العقائد والعبادات؟ أليست هذه العبارة تحمل في طياتها تفريغ الشريعة من مضمونها في حكم حركة الحياة الاجتماعية والاقتصادية بحجة أنها ليست من العقائد ولا العبادات؟!! ثم إن مسألة التراضي بين الطرفين ليست هي الأساس في أحكام الشرع، فهل إذا تراضى رجل وامرأة على الزنا يحول الزنا إلى مباح؟! إن رسول الله صلى الله عليه وسلم نهى في الصحيح عن تلقي الركبان، ومعنى هذا أن أهل الحضر كانوا يتلقون أصحاب السلع قبل أن يصلوا إلى السوق؛ فيشترون منهم بالتراضي وبسعر يجهله صاحب السلعة، فهل كان التراضي هنا مبيحاً للمعاملة أم نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم عنه بالرغم من التراضي؟!

٢- يقول الشيخ: إن شريعة الإسلام تقوم على رعاية المصالح في كل زمان ومكان، وإن بدا أنها تصطدم ببعض النصوص.

ونقول: نحن لا نشك في أن الشريعة تكفلت بمصالح الناس، ولكننا لا نشك أيضاً أن في شرع الله نفسه ما يفي بكل مصالح البشر دون تغيير أو تحريف أو تبديل، وما لم يرد في شرع الله فهو هوى ومصلحة فاسدة وهذا ما قرره الإمام الشافعي رضي الله عنه.

٣- يقول: معلوم أن البنك لم يحدد الربح إلا بعد دراسة مستفيضة لأحوال الأسواق العالمية والأوضاع الاقتصادية وهو يتم بتوجيهات من البنك المركزي.

ونقول: هل يمكن للبشر أن يحيطوا بالغيب فيتوقعون الكوارث والنكبات بحجمها المقدر في علم الله؟ هل كان الاقتصاديون يتوقعون حرب الخليج وآثارها؟. هل كانت الصين واليابان والفلبين وبنغلادش تتوقع البراكين والأعاصير التي اجتاحتها مؤخراً؟ ثم كيف تفلس البنوك العالمية مع دراستها لجدوى مشاريعها، إن قصة بنك الاعتماد والتجارة الدولي ما زالت قيد البحث حتى الآن. وقصة بنك جمال ترست ماثلة للأذهان...!!

٤- يقول: بمقتضى معرفة صاحب المال لحقه معرفة خالية من الجهالة ينظم أمور حياته.

ونقول: وهل يعتمد المسلم على ما سيأتيه من البنك ليعيش به ويترك العمل؟ وهل يستطيع المسلم عن طريق البنك أو غيره أن يحدد رزقه وينظم أمور حياته؟ هل هذا يتفق مع العقيدة؟

٥- يقول: إن حدثت الخسارة لأسباب خارجة عن إرادة صاحب العمل سيتحمل صاحب المال عند الاقتضاء ما يجب عليه منها، والذي يقرر ذلك هم رجال القضاء.

ونقول: إن العقود في الفقه الإسلامي بنيت على أسس متينة تحول دون حدوث شقاق بين المتعاقدين، لأن مهمة التشريعات أن لا تترك ثغرة للتقاضي.

إن أسلوب الشيخ في مقالاته غير دقيق، وغير علمي، وموهم، ويمكن أن يستند على بعض منه ذوو الأغراض السيئة، والنوايا الخبيثة.

وإننا لنعجب كثيراً ونشفق على فضيلة المفتي وعلى المسلمين، إذ هو يشككهم في أمور مجمع عليها، بل تعتبر مما علم من الدين بالضرورة، وإذا تطرق الشك إلى هذه الأمور وصل الأمر حتما إلى هدم الشريعة من الأساس، فهل يسمح لنا المفتي أن نسأله: إذا كانت معاملة البنوك ليست ربوية فما هو الربا المحرم شرعاً؟ فإذا قال: هو ما كان مبنياً على الاستغلال، قلنا له: إن الاستغلال حكمة وليست علة، والحكم لا يدور إلا مع العلة وجوداً وعدماً...

كما لنا أن نسأله: لقد سبق له أن أفتى بحرمة هذه المعاملات في الفتوى رقم ٥١٥/ ١٩٨٩ فما الذي جعله يرجع عن تلك الفتوى وهي التي تساير المجمع عليه؟ إن أغلب الظن أن الشيخ مضلل من قبل جماعة درست الاقتصاد على الأسس الربوية، ولا ترى اقتصاداً يمكن أن يقوم على غيرها، وليس لها تصور للمعاملات الإسلامية الصحيحة.. وإنا لننصح الشيخ مخلصين أن يرجع إلى الله الذي لا تجدي عنده التبريرات ولا الاعتذارات من الأتباع بأنهم كانوا مخدوعين أو مضللين من قبل المتبوعين، فقد سمى القرآن الكريم التابع ظالماً فقال:

﴿ ويوم يعض الظالم على يديه يقول يا ليتني اتخذت مع الرسول سبيلا. يا ويلتا ليتني لم أتخذ فلانا خليلا. لقد أضلني عن الذكر بعد إذ جاءني وكان الشيطان للإنسان خذولا ﴾

ننصحه أن يعلن رجوعه عن فتواه الأخيرة فليس عيباً يذكر ولا سيئة تنكر أن يرجع الإنسان عن خطئه، فالكمال لله وحده والعصمة للأنبياء،وكل بني آدم خطاء، وخير الخطائين التوابون، ولنا في الصحابة قدوة وفي سلفنا الصالح أسوة، وقد رجع عمر بن الخطاب عن توريثه في المسألة المشتركة، ورجع ابن عباس في إباحة ربا الفضل حين تبين له الصواب، فالرجوع إلى الحق فضيلة والحق أحق أن يتبع.

اللهم قد نصحنا لك ولدينك، وأبرأنا ذمتنا، اللهم فاشهد وأنت خير الشاهدين.

عنهم د. محمد المختار المهدي

المصادر:

١- بداية المجتهد ٢/٢٦٢
٢- نيل الأوطار ٥/٣٠
٣- حكم الربا في الشريعة الإسلامية ص ٢٤
٤- المغني ٥/١٤٨
٥- تكملة المجموع ١٤/٢١٥
٦- المغني ٥/١٨٤
٧- سبل السلام ٣/٤٥

الحرص على الدعوة

هل نحن حريصون على الدعوة ونجاحها، وأن تكون هي الأقوى، وهي المهيمنة. إذا كان الأمر كذلك؛ فهل هناك حرص آخر يوازي هذا الحرص ويزاحمه ويدافعه، وهو الحرص على المستقبل! ! مستقبل العمل الوظيفي، مستقبل الأولاد، تأمين المسكن المريح، والمركب المريح، والوطن المريح.

إن واقعنا يدل على هذه المزاحمة والمدافعة إلا في القليل النادر. فالدعوة لا تشغل البال ولا تقيم الداعية وتقعده، يفكر فيها ليل نهار، كيف تنجح، كيف تتقدم؟ وما هي أسباب الفشل، وما هي أسباب التأخر والضعف.

إن الدعاة يعلمون أن وحدة الصف ووحدة المنهج من أهم أسباب قوة الدعوة، وأن تجميع الطاقات الفعالة المنتجة من أسباب قوة الدعوة، فلماذا لا يفعلون؟ وهم يعلمون أنه ليس للدعوة الآن كلمة نافذة وهيبة مرهوبة، وهيئة علماء يسمع ويستجاب لها، فلماذا لا يسعون لتحقيق هذا؟

. إن أشد ما يتعجب له المرء حرص أصحاب البدع وأصحاب الباطل على نجاح دعوتهم، فنراهم يجوبون البلاد طولاً وعرضاً لنشر بدعهم ومبادئهم، يقول أحد دعاتهم: « وددت أن لو ظهر هذا الأمر يوماً واحداً من أول النهار إلى آخره فلا آسف على الحياة بعده».

وما زلت أذكر من قراءاتي أن زعيم المعتزلة واصل بن عطاء قرر إرسال أحد دعاته المقربين إلى بلدة بعيدة، وكان هذا الداعية تاجراً كبيراً فحاول مع واصل أن يرسل غيره ويدفع مقابل ذلك مبلغاً كبيراً من المال، ولكن واصل رفض وأصر على ذهابه، فما كان منه إلا أن استجاب!

والآن نشاهد الطبيب المسلم لا يرضى – إلا من رحم ربك – أن يبدأ عمله في قرية من القرى: فيساعد أهلها ويدعوهم إلى الالتزام بالإسلام. فكيف إذا قيل له: اذهب إلى جبال أفغانستان أو إلى غابات آسيا وأفريقيا؛ أو ارحل مع البدو حيث رحلوا؟! ونرى الشباب المتخرج من الجامعات الإسلامية يفضل العمل ولو وظيفة صغيرة في مدينة من المدن على أن يذهب إلى بلاد بعيدة هم بأشد الحاجة إلى أمثاله لتفشي الجهل أو البعد عن الإسلام كلية. فالمشكلة إذن هي أن الكل يريد الاستقرار في المدن، بل وفي العاصمة، فمن للقبائل ومَنْ للقرى ومَنْ لمسلمي العالم؟

ونعود للسؤال الذي بدأنا به هذه الخاطرة: هل نحن – حقاً – حريصون على الدعوة ونجاحها؟

محمد العبدة

التحقيق والمحققين (٢)

محمد عبد الله آل شاكر

« يتابع الأستاذ محمد عبد الله آل شاكر وقفاته مع مدعي التحقيق، وينبه إلى الاستهانة التي يرتكبها كثير ممن امتهن هذه المهنة بكتب العلم وبأصول التحقيق والنشر العلمي.»

- البيان -

—٥—

أما إذا يممنا شطر كتب التفسير والحديث المحققة، فإننا نلاحظ جهداً مشكوراً، وعناية جاوزت الحد فانقلبت إلى الضد، مما أسميته « الكتابة على الهامش »، حيث تطغى الهوامش والحواشي على المتن، دون ضبط النسبة بينهما، فتجد أحدهم يخرج حديثاً واحداً في أربع صفحات، وقد يكون من أحاديث الشيخين « البخاري ومسلم » مما قالوا عنه: إنه جاوز القنطرة، وهذا يريحنا من عناء البحث والتعب، فالثقة حاصلة بصحته.

ولكن بعض المحققين يحلو له أن يستعرض عضلاته على القراء، فيضع كتب الرجال والجرح والتعديل في الحاشية، مترجماً لكل راو في السند حتى ولو كان من مشاهير الصحابة أو الأئمة، ويتبع هذا مجموعة من المصادر للترجمة تتكرر في

كل صفحة تقريباً! كي يصل بعد هذا إلى الحكم على الإسناد، وغالباً ما يكون مسبوقاً إلى هذا من الأئمة المحدثين والحفاظ. وكان من الأجدى والأيسر على القارئ أن يشير إلى مَنْ فيه كلام من الرواة، دون الكلام على سائر رجال الإسناد.

وقد نعتذر لهم عن هذه الظاهرة، إذ قد يكون سببها أن الباحث بذل جهداً وأضاع وقتاً في مراجعة المصادر، فأراد أن يشرك القارئ معه، ولم يضن عليه بالعلم، فوضع كل ما قرأه في حاشية الكتاب، سواء كانت الحاجة تدعو إلى ذلك أو لا تدعو إليه.

وهذا وإن كان يصلح في الأعمال العلمية بين جدران المعاهد والدراسات العليا (لإعداد رسائل الماجستير والدكتوراه) ، فما أظنه صالحاً عندما يعد الباحث رسالته للنشر في كتاب يطرح في الأسواق بين القراء. مع ما فيه من إضاعة للجهد، ومن تكاليف باهظة في الطباعة، وإعاقة عن إتمام التحقيق للكتب الكبيرة، فضلاً عن تفريغ جيوب القراء وطلبة العلم والإثقال عليهم.

والأمثلة هنا كثيرة جداً، تعزُّ على الحصر، ومن آخر ما اطلعت عليه مما يصدق عليه كلامنا هذا، كتاب « مختصر استدراك الحافظ الذهبي على مستدرك أبي عبد الله الحاكم » لابن الملقن المتوفى سنة (٨٠٤ هـ) في ستة أجزاء، تحقيق ودراسة عبد الله بن حمد اللحيدان، دار العاصمة بالرياض، ١٤١١ هـ. تجد فيه المتن يقع في سطرين أو أكثر قليلاً، والتعليق والحواشي في (٤) صفحات تبدأ بذكر سند الحديث عند الحاكم ثم تخريجه، يليه دراسة الإسناد ثم الحكم على الحديث، وغالباً تكون نسبة المتن إلى الحاشية ١/٤٠ ، فكل سطر يقابله أربعون سطراً في الحاشية.

وإليك المثال الثاني؛ « تفسير ابن أبي حاتم الرازي » فتحت الكتاب، دون قصد صفحة معينة، فانفتح على الصفحتين (٤٦ و ٤٧)، وفي أولاهما أثر ساقه

المؤلف في تفسير قوله تعالى: ﴿ **هو الذي أنزل عليك الكتاب** ﴾ عن سعيد بن جبير قال: « هو القرآن ». وفي الحاشية دراسة لرجال الإسناد، ونتيجة لذلك تقع في (٥٢) سطراً بحرف دقيق، ويليها بيان درجة الأثر في (٧) أسطر. فأنت أمام تسعة وخمسين سطراً بحرف صغير، يعدل السطر منها ثلاثةً في المتن، والمتن لا يتجاوز السطرين بحرف كبير. فهل يستطيع القارئ أن يستخرج النسبة دون آلة حاسبة! ترى ما هي حاجة القارئ إلى هذا الكلام كله عندما أصبح الكتاب متداولاً بين القراء وطلبة العلم، ولم يعد رسالة علمية جامعية؟ رغم الجهد الطيب المبذول لإخراج هذا الأثر النفيس، وجزى الله العاملين المخلصين كل خير.

ولست أدري كم يستغرق إخراج هذا الكتاب كاملاً؟ وكذلك كتاب « شُعَب الإيمان » للبيهقي، الذي يطبع في الهند؟ وأمثالهما من الكتب والموسوعات!

-٦-

ولعل تقاعس الهمم وفتور العزائم، أو النفور من الأعمال الكبيرة التي تحتاج إلى وقت وصبر وجهد، جعلت بعض المحققين يصرفون عنايتهم إلى الأجزاء الحديثية الصغيرة، وهي غالباً لا تضيف جديداً إلى كتب الأصول والمصادر الأساسية المتداولة، تلك التي لم يخدم أكثرها خدمة طيبة تليق بها، إذا استثنينا ما قام به الأستاذ محمد فؤاد عبد الباقي، رحمه الله، من جهد في إخراج عددٍ منها كصحيح مسلم، وموطأ مالك، وسنن ابن ماجه (رحمهم الله جميعاً)، والشيخ أحمد شاكر في « المسند » للإمام أحمد.

والكتب الأصول أوْلى بالعناية والاهتمام والإخراج المتقن الذي يليق بها وبمكانتها، وكم من هذه الكتب، مما لا يزال مخطوطاً، أو مطبوعاً طبعات قديمة رديئة! يحتاج إلى عناية! ومما يتصل بهذا: العناية بكتب « الزوائد » في الحديث، مع وجود الكتب الأصلية التي جُرِّدت زوائدها. فمع وجود « صحيح ابن حبان»

مثلاً، لا ينبغي الاشتغال بزوائده، لئلا يكون ذلك على حساب عمل آخر أكثر أهمية، ومع وجود «معاجم الطبراني الثلاثة» تقل أهمية زوائدها، ما لم يكن في هذه الزوائد فوائد خاصة بها، وقد كان لهذه الكتب أهميتها عند عدم وجود كتب الأصول، ويصدق هذا أيضاً على «مختصر استدراك الذهبي على مستدرك الحاكم» فهو تلخيص للملخص، وكان الأجدى العناية بالمستدرك نفسه. والطريف أن المستدرك يقع في أربع مجلدات، وتلخيص التلخيص يقع في ستة مجلدات!

—٧—

وفي غير كتب الحديث. نجد رسائل لا تتجاوز عشرين سطراً من المخطوط، أو لا تبلغ ورقة منه، فينفخ فيها المحقق ويحقنها بالدراسة والترجمة والتعليق ومنهج البحث، وما شئت من هذه الألفاظ التي يتشدق بها، فتفعل هذه الحقنة فعلها في تضخيم هذه الورقة أو الوريقات فتجعل منها كتاباً راشداً يستوي على قدميه.

وقد نجد لمؤلف واحد مجموعة كبيرة من الرسائل، يخرج المحقق لها كل رسالة بغلاف مستقل، وكان أولى وأجدى وأكثر حفظاً لهذه الرسالة، لو أنه أخرج المجموعة كلها بكتاب واحد، مع دراسة موجزة وتحقيق وتوثيق، لئلا يتكرر هذا مع كل رسالة بمفردها.

ونجد مثلاً على ذلك في: «ذوق الطلاب في علم الإعراب» تأليف الشيخ محمد أحمد عبد القادر الحفظي، تحقيق عبد الله محمد حسين أبو داهش. يقع الكتاب في صفحتين اثنتين مجرداً من الهوامش، ومع الهوامش والتعليقات يبلغ (٥) صفحات، فإذا جمعتها مع المقدمات والتعريف بالكاتب بلغت (٣٣) صفحة. قال المحقق: «وقد رأيت تحقيق هذا المخطوط سبيلاً للتعريف بأسرة آل الحفظي، برجال ألمع، ودعوة لتحقيق تراثهم النادر..» ودون أن نتساءل عن قيمة هذا التراث – الذي اطلعت على نماذج محققة منه – لأنه يحتاج إلى دراسة؛

ترى ما هي علاقة موضوع الكتاب بهذا الذي أراده المحقق؟ ثم أليس بإمكانه أن يكتب كتاباً عن أسرة آل الحفظي وتراثهم، ثم يجمع هذا التراث في ضميمة واحدة؟

وما يصدق هنا يصدق على رسائل السيوطي - التي كانت في طبعتها الأولى بمجلدين فأصبحت الآن مئات الكتب كل كتاب ورقتين أو ثلاثة وقد يزيد - وكذلك في رسائل الملا علي القاري التي ظهرت أخيراً موزعة مفتتة، وهي في أصلها مجموع واحد!

ولعله لا يغيب عن ذهن القارئ: أن هذه الملاحظات لا تعني التقليل من أهمية الكتب التي سبقت الإشارة إليها، ولا تعني إهمالها، ولا أننا ننقص أصحاب الجهد ونبخسهم حقهم، وإنما قصدت إلى توجيه العناية بالأمهات والبدء بالأولويات وتقديم ما هو أكثر أهمية على ما هو أقل في الأهمية. كما قصدت المحافظة على هذا التراث من الضياع، وعلى الجهد من أن يتبدد أو يذهب سدى.

-٨-

وإذا كان من الأجدى أن يبدأ الباحثون من حيث انتهى غيرهم، كيما يستفيدوا من جهود السابقين، ويتابعوا عملية إتمام البناء الذي سبقوا إليه، فإنه من العبث، ومن التجاهل لجهود الآخرين، أن نقوم بتكرار العمل وإضاعة الجهد في كتب قد خدمت خدمة طيبة.

ويعرف الجميع ما قام به الأستاذ محمد فؤاد عبد الباقي، وما بذل من عناية في إخراج بعض كتب السنة، مما سبقت الإشارة إليه، فمثلاً: أخرج « سنن ابن ماجه » في جزئين، وحقق نصوصه، ورقم كتبه وأبوابه وأحاديثه، وضبط كلماته، وعلق عليه، واقتبس خلاصة مما كتبه البوصيري في « الزوائد »، وصنع له

الفهارس التي تعين على الاستفادة منه، مع عناية بالغة وإتقان في الإخراج.ومع هذا كله، فإن أول كتاب اتجهت إليه عناية الدكتور الأعظمي، من الكتب الستة، هو كتاب « سنن ابن ماجة » نفسه، فقد أخرجه في أربع مجلدات، اثنان منها للفهارس، مستعيناً بالحاسب الآلي. وما أظن أن هناك ما يسوغ هذا العمل رغم ما قد يكون فيه من استدراك على السابق، ولكنه أمر يسير. ولعل الله يهيء له العمل لإنجاز مشروعه وقد اتجهت الجهود لما ينبغي أن تتجه إليه.

-٩-

ومن صور العدوان على تراثنا العلمي والعبث به، ما قد يدعو إليه زعم التيسير والتسهيل، وكأننا أمة لم تخلق إلا لهذا السهل اليسير الذي استمرأناه، وليس من شأننا أن نرتفع بأنفسنا إلى مستوى الأمة القائدة الرائدة التي لا تعبأ بالصعاب، وتبذل كل جهد لتبقى متربعة على قمة المجد.

وباسم التيسير والتسهيل، يعمد أحدهم، وقد يكون فرداً أو مؤسسة، إلى كتاب من كتب التراث فيغير ترتيبه، فلا هو الكتاب الذي وضعه مؤلفه، ولا هو كتاب أنشأه مرتبه، مع أن الكتاب الأول معروف منذ قرون متطاولة بشكله الأول، والعزو إليه وهو في صورته تلك... ومن أقرب الأمثلة لهذا: « لسان العرب » لابن منظور الذي طبعته دار المعارف بمصر طبعة جديدة مرتباً على أوائل الكلمات كطريقة « أساس البلاغة » أو « المصباح المنير ».

-١٠-

وبعد: فقد سبقتنا الأمم الأخرى أشواطاً كثيرة في العلم المادي وفي الصناعة وغيرها، لو ركضنا ركضاً ما استطعنا - وهذا حالنا - أن نلحق بها، فضلاً عن أن نسبقها، ونحن في ذلك مقصرون ومفرطون - تفريطاً معيباً، فلا أدري لماذا

ينصرف إخواننا الكرام، أصحاب المؤهلات والتخصصات العلمية، عن تخصصاتهم ومجال إبداعهم رغم حاجتنا إلى جهودهم، ينصرفون عن هذا إلى مجالات أخرى، فيكتب الطبيب في الفقه والحديث، والمهندس في الجرح والتعديل، والكيميائي في التفسير، والشاعر الأديب يتحول إلى فقيه... بحجة أنه ليس في الإسلام « هيئة أكليروس » أو بحجة الاجتهاد ومحاربة التقليد... هكذا دون احترام للاختصاص – ونحن في عصر التخصص الدقيق كما يقولون – ولا احترام للعلم وأهله، وقد لا يملكون المؤهلات التي تؤهلهم لما يقومون به، أو إن تكوينهم العلمي والفكري الذي درجوا عليه، قد لا يساعدهم على إتقان ما توجهوا إليه أخيراً – عندما عزفوا عن القيام بفرض كفائي –، أو أنهم يفهمون عبارات العلماء وأقوالهم على غير وجهها ويضعونها في غير موضعها، فأصبحت تجد تعليقاً على حديث أخرجه مسلم، مثل هذه العبارة « حسن على رأي من يقبل عنعنات الصحيحين، وهما ابن صلاح والنووي» يعني أنه ضعيف عند غيرهما! وهو من أحاديث الصحيح... وتجد أمثال هذه العبارة: « قال النووي – وليس كما زعم – » أي ليس كما زعم النووي رحمه الله، وزعم مطية الكذب كما يقولون. فأين الأدب واحترام العلماء الذين أرشدنا إليه النبي صلى الله عليه وسلم؟ أم أن المحققين يشغلون أنفسهم بالسند دون العمل بالحديث!

وأسأل الله لي ولهم ولجميع المسلمين الهداية والتوفيق، و « أن يرزقنا فهماً في كتابه وسنة نبيه صلى الله عليه وسلم، وأن يرزقنا قولاً وعملاً يؤدي به عنا حقه، ويوجب لنا نافلة مزيده ». والحمد لله رب العالمين.

علماء الاجتماع
والعداء للدين
وللصحوة الإسلامية
———(٥)

هل تحتاج بلادنا إلى علماء اجتماع

د. أحمد ابراهيم خضر

كشفنا في الحلقة الماضية كيف أن رجال الاجتماع في بلادنا قد أخذوا على عاتقهم مهمة تفكيك الدين سعيا وراء (وهم استقلالية العلم)، وبينا كيف رأى رجال الاجتماع أن انتقاد الدين جزء لا يتجزأ من تكوين العلم، وأن صدام علم الاجتماع مع الدين لا يتجزأ من تكوين العلم، وأن صدام علم الاجتماع مع الدين أمر لا مفر منه، وأنهما إذا التقيا فإن التقاءهما لا يكون إلا عبر صراعات. وشرحنا كيف أن رجال الاجتماع في بلادنا أرادوا أن يخضعوا الدين لتحليلاتهم وتفسيراتهم وتصوراتهم وفي أذهانهم اعتقاد خاطئ بتصادم الدين والعلم في الإسلام كالحال في بلاد الغرب. وكشفنا أيضاً عن ربط رجال الاجتماع شرعية ممارستهم للعلم باستمرار صدامهم مع الدين، وعن أملهم في الانفلات من قبضة علماء الدين مثلما انفلت علماء الغرب من الكنيسة. وأخيرا أوضحنا بأن عداء رجال الاجتماع للدين مرتبط بعداء الدولة له وعددنا الخطوات التي قامت بها الدولة لتمهد الطريق لرجال الاجتماع في أداء مهامهم في تفكيك الدين.

هل تحتاج بلادنا إلى علماء اجتماع؟

الإجابة بلا قطعا. لكن هذه (اللا) ليست من عندنا. إنها من أفواه وأقلام علماء الاجتماع أنفسهم.

كان رجال الاجتماع في بلادنا ولا زالوا يتصورون أنهم طليعة هذه الأمة وضميرها وأنهم القدوة والنموذج وأنهم الطلائع والضمائر. كانوا ولا زالوا يعتقدون أنهم لا

يبالغون إذا تصوروا أنهم يملكون في أيديهم (عناصر الترشيد الضرورية) للمجتمع وأنهم يستطيعون توصيف المراحل التي يمر بها هذا المجتمع وتحليل قواه الاجتماعية الفاعلة، وأنه بإمكانهم تقديم البدائل المتاحة أمامه[١]. لقد وصل الأمر برجال الاجتماع في بلادنا إلى الاعتقاد بأن الخبير منهم يجب التبارك به[٢]. نبع هذا التصور الذاتي الوهمي المبالغ فيه عند رجال الاجتماع من نظراتهم إلى المجتمع الذي لا يخرج عندهم عن مجتمع من الجهلة والأميين والمرضى والجائعين والمتأخرين الذين على رجال الاجتماع تنميتهم وعلاجهم وعصرنتهم أو تغريبهم، والإنسان العربي عندهم إنسان تقليدي متأخر متخلف[٣].

ما هي عناصر الترشيد الضرورية هذه التي يعتقد رجال الاجتماع أنهم يملكون مفاتيحها؟ إنها أي شيء يمكن أن يكون إلا (الإسلام).

إن من أبرز صفات هذا الإسلام أن الدين والعلم فيه متساندان ولا يتصادمان كالحال في بلاد الغرب. ومع ذلك فإن من مسلماته الجوهرية (الإيمان بالغيب). الله تعالى نفسه (غيب)، والملائكة والجن والشياطين والجنة والنار والبعث والحساب واليوم الآخر، كل ذلك (غيب) ولن يستقيم الإيمان إلا بالاعتقاد في هذا (الغيب). وإذا كان علم (الغرب) قاصراً عن إثبات هذا الغيب فإن هذا ليس لعيب في الدين وإنما لعيب وقصور في العلم ذاته.

سار رجال الاجتماع في بلادنا وراء الغرب (حذو القذَّة بالقذَّة) ودخلوا وراءه (جحر الضب) الذي تحدث عنه الرسول صلى الله عليه وسلم، ففصلوا بين الدين والعلم، ورفضوا الإيمان بالغيب بحجة أنه لا يستقيم مع العلم. الدكتور (أحمد الخشاب) هو أحد رواد علم الاجتماع في بلادنا. تتلمذ على يديه معظم من يشغلون الآن كراسي علم الاجتماع في جامعاتنا العربية. لقد علمهم أحمد الخشاب عناصر الترشيد الضرورية هذه التي يتحدثون عنها الآن. علمهم فصل الدين عن العلم ورفض الإيمان بالغيب الذي يعده أيديولوجية تمثل إطاراً مرجعيا لتفسير تبريري تحكمه عقلية تسلطية رجعية.

يقول أحمد الخشاب في كتابه الذي خصصه لهذا الترشيد: « على أنه يجب أن نؤكد أننا نرفض النظرة التقليدية للقيم الروحية التي تتمثل في مجموعة التصورات الطقوسية التي تحويها الساحة الدينية وتغذيها الأيديولوجية الغيبية.. ذلك لأننا نعلم عن يقين أن الأيديولوجية الغيبية كانت ولا تزال تمثل الإطار المرجعي للتفسيرات التبريرية للعقلية التسلطية الرجعية »(٤).

ويعتبر أحمد الخشاب من أوائل الذين حاولوا صياغة نظرية اجتماعية عربية وكان ذلك في عام ١٩٧٠ . وأول مسلمات هذه النظرية هو الإطاحة بما أسماه (بالأطر العقائدية التقليدية) التي رأى أنها تعبر عن (طبيعة غير علمية). اعتبر الخشاب أن هذه العقيدة من أهم العثرات التي تقف في وجه هذه النظرية المنشودة(٥).

ولنعد قليلاً إلى مرحلة ما قبل الخشاب . كان عام ١٩٠٨ هو عام تأسيس أول جامعة أهلية علمانية في مصر ألقيت فيها أول محاضرات في علم الاجتماع (القانوني). وكانت الفترة من عام (١٩٢٤ إلى عام ١٩٣٦) هي فترة التحول التدريجي لما يسمونه (بعلم الاجتماع العلمي). وبفعل تأثير الأفكار التي حملها (رفاعة الطهطاوي) والاحتكاك بالغرب في الحرب العالمية الأولى تدفق إلى مصر كمٌّ من الأفكار الجديدة التي قال عنها رجال الاجتماع في بلادنا إنها: (تحدت الأفكار القديمة وأعدت لمرحلة الانقطاع عن الماضي) أي (الإسلام). شهد عام (١٩٢٤) تأسيس الجامعة المصرية (جامعة القاهرة حاليا) وهي جامعة حكومية حلت محل الجامعة الأهلية. ألقيت في هذه الجامعة أول محاضرات منظمة في علم الاجتماع. وكان من المنطقي مع تأسيس الجامعة الأمريكية في القاهرة في منتصف العشرينيات تقديم برنامج منظم في علم الاجتماع، وبذلك أحكم الأمريكيون مع العلمانيين في مصر ضبط خيوط تحقيق هذا الانقطاع عن الإسلام.

أما أول كراسي للأستاذية في علم الاجتماع فقد شغلها بالطبع أساتذة أجانب بارزون وعلى رأسهم إيفانز برتشارد (١٩٣٢-١٩٣٤) وآرثر موريس هوكارت (١٩٣٤-١٩٣٨) أما في جامعة الاسكندرية فقد شغل كراسي الأستاذية في علم الاجتماع اساتذة غربيون بارزون على رأسهم (راد كليف براون) و (ردنك أورلخ).

لقد شهدت هذه الفترة انتشار الأفكار (الإلحادية) للفلسفة الوضعية (لأوجست كنت) وللمدرسة الفرنسية في علم الاجتماع وأفكار المدرسة الأنتربولوجية البريطانية والأفكار التحررية السائدة في الغرب[٦]. وعن موقف هؤلاء الأساتذة الأجانب من الدين يكفي هنا أن نستشهد بمقولة هامة قالها قطب الأنتربولوجيا الشهير (ايفانز برتشارد) الذي كان أول من شغل كرسي الأستاذية في جامعة القاهرة والذي أشرنا إليه في الفقرة السابقة، يقول برتشارد في عام ١٩٥٩ :

« إن الأنتربولوجيين بصفة عامة ذووا اتجاهات سلبية عدائية كئيبة ضد الدين. إن العلماء الأوائل الذين أثروا في الفكر الأنتربولوجي لأكثر من قرن كامل يوقنون تماماً بعدم مصداقية الدين المنزل وأن كل العقائد نسبية. ورأى علماء القرن التاسع عشر أن الدين غير حقيقي وعديم الفائدة ويجب استئصاله والتقليل من آثاره وإنقاص هيبته بالتقدم العلمي، وحينما تحققوا من الوجود العام للدين عبر التاريخ الإنساني حاولوا أن يشرحوا ما اعتبروه وهماً برده إلى عوامل نفسية...إن معظم البارزين من علماء الأنتربولوجيا لم يكن لهم اعتقاد ديني لأن العقائد كلها عندهم مضللة»[٧].

نما علم الاجتماع في بلادنا بصورة سريعة لتحقيق هذا الانقطاع عن الدين وعن الإسلام. عرف علم الاجتماع موضوعاته وأهدافه وإمكانياته. وإذا قيست الفترة الزمنية التي رسخ فيها هذا العلم في الجامعات العربية فإن نموه ولو مقيساً فقط بعدد خريجيه ليشكل تقدماً ملحوظاً لم يصل إليه نظيره في الجامعات الغربية والشرقية في الفترة نفسها[٨].

شهد علم الاجتماع في تطوره الأكاديمي التنظيمي مراحل توسع ضخمة تركز أكثرها خلال السبعينيات حيث أنشىء عدد كبير من أقسام الاجتماع في الجامعات العربية سواء في مصر على امتداد رقعتها من القاهرة حتى أسوان، أو على امتداد الوطن العربي من الكويت وبغداد والدوحة والإمارات شرقاً حتى فاس والرباط غرباً، مروراً بكل الجامعات الكبيرة والصغيرة حتى تلك الجامعات التي يطلق عليها (محمود الجوهري) أستاذ الاجتماع بجامعة القاهرة « بالجامعات الدينية » كجامعة الأزهر

وجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية[٩].

وهنا تكمن الكارثة الكبرى وهي غزو علم الاجتماع لما يسمونه بالجامعات الدينية. وسنستشهد هنا بنموذج واحد لبيان ضخامة حجم هذه الكارثة. هذا زيدان عبد الباقي أستاذ علم الاجتماع بكلية البنات بجامعة الأزهر يقول لطالباته:

« هذا وتواجه البلاد الإسلامية مشكلة مختلفة تماماً تدور حول جمود التقاليد الدينية الأمر الذي يتعارض مع التغييرات التكنولوجية... ذلك أن الإسلام قد فرض كثيراً من الأوامر والنواهي على معتنقيه الأمر الذي يتعارض مع أي تغيير يستهدفه التقدم العلمي والتكنولوجي.. وإذا كان من المتفق عليه أن العقيدة الدينية تتطابق مع كل نموذج معقول من الفكر فإن غاية واحدة لطيف أنوار العقيدة الدينية تجعل السحر بمثابة العنصر السائد للدين»[١٠].

لم يكن باستطاعة علم الاجتماع في بلادنا أن ينمو دون أن يقدم مزاعم عريضة عن فائدته المجتمعية العامة وأهلية ممارسيه، واحترافهم فلم يتردد مؤسسوه ودارسوه أن يعلنوا منذ البداية بأن علمهم يعد « وصفة طبية ناجحة » لعلاج جميع أمراض مجتمعهم[١١].

ولهذا فإنه في خلال نصف القرن الأخير دخل علم الاجتماع ضمن مناهج الدراسات الجامعية في أقسام وشعب متخصصة يصل عددها إلى حوالي ثلاثين شعبة، وبعد أن كان يدرس في البداية على أيدي هواة من المتخصصين في فروع معرفية أخرى سرعان ما أصبح تدريسه على أيدي متخصصين في علم الاجتماع ذاته يصل عددهم بمعيار الحصول على الدكتوراه إلى حوالي المائتين. ويصل عدد الطلاب المتخصصين في علم الاجتماع في الجامعات والكليات العربية حتى الآن إلى حوالي عشرة آلاف طالب يتخرج منهم سنوياً حوالي ألفي طالب. كما يوجد في الوطن العربي ما لا يقل عن خمسة عشر مركزاً بحثياً في علم الاجتماع أو بعض فروعه. ويظهر في المتوسط حوالي مئة كتاب سنوياً يؤلفها أساتذة الاجتماع العرب بالإضافة إلى مئات من الأوراق والمقالات والتقارير البحثية والاستشارية، علاوة على عشر مجلات أكاديمية متخصصة في علم الاجتماع[١٢].

وبعد سبعة وسبعين عاماً من هذا النمو والازدهار والتضخم الكمي والمؤسسي في علم الاجتماع (المنقطع عن الإسلام) اجتمع رجال الاجتماع العرب في تونس وبالتحديد في يناير ١٩٨٥ لمناقشة محصلة هذا الانقطاع وهل أثمر التخريب المتعمد للنسيج الاجتماعي في بلادنا وذلك في ندوة بعنوان (نحو علم اجتماع عربي). كان أهم نتائج هذه الندوة الاعتراف الصريح بالفشل الذريع الذي تجسد في إجاباتهم على سؤال طرحوه بأنفسهم هو: « هل يستطيع الوطن العربي أن يعيش ويزدهر بدون علماء اجتماع؟ » اعترف رجال الاجتماع ويعتصرهم الألم الشديد اعترافاً جلياً بأن بلادنا ليست في حاجة إليهم، وأنها ليست في حاجة إليهم الآن كما لم تكن في حاجة إليهم في الماضي.

وهذا هو نص اعترافات سعد الدين إبراهيم الأستاذ بالجامعة الأمريكية بالقاهرة يقول فيها مجيباً على السؤال السابق:

« راودني هذا السؤال منذ سنوات وأنا أفكر في كتابة هذه الدراسة التي أشارك بها زملائي المشتغلين بعلم الاجتماع في الوطن العربي. وكنت قد قررت أن تكون مساهمتي المتواضعة في هذه الندوة جولة صريحة في أعماق الضمير السوسيولوجي، إن كان ثمة ضمير سوسيولوجي... وحتى لا أطيل في المقدمات فإن إجابتي الشخصية عن السؤال بكل الصدق المؤلم هي أنه (نعم). نعم يستطيع مجتمعنا أن يعيش ويتقدم بلا علماء الاجتماع العرب، ولكي أخفف على نفسي ألم هذه الأجابة حاولت توجيه هذا السؤال نفسه بالنسبة إلى فئات أخرى في المجتمع. وخلصت إلى أن هناك فئات عديدة لا يستطيع المجتمع أن يعيش بدونها أهمها: الفلاحون والعمال ورجال الإدارة والجيش، وأن هناك فئات أخرى لا يستطيع المجتمع أن يتقدم بدونها أهمها: المهندسون والأطباء والعلماء وخبراء التكنولوجيا والاقتصاد.. أما علماء الاجتماع والأنتروبولوجيا والنفس والسياسة والإعلام والآثار وفئات أخرى عديدة فيمكن للمجتمع أن يعيش ويتقدم بغيرهم.

وبشكل آخر لو وضعنا السؤال: ماذا يحدث للوطن العربي إذا اختفى كل علماء الاجتماع فجأة؟

والإجابة هي: لا شيئ سيحدث للمجتمع سلباً أو إيجاباً، وينطبق ذلك على فئات مهنية أخرى كما ينطبق على مجتمعات أخرى عديدة. وبالمقابل هناك مجتمعات تقدمت في العصر الحديث دون أن يوجد فيها فئة مهنية تسمى علماء الاجتماع مثل اليابان إلى ثلاثينيات هذا القرن، والصين إلى عقود متأخرة من هذا القرن. كذلك ليس هناك ما يثبت قطعياً أن بريطانيا وألمانيا وفرنسا والولايات المتحدة ما كان لها أن تتقدم خلال القرنين الأخيرين لولا وجود علماء الاجتماع فيها. وما أريد أن أخلص إليه هو أن علماء الاجتماع كفئة مهنية متخصصة ليست ضرورية في المجتمع الحديث وبالطبع، لم تكن ضرورية في المجتمع التقليدي »[١٣]

لم يكن هذا الاعتراف الصريح والمؤلم هو الاعتراف الوحيد لمحصلة (الثورة على الدين والانقطاع عن الإسلام) إنما كانت هناك لرجال الاجتماع اعترافات أخرى لا تقل شدة في إيلامها وقسوتها عن هذا الاعتراف نترك الحديث عنها للعدد القادم إن شاء الله.

« يتبع »

المصادر:

١- سعد الدين ابراهيم، علم الاجتماع وقضايا الإنسان العربي، (نحو علم اجتماع عربي) الكتاب السابع من سلسلة كتب المستقبل العربي، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت ١٩٨٦ ص ٢٠٩، انظر أيضاً سعد الدين إبراهيم، تأمل الآفاق المستقبلية لعلم الاجتماع في الوطن العربي (نحو علم اجتماع عربي) ص ٣٥٦ .
٢- عبد الوهاب بوحديبة، ندوة: نحو علم اجتماع عربي المنعقدة في أبو ظبي من ٢٤-٢٨ أبريل ١٩٨٣ منشورة في الكتاب السابق (نحو علم اجتماع عربي) ص ٣٨٨ .
٣- محمد شقرون، أزمة علم الاجتماع أم أزمة المجتمع، (نحو علم اجتماع عربي) ص٧٧-٧٨ .
٤- أحمد الخشاب، الاجتماع التربوي والإرشاد الاجتماعي، القاهرة ص ٤٩٥-٤٩٦ .

٥- عبد الباسط عبد المعطي، اتجاهات نظرية في علم الاجتماع، عالم المعرفة، الكويت ١٩٨١ ص ٢٨٣-٢٨٤ .

٦- EZZAT HEGAZY, *Contemporary Sociology in Egypt, Raji Maham and Don Martindale, Handbook of Contemporary Developments in World Sociology, London, 1975 p.380.*

٧- *John Saliba, Religion and Anthropology, Anthropologica, 18, 1976 p.179.*

٨- سالم ساري، الاجتماعيون العرب ودراسة القضايا المجتمعية العربية، (نحو علم اجتماع عربي) ص ١٨٥ .

٩- محمد الجوهري، الكتاب السنوي لعلم الاجتماع، العدد الأول، دار المعارف، القاهرة ص ١١

١٠- زيدان عبد الباقي، ركائز علم الاجتماع، دار المعارف القاهرة، ١٩٧٥ ص ٢٥٦ ، ٤٤٦ .

١١- سلام ساري، المرجع السابق ص ١٨٥ .

١٢- سعد الدين إبراهيم، تأمل الآفاق المستقبلية، المرجع السابق ص ٣٤٥

١٣- المرجع السابق ص ٣٤٣-٣٤٤



لمـــــاذا نرفـــــض العلمـــانية؟

محمد محمد بدري

ظهر مصداق قول رسول الله صلى الله عليه وسلم: « بدأ الإسلام غريباً وسيعود غريباً كما بدأ فطوبى للغرباء » رواه مسلم، وأصبح واقع الأمة الإسلامية يقرر أن غربة النبي صلّى الله عليه وسلم، وأسرة ياسر، وبلال وغيرهم، قد عادت للذين يقولون: ربنا الله، لا قيصر، والحاكمية لله، لا للبشر،... وغابت راية الإسلام عن أرض الإسلام وحكمتها نظم علمانية لا دينية، حتى أصبحت الدعوة إلى أن يكون الإسلام بكتابه الكريم، وسنة رسوله الأمين - صلى الله عليه وسلم - أساس الحكم، جريمة في أكثر دول العالم (الإسلامي) تحاكم عليها قوانين تلك البلاد بالإعدام بتهمة تغيير شكل النظام؟!.

ولقد كان مما ساعد على استقرار تلك الأوضاع غياب الكثير من حقائق الإسلام وبديهياته، ومن أظهرها أن وجوب الحكم بما أنزل الله عقيدة لا يكون المسلم مسلماً إذا تخلى عنها، وأن التشريع بغير ما أنزل الله، والرضى بشرع غير شرع الله هو شرك مخرج من الملة.

ولما كان بيان الحق وإبلاغه للخلق أمانة في عنق كل من علم شيئاً من حقيقة هذا الدين، فقد كتبت هذه المقالة:

بياناً لحقيقة العلمانية، بكشف المخبوء من حقيقتها، وتعرية المستتر من أسرارها،وإضاءة المناطق المعتمة في حركة العلمانيين ودعوة للنجاة في الدنيا والآخرة، بقبول شرع الله، ونبذ كل شريعة يقوم عليها علمانيون يقفون في طريق الإسلام والتوحيد الخالص، وكأنهم أرباب زائفون. وليكون ذلك ميلاداً جديداً للفرد المسلم والأمة المسلمة، الأمة التي تحمل رسالتها إلى كل البشرية بالنجاة من الشرك... تلك الرسالة التي عبر عنها في بساطة ربعي بن عامر رسول قائد المسلمين إلى رستم قائد الفرس، هذا يسأله ما الذي جاء بكم؟ فيجيب للتو واللحظة: ...الله ابتعثنا لنخرج من شاء من عبادة العباد إلى عبادة الله وحده.

أولاً: العلمانية...وحكم الجاهلية:

حاول اعداء الإسلام القضاء على الإسلام عن طريق نشر الإلحاد...وفشلوا..وحاولوا صرف الناس عن الإسلام عن طريق الشيوعية..وفشلوا..وأحس الأعداء اليأس من هذا الدين..ولكنهم، بعد التفكير والتدبير، لجأوا إلى طريقة أخبث (لجأوا إلى إقامة أنظمة وأوضاع تتزيا بزي الإسلام، وتتمسح في العقيدة، ولا تنكر الدين جملة، بل تعلن إيمانها به إيماناً نظرياً واحترامها له كعقيدة في الحنايا، وشعائر تؤدى في المساجد، ..أما ما وراء ذلك من شؤون الحياة فمرده - بزعمهم - إلى إرادة الأمة الحرة الطليقة التي لا تقبل سلطاناً عليها من أحد!!!

ولما كانت حقيقة العلمانية قد تخفى على كثير من المسلمين، فإنه من واجبنا أن نفضح هذه العلمانية عبر نظرة نلقيها عليها لنتبين من خلالها ما هي العلمانية؟ وكيف نشأت؟ لمن حق التشريع المطلق في نظمها؟ وما هي الشريعة التي تحمل الأمة على التحاكم إليها؟

١- العلمانية.. التعريف والنشأة:

لفظ العلمانية ترجمة خاطئة لكلمة secularism في الإنجليزية، أو secularite بالفرنسية، وهي كلمة لا صلة لها بلفظ العلم ومشتقاته على الإطلاق... والترجمة الصحيحة للكلمة هي اللادينية أو الدنيوية، لا بمعنى ما يقابل الأخروية فحسب بل بمعنى أخص هو ما لا صلة له بالدين، أو ما كانت صلته بالدين علاقة تضاد..

وفي دائرة المعارف البريطانية مادة secularism : هي حركة إجتماعية تهدف إلى صرف الناس وتوجيههم من الاهتمام بالآخرة إلى الإهتمام بهذه الدنيا وحدها[١]. ولذلك فإن المدلول الصحيح لكلمة (العلمانية) هو: فصل الدين عن الدولة أو هو: إقامة الحياة على غير الدين، سواء بالنسبة للأمة أو الفرد، ثم تختلف الدول أو الأفراد في موقفها من الدين بمفهومه الضيق المحدود، فبعضها تسمح به،...وتسمى العلمانية المعتدلة، فهي - بزعمهم - لا دينية ولكنها غير معادية للدين، وذلك في مقابل المجتمعات الأخرى المضادة للدين... وبدهيّ أنه لا فرق في الإسلام بين المسمين، فكل ما لبس دينياً من المبادئ والتطبيقات فهو في حقيقته مضاد للدين، فالإسلام واللادينية نقيضان لا يجتمعان ولا واسطة بينهما[٢]. وإذن فالعلمانية دولة لا تقوم على الدين، بل هي دولة لا دينية، تعزل الدين عن التأثير في الدنيا، وتحمل الأمة على قيادتها للدنيا في جميع النواحي السياسية والاقتصادية والاجتماعية والأخلاقية والقانونية وغيرها بعيداً عن أوامر الدين ونواهيه.

والعلمانية دولة لا تقبل الدين إلا إذا كان علاقة خاصة بين الإنسان وخالقه، بحيث لا يكون لهذه العلاقة أي تأثير في أقواله وأفعاله وشؤون حياته.

« ولا شك أن هذا المفهوم الغربي العلماني للدين على أنه علاقة خاصة بين

العبد والرب، محلها القلب، ولا علاقة لها بواقع الحياة...جاء من مفهوم كنسي محرف شعاره « أدِّ ما لقيصر لقيصر، وما لله لله»، من واقع عانته النصرانية خلال قرونها الثلاثة الأولى، حين كانت مضطهدة مطاردة من قبل الامبراطورية الرومانية الوثنية فلم تتمكن من تطبيق شريعتها، واكتفت بالعقيدة والشعائر التعبدية اضطراراً واعتبرت ذلك هو الدين، وإن كانت لم تتجه إلى استكمال الدين حين صار للبابوية سلطان قاهر على الأباطرة والملوك، فظل دينها محرفاً لا يمثل الدين السماوي المنّزل، فلما جاءت العلمانية في العصر الحديث وجدت الطريق ممهداً، ولم تجد كبير عناء في فصل الدين عن الدولة »[٣]، وتثبيت الدين على صورته الهزيلة التي آل إليها في الغرب.

وإذن فالعلمانية: رد فعل خاطئ لدين محرف وأوضاع خاطئة كذلك، ونبات خرج من تربة خبيثة ونتاج سيئ لظروف غيرطبيعية، فلا شك أنه لم يكن حتماً على مجتمع ابتلي بدين محرف أن يخرج عنه ليكون مجتمعاً لا دينياً، بل الافتراض الصحيح هو أن يبحث عن الدين الصحيح..فإذا وجدنا مجتمعاً آخر يختلف في ظروفه عن المجتمع الذي تحدثنا عنه، ومع ذلك يصر على أن ينتج اللادينية ويتصور أنها حتم وضرورة فماذا نحكم عليه؟[٤] فقط نثبت السؤال، ونترك – لا نقول لكل مسلم – بل لكل عاقل الإجابة عليه!

أما نحن فنكرر هنا أنه لا يوجد دين جاء من عند الله هو عقيدة فقط، والدين الذي هو عقيدة فقط « أو عقيدة وشعائر تعبدية، دون شريعة تحكم تصرفات الناس في هذه الأرض ، هو دين جاهلي مزيف لم ينزل من عند الله »[٥].

٢- العلمانية..وحق التشريع المطلق:

في مسلسل نبذ الشريعة الإسلامية، وفصل الدين عن الحياة في دار الإسلام،

كانت الحلقة الأخيرة هي النص في دساتير الدول في العالم الإسلامي على تقرير حق التشريع المطلق للأمة من دون الله، ونصت بعض الدساتير على اعتبار رئيس الدولة جزءاً أصيلاً من السلطة التشريعية. واكتفى البعض الآخر بالنص على الحقوق التي يمارسها رئيس الدولة في مجال التشريع وهي حق الاقتراح، وحق الاعتراض أو التصديق. فالأنظمة العلمانية تقر بالسيادة المطلقة للأمة، وتنص في دساتيرها على أن القانون هو التعبير عن إرادتها المطلقة...فالأمة - بزعمهم - هي التي تقرر الشرائع التي تحكم بها، وحقها في ذلك بلا حدود!!

ولا شك في أن هذا في حقيقته هو الإقرار بحق التشريع المطلق للأمة لا ينازعها فيه منازع ولا يشاركها فيه شريك..فما تحله هو الحلال وإن اجتمعت على حرمته كافة الشرائع السماوية، وما تحرمه هو الحرام وإن اتفق على حله كل دين جاء من عند الله. ذلك أن الأمة في الأنظمة العلمانية هي مصدر التشريع، وما يصدر عنها هو القانون. « والقانون ليس بنصيحة ولكنه أمر، وهو ليس أمراً من أي أحد، ولكنه أمر صادر ممن يدان له بالطاعة، وموجه إلى من تجب عليه تلك الطاعة »(٦).

وإذا كان سلطان الأمة يتجسد في السلطة التشريعية، والتنفيذية، والقضائية فإنه « لا يوجد قانون بالمعنى الصحيح إلا إذا صدر عن السلطة التشريعية في الحدود التي رسمها له الدستور،وكلتا السلطتين التشريعية والقضائية بهذا الاعتبار مشتركتان في الخضوع لسيد الكل..ألا وهو الدستور..الذي يجب أن يحنى الجميع أمامه رؤوسهم صاغرين..»(٧).

وتأمل معنى هذه الكلمات، وقل معي: رحم الله ابن تيمية...القائل: « إن الإنسان أمام طريقين لا ثالث لهما، فإما أن يختار العبودية لله..وإما أن يرفض هذه العبودية فيقع لا محالة في عبودية لغير الله».(٨)

٣- العلمانية..والمصدر الرئيسي للتشريع:

هناك شبهة قد يشوش بها العلمانيون، وهي أن بعض الدساتير العلمانية تنص على أن الشريعة الإسلامية هي المصدر الرئيسي للتشريع..مثل دستور مصر الذي جاء في مادته الثانية: أن الشريعة الإسلامية هي المصدر الرئيسي للتشريع...

ونحن نقول في الرد على هذه الشبهة: - إننا لا نحكم إلا بما نعلم، ولا نجزم إلا بما نرى المحاكم الوضعية تمارسه صباح مساء،..فهذه المحاكم لا تزال ملزمة قانوناً بتطبيق القوانين الوضعية، ولا يزال القضاة في هذه المحاكم غير قادرين بأي حال من الأحوال على تطبيق الشريعة الإسلامية.

ففي قضية اغتيال السادات أسس الدفاع عمله على الدفع بعدم الدستورية لأن نصوص القوانين مخالفة لأحكام الشريعة الإسلامية التي تعتبر المصدر الرئيسي للتشريع وفقاً لأحكام المادة الثانية من الدستور الصادر عام ١٩٧١، والمعدلة عام ١٩٨٠ ..فماذا قالت المحكمة في ردها على ذلك؟

جاء في رد المحكمة: « ..رداً على هذا الدفع، فإن المحكمة تشير بادئ ذي بدء إلى ما هو مستقر من أن قواعد التفسير للنصوص تأبى تأويل النص أو تحميله أكثر مما يحتمل إذا كان واضحاً لغوياً فعبارة (المصدر الرئيسي للتشريع) لا تمنع لغوياً وجود مصادر أخرى للتشريع، وهو نفس مفاد النص قبل تعديله »(٩).

أرأيتم..إن المحكمة تؤكد أن العبارة شركية، وأنها تنص على وجود مصادر أخرى غير الشريعة الإسلامية.

ولماذا نذهب بعيداً؟ لقد حدث بالفعل أن حكم قاضٍ بالجلد في جريمة سكر، متأولاً هذه المادة من الدستور...فماذا كانت النتيجة؟

لقد أُبطِل حكمه، وأقصي عن القضاء. وكان مما ذكره رئيس محكمة الاستئناف في أسباب بطلان هذا الحكم ما يلي:

١- إن من قضى بذلك فقد حنث في يمينه القضائي الذي أقسم فيه على الحكم بالعدل واحترام القوانين،...والعدل كما يقول رئيس محكمة الاستئناف: يعني أن يقضي القاضي في الواقع المعروض بالعقوبة الملائمة في حدود القانون المطبق..ثم يضيف قائلاً: فقضاء المحكمة بقانون آخر غير القوانين المطبقة في ذلك حنث باليمين، فما بالك بمن طبق أو يخترع قانوناً يعلم أنه غير معمول به!!

٢- ...وجنائياً لا يجوز، ولا يقبل من القاضي أن يجرم فعلاً لا ينص القانون على اعتباره جريمة، ولا يجوز له ولا يقبل منه أن يقضي بعقوبة لم ينص القانون عليها.

٣-إن مصدر هذا القانون لم يعرف شيئاً عن علم العقاب، فقد (شدد) المشرّع الوضعي في العقوبة وجعلها ستة أشهر حماية للمجتمع، وهذا أحفظ من مجرد الجلد ثمانين جلدة.(١٠)

أرأيت - أخي المسلم - إن هذه العلمانية ترى أن التشريع الوضعي أحفظ لأمن المجتمع من الشريعة الإسلامية..وأن القاضي الذي حكم بالجلد لم يعرف شيئاً عن علم العقاب..وهكذا..وكأن القوم يقولون إن الله - تعالى الله عما يقولون علواً كبيراً -لا يعرف شيئاً من علم العقاب عندما اكتفى بمجرد الجلد على السكر...سبحانك هذا بهتان عظيم.

ومن الذي يجرؤ على ادعاء أنه يشرع للناس، ويحكم فيهم خيراً مما يشرع لهم ويحكم فيهم ربهم سبحانه؟ وأية حجة يملك أن يسوقها بين يدي هذا الادعاء العريض؟..أيستطيع أن يقول إنه أعلم بالناس من خالق الناس؟ أيستطيع أن يقول: إنه أرحم بالناس من رب الناس؟ أيستطيع أن يقول: إنه أعرف بالناس ومصالح الناس من إله الناس؟...أيستطيع أن يقول: إن الله سبحانه وهو يشرع شريعته الأخيرة، ويرسل رسوله الأخير، ويجعل رسوله خاتم النبيين، ويجعل رسالته خاتمة الرسالات ويجعل شريعته شريعة الأبد، كأنه سبحانه يجهل أن

أحوالاً ستطرأ، وأن حاجات ستجد وأن ملابسات ستقع، فلم يحسب حسابها في شريعته لأنها كانت خافية عليه، حتى انكشفت للناس في آخر الزمان!!!

ما الذي يستطيع أن يقوله...وبخاصة إذا كان يدعي الإسلام؟

إنه مفرق الطريق، الذي لا معدي عنه من الاختيار..

إما إسلام، وإما جاهلية...إما حكم الله، وإما حكم الجاهلية..

وهذه العلمانية التي وصفنا حالها، ورأينا واقعها ليست يقيناً حكم الله القائم على الكتاب والسنة...فماذا تكون إلا حكم الجاهلية؟ قال تعالى:

﴿ أفحكم الجاهلية يبغون، ومن أحسن من الله حكماً لقوم يوقنون﴾

فجعل الله الحكم حكمين لا ثالث لهما: حكم الله...وهو الحكم القائم على الكتاب والسنة،..وحكم الجاهلية..وهو ما خالف ذلك[11]

وإذن فالعلمانية هي...حكم الجاهلية.

« يتبع »

المصادر:

١- وهل الدنيا والآخرة طريقان منفصلان؟ وهل هذه لإله وتلك لإله؟ وهل الإله الذي يحكم الدنيا غير الإله الذي يحاسب الناس يوم القيامة؟

٢- العلمانية - سفر بن عبد الرحمن الحوالي ص ٢١-٢٤

٣- حول تطبيق الشريعة محمد قطب ص ١١٢

٤- العلمانية - سفر بن عبد الرحمن الحوالي ص ٦٤٨-٦٤٩

٥- حول تطبيق الشريعة محمد قطب ص ١٠٧

٦/٧- راجع كتاب مدخل دستوري للدكتور سيد صبري

٨- العبودية - ابن تيمية ص ٦

٩- صحيفة الأهرام - عدد الخميس ٢٩ جمادي الأول ١٤٠٢

١٠- مأخوذ من كتاب - أحكام إسلامية إدانة للقوانين الوضعية - محمود غراب

١١- في ظلال القرآن - سيد قطب ٢/٩٠٥

شذرات وقطوف

إعداد: أبو خالد التميمي

● ضرورة التربية على معاني الإسلام:

« .. إن حفظ معاني الإسلام فقط دون أن تمس هذه المعاني القلب، ودون أن يصبغ بها السلوك، لا يفيد في التقويم ولا في صلاح المسلم، إن من يحفظ مناهج الرياضة في تقوية الجسد، ويذكرها إذا سئل عنها، أو يرددها بنفسه دون أن يطبقها فعلاً على نفسه لا يكتسب صحة جيدة ولا جسماً قوياً، وكذا من يعرف الإسلام ويحفظ معانيه دون أن يربي نفسه عليه ».

عبد الكريم زيدان – أصول الدعوة –

● الأمم لا تعيش بالماضي فقط!

« .. والأمم لا تعيش بالتاريخ ولا بما مثلته من دور في الزمن الماضي، وما حققته من نجاح وانتصار في عهد سابق، إنما تعيش الأمم بالجهاد المتواصل، والنشاط الدائم، والشعور بالمسئولية المستمر، والمخاطرة بالنفس والنفيس في كل زمان، والجدة والابتكار، وإنتاج المفيد الجديد والصالح المزيد.»

أبو الحسن الندوي

● نحن والأعداء:

« .. وليقل الأعداء ما يقولون، وليطلقوا على المؤمنين من الألقاب ما شاؤوا،

وليصفونا بالمتطرفين أو الأصوليين أو غير ذلك، فوالله لم نعبأ بهم، ولم نكترث لما يقولون. فلقد عرفنا طريقنا من كتاب ربنا وسنة نبينا عليه الصلاة والسلام. ولم ننتظر من أعداء الله أن يقوّمونا، إن الذي يحزننا هو أن يمدحونا ويثنوا علينا، لأن هذا يدل على أن فينا ما يعجبهم وهم أعداء الله لا يرضيهم إلا ما يسخطه. أما أن يرمونا ويصمونا بالألقاب المختلفة، فهذا هو الذي يسرنا، وهذا هو المنتظر منهم »

سلمان بن فهد العودة - جزيرة الإسلام -

أقوال:

- قال رجل لأبي هريرة رضي الله عنه: أريد أن أتعلم العلم وأخاف أن أضيعه فقال له أبو هريرة: كفى بترك العلم إضاعة.

- قال بكر بن عبدالله:

« إذا رأيت من هو أكبر منك، فقل: سبقني بالإسلام والعمل الصالح فهو خير مني. وإذا رأيت من هو أصغر منك، فقل: سبقته بالذنوب والمعاصي، فهو خير مني. وإذا رأيت إخوانك يكرمونك فقل نعمة أحدثوها، وإذا رأيت منهم تقصيراً فقل: بذنب أحدثته.

- قيل لابن سيرين: ما أشد الورع! فقال ما أيسره! إذا شككت في شيء فدعه.

- كان أحمد بن حنبل رضي الله عنه يمشي في الوحل ويستوقي فغاصت رجله، فقال لأصحابه: هكذا العبد لا يزال يتوقى الذنوب فإذا واقعها خاضها.

ضـــوابط
فـــــي
تلقي النصوص الشرعية وفهمها

عبد العزيز بن محمد آل عبد اللطيف

لا شك أن لنصوص الوحيين (الكتاب والسنة) المنزلة العظيمة اللائقة بها، كما أن لفهم تلك النصوص الأسلوب الملائم لحصول المقصود منها، وسأورد لك أخي القارئ بعضاً من الضوابط التي يتعين تذكرها إزاء النصوص الشرعية عند تلقيها وفهمها.

١- التسليم والتعظيم:

لا بد من التسليم التام والخضوع الكامل للنصوص الشرعية، كما أنه يتعين التحاكم إليها وتقديمها على غيرها، كما يجب تعظيم نصوص الوحيين وإجلالها وتوقيرها.

إن التسليم يعني خضوع القلب وانقياده لربه المتضمن لأعمال الجوارح، كما أن التسليم « هو الخلاص من شبهة تعارض الخبر، أو شهوة تعارض الأمر، أو إرادة تعارض الإخلاص، أو اعتراض يعارض القدر والشرع، وصاحب هذا التوجه هو صاحب القلب السليم الذي لا ينجو يوم القيامة إلا من أتى الله به، فإن التسليم ضد المنازعة »(١).

إن صفة التسليم للنصوص الشرعية من أهم صفات أهل الايمان، فلا أحد أحسن

ديناً ممن أسلم وجهه لله تعالى، كما أنه ممن نال التمسك بالعروة الوثقى.

﴿ ومن أحسن ديناً ممن أسلم وجهه إلى الله وهو محسن ﴾ [النساء ١٢٥]

وقال تعالى:

﴿ ومن يسلم وجهه إلى الله وهو محسن فقد استمسك بالعروة الوثقى ﴾ [لقمان ٢٢]

وكما يقول شيخ الإسلام ابن تيمية - أثناء حديثه عن السلف الصالح - «وكان من أعظم ما أنعم الله به عليهم اعتصامهم بالكتاب والسنة، فكان من الأصول المتفق عليها بين الصحابة والتابعين لهم بإحسان أنه لايقبل من أحد قط أن يعارض القرآن، لا برأيه، ولا ذوقه، ولا معقوله، ولا قياسه، ولا وَجْده. فإنهم ثبت عنهم بالبراهين القطعيات والآيات البينات أن الرسول جاء بالهدى ودين الحق، وأن القرآن يهدي للتي هي أقوم».[٢]

ويوضح رحمه الله أهمية هذا الأمر فيقول: « جماع الفرقان بين الحق والباطل، والهدى والضلال والرشاد والغي، وطريق السعادة والنجاة، وطريق الشقاوة والهلاك؛ أن يجعل ما بعث الله به رسله وأنزل به كتبه هو الحق الذي يجب اتباعه، وبه يحصل الفرقان والهدى والعلم والإيمان، فيصدق بأنه حق وصدق، وما سواه من كلام سائر الناس يعرض عليه، فإن وافقه فهو حق، وإن خالفه فهو باطل ».[٣]

واعلم - أخي القارئ - أن مبنى العبودية والإيمان بالله وكتبه ورسله على التسليم، وعدم الأسئلة عن تفاصيل الحكمة في الأوامر والنواهي والشرائع، ولهذا لم يحك الله سبحانه عن أمة نبي صدقت نبيها، وآمنت بما جاء به أنها سألته عن تفاصيل الحكمة فيما أمرها به، أو نهاها عنه، أو بلّغها عن ربها، بل انقادت، وسلمت، وأذعنت. وما عرفت من الحكمة عرفته، وما خفي عنها لم تتوقف في انقيادها وإيمانها واستسلامها على معرفته، وقد كانت هذه الأمة التي هي أكمل الأمم عقولاً ومعارفاً وعلوماً لا تسأل نبيها لمَ أمر الله بذلك؟ ولمَ نهى عن ذلك؟ ولمَ فعل ذلك؟ لعلمهم أن ذلك مضاد للإيمان والاستسلام ».[٤]

ولقد كان نبينا وحبيبنا محمد صلى الله عليه وسلم يربي أصحابه رضي الله عنهم على التسليم لله تعالى وآياته وإجلال النصوص الشرعية وتعظيمها، ولقد خرج صلى الله عليه وسلم على أصحابه وهم يقولون: ألم يقل الله كذا وكذا، يرد بعضهم على بعض، فكأنما فقئ في وجهه حب الرمان من الغضب، ثم قال: «ما لكم تضربون كتاب الله بعضه ببعض؟ بهذا هلك من كان قبلكم ». رواه أحمد والترمذي.

وقد ضرب الصحابة رضي الله عنهم أروع الأمثلة في التسليم والإجلال للنصوص الشرعية، فهذه امرأة تقدم على أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها وتسألها، فتقول: «ما بال الحائض تقضي الصوم ولا تقضي الصلاة؟ فقالت عائشة: أحرورية أنت؟ فقالت المرأة: لست حرورية، ولكني أسأل. قالت: كان يصيبنا ذلك فنؤمر بقضاء الصوم ولا نؤمر بقضاء الصلاة ». رواه مسلم.

ويحدث عمران بن حصين رضي الله عنه فيقول: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: « الحياء كله خير. فيقول أحدهم: إنا لنجد في بعض الكتب أن منه سكينة ووقاراً لله، ومنه ضعف. قال فغضب عمران حتى احمرت عيناه، وقال: ألا أراني أحدثك عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وتعارض فيه. قال فأعاد عمران الحديث، وأعاد الرجل مقالته، فغضب عمران، حتى قال الحاضرون له: إنه منا يا أبا نجيد، إنه لا بأس به ». أي ليس ممن يتهم بنفاق أو زندقة. رواه مسلم.

وقد التزم سلف هذه الأمة هذا المنهج، واعتنوا أيما عناية بتحقيقه، فها هو الأوزاعي رحمه الله يقول: « من الله تعالى التنزيل، وعلى رسوله التبليغ، وعلينا التسليم »(٥)

وقال رجل للزهري: يا أبا بكر حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم «ليس منا من لطم الخدود وليس منا من لم يوقر كبيرنا » وما أشبه هذا الحديث؟ فأطرق الزهري ساعة ثم رفع رأسه فقال: من الله عز وجل العلم، وعلى الرسول البلاغ، وعلينا التسليم».(٦)

ولما ذكر ابن المبارك حديث « لا يزني الزاني وهو مؤمن..»، فقال فيه قائل: ما هذا؟ على معنى الإنكار. فغضب ابن مبارك وقال: يمنعنا هؤلاء الأنان (كثير الكلام

والشكوى) أن نحدث بحديث رسول الله صلى الله عليه وسلم، كلما جهلنا معنى حديث تركناه! لا بل نرويه كما سمعنا، ونلزم الجهل أنفسنا.(٧)

وكان أبو معاوية الضرير يحدث هارون الرشيد بحديث أبي هريرة : « احتج آدم وموسى » فقال أحد الحاضرين: كيف هذا وبين آدم وموسى ما بينهما؟ قال: فوثب هارون، وقال: يحدثك عن الرسول صلى الله عليه وسلم وتعارض بكيف؟! فما زال يقول حتى سكت عنه.

يقول شيخ الإسلام أبو إسماعيل الصابوني رحمه الله معلقاً على هذه القصة: « هكذا ينبغي للمرء أن يعظم أخبار رسول الله صلى الله عليه وسلم ويقابلها بالقبول والتسليم والتصديق، وينكر أشد الإنكار على من يسلك فيها غير هذا الطريق الذي سلكه هارون الرشيد – رحمه الله – مع من اعترض على الخبر الصحيح الذي سمعه بـ« كيف » على طريق الإنكار له والابتعاد عنه، ولم يتلقه بالقبول كما يجب أن يتلقى جميع ما يرد عن الرسول صلى الله عليه وسلم ».(٨)

إن الناظر إلى واقع المسلمين الآن، يرى ما يدمي القلب، ويورث الحزن، وذلك بسبب ما قد يقع فيه الكثير من المسلمين تجاه النصوص الشرعية، من جفاء للنص، وهجران للسنة، بل ومعارضة النص الشرعي المعصوم بمعقول أو ذوق أو قياس أو سياسة... ألا فليتق الله أولئك القوم، فإنه والله يخشى على هؤلاء أن يكون لهم نصيب من هذا الوعيد الشديد في الآية الكريمة:

﴿ فليحذر الذين يخالفون عن أمره أن تصيبهم فتنة أو يصيبهم عذاب أليم ﴾ [النور ٦٣]

يقول الإمام أحمد بن حنبل رحمه الله: « عجبت لقوم عرفوا الإسناد وصحته ويذهبون إلى رأي سفيان – أي الثوري – والله تعالى يقول:

﴿ فليحذر الذين يخالفون عن أمره أن تصيبهم فتنة ﴾ أتدري ما الفتنة؟ الفتنة الشرك، لعله إذا ردّ بعض قوله، أن يقع في قلبه شيء من الزيغ فيهلك.

٢- الإيمان بجميع ما جاء عن الله تعالى وما صح عن رسوله صلى الله عليه وسلم:

من سمات أهل السنة الإيمان بجميع ما جاء في الكتاب والسنة، فلا يؤمنون ببعض ويكفرون ببعض كحال أهل الكتاب، ومن شابههم من أهل الأهواء، فأهل الحق يؤمنون بالله وبما جاء عن الله على مراد الله كما يؤمنون بالرسول صلى الله عليه وسلم على مراد الرسول صلى الله عليه وسلم.

يقول تعالى:

﴿ يا أيها الذين آمنوا ادخلوا في السلم كافة ﴾ [**البقرة ٢٠٨**]

أي فإن الله تعالى يأمر عباده والمؤمنين به أن يأخذوا بجميع شرائع الإسلام جملةً وتفصيلًا، وقال سبحانه :

﴿ والراسخون في العلم يقولون آمنا به كل من عند ربنا ﴾ [آل عمران ٧]

إن إيمان أهل السنة بجميع النصوص الثابتة في مسألة ما قد أورثهم الخيرية الوسطية بين الفرق، كما كانت هذه الوسطية سبباً في هداية الله لهم فيما اختلف فيه من الحق بإذنه، فإيمانهم - مثلاً - بنصوص الإثبات مع التنزيه في باب صفات الله تعالى جعلهم وسطاً عدلاً بين المعطلة والمشبهة، كما أن إيمانهم بنصوص الوعد والوعيد جعلهم وسطاً بين الوعيدية والمرجئة، وإيمانهم بالنصوص التي تضمنت إثبات قدرة الله وخلقه ومشيئته مع النصوص التي تثبت للعبد فعلاً ومشيئة..أورثهم المسلك الوسط الخيِّر بين القدرية النفاة والجبرية، وكذا إيمانهم بجميع النصوص الصحيحة في فضائل الصحابة جعلهم وسطاً بين الروافض والخوارج.

وقد حرص سلف الأمة على تطبيق هذا الأصل، فكانوا أهل الوسطية والاعتدال، ومثال ذلك أن الزهري - رحمه الله - حدّث بحديث الرجل المسرف على نفسه، والذي أوصى بنيه بأن يحرقوه بالنار - جهلاً منه بقدرة الله- فبعثه الله وسأله عن سبب صنيعه فقال هذا الرجل: خشيتك يا رب، فغفر له بذلك. ثم حدّث الزهري بحديث المرأة التي دخلت النار في هرة، لا هي أطعمتها ولا أرسلتها تأكل من خشاش

الأرض حتى ماتت هزلاً. رواه مسلم.

ثم قال الزهري: لئلا يتكل رجل ولا ييأس رجل.

قال النووي: « معناه لما ذكر الحديث الأول خاف أن سامعه يتكل على ما فيه من سعة الرحمة وعظم الرجاء، فضم إليه حديث الهرة الذي فيه من التخويف ضد ذلك ليجتمع الخوف والرجاء، وهذا معنى قوله « لئلا يتكل ولا ييأس» وهكذا معظم آيات القرآن العزيز يجتمع فيها الخوف والرجاء لئلا يقنط أحد ولا يتكل..»[9]

وجاء رجل إلى الحسن البصري رحمه الله يسأله عن فضل الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر – وكان ذلك في أيام فتن – فذكر الحسن حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه عن النبي الرسول صلى الله عليه وسلم قال: « لا يمنعن أحدكم رهبة الناس أن يقول بحق إذا رآه، أو شهده، فإنه لايقرب من أجل، ولا يباعد من رزق أن يقال بحق ».[10]

ثم أتبعه الحسن بحديث آخر فقال: قال النبي صلى الله عليه وسلم « ليس لمؤمن أن يذل نفسه، قيل: يا رسول الله، وما إذلاله لنفسه؟ قال: يتعرض من البلاء ما لا يطيق ».[11]

واعلم – يا أخي – أن الإيمان بجميع النصوص يقتضي تحقيق البلاغ المبين لها، فدين الله تعالى لجميع المكلفين، يقول الشاطبي: « الشريعة بحسب المكلفين كلية عامة، بمعنى أنه لا يختص بالخطاب بحكم من أحكامها الطلبية بعض دون بعض، ولا يحاشى من الدخول تحت أحكامها مكلف ألبتة. كما في النصوص المتضافرة كقوله تعالى:

﴿ وما أرسلناك إلا كافة للناس بشيراً ونذيراً ﴾

وقوله:

﴿ قل يا أيها الناس إني رسول الله إليكم جميعاً ﴾

وقوله عليه الصلاة والسلام: « بعثت إلى الأحمر والأسود...» [12]

ولكن لا يعني هذا الإخبار بكل نص ولكل مكلف بإطلاق...بل لا بد من التنبيه إلى

أمر مهم يبينه الضابط التالي:

٣- مراعاة أحوال المخاطبين:

فمن المعلوم أن لكل مقام مقالاً، وربما صح مقصد المكلف، وحسنت نيته، لكن قصر فهمه عن إدراك المقصود من النص، فساء إدراكه والتبس عليه الأمر، ولقد كان الصحابة رضي الله عنهم ممن جمعوا بين حسن القصد مع حسن الفهم، وقد يحرم البعض أحد الأمرين أو كلاهما.

يقول شيخ الإسلام: « إن المسائل الخبرية العلمية قد تكون واجبة الاعتقاد، وقد تجب في حال دون حال، وعلى قوم دون قوم، وقد تكون مستحبة غير واجبة، وقد تستحب لطائفة أو في حال كالأعمال سواء.

وقد تكون معرفتها مضرة لبعض الناس فلا يجوز تعريفه بها، كما قال ابن عباسَ لما سأله أحدهم عن قوله تعالى: ﴿ **الله الذي خلق سبع سموات...** ﴾ الآية. فقال: ما يؤمنك أني لو أخبرتك بتفسيرها لكفرت، وكفرك تكذيبك بها».(١٣)

ويوضح الشاطبي هذا الأمر فيقول:

« ومن هذا يعلم أنه ليس كل ما يعلم مما هو حق يطلب نشره، وإن كان من علم الشريعة ومما يفيد علماً بالأحكام، بل ذلك ينقسم، فمنه ما هو مطلوب النشر، وهو غالب علم الشريعة، ومنه ما لا يطلب نشره بإطلاق، أو لا يطلب نشره بالنسبة إلى حال أو وقت أو شخص».(١٤)

ثم يقول: « وضابطه أنك تعرض مسألتك على الشريعة، فإن صحت في ميزانها فانظر في مآلها بالنسبة إلى حال الزمان وأهله، فإن لم يؤد ذكرها إلى مفسدة فاعرضها في ذهنك على العقول(*) فإن قبلتها فلك أن تتكلم فيها إما على العموم إن كانت مما تقبلها العقول على العموم وإما على الخصوص إن كانت غير لائقة بالعموم، وإن لم يكن لمسألتك هذا المساغ فالسكوت عنها هو الجاري على وفق المصلحة الشرعية والعقلية ».(١٥)

وقد طبق الصحابة رضي الله عنهم هذا الضابط، فكانوا في دعوتهم وتبليغهم

مراعين لأفهام الناس وأحوالهم، فها هو عبادة بن الصامت رضي الله عنه – وهو يعالج مرض الموت – يقول: ما من حديث سمعته من رسول الله صلى الله عليه وسلم لكم فيه من الخير إلا حدثتكموه إلا حديثاً واحداً، وسوف أحدثكموه اليوم وقد أحيط بنفسي، سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: « من شهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله حرَّم الله عليه النار » رواه مسلم.

يقول القاضي عياض في شرح هذا الحديث: « فيه دليل على أنه كتم ما خشي الضرر فيه والفتنة مما لا يحتمله عقل كل واحد، وذلك فيما ليس تحته عمل ولا فيه خد من حدود الشريعة، ومثل هذا عن الصحابة رضي الله عنهم كثير في ترك الحديث بما ليس تحته عمل، ولا تدعو إليه ضرورة، أو لا تحمله عقول العامة، أو خشيت مضرته على قائله أو سامعه لا سيما ما يتعلق بأخبار المنافقين والإمارة وتعيين قوم وصفوا بأوصاف غير مستحسنة وذم آخرين ولعنهم، والله أعلم».(١٦)

وجاء في حديث معاذ قوله صلى الله عليه وسلم « ما من عبد يشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً عبده ورسوله إلا حرم عليه النار. فقال معاذ: يا رسول الله أفلا أخبر الناس فيستبشروا؟ قال: إذاً يتكلوا » فأخبر بها معاذ عند موته تأثماً.

قال ابن الصلاح: « منعه من التبشير العام خوفاً من أن يسمع ذلك من لا خبرة له ولا علم فيغتر ويتكل، وأخبر به صلى الله عليه وسلم على الخصوص من أمن عليه الاغترار والاتكال من أهل المعرفة، فإنه أخبر به معاذاً، فسلك معاذ هذا المسلك فأخبر به من الخاصة من رآه أهلاً لذلك ».(١٧)

وقال ابن رجب في شرحه لأوائل صحيح البخاري: « قال العلماء يؤخذ من منع معاذ من تبشير الناس لئلا يتكلوا أن أحاديث الرخص لا تشاع في عموم الناس لئلا يقصر فهمهم عن المراد بها، وقد سمعها معاذ فلم يزدد إلا اجتهاداً في العمل وخشية الله عز وجل، فأما من لم يبلغ منزلته فلا يؤمن أن يقصر اتكالاً على ظاهر هذا الخبر».(١٨)

ولما أخبر أبو هريرة عمر – رضي الله عنهما – بحديث: « من شهد أن لا إله إلا الله مستيقناً به قلبه دخل الجنة، فقام عمر وضرب بيده بين ثديي أبي هريرة حتى

أسقطه، وقال ارجع يا أبا هريرة، فرجع أبو هريرة إلى رسول الله، وأخبره بما فعل عمر، فقال الرسول صلى الله عليه وسلم: ما حملك على ما فعلت؟ قال عمر: فلا تفعل فإني أخشى أن يتكل الناس عليها، فخلهم يعملون. قال الرسول صلى الله عليه وسلم: خلهم » . رواه مسلم.

قال النووي: « وفيه جواز إمساك بعض العلوم التي لا حاجة إليها للمصلحة أو خوف المفسدة».(١٩)

وقد عقد الإمام البخاري باباً فقال: « باب من خص بالعلم قوماً دون قوم كراهية أن لا يفهموا، وأورد قول علي رضي الله عنه: حدثوا الناس بما يعرفون أتحبون أن يكذب الله ورسوله؟

وللحافظ ابن حجر كلام نفيس في هذا المقام حيث يقول: « وفيه دليل على أن المتشابه لا ينبغي أن يذكر عند العامة، ومثله قول ابن مسعود « ما أنت محدثاً قوماً حديثاً لا تبلغه عقولهم إلا كان لبعضهم فتنة» رواه مسلم.

وعن الحسن البصري أنه أنكر تحديث أنس بن مالك للحجاج بن يوسف بقصة العُرَنيِّين، لأنه اتخذها وسيلة إلى ما كان يعتمده من المبالغة في سفك الدماء بتأويله الواهي، وضابط ذلك أن يكون ظاهر الحديث يقوي البدعة وظاهره في الأصل غير مراد، فالإمساك عنه عند من يخشى عليه الأخذ بظاهره مطلوب(**)»(٢٠)

وساق مسلم بسنده إلى منصور بن عبد الرحمن الأشل البصري عن الشعبي عن جرير أنه سمعه يقول: أيما عبد أبق من مواليه فقد كفر حتى يرجع إليهم. قال منصور: قد والله روي عن النبي صلى الله عليه وسلم ولكني أكره أن يروى عني ههنا بالبصرة.(٢١)

والسبب في ذلك كما ذكر النووي – أن البصرة كانت مملوءة من المعتزلة والخوارج الذين يقولون بتخليد العصاة في النار، ويسلبون عنهم جميع الإيمان، فخشي منصور أن يتأول هؤلاء المبتدعة هذا الحديث على حسب أهوائهم.

نسأل الله تعالى لجميع المسلمين الفقه في الدين وبالله التوفيق.

(*) لا يصح أن يقال: إن بعض مسائل الشرع مما لا تقبله العقول لأن العقل والنقل من الله تعالى ويستحيل اختلافهما وإن حصل فلعل هناك أسباباً تعود لعدم فهم النصوص على الوجه المطلوب. ولشيخ الإسلام كتاب هام في بيان موافقة صحيح المنقول لصريح المعقول وهو المعروف (درء تعارض النقل والعقل).

- البيان -

(**) وبالطبع ليس من هذا الباب ما تزعمه بعض الفرق المبتدعة من أن الرسول حبس بعض العلوم عن الناس وقصرها على بعض، فهذا ادعاء باطل واتهام للرسول صلى الله عليه وسلم بالخيانة - حاشاه - وإنما قصدهم إشاعة ما يدعونه من دعاوى باطلة، وتعضيدها بالنصوص المزعومة، وحسبك بيان العلماء لهذا الباب.

المصادر:

١- مدارج السالكين ١٤٧/٢
٢- الفتاوى ٢٨/١٣
٣- الفتاوى ١٣٥/١٣، ١٣٦
٤- الصواعق المرسلة ١٥٦٠/٤، ١٥٦١ باختصار
٥- التمهيد ١٤/٦
٦- السنة للخلال ٥٧٩/٣
٧- تعظيم قدر الصلاة ٥٠٤/١، ٥٠٥
٨- عقيدة السلف ص١١٧
٩- شرح النووي على مسلم ٣٧٢/١٧
١٠- وأخرجه أحمد وإسناده صحيح
١١- وأخرجه أحمد والترمذي وهو صحيح. انظر صحيح الجامع الصغير ٢٥٣/٦
١٢- الموافقات ٢٤٤/٢
١٣- الفتاوى ٥٩/٦
١٤- الموافقات ١٨٩/٤
١٥- الموافقات ١٩١/٤
١٦- شرح النووي على مسلم ٢٢٩/١
١٧- شرح النووي على مسلم ٢٤١/١
١٨- الفتح ٣٤٠/١١
١٩- شرح النووي على مسلم ٢٤٠/١
٢٠- الفتح ٢٢٥/١
٢١- شرح النووي على مسلم ٥٧/٢

بين

التقصير والتآمر

د. نعمان عبد الرزاق السامرائي

المتأمل في أحوال الأمة الإسلامية يجدها تعاني معاناة شديدة كما يجد التفسيرات متباينة لذلك. بعض المفكرين يركز على قصور الأفراد والمجتمعات، بينما يركز آخرون على «تآمر» الأعداء.

والذي لا يجادل فيه أحد أن التاريخ يتحرك ولكن إلى أين؟ هناك من يعتقد بأن الحركة مندفعة للأمام، وقد قال بهذا بعض مفكري اليونان، ثم جاء «هيغل» ليقول بأن كل فترة في الحضارة تكون أفضل من سابقتها، ومعنى ذلك أن الحضارة في تقدم مستمر، وقد تلقفت الماركسية الفكرة فطبقتها في الصراع الطبقي، ونادت بمثل ما نادى به هيغل، والذي نعلمه ونعرفه عن الحضارة أنها مجموعة أشياء مادية مثل المباني والطرق وأخرى معنوية كالآداب والفنون والأنظمة والأفكار والعقائد، وهذا الخليط المجتمع يمكن أن يتقدم بعضه ويتوقف آخر ويتأخر قسم ثالث، فالحضارة ليست كائناً «عضوياً» إما أن يتقدم أو يتأخر. فإن كان هذا يصدق على الجسم الواحد فلا يصدق على الحضارة.

على أن هناك من يرى بأن حركة التاريخ تتم حسب دورات وأشهر من نادى بذلك ابن خلدون وفيكو واشبنجلر وتوينبي - على اختلاف بينهم في

طبيعة الدورة - بل هناك من يقول بالنكوص والتقهقر.

المهم أن التاريخ يتحرك وفيه تتلاقى قوى وإرادات عدة، كما يساهم في تلك الحركة نشطون وكسالى، ،يتدافعون ويتصارعون، يقول تعالى:

﴿ ولولا دفع الله الناس بعضهم ببعض لفسدت الأرض ولكن الله ذو الفضل على العالمين﴾ [البقرة ٢٥١]

ويقول:

﴿ ولولا دفع الله الناس بعضهم ببعض لهدمت صوامع وبيع وصلوات ومساجد يذكر فيها اسم الله كثيراً﴾ [الحج ٤٠]

في هذا التدافع والصراع تجديد وتنشيط، يشبه إلى حد جريان الماء الذي ما أن يقف حتى يفسد.. فالتدافع بين البشر واقع مشهود، وحقيقته محسوسة. ونعود للسؤال: هل ما نعانيه سببه تقصير أم تآمر؟؟ لقد ألفنا الكثير من المفكرين والمفسرين للتاريخ يعتمدون التفسير « التآمري » فهناك اليهود والصليبية - والشيوعية حتى الأمس -، وهؤلاء يحشرون الكثير من الحجج، فكل قضية يكون فيها المسلمون طرفاً تجد التحيز وذوبان الموضوعية، فإذا ابتعدت هذه القضية عن هذه الدائرة وجدنا الموضوعية والتزام الحياد.

وفي كل يوم نسمع هذا المسلم قتل هنا أو عذب هناك أو قام الجيش الفلاني بحصده، والعالم يلتزم الصمت فإن كان المعتدي عليه يهودياً فإن الدنيا كلها تبكي وتصرخ وتحتج.

ويتساءل البعض: ترى لو أن روسيا مثلاً قتلت كل يوم يهودياً أو أكثر كما تعمل إسرائيل بالشعب الفلسطيني فماذا سيحدث؟

لا شك أن حرباً عالمية ثالثة ستقوم، وسيقتل الملايين وتهدم مدن وتباد جيوش.

الغرب يبكي ويلطم الخدود على بضعة « مختطفين » في لبنان، ولكن لا أحد

يبكي على الفلسطيني الذي يموت تحت التعذيب الإسرائيلي، ولم نسمع أحداً بكى أو تباكى على الشباب الفلسطيني الذي دفن حياً على يد الصهاينة، تغير إسرائيل على لبنان وتستعمل كافة الأسلحة ولا من يحتج، تضرب في تونس وتقتل ولا من يحتج، تفاوض إسرائيل الهند للتعاون في ضرب المنشآت الباكستانية النووية ولا من يحتج. أليس هذا تآمراً مكشوفاً؟ يقول المؤرخ البريطاني توينبي: إن الغرب اضطهد اليهود وأساء إليهم، وكان المفروض أن يعوضهم، لكن الذي حصل أن الثمن دفعه أهل فلسطين فنزل بهم على أيدي الصهاينة بمساندة من الغرب أكثر مما نزل باليهود. ومع ذلك قام الغرب والشرق مسارعاً للاعتراف بإسرائيل ودعمها بالمال والرجال والعتاد لتعتدي كل يوم على جيرانها. دول كبرى احتجت بشدة لدى الصين لأنها تنوي بيع صواريخ لسوريا والباكستان، وهذه الدول نفسها تسلم في نفس الوقت طائرات حربية لإسرائيل وتقدم لها ألوف الملايين حتى تعتدي يومياً وتطرد أهل البلاد لتحل مكانهم مهاجرين من الحبشة أو روسيا.

هل هناك دولة في العالم تطرد المواطن لتحل مكانه مهاجراً؟ ولعل مما يدخل في سلسلة التآمر ما يصرح به أمثال « كيسينجر » علناً بأن من الواجب (تفتيت المقدرة الإسلامية قبل أن يقدر لها الاكتمال).

وقد قدر الدكتور حامد ربيع أن الغرب سيعمل لإجهاض الصحوة الإسلامية عن طريق « التلويث والتطويع والإذابة». أما حملة التلويث فقائمة على قدم وساق، تساهم فيها الصحافة العربية بعلم أو بدونه، نيابة عن الآخرين، وأما التطويع فتلك مهمة الحكومات المحلية، فهي تشد يوماً وترخي آخر، حتى قال وزير داخلية في قطر عربي كبير: إن أحكام الطوارئ تطبق على «الإسلاميين فقط» وحقوق الإنسان تشمل كل البشر سوى المسلم فهو حلال الدم. أما الإذابة فقد تكفل بها أشخاص من بينهم مدراء جامعات في جيوبهم « شيكات » توزع هنا

وهناك والهدف ضرب الصحوة الإسلامية وإذابتها،

ومن يريد الاستزادة فدونه كتاب « موقف إسرائيل من الحركة الإسلامية » لزياد علي.

أما التقصير فهو أظهر من أن يخفى، فهذه اليابان والمانيا خرجتا من الحرب العالمية مهزومتين، وقد دمرت مدنهما وخلعت حتى قضبان سكة الحديد، ونهبت المصانع وخلال سنوات سبقت حتى الدول التي انتصرت عليها، وقد لحقت بها أخيراً كوريا الجنوبية.

أما نحن فقد صرنا – بحمد الله – من مستهلكي الحضارة، كما تحولت بلادنا إلى معارض بضائع الآخرين ومنتجاتهم وأفكارهم وأمراضهم البدنية والحضارية.

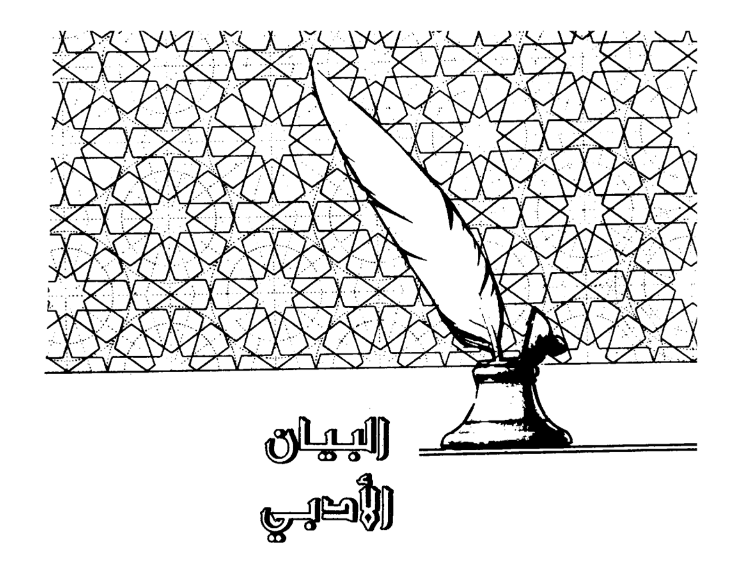
إن التقصير من الصعب إنكاره، وهذه جامعاتنا ومعاهدنا الثقافية ما زالت «عالة» على الآخرين، ومع كثرة ما ينفق عليها فهي لم « تلد » سوى جيش من الموظفين الذين ينتظرون الترقيات والعلاوات، ولا تسل عن الإيفادات وهذه طامة كبرى.

أما الموظفون فكما قال الشاعر « يعدد أياماً ويقبض راتباً » أما الإنتاج فيخجل الإنسان أن يذكره. الكل يريد ويطالب بالحقوق و « الحوافز » ولا أحد يذ كر الواجبات.

إن ما يحدث لنا هو مزيج كريه من تقصير وتآمر ولكن جرت العادة أن يذكر أحد العاملين ويغفل الآخر، هذه مدرسة في تفسير التاريخ تكتفي بعامل واحد ولا تبحث عن سواه. وإذا كنا نعجز عن إقناع الأعداء في وقف تآمرهم فهل نعجز عن تلافي التقصير؟

يقول الشاعر:

ولم أر في عيوب الناس عيباً ... كنقص القادرين على التمام



البيان الأدبي

- حول التجديد في الأدب ومفهوم الحداثة
- قراءة في زمن المحنة
- الدين دينك فانتصر

حـــــــــول

التجديد في الأدب و مفـــهوم الحـــداثة

د.عبد الله الخلف

التطور والتغيير في الأدب سمة لازمة له لا تنفك عنه. فالأدب من ناحية مرتبط بالحياة، والحياة لا بد أن تتغير بشكل أو بآخر. ومن ناحية أخرى هناك تطلع دائم من قبل كثير من متلقي الأدب ومبدعيه إلى التغيير والتجديد، وإلى اعتبار المجدد ذا شخصية إبداعية متميزة، وليس نسخة مكررة عمن سبقه. ومنذ العصر الجاهلي أحس الشاعر بوطأة التقليد وثقله، فهذا عنترة يبدأ معلقته بالشكوى بأن من سبقه من الشعراء لم يتركوا له مجالاً واسعاً في بكاء الأطلال: « هل غادر الشعراء من مُتَرَدَّم؟».

لذلك حاول العديد من الشعراء ولا سيما في العصر العباسي أن يجددوا في فنهم، فظهر ما سمي آنذاك بمذهب المحْدَثين، وتطور هذا الأمر حتى وصل إلى غايته، ثم بدأ بالانحدار وتحول إلى صناعة لفظية ركيكة. ومع ذلك فقد كانت محاولة التجديد همّاً دائماً يحمله الشعراء حتى في عصور الضعف، فكانوا يتسابقون إلى اختراع أنواع جديدة من الصناعة اللفظية على الرغم من ركاكة ما كانوا يأتون به.

وفي الأندلس ظهر التجديد في أوزان الشعر وقوافيه حيث ظهرت الموشحات التي سرعان ما انتقلت إلى الشرق.

أما في أوائل العصر الحديث فقد كانت بداية التجديد بالدعوة إلى العودة إلى أساليب الشعراء في عصور الازدهار، وأخذ هذا التيار بالنمو حتى وصل إلى ذروته على يدي أحمد شوقي الذي قال فيه بعض النقاد إنه وصل بالشعر المحافظ إلى ذروته، ووضع الشعراء أمام طريق مسدود، فلم يكن أمامهم من سبيل إلا أن يقنعوا بمكانة دون مكانته، أو أن ينهجوا منهجاً مختلفاً، وكما قال أحدهم فيه وفي أمثاله: « لقد أوصلوا الطريقة القديمة إلى نقطة لا يمكن تجاوزها إلا بالتخلي عنها». وهذا ما حدث فعلاً حيث ظهرت مذاهب أدبية جديدة، وجرت عجلة التجديد بسرعة كبيرة تجاوزت كل ما حدث في العصور السابقة.

وإذا وضعنا ما حدث في هذا العصر في سياقه التاريخي، فسوف ندرك أنه لا غرابة فيه، فالتجديد سمة لازمة للأدب كما ذكرنا، أما ما نراه من سرعة هذا التغيير، وتعدد المذاهب فإنه انعكاس لما نعيشه من تغير مستمر ومتسارع ومتشعب في أساليب الحياة المادية، ومن تطور العلوم والمخترعات ووسائل الاتصال والإعلان والنشر، وانفتاح أمم العالم على بعضها، ولما يشهده هذا العصر من اضطراب فكري وعقدي، فمن المحال والحالة هذه ألا يستجيب الأدب لهذا التغيير، أو أن تكون حركة التجديد بطيئة متأنية.

وقد أطلق على موجة من أواخر موجات التجديد، والتي شهد الأدب من خلالها نقلة واسعة اسم الحداثة، وهذا المصطلح وإن كان مترجماً من مصطلح غربي فإنه قريب من التسمية التي أطلقها النقاد العباسيون على أصحاب المذهب الجديد إذ سموهم المحدثين. غير أن هناك فئة من العلمانيين، وأصحاب الاتجاهات المنحرفة برعوا في ركوب موجات التغيير واستغلالها. وكما تلقفوا لفظ التقدمية وتسموا به واحتكروه قفزوا على لفظ الحداثة واستغلوه وألبسوه لباسهم الفكري،

وحاولوا أن يجتازوا به ساحة الأدب إلى ساحة الفكر والعقيدة، على الرغم من أن هذا المصطلح منذ ظهوره في الغرب لم يكن يعبر عن اتجاه فكري محدد، ولم يكن دعاة الحداثة متفقين على الثورة على المعتقدات والأفكار السائدة. فهذا واحد من أكبر رواد هذا الاتجاه وهو الشاعر ت.س.إليوت يقول: « أنا كاثوليكي في العقيدة، ملكي في السياسة، كلاسيكي في الأدب». فالمصطلح في أصله دعوة إلى التجديد في الأدب، ولا يتضمن بالضرورة الثورة على المعتقدات السائدة، ولهذا فإن الحداثيين في الغرب ينتمون إلى اتجاهات فكرية مختلفة.

وحتى أصحاب الاتجاه الحداثي من العرب لم يتفقوا على تعريف محدد للحداثة، ولا على موقف فكري معين، لذلك يرى الكثير منهم أنه ليست هناك حداثة واحدة بل حداثات، كما أن بعضهم يعترف بالعجز عن إيجاد مفهوم نظري للحداثة، ويرون أنه لا سبيل إلى ذلك. ويدعو البعض إلى محاولة استنباط مفهوم هذا المصطلح ودلالته من خلال استقراء النصوص التي يرى النقاد أنها تحمل من سمات التجديد ما يميزها عن الاتجاهات التقليدية.[١]

ولكن أولئك الذين حاولوا أن يستغلوا هذا المصطلح ويحتكروه يصرون على أن يحملوه ما يريدون من معان فكرية، بل إنهم حاولوا ان يوجدوا رباطاً وثيقاً بين التجديد في الأدب والثورة على المعتقدات، مؤكدين على أنه لا يمكن للأديب أن يطمع في أن يكون مجدداً إلا إذا تخلص من دينه وعاداته وتقاليده، رابطين بمكر بين ما هو مسلَّم بوقوعه وهو التجديد في الأدب، وبين ما لا يمكن لمسلم أن يرضى به وهو التغيير في العقيدة. وكأنهم يريدون بذلك أن يحتكروا لأنفسهم ولمذاهبهم كل شعار جذاب كالتقدمية والحداثة والاستنارة والوعي، وأن ينعتوا مخالفيهم بكل نعت رديء كالتخلف والجمود والرجعية.

وبهذا يتبين أن أصحاب الأفكار المنحرفة من الذين تلقفوا مصطلح الحداثة

١- انظر مجلة فصول ع٤٢٤ ص ١١-١٢

لم يقتصروا على احتكار الاسم بل حاولوا أن يحتكروا المسمى. وقد نجحوا في ذلك إلى حد كبير حتى أصبح الكثيرون من المؤمنين ينفرون من التجديد في الأدب نفوراً إيمانياً عقدياً، لا نفوراً فنياً ذوقياً.

وكان مما ساعد على ذلك سيطرة هؤلاء المنحرفين على الساحة الأدبية وتمكنهم من أن يصهروا في بوتقتهم الكثير من الأدباء، حتى أصبح الكثير من الأدب الذي يحمل السمات الفنية للحداثة يتضمن أموراً منكرة تصل إلى حد الكفر الصريح بالله عز وجل.

إن الربط بين التجديد في الأدب والانحراف في الفكر، وإيهام الناشئة أن لا يمكن لهم تحقيق التحديث إلا بنبذ العقيدة، واعتبار الموروث الأدبي والموروث الديني سواء في وجوب تجاوزهما والتخلي عنهما أمر مرفوض جملة وتفصيلاً. لذلك يجب أن يحرر لفظ الحداثة مما ربطه به المارقون من أفكار، وأن يبقى ذا دلالة أدبية خالصة.

وإذا كانت ظاهرة الاستهتار بالدين قد فشت في الأشكال الأدبية الجديدة فإن هذا لا يعود إلى ارتباط حتمي بين الأمرين. إذ أن لذلك سبباً آخر هو انتشار الفكر المنحرف في هذا العصر بشكل لم يسبق له مثيل بين المسلمين، وكان من الطبيعي أن تظهر هذه الأفكار في الأدب أياً كان شكله واتجاهه، ولو أن الأشكال الأدبية الحديثة لم تظهر وبقي الأدب على شكله القديم لحمل من تلك الأفكار مثلما حمل الأدب الحداثي. آية ذلك أننا نجد الانحرافات العقدية في إنتاج كثير من الأدباء الذين عاشوا قبل ظهور الحداثة، والذين يعدون في ميزان النقاد من المحافظين حيث التزموا بالشعر العمودي، وبطرائق شعراء العصور الأولى، ومن شواهد ذلك قول أحمد شوقي مخاطباً النيل:

دين الأوائل فيك دين مروءة ... لِمَ لا يُؤلَّه من يقوت ويرزق

وقوله في الوطن:

ولو أني دُعيتُ لكنتَ ديني … عليه أقابلُ الحتْمَ المصابا
أُديرُ إليك قبلَ البيتِ وجهي … إذا فُهتُ الشهادةَ والمتابا

وقوله مخاطباً شباب مصر:

وجهَ الكنانة ليس يغضب ربَّكم … أن تجعلوه كوجههِ معبودا
ولُّوا إليه في الدروس وجوهكم … وإذا فزعتم فاعبدوه هجودا

وقول بدوي الجبل:

فكان لله حكمٌ … لشقوتي بل لسعدي
واختار بعدي عنه … وراح يبكي لبعدي

ويقول ايضاً:

نشارك الله - جل الله - قدرته … ولا نضيق بها خلقاً وإتقاناً
وأين إنسانه المصنوع من حمأ … ممن خلقناه أطياباً وألحانا
ولو جلا حسنَهُ إنسانُ قدرتنا … لود جبريل لو صغناه إنسانا

ويقول النجفي:

لم أشارك غيري لأني كريٌّ … واحد لا شريك لي في القوافي

هذه أمثلة لكثير مما تضمنه الشعر التقليدي الحديث من زيغ وضلال. بل إن كثيراً من الأدب القديم يحمل في طياته انحرافات خطيرة في مجال الأخلاق والعقائد، فهناك كثيرون من الأدباء الفساق والزنادقة، وهناك أدباء للمعتزلة والخوارج والرافضة سخروا أدبهم لخدمة معتقداتهم الباطلة، وهناك الشعراء

الذين عاصروا الرسول صلى الله عليه وسلم وسخروا شعرهم لهجائه والاستهزاء به وبأصحابه.

وإذاً فإن ما زعمه بعض المنحرفين من الربط بين تحديث الأدب والانسلاخ من العقيدة ومجاراة بعض المخلصين لهم بسبب ما تضمنه الأدب الحداثي من انحرافات عقدية أمر غير صحيح. فتحديث الأدب والتخلي عن طرائق السابقين ومفاهيمهم النقدية أمر لا علاقة له بالعقيدة، فكما أن سير الأديب على منهاج الأقدمين لا يبرر قبول أدبه المنحرف؛ كذلك فإن اتباع الأساليب الجديدة، وتبني المفاهيم النقدية الحديثة ليس مبرراً سلبياً لرفض ذلك الأدب إذا كان سليماً من الناحية العقدية. فالمعيار العقدي الفكري لا مجال لاستخدامه إلا فيما يتعلق بالمضمون الفكري للنص. أما بالنسبة للمعايير النقدية فالأمر فيها واسع، ومن حق الناقد أن يرفض ما لا يوافق ذوقه ومفاهيمه النقدية.

وإذا كان بعض المنحرفين فكرياً قد حاولوا تبني مصطلح الحداثة واحتكاره، وهو مصطلح براق، فإن هذا لا يعني التسليم لهم بذلك، بل ينبغي تسمية المنحرف بالاسم الذي يليق به كما كان السلف يسمون أمثال هؤلاء بالزنادقة والمارقين. ويلاحظ أن السلف لم يتلقوا الأسماء التي سمت بها بعض الفرق نفسها بالقبول ولا سيما إذا كانت أسماء براقة تتضمن التزكية والثناء، فقد رفضوا تسمية المعتزلة لأنفسهم أهل العدل والتوحيد وسموهم المعتزلة، وسموا الشيعة بالرافضة بدلاً من وصفهم لأنفسهم بأنهم شيعة علي رضي الله عنه.

وهناك مسألة مهمة مرتبطة بقضية تحديث الأدب، وهي مسألة الدعوة إلى كسر قواعد اللغة العربية، وهذا أمر مرفوض. والفرق واضح بين التجديد في الأدب، وبين العبث باللغة، إذ أن هذا الأمر يمكن أن ينتج عنه نتائج خطيرة تتصل بفهم النصوص الشرعية وتفسيرها، ويؤدي إلى الاضطراب والخلخلة في فهم العقيدة والشريعة.

قــراءة فــي زمــن المحـنة

عبد العزيز بن محمد السالم

الحـق في الـدنـيـا يـقـال ويُـسـمـعُ   والـنـاسُ نحـو ضـيـائـه تـتـطـلـع
وعـلى فـؤادي ألـفُ ظـلٍ مـن أسـى   تجـتـاحـنـي في الـنـائـبـات وتُـفـزعُ
يـا أمـتـي جـل المصـابُ فـما أرى   لـلـخـرق مَـنْ يـرفـو ولا مَـنْ يـرقـعُ
مـاذا أقـول وفي فـمـي مـاءٌ ولا   أدري مـن الآلام مـاذا أصـنـعُ
يـا إخـوةً ركـبـوا سـفـينَ نجـاتـهـم   والـنـاس في لُجـج الـغـوايـة تـرتـعُ
إني أقـول لـكـم مـقـالـةَ مـشـفـقٍ   رامَ الـنـصـيـحـةَ قـلـبـه يـتـقـطـعُ
لا تحـزنـوا ممـا يـقـال ولا تخـا   فـوا فـالـدنـى لـكـم تـذلُّ وتخـضـعُ

وإذا ادلهم الخَطْب فاجتمعوا إلى ... علمائكم وإلى رؤاهم فارجعوا

يا أيها العلماءُ يا تاجاً على ... هاماتنا بالصالحات مُرَصَّعُ

يا غرةً في وجه أمتنا به ... صرنا نتيه على الورى، نترفعُ

يا شعلةً في الليل، يا عَلَماً له ... في كل نازلةٍ نهبٌّ ونفزعُ

يا أيها العلماء أنتم غصَّةٌ ... في حلق مَنْ بالشائعات تذرعوا

ولسانُ مَنْ ظلموا يلوكُ فعالَكم ... وعقاربُ الفساقِ أضحتْ تلسعُ

والبغي باتَ مفكِّراً وجنودُه ... هذا يخاصمكم وهذا يخدعُ

خسئت جنودٌ صارعتْ شرفَ الفضيـ ... ـلةِ إنَّ مَنْ رامَ الفضيلةَ يُصرعُ

إنْ كان في الدنيا حبالٌ قُطِّعَتْ ... جهراً فحبلُ عقيدتي لا يُقْطَعُ

* * *

الدينُ دينُك فانتَصِرِ

مروان كجك

الدينُ دينُك فانتَصِرْ ... واعصِفْ بجبَّارٍ أشِرْ
واجعلْ جموعَ المعتدي ... أعجازَ نخلٍ منقعِرْ
واكتبْ لنا نصراً على ... حشدٍ تواطأ وأتمرْ
لم نبغِهم ظلماً وما ... كنا نُقاسمْهم ثمرْ
أبداً ولم ندفعْ بهم ... للجوعِ أو قَضْمِ الشجرْ
كنا لهم نوراً يشِعُّ ... ودوحة من كلٍّ حَرْ
كنا لهم نبراسَ عِلـ ... ـمٍ خالصٍ من كل شرْ
فَلكَم أتى من راهِبٍ ... أرضَ الجزيرةِ واستقرْ
وأقامَ فينا دارساً ... مُستلْهماً مِنا الصُّوَرْ
متمتعاً بالعدلِ لا ... يخشى الأذيةَ من بشرْ
حتى إذا ما قاربَ الميعا ... دِ واكتمل الظفرْ
عادت به أشواقُهُ ... لذويه وانبثَقَ الزَّهَرْ
فأتَى دواوينَ الفِرَ ... نجةِ حاملاً شتى العِبَرْ

مـتـرفِّـعـاً عـن جـهـلـهـم صُـلـبَ الـعـزيـمـةِ والخـطَـرْ

مـتـرنِـماً بـالمسلـمـيـ ـنَ ذوي الهـدايـةِ والـفِـكَـرْ

مـسـتـبـشـراً بـغـدٍ يُـصـا غُ عـلى الـدرايـةِ لا الـغَـرَرْ

فـلـقـد تـقـلَّـد في ديـار محـمـ ـد أبـهـى الـدُّرَرْ

ألـقى الـغـوايـةَ جـانِـبـاً وأصـاخ سمـعـاً ونَـظَـرْ

وأبـلَّ مـن إعـيـائـهِ وزهـا وأشـرفَ وافـتـخـرْ:

أنـا في مـعـاهـد أمـةٍ محـمـودةٍ نِـلـت الـوطَـرْ

وعَـبَـبْـتُ مـن نَـهـر الـفـحـو لـةِ لا شـذوذَ ولا كـدرْ

وعـلـمـتُ في تـلـك المدا ئـنِ مـا الحـقـيقـةُ، مـا الخـبرْ

وأمـطْـتُّ عـن جـهـلي الـلِّـثـا مَ ورُحْـتُ أنـشُـدُ المدَّخَـرْ

أكـرمْ بـهـم مـن قـاصـديـ ـن الـلَّـه في بَـرٍّ وبحـرْ

أشـهـى الـديـارِ ديـارُهمْ وأعـزُّهـا في كـل دهـرْ

أهـلُ المروآتِ الحـسـا نِ وخـيـرُ أبـنـاءِ الـبـشَـرْ

لا يـظـلـمـونَ الـنـاس لا، أو يـسـتـبـد بـهـم نَـفَـرْ

فـالأمـر شـورى بـيـنـهـم والـعـدلُ إحـسـانٌ وبِـرْ

لا تـعـجـبـنَّ فـجـدُّهم مـن خـيـر يـعْـرُبَ قـد ظَـهَـرْ

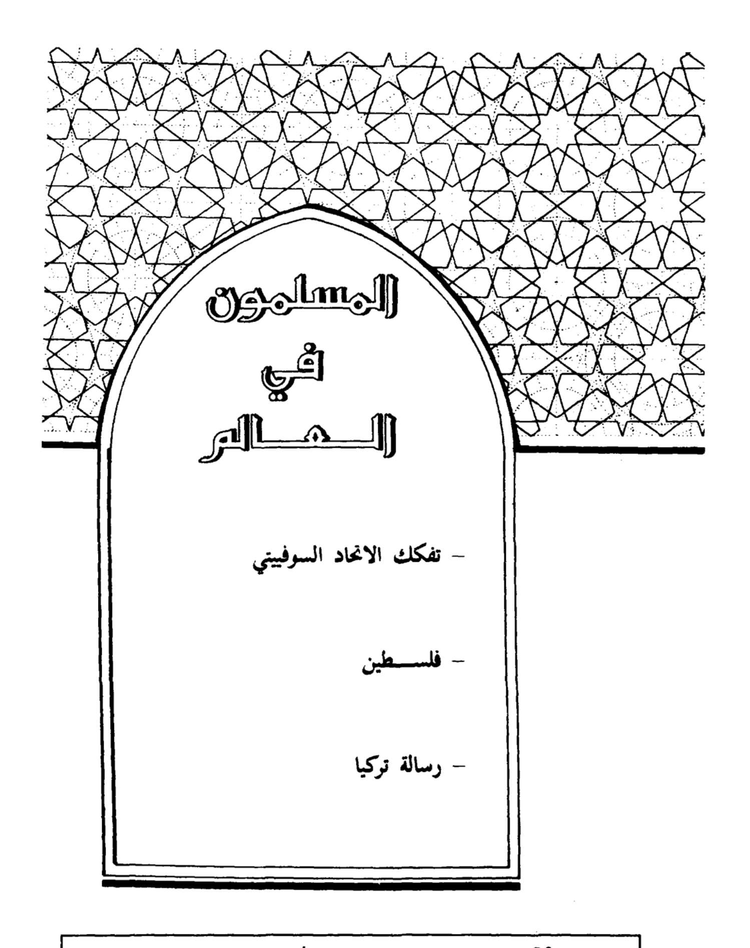
أزكـى الـنـفـوسَ طـهـارةً وبـذاك ربُّـك قـد أمـرْ

وعـلا بـهـم حـتـى عَـلَـوْا قـمـماً شـوامـخَ لا حُـفَـرْ

فـاحـزِمْ مـتـاعَـك راغِـبـاً وأتِ الـسـبـيـلَ المعـتَـبَـرْ

وارشِـفْ زُلالَ نـمـيـرِهم ودَعِ الـعِـمـايـةَ والحَـذَرْ

فـالحـقْ مـفـتـاحُ الـعـلـو مِ وأُسُّـهـا الـديـنُ الأغَـرْ


المسلمون
في
العالم
- تفكك الاتحاد السوفييتي
- فلسطين
- رسالة تركيا

تفكك الاتحاد السوفييتي ونظرية الصراع

عندما وقع الأنقلاب الأخير في موسكو فرح بعض البائسين واليائسين من العرب لأن هذا بظنهم سيعيد التوازن بين الشرق والغرب، وقالوا: إن بقاء الاتحاد السوفييتي يتيح لنا المناورة، بينما نحن الآن تحت رحمة دولة واحدة تتحكم في العالم، والحقيقة أن من يفكر هذا التفكير إنما ينطلق من فقره الروحي والفكري ومن الفراغ الذي في نفسه، فحسب منطقه هذا، لا بد أن نعيش تحت حماية هذه الدولة أو تلك وأمريكا الآن هي الكل في الكل! وأمثال هؤلاء لا يدركون سنن الله سبحانه وتعالى في حوادث التاريخ، وأن هذه الأرض لا تخلو من صراع ليميز الله الخبيث من الطيب، وأن هذا السقوط المريع للشيوعية ولدولة تبلغ مساحتها « ٢٢ مليون كم٢ » إنما هو نتيجة ظلمها وقهرها لشعوب كثيرة منها جزء كبير من العالم الإسلامي ابتلعه القياصرة ثم الشيوعيون الروس.

إن هذا السقوط يفتح آفاقاً لعودة المسلمين في تلك الديار إلى إسلامهم، ولعودة الصلة بيننا وبينهم، ومهما كان ابتعاد هؤلاء المسلمين عن دينهم نتيجة الضغوط والتربية الإلحادية لعشرات السنين؛ فلا شك أن ابتعادهم عن الهيمنة الروسية الاستعمارية فيه خير، وهم على كل حال فيهم أمراض العالم الإسلامي

الذي يظهر لبادي الرأي أنه قد استقل من زمن عن الهيمنة الغربية. فالعشائرية والقومية الضيقة موجودة عند هذه الشعوب، ولكن اتصال المسلمين بهم سيمكن من نشر الثقافة الإسلامية وعودة الروح إليهم، إن الجمهوريات التي تسكنها غالبية مسلمة وكانت سابقاً غير تابعة لروسيا تمر الآن بمرحلة عدم التوازن فيختلط التأثير الديني مع القومي، والمحاربون القدماء من الشيوعيين لن يتنازلوا بسهولة مستغلين العرقية والقبلية، فهم يمرون بمرحلة تشبه من بعض النواحي الفترة التي خرجت فيها الشعوب الإسلامية من تحت الهيمنة الاستعمارية المباشرة.

إن سقوط الاتحاد السوفييتي لا يعني أن الطرف الآخر سينفرد بالعالم، لأنه ستبرز دول كثيرة - بأمر من الله - تكون عبئاً على أوربا والغرب بشكل عام، وسيعود الصراع على الحدود وستستمر القوميات تفكك غير الاتحاد السوفييتي أيضاً (كما يقع الآن في يوغوسلافيا) وإذا كانت أمريكا سابقاً تخوف أوربا من الاتحاد السوفييتي فهل ستبقى أوربا تحت أسر هذا الخوف وتقبل بالزعامة الأمريكية بعد تلاشي الإمبراطورية الروسية.

لقد قاست اليابان وألمانيا بعد الحرب العالمية الثانية من الضغوط والتقسيم، والشروط القاسية، ولكنهما خرجتا بإنتاج علمي اقتصادي جعلهما تعودان لمركز الصدارة في عالم السياسة، ونبقى نحن بحاجة إلى مظلة دولة كبرى حتى نستطيع العيش مع أن موقف الاتحاد السوفييتي من قضايانا كان موقفاً سلبياً مصلحياً كأية دولة كبرى، وقد تولى هو وأمريكا كبر تغذية إسرائيل بالمال والرجال.

فلسطين

لم يكن متوقعاً من المجلس الوطني الفلسطيني أن يتخذ قرارات أفضل مما اتخذه في مؤتمره الأخير في الجزائر. لأن كل الحوادث السابقة وكل المخططات التي هيئت ونفذت خلال العقود الأخيرة كانت تعد لمثل هذا العمل ولمثل هذا الهوان، بدءاً من ممارسات منظمة التحرير التي كانت تقدم كل يوم تنازلات جديدة وانتهاء بحرب الخليج التي أوصلت الأمة إلى أضعف حالاتها.

وقد عبر هاني الحسن أحد مستشاري عرفات عن هذا حين قال: « أستطيع أن أقول لكم بدون خوف من المنصب بأن **هؤلاء الذين يشكلون قيادة التيار الرئيسي في منظمة التحرير كانوا منهمكين في الجزء الأكبر من السنوات العشرين الماضية في صراع حياة أو موت لتحضير الأرضية من جانبنا للوصول إلى حل سياسي عن طريق التفاوض مع إسرائيل** ».(١)

لقد فوض المجلس منظمة التحرير (العمل للمشاركة في التسوية على أن يتم إقرار الخطوات بشكل نهائي من قبل المجلس المركزي) وكأنه لم يبق للمجلس ولا للمنظمة شيء فكان هذا القرار، وكانت رحلة العذاب والمعاناة التي صبت فوق رؤوس الشعب الفلسطيني مقدمة لوصوله إلى حالة من العجز أو اليأس ومن ثم الرضوخ لأي مطلب، والحصول على أقل ما يمكن.

١- قضايا دولية: نشرة بالعربية تصدر عن معهد الدراسات السياسية - باكستان

ونحن عندما نكتب عن قرارات المجلس الفلسطيني فإننا نتفهم معاناة الفلسطينيين والواقع الأليم الذي وصلوا إليه، ونتفهم المرارة التي يذوقها الشعب في الداخل، والوضع الاقتصادي المنهار، ونتفهم قضية الترحيل ووثائق السفر، كل هذا في الحسبان مما يسمونه الواقعية السياسية. ومع ذلك فكلمة (لا) في وجه الإذلال والطغيان الإسرائيلي أفضل من كلمة (نعم). قد يقال: يجب أن نكون واقعيين ونلحق بالقطار قبل فوات الأوان. وقد يقال: إن الذين يقولون (لا) لا يملكون البديل المطلوب، ولكن هل الذين يرضخون في كل يوم رضوخاً أكبر من سابقه؛ سيأخذون شيئاً يستحق هذا الرضوخ، وهل سيعطَون الحد الأدنى من المطالب؟ وبماذا سيرجعون من هذا المؤتمر؟!

إن المشروع الأمريكي يقول: « الجلسة الافتتاحية تستغرق يومين فقط، ثم تجتمع اللجان الثنائية » « المؤتمر يعود للانعقاد باتفاق الجميع » فإذا رفضت إسرائيل العودة فلها الحق في ذلك، وتكون في هذه الأثناء قد قضمت أكثر الضفة الغربية وزرعت العمارات فيها هنا وهناك للقادمين من روسيا.

وعبارة الأرض مقابل السلام تفهمها إسرائيل أنه يتعين على العرب أن يعطوها الأرض مقابل السلام. فهي تمتلك قنابل نووية كما ذكر تقرير مؤسسة (كارنجي للسلام الدولي): « وينتج مفاعل ديمونا كميات كافية لتصنيع قنبلة ذات قوة تدميرية مثل التي ألقيت على هيروشيما. ومن المرجح أن يكون الأمريكيون قد بنوا مفاعلاً آخر إلى جانب المفاعل الفرنسي ينتج خمسة أضعاف الكمية الأولى ».[1]

ونحن لسنا من الذين يحبون المعارضة للمعارضة، أو من الذين يجارون ويداهنون التيار الشعبي ولو كان ضد قناعاتهم، فهذه قضية المسلم الأولى، ويجب أن نتعامل معها من موقف مبدئي عقائدي.

١- الأسبوع العربي ١٤/١٠/١٩٩١.

رسـالة تركيـا

عبد المنان جولحة

● قبرص التركية والضغوط الأوروبية

ذكرت صحيفة (مللي غازيت) التركية التابعة لحزب الرفاه الإسلامي « أن اللجنة السياسية الأوروبية اقترحت إعادة منطقة (ماراش) إلى القبارصة اليونانيين وتجهيزها على حساب دول السوق المشتركة، وقد قام عضو البرلمان الهولندي (ماتهيلد) بزيارة رسمية لقبرص وأجرى مباحثات حول المشكلة القبرصية » وأكدت الصحيفة أن « تصرف تركيا وسياستها الخارجية غير الصريحة زاد من الضغوط الغربية للمساومة على قبرص التركية، وإن سياسة إرضاء حكومات السوق الأوروبية المشتركة مما يزيد تعنت الأعداء وتراكم طلباتهم ».

ومن الجدير بالذكر أن عدد مسلمي قبرص التركية يقارب (١٧٠) ألفاً وعاصمتها (لفكوشا) وقد تأسست جمهورية قبرص التركية عام ١٩٧٣ وتعتبر اللغة التركية هي اللغة الرسمية وتبلغ مساحتها ٣٥ ٪ من المساحة الكلية للجزيرة والمسلمون في هذه الجزيرة بحاجة ماسة إلى العلم وأن تفتح أمام شبابهم أبواب المعاهد والجامعات الإسلامية.

● من أخبار المسلمين في تركيا

مع قرب الانتخابات التركية صرح رئيس حزب الرفاه الإسلامي البروفسور نجم الدين أربكان بأنه في حال فوز حزبه فإنه سيلغي الربا بكل أنواعه وسيدعو لإنشاء سوق إسلامية مشتركة، ولن يسمح للنفوذ الأجنبي بالتدخل في شؤون تركيا. وبمناسبة الحديث عن الانتخابات العامة القادمة فإن بعض المسلمين في تركيا - كما هو حالهم في كثير من بلدان العالم الإسلامي - ليس لديهم الوعي الكافي لمعرفة المصلح من المفسد، فبعض المسلمين يؤيدون حزب (الطريق السوي) الذي يرأسه سليمان ديميريل، والبعض يؤيد حزب الوطن الأم (الحزب الحاكم) بزعامة مسعود يلماظ وجماعة الشيخ النورسي أيدوا في السابق حزب ديميريل والآن يصرون على مهاجمة حزب الرفاه الإسلامي وتأييد الأحزاب العلمانية.



* *

*

المجاهدة المؤمنة

« أم عمارة »

مؤمنة الشلبي

نسبها:

هي نسيبة بنت كعب، بن عمرو، بن عوف، بن مبذول. أنصارية خزرجية، نجارية مازنية مدنية، وفاضلة مجاهدة من شهيرات الصحابيات، ومن أسرة كان لكل فرد من أفرادها مواقف عظيمة لا يتسع المجال لذكرها.

فأخوها عبد الله من البدريين، وأخوها عبد الرحمن من البكائين، أما ابنها حبيب بن زيد الذي أرضعته حب الله ورسوله مع اللبن، وأنشأته على يديها، فهو الذي أسره مسيلمة الكذاب وصار يقول له:

- أتشهد أني رسول الله؟، فيقول حبيب: لا أسمع. فيقول مسيلمة:

- أتشهد أن محمداً رسول الله؟ فيقول حبيب: نعم، فيقطع عدو الله منه عضواً وما زال يسأله ويجيبه بما قال له حتى قطعه إرباً إرباً، وأبت عليه بطولته وأبى عليه حبه وولاؤه لله ولرسوله أن يداهن في موطن تجوز له التقية فيه ما دام قلبه مطمئناً بالإيمان، ولكن المؤمنين الأبطال يأبى عليهم إيمانهم إلا العزائم.

أما نسيبة رضي الله عنها فقد كانت في أسرتها الفاضلة قطب الرحى بمواقفها العظيمة، فقد شهدت ليلة العقبة، وشهدت أحداً، والحديبية ويوم حنين، ويوم اليمامة، وفقدت في حروب الردة يداً وابناً في سبيل الله حتى استحقت أن تنال شرف مقولة رسول الله صلى الله عليه وسلم: « لمقام نسيبة بنت كعب اليوم - أي يوم أُحد- خير من مقام فلان وفلان ».

الموقف:

روى ابن سعد في طبقاته عن محمد بن عمر قال: حدثني أبو بكر بن عبد الله ابن أبي سبرة عن عمرو بن يحيى عن أمه عن عبد الله بن زيد قال: شهدت أحداً مع رسول الله صلى الله عليه وسلم، فلما تفرق الناس عنه دنوت منه أنا وأمي نذب عنه فجرحت جرحاً في عضدي، وجعل الدم لا يرقأ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: اعصب جرحك، فتقبل أمي ومعها عصائب في حقوها قد أعدتها للجراح، فربطت جرحي والنبي صلى الله عليه وسلم واقف ينظر إليها، ثم قالت: انهض يا بني فضارب القوم، فجعل النبي صلى الله عليه وسلم يقول: ومن يطيق ما تطيقين يا أم عمارة!!

تقول أم عمارة: رآني رسول الله عليه السلام ولا ترس معي، ورأى رجلاً مولياً يحمل ترساً، فقال رسول الله: ألق ترسك لمن يقاتل، فألقى ترسه فأخذته وجعلت أُتَرِّس فيه عن رسول الله حتى جرحت ثلاثة عشر جرحاً.

ولما نظر رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى جرح على عاتقي غائر قال لابني: أمك، أمك. اعصب جرحها، بارك الله عليكم من أهل البيت، لمقام أمك خير من مقام فلان وفلان، رحمكم الله أهل البيت، لمقام ربيبك يعني (زوج أمه) خير من مقام فلان وفلان، رحمكم الله أهل البيت.

فقالت أمي: ادع الله أن نرافقك في الجنة، فقال رسول الله:
اللهم اجعلهم رفقائي في الجنة، فقالت : ما أبالي ما أصابني في الدنيا.

تحليل الموقف:

حقاً إنها لبطولة تستحق التسجيل والوقوف عندها، فكم تقر العين، ويثلج الصدر حين يطالع المسلم تلك المواقف المشرقة، والسيرة العطرة لهذه المجاهدة الغازية، والجندية المقاتلة التي نذرت نفسها منذ أن بايعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم العقبة للدفاع عن عقيدتها ضاربة أروع الأمثلة لما ينبغي أن تكون عليه المرأة المسلمة في

المجتمع الإسلامي إيماناً بالعقيدة، وثباتاً عليها، وتضحية في سبيلها، وتربية لناشئتها.

فلقد أيقنت أم عمارة رضي الله عنها يقيناً جازماً أن هذه العقيدة التي آمنت بها تقتضي ألا يظل الإيمان بها مستقراً في القلب كحقيقة مجردة راكدة وإنما حقيقة حية وعمل يبرهن على صدق الاعتقاد.

ومن هذا المنطلق انطلقت نسيبة رضي الله عنها كاللبوة في ساحات الوغى بكل بسالة ورباطة جأش، ودون أن يعرف الجبن والوهن سبيلاً إلى قلبها العامر بالإيمان، فحجزت ثوبها على وسطها، واندفعت تذوذ عن رسول الله حتى جرحت ثلاثة عشر جرحاً، ولم تمنعها جراحها وآلامها من مواصلة طريق التضحية والفداء مقابل الدفاع عن قائد هذه الأمة وهاديها إلى الإسلام حتى لو كانت هذه التضحية في أغلى وأعز الناس إليها...

فها هي تقول لابنها وفلذة كبدها بعد أن ضمدت له جراحه: انهض يا بني فضارب القوم، ويشهد لها رسول الله بحسن البلاء والدفاع عنه فيقول: «ما التفت يميناً ولا شمالاً إلا وأنا أراها تقاتل دوني».

أجل يا اختاه: إنه الحب الفياض الصادق لله ولرسوله ليصنع الأفاعيل العجيبة من الثبات والتضحية والإقدام.

فهذه أم عمارة تعرض نفسها لخطر الموت مقابل أن يبقى من أحبته أكثر من مالها وولدها ونفسها التي بين جنبيها سالماً لا تصيبه شوكة ولا تناله يد مشرك.

وها هي أيضاً تعطينا أروع النماذج الطيبة المباركة في حب الله ورسوله حيث كان منها: أن أول ما نطقت به بعد أن أفاقت مما غشاها من شدة ألم الجراح أين رسول الله؟ ما صنع المشركون برسول الله؟ فلما قالوا لها بخير اطمأنت نفسها ولم تبال بما كان من جراحها.

فيا لها من قلوب علت فوق القلوب، ويا له من حب وفداء، لو أن المسلمين على كثرتهم في يومنا هذا تذوقوا حلاوته لما غلبهم غالب ولا كان في الدنيا من يتبوأ الصدارة سواهم...

استنشـــاق الأجســـام الغريبـــة

د. محمد صايل اهليل

يقصد باستنشاق الأجسام الغريبة دخول جسم غريب بطريق الخطأ إلى الحنجرة أو المجاري التنفسية السفلى أو ما يصاحبه من أعراض أو مضاعفات.

واستنشاق الأجسام الغريبة مهم من الناحية الطبية وذلك أن حياة الطفل تنتهي خلال دقائق لا تتجاوز الخمس على الأكثر.

يتعرض الأطفال أكثر من غيرهم لاستنشاق الأجسام الغريبة، وذلك لأنهم يميلون إلى التعرف على مختلف الأجسام المحيطة بهم عن طريق حسّها بالفم والتعرف عليها بوضعها في أفواههم، ويبدأ احتمال تعرض الطفل لمثل هذه الحوادث حالما يبدأ بالإمساك بالأشياء المحيطة به ووضعها في فمه. وهذا يبدأ بالشهر الرابع من العمر فكل ما تصل إليه يده، يضعه في فمه دون تمييز.

إن الأعراض الناجمة عن اسستنشاق جسم غريب تتفاوت في شدتها من درجة الاختناق الناجم عن انسداد مجاري التنفس بالجسم الغريب. فقد تصل إلى الوفاة، وأحياناً تمر دون أن تلاحظ إلا بعد حدوث مضاعفات مستقبلية. وأكثر ما يميز استنشاق الأجسام الغريبة موجة الاختناق التي تظهر على الطفل بشكل

عاصف من سعال شديد وغصة، وشرقة (choking) وصعوبة في التنفس، وازرقاق الوجه والجسم أحياناً.

ولمعرفة كيفية تجنب الأطفال استنشاق الأجسام الغريبة، لا بد وأن نعرف مصادرها وهي تتلخص فيما يلي:

١- أرض البيت: إن أي جسم صغير ملق في أرض البيت يشكل خطراً على صحة الطفل الذي يبدأ الحبو أو المشي. وإن الازرار، والسبحات، والخرز وحب الحمص وحب الفستق والمكسرات والقطع المعدنية والأدوية...الخ هي من الأجسام الغريبة السهلة ليد الطفل أن تتناولها بخفة خلال ثوان بعيداً عن عيون الأهل.

وقد يحدث تناول الجسم خلال ثوان وأثناء وجود الأبوين ولكن دون رؤية أحدهما للطفل، لذا فإن رفع هذه الأجسام أفضل بكثير من تركها بين يدي الطفل مع الاعتماد على أن الأب أو الأم يجلس أمام الطفل يراقبه، وحسن الظن أن الطفل الصغير لا يمكن أن يفعل هذا.

٢- ألعاب الأطفال: إن خشخيشة الطفل المكسورة التي تحوي بداخلها عدة خرزات، وإن عيون لعب الأطفال التي يمكن انتزاعها، وإن أزرار ملابس بعض اللعب أو الأجزاء الصغيرة الآيلة إلى السقوط منها كالعيون أو الأنف أو البراغي أو الأسلاك أو الزنبركات هي مصادر خطر على الطفل الذي يلعب بها، إذ أن سقوطها بفمه أثناء لعبه بها أو تناوله لها بعد سقوطها على الأرض قد يتسبب في اختناقه.

٣- ملابس الطفل: تشكل بعض الأزرار السهلة الانتزاع أو الدبابيس التي

يسهل فِكها من قبل الطفل، جسماً غريباً يمكن أن يختنق به.

٤- طعام الطفل: يجب أن يتناسب طعام الطفل مع عمره ونمو أسنانه، فقد يختنق الطفل بطعام يحوي بذوراً كالبطيخ أو العنب، أو لا يستطيع طحنها كالمكسرات والبندق والفستق أو حشو فم الطفل بالطعام والشراب رغم رفضه لها وبكائه الشديد، كما أنه يجب عدم ملء فم الطفل بالدواء بنفس الكيفية مع رفضه وبكائه الشديد..

هناك أمر آخر لا بد من شرحه للأطفال الذين تتجاوز أعمارهم سن الخامسة، وهو عدم تقليدهم ما يرونه أحياناً في التلفزيون مثلاً - أعمال وحركات بعض ممتهني خفة اليد من وضع أجسام غريبة كالمعادن والكرات الصغيرة في أفواههم ومحاولة ابتلاعها.

* * *

* *

*

مع الكتّـــاب

مع تقديرنا وشكرنا لكل من شارك أو يود المشاركة في الكتابة لمجلة البيان، فنحن نعلم أن ما دفعهم لهذا إلا ثقتهم بمنهج المجلة وتشجيعهم لها، ولكن لا بد من ملاحظات توضيحية توفر الوقت والجهد علينا وعليهم:

١- بعض المقالات أو المشاركات لا بد أن تبدأ بالحديث عن فساد الزمان وضعف المسلمين وتآمر الأعداء...الخ، ونحن نرى أنه لا داعي لهذه المقدمات الطويلة المكررة، ونرى أن الدخول في صلب الموضوع مباشرة هو الأفضل، وإذا كان لا بد من مدخل فليكن في الموضوع نفسه.

٢- كثير من المشاركات فيها نغمة حزن وبكاء على الأطلال، والتحسر على الماضي. والحقيقة أن هذا لا يفيدنا في شيء، وإذا كنا جادين فنحن نقتدي بأسلافنا في جهادهم وأخلاقهم وحبهم للعلم، ولا داعي للتحسر الكثير.

٣- بعض المشاركين يكتب مقالاً طويلاً، ليس لنا مأخذ عليه، فالمضمون صحيح ولكنه كلام عام عن الإسلام قد قيل كثيراً، فلا داعي لتكراره، **والذي يريد الكتابة لا بد أن يسد نقصاً أو يوضح غامضاً أو يركز على قضية قد غفل الناس عنها، أو مناقشة أمر مهم من قضايانا المعاصرة...**

٤- قد يعاني بعض الإخوة من مشكلات إقليمية ضيقة، في قريته أو مدينته ويظن أن هذه المشكلة مما يهم العالم الإسلامي كله، فيرسلها للنشر وهي لا تصلح لأن مصطلحاتها وطريقة عرضها تدل على أنها مشكلة خاصة جداً.

ما هذا السبيل

نايف بن محمد العتيبي

إن مثل من يريد أن يعيش في هدوء وسبات عميقين والكروب تكرب وتقرب والشدائد تشد حصارها بمحيطه القريب تكاد تجعل النهار ليلاً حزيناً، وتجعل الشاطئ الدافئ أمواجاً متلاطمة وتجعل الهدوء اكتئاباً...

إن مثله كمثل من جلس على سكة الحديد واغمض عينيه وأصم أذنيه ويظن بذلك أنه..زال الخطر!

والحقيقة معلومة..والنتيجة محتومة...إلا أن يشاء الله غير ذلك. ما هذا السبيل الذي به يتخلص المرء من ما ادلهم من خطوب وما يطرأ من حوادث جسيمة - أن يغمض عينيه ويصم أذنيه...

تلك الخطوب والحوادث التي يريدها الأعداء ويكونوا هم سببها المباشر، بل ويعملون بكل ما أوتوا من وقت وقوة لتحقيق مثلها وأضر...

إنما السبيل متمثل في أمور من أهمها:

- التقوى والصبر ﴿ **وإن تصبروا وتتقوا لا يضركم كيدهم شيئاً..** ﴾ [آل عمران ١٢٠]

– متابعة الأحداث وتحري الأخبار الصادقة وعرضها على ميزان الشريعة السمحاء

– معرفة الرؤوس الظاهرة[١] والفروع الباطنة[٢]، ومعرفة مواطن الضعف والتراخي.

– إعلان الحق كاملاً وإظهاره من أول الطريق والتخلي عن الشوائب.

– عدم الرضا بالدون وموقف الذاب المدافع بل الطموح إلى المقام السامي السائد.

وكل أمر من هذه الأمور له أهميته وفاعليته والإحاطة به مهمة ولا أذكر هذه الأمور على سبيل الحصر وإنما ما رأيته مهماً.

وإن من تمعن في السبيل وأحاط به، لا يتخلص من الخطوب فحسب، بل يستطيع أن يعقدها على من أراعه بها، ويحلها مكاناً من عدوه مصيب.

وأعجب لمن لا يعرف ما يدور حوله..ولا يريد!! محتجاً بأن ذلك: لا يزيد في الإيمان..ويميت القلوب..!! ويا للأسف...أن يتوقف أولئك الثلة عند هذا الحد.. بل يتجاوز الأمر..وتعدوا إلى الكواكب المضيئة...إلى الشهب المحرقة التي تنقض على المردة...على الشياطين فتدمغهم..

إن تلك الثلة قد تتنحى عن الجادة شيئاً فشيئاً. وهيهات لمن يسير على الظنون ويريد الوصول!!

* * *

١– الرؤوس الظاهرة: هم العدو الظاهر الذي يظهر العداء.

٢– الفروع الباطنة: وهم أخطر من الأول الذي يعتمد عليهم كثيراً ويعملون في الداخل أثناء الصفوف..

توجيه إلى الشباب والشابات

سعود بن محمد آل عوشن

لقد لاحظنا في الفترة الأخيرة أن بعضاً من الشباب والشابات قليلي الخبرة بالحياة يتخذون تصرفات مغايرة لرغبات المجتمعات التي يعيشون فيها وقد يكون منه ما هو منافٍ للتوجيهات والمقاصد الشرعية، ويحاولون فرض تلك التصرفات على غيرهم وقد يتحمسون لهذا التصرف أو ينفعلون غير مبالين بشعور الآخرين، ويعتبرون مثل هذا التصرف شجاعة أو قوة أو أي صفة ينتحلونها لأنفسهم، وهم بهذا لا يعلمون أنهم بالإضافة إلى ما يحدثونه في مجتمعهم من تفرقة أو أضرار أو أحقاد فهم ينزلون بأنفسهم وسمعتهم إلى الحضيض بعد أن كسبوا ما كسبوا من رقي أو تقدير لا يعرفون هذا لما يحيط بهم من بعض المشجعين لهم أو الدافعين لهذا العمل السيء.

والمشجعين أو الدافعين لهم لا يعدون أن يكونوا أحد صنفين من الناس: إما مثلهم قليلي الخبرة بالحياة وما يرفع المستوى الفرد اجتماعياً؛ أو حاسدين لهم ويدفعونهم لهذا العمل ليحبطوا قيمتهم الاجتماعية حتى لا ينافسوهم أو يتشفوا بإحباطهم.

ولذا نلفت أنظار هذا الصنف من الشباب والشابات الذين يرغبون في السمعة والإقدام وبناء الشخصية إلى أن ذلك لا يكون بمخالفة المجتمع وعاداته وأعرافه أو الخروج على الآداب الإسلامية، وإنما يتم بالإسهام الفعال في بناء المجتمع

وتنميته على الخط المستقيم، أما من لا يبالي بسمعته ويتحدى شعور الآخرين وآداب الإسلام فليعلم علم اليقين أن أهم هدف في الحياة هو عبادة الله وفقاً لمنهجه القويم واتباع سنة نبيه صلى الله عليه وسلم، ولا تتم هذه إلا بالقيمة الاجتماعية وبغير ذلك يكون حيواناً ناطقاً في صورة إنسان.

فليحذر الذين يخالفون أوامر الإسلام وآداب وأعراف وعادات المجتمع أن يقعوا في ذلك من حيث لا يشعرون وأنه بتصرف صغير يهدم ما بناه في عدة سنوات ولكن لا يعلمون هذا.

وأسأل الله العلي العظيم أن يلهمنا الصواب ويدلنا على طريق السعادة والرشاد، وأن يكتب لنا سعادة الدارين الدنيا والآخرة إنه سميع مجيب وبالإجابة جدير.

اقتراح لأرباب المال

عثمان بن محمد الخنين

من المعلوم أن الاختلاط أمر يرفضه الشرع المطهر وحتى الطبع السليم، لهذا فهناك حلم كان ولا زال يراود الغيورين المخلصين من أبناء االمسلمين يأملون تحقيقه في أقرب وقت ممكن، ألا وهو إنشاء مستشفيات متكاملة (بكل التخصصات) غير مختلطة بكل ما تحمله هذه الكلمة من معنى.

ذلك أنه منذ بدأ في إنشاء المستشفيات في العصر الحديث في العالم الإسلامي وهي تسير - في الغالب - على النظام الأجنبي حيث الاختلاط والخلوة.

ونحن نعلم أنه قد بذلت جهود خيرة لإصلاح الوضع في بعض المستشفيات أو المستوصفات (أهلية كانت أم حكومية) على مستوى العالم الإسلامي لكنها جهود ضئيلة لا تلبي الحاجة المطلوبة ولا تحقق الرغبة الملحة. وفي الفترة الأخيرة بدأت تتكاثر المستشفيات والمستوصفات الأهلية وتتنافس فيما بينها لجذب المرضى. وهذه فرصة أمام أرباب المال الذين يريدون أن يخلصوا المسلمين من هذا التقليد الغربي المخالف لديننا.

هذه فرصتهم خاصة وقد توفر الأطباء والمساعدون من كلا الجنسين ومن كل الجنسيات حيث كان هذا أكبر العوائق التي تعيق إنشاء المستشفيات غير المختلطة.



* *

*

بريد القراء

● **الأخ عبد الله بن محمد القزلان**

جاءتنا هذه الرسالة:

« إخواني في الله،

لا أخفي عليكم عظيم فرحتي بهذه المجلة وهذا المنتدى، الذي أدعو الله أن يستمر ويزداد نشاطاً، ولا أخفيكم القول، فأنا أخاف على هذا الصرح الإسلامي وأخشى عليه، فالحق في هذا الزمن غير مرغوب فيه، والمجلة تعبر عن رغبات وأفكار الكثير من المسلمين الغيورين.

هذه كلمات أحببت بثها في ثنايا هذه السطور تعبيراً عما أكنه في نفسي تجاه ما تقومون به، وأخيراً أنصح إخوتي بالاعتدال والسير على النهج السليم، والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.»

● الأخ **أبو خالد** أرسل إلينا مقترحاً الكتابة في المواضيع التالية أو مناقشتها من قبل بعض الدعاة:

١- الشخصية المسلمة في العمل، المنزل، الشارع.

٢- الحجاب الحقيقي للمرأة الملتزمة بدينها.

٣- أخطاء من داخل البيت المسلم.

٤- كيف نتعامل مع غير المسلمين (نصارى، بوذيين، هندوس...)

البيان: نشكر الأخ أبا خالد على اهتمامه ونحن بدورنا نطلب من الدعاة الكتاب المشاركة في هذه المواضيع وأمثالها.

● **الأخ عبد الرحمن العيد**

أرسل إلينا متأسفاً لحالة البعد بين الدعاة ويقترح على المنتدى إقامة مؤتمر للدعاة في كل سنة حتى تتقارب المفاهيم ويعرف كل منهم حالة أخيه ويقفوا صفاً واحداً أمام مؤامرات الأعداء.

● **الأخ بندر بن فارس المسعود**

أرسل لنا رسالة قصيرة يدعو فيها المسلمين إلى الاعتصام بكتاب الله والابتعاد عن التفرق والتشرذم.

● **الأخ خالد بن ابراهيم بن عبد الله**

أرسل مهنئاً ومقدراً للجهود التي تبذل لإبراز إعلام إسلامي بصورة طيبة.

اعتذار إلى القراء

تأخر صدور العدد ٤٣ بسبب إخراجنا له مع العدد ٤٤ في عدد واحد، كما كان من تقدير الله أن تحدث إشكالات في المطبعة التي اعتدنا أن نطبع فيها، ويستغرق منهم حل هذه الإشكالات أكثر من أسبوعين من إرسالنا العدد إلى المطبعة، فسبَّب كل ذلك هذا التأخير في الصدور الذي يشق على نفوسنا لأنه يشق على القراء ويجعلهم يتململون من التأخر. ونحن لا نحب هذا التأخير، وهو خارج عن الطاقة، ونرجو أن لا يتكرر، ونرجو من القراء الكرام قبول العذر، وهم أهل لذلك.

مبـــــادئ العالم الحر* !

للأستاذ سيد قطب (رحمه الله)

« العالم الحر » اسم يطلقه الاستعماريون في إنجلترا وفي فرنسا وفي أمريكا على تلك الكتل الاستعمارية التي تكافح ضد الزمن، وتقاتل ضد الإنسانية، وتقاوم ضد الحرية. ثم تطلق على نفسها في النهاية اسم « العالم الحر »!

و« العالم الحر » مشغول هذه الأيام بتمزيق إهاب « الحرية » في تونس ومراكش وفي كينيا وفيتنام.. وفي كتم أنفاس « الأحرار » في كل مكان؛ لأن رسالة العالم الحر هي أن يكون حراً في قتل الحرية حسبما يشاء.

و« العالم الحر » يرتكب من الجرائم ما يقشعر له ضمير البشرية. وذلك رغبة في نقل مبادئ الحضارة الغربية إلى القارة المظلمة. وإذا كانت هذه القارة لا تريد أن تتحضر على يد البعثات التبشيرية فلتتحضر إذن بالسيف والمدفع والطيارة والدبابة؛ وهي أقدر ولا شك على نقل مبادئ الحضارة إلى الشعوب المتخلفة!

و« العالم الحر » يشرد الشعوب من ديارها – على نحو ما فعل في فلسطين – وذلك رغبة منه في إيجاد « لاجئين » يتولى رعايتهم، والعطف عليهم، وإقامة الخيام لهم في العراء. فمبادئ العالم الحر تقتضي العطف على المشردين، الذين لا

* – مجلة الرسالة: العدد ١٠١٨ ١٩٥٣/١/٥

وطن لهم في هذه الأرض المعذبة!

و« العالم الحر »يتساند ويتكاتف في هذه المهام الضخام. أليس الدولار هو الذي يشد من أزر فرنسا في تونس ومراكش وفيتنام، ويشد من أزر إنجلترا في كينيا ومصر وفي كل مكان، ويشتري الصحف والأقلام والجماعات والجمعيات والرجال والنساء في هذه الأيام؟!

وأنا لا أعيب على « العالم الحر » أن يمزق إهاب الحرية ويمثل بجثث الضحايا من الأحرار، ويقتل الأطفال والنساء والشيوخ في القرى الآمنة، ويرتكب الجرائم الوحشية التي يرتكبها بلا تحرج.. فإن هدفه السامي من وراء ذلك كله واضح - كما قلت - وهو نقل مبادئ الحضارة الغربية بطريقة عملية إلى الشعوب المتأخرة والتي لا يجوز أن تظل متأخرة!

إنني لا أعيب على هذا « العالم الحر » حريته هذه. حرية وحوش الغابة في أن تصنع في الغابة ما يؤهلها له الظفر والناب. فمبادئ الحضارة الغربية هي هذه كما كانت وكما هي كائنة، وكما ستكون حتى يأذن الله لها بالفناء.

كلا! إنما أتلفت إلى شعوبنا وحكوماتنا ومفكرينا وكتابنا وشعرائنا وجماعاتنا وجمعياتنا... أتلفت إليهم لأرى هل سكتت الأبواق التي تهتف بحمد الحضارة الغربية؟ هل خرست الألسنة التي تتحدث عن الصداقة الأمريكية والصداقة الإنجليزية والصداقة الفرنسية؟ هل انزوت الجماعات والجمعيات التي تحمل ألوية الصداقة مع « العالم الحر » وتشيد بجهوده في الخدمات الاجتماعية والتعليم الأساسي واليونسكو والنقطة الرابعة[1] وسائر الوسائل الاستعمارية الحديثة التي تنخر في صخرة المقاومة الشعبية؟

أتلفت لأرى هذه الأبواق لا تزال مفتوحة، ولأرى هذه الألسنة ما تزال طليقة، ولأرى هذه الجمعيات والجماعات ما تزال تتبجح وتعلن عن نفسها بلا حساب، وتنفق الأموال الضخمة في هذا الإعلان، والدولار من خلفها ممكن

لها من العمل ويمكن لها من الإعلان!

إن « العالم الحر » لا يحاربنا بالمدفع والدبابة إلا في فترات محدودة، ولكنه يحاربنا بالألسنة والأقلام، ويحاربنا بالمنشآت البريئة في مركز التعليم الأساسي، وفي هيئة اليونسكو، وفي النقطة الرابعة، ويحاربنا بتلك الجمعيات والجماعات التي ينشئها وينفخ فيها ويسندها ويمكن لها في المراكز الحساسة في بلادنا... وأخيراً فإنه يحاربنا بأموال أقلام المخابرات التي تشتري الصحف والأقلام، وتشتري الهيئات والجماعات.

(....) لقد قام بيننا في وقت من الأوقات رجل يسمى « أمين عثمان » يحمل لواء الصداقة الإنجليزية في فجور وتبجج، ويؤسس جمعية نادي العلمين. كما قامت في ظله « جماعة إخوان الحرية »[٢]. ولقد هرعت الشخصيات الكبيرة يومها إلى أمين عثمان وجمعيته. الشخصيات المستوزرة التي تشم رائحة الحكم من عشرات الأميال... ولكن حاسة الشعب السليمة ظلت تنفر من الرجل وجماعته على الرغم من انضمام « الشخصيات الكبيرة » لأن الشعب يعرف قيمة هذه الشخصيات ودوافعها!

(....) إن الحرب المقدسة مع الاستعمار اليوم تقتضي تخليص ضمائر الشعوب أولاً من الاستعمار الروحي والفكري، وتحطيم الأجهزة التي تقوم بعملية التخدير، والحذر من كل لسان ومن كل قلم، ومن كل جمعية أو جماعة تهادن معسكراً من معسكرات الاستعمار، التي ترتبط جميعها بمصلحة واحدة، ومبادئ واحدة. مبادئ العالم الحر ومصالح العالم الحر!

(....) والمهم أن نتجمع اليوم ونتساند كما يتساند العالم الحر ضدنا. فكل بلد صغير لا يستطيع وحده أن يكافح عالماً. والسياسة القصيرة النظر التي تريد أن تحصرنا في حدودنا الجغرافية المصطنعة هي سياسة حمقاء؛ فالعالم يسير نحو التكتل في الشرق والغرب سواء. ومن واجبنا أن نتكتل على الأقل تمشياً مع منطق

العصر؛ إن لم يكن تمشياً مع منطق الإسلام.

والمجموعة الآسيوية الافريقية تحاول أن تكون كتلة محايدة. ولا ضير من السير معها، وإن كنت أنا شخصياً لا أرى أن هنالك مقومات حقيقية ودائمة لقيامها فهناك تيارات مختلفة تتجاذبها. والمصالح التي تربط بينها اليوم مصالح مؤقتة. أما الكتلة التي يمكن أن تقوم على أسس حقيقية وعميقة ودائمة فهي الكتلة الإسلامية، وهي آتية لا ريب فيها على الرغم من جهود « العالم الحر » وجهود «الديموقراطيات الشعبية » فلنعجل بقيامها، فهي سندنا الحقيقي الوحيد.

هوامش:

١- النقطة الرابعة: برنامج للمساعدة الفنية والمالية اقترح الرئيس الأمريكي ترومان كبند رابع في خطابه الافتتاحي عام ١٩٤٩، وتقوم بموجبه حكومة الولايات المتحدة بتقديم الخبراء التقنيين والمعلومات والمعدات والرساميل لمساعدة المناطق المتخلفة من العالم على تنمية الصناعة والزراعة والإدارة العامة والصحة والتعليم. يجري تنفيذ البرنامج عن طريق الاتفاقيات الثنائية بين الولايات المتحدة والدولة المعنية. اندمج البرنامج الذي عرف باسم « إدارة التعاون الفني » ١٩٥٠ في برنامج المساعدات الخارجية، وكان غرضه الأساسي ينطوي على مكافحة انتشار الشيوعية وتمهيد السبيل للتغلغل الأمريكي تحت ستار تقديم المساعدات للدول الصديقة. (الموسوعة السياسية)

٢- جماعة إخوان الحرية: جماعة ألفها « كرستوفر سكيف » في مصر، وهو مبشر وجاسوس بريطاني، وكان أستاذاً في كلية الآداب بجامعة القاهرة. وكان من هذه الجماعة « لويس عوض » وأمثاله الذين صنعهم التبشير والاستعمار.

المتربصــون

عبد القادر حامد

يواجَهُ الدعاة إلى الله في هذا العصر - وفي هذه المرحلة بالذات - بطائفة يحضرون الدروس واللقاءات والمحاضرات ويكثِّرون عدد الحريصين على العلم والداعين إلى الخير، وقد وقف أفراد هذه الطائفة أنفسهم على تتبع العورات، والتفتيش عن المآخذ والسقطات. وقد حولوا حال الدعاة إلى قلق وحذر وخوف بتنطعهم وتنقيرهم، ولا يكاد يسلم منهم أحد؛ فمن سلم من العيب في منطقه يعاب في لباسه، ومن سلم في لباسه عيب في سمعته وحركاته، ومن أجاد في التفسير رموه بالضعف في الحديث والجهل بالتوحيد،ومن صرف جهده للحديث قالوا عنه: لا يفهم في الفقه، ومن ترك التعرض للموضوعات الشرعية وتفرغ لبيان الواقع السياسي رمي بوصف العامية وقلة البضاعة في العلم الشرعي، ومن خاطب الناس بما يعرفون رموه بالسطحية والضحالة: لماذا لم يرم الناس بما في موافقات الشاطبي ويفحمهم بما في: اقتضاء الصراط المستقيم...الخ، وقد أصبحت هذه الطائفة ظاهرة لا يحسن تجاهلها والتهوين من أمرها، وهي تتجول بين الأمكنة التي هي مظنة لقاء المسلمين فيها وتدارسهم، وقد يخيب أملها أحياناً عندما تحضر لمن لا يمكنها تفجير مشكلة معه إما لعلم عنده وإما لشوكة يستظهر بها من مريديه؛ وإما لحكمة وهبها الله له تجعله يتجنب الوقوع في براثن هذه الطائفة المتربصة!

والمتأمل في حال هذه الطائفة يمكن أن يصنفها في صنفين:

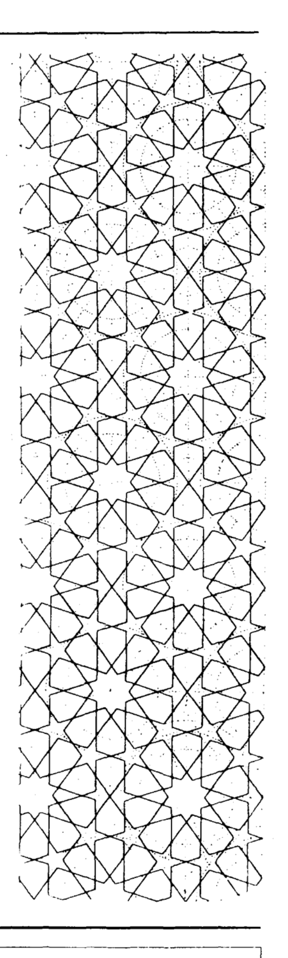
١- صنف مدخول النية سيء القصد.

٢- وصنف ليس كذلك، ولكنه حبس نفسه في بطون الكتب، لا يغادرها، بل يقرأ هنا وهناك ويضع حلواً على حامض وحاراً على بارد! أليس كل ذلك وصفات

موجودة في كتب فلان وفلان من علماء المسلمين؟! فلماذا نتأخر عن الأخذ بها ورمي المتطفلين على العلم بها؟! وهكذا فإن هذا الصنف بفهمه المبتور للعلم، وبعدم تنزيله ما يعلمه على ما يمكن عمله - يصيبه الغرور والكبر، ويقع ضحية العناد والإعجاب بالنفس، ويؤول أمره إلى أن يصبح كالصنف الأول لا أمل في إقناعه، فضلاً عن تقويمه وإصلاحه، ولا حيلة للعاقل معه إلا بتجاهله ونبذه، وهكذا تضيع جهود من حقها أن توفر لما هو أولى وأجدر أن تثار حوله المناقشات وتعلو من أجله الأصوات.

وهذا الفريق يؤمن بالمطلقات، ولا يفرق بين عصر وعصر، فعنده: العصر المكي يساوي العصر المدني، وما قبل الفتح يساوي ما بعده، والحال قبل نزول سورة التوبة هو الحال بعدها، والحلال عنده درجة واحدة، وثواب الأعمال الصالحة واحد، كما أن الحرام عنده درجة واحدة، ولا تفاوت بين حرام وحرام. متسرع في الجواب، جرئ على الفتيا وإن لم يملك بعض أدواتها، ولا يغرنك اصطناعه التفكير في السؤال والتريث، أما الزمان والمكان والعلم بحال المستفتي فهذا أبعد ما يكون عن تفكيره حين يلقي بأحكامه المطلقة من عقالها حاسمة وجازمة. إنه مرض نفسي يضرب فريقاً من الناس، وهذا المرض يستشري نتيجة لظروف معينة حتى يصبح وباءً معدياً، ومن هذه الظروف: قلة العلماء، ونظرة الأنظمة إلى العلم الشرعي، وتعمدها بث الفوضى في أركان هذا العلم، مع حاجة الناس الماسة إليه، وكذلك زيادة عدد الذين يفكون الحرف، وهو ما يسمى بالأمية الثقافية... وهكذا تكثر في هذه الأجواء الدعوى، وتستبحر الفوضى، ويرتفع لواء الجهل، ويختلط العلم الصحيح بالباطل المبهرج والعياذ بالله.

لقد بات الأمر بحاجة إلى أن يتداعى المسلمون الغيارى إلى تأسيس هيئة علمية غير رسمية، تقيم في ركن من الأرض وليس لسلطة أرضية عليها سبيل، ترقب أمر الله فقط، وتصدر آراءها وفتاويها في ما دق وجل من أمر المسلمين ولا تخشى في الله لومة لائم، ويومئذٍ يفرح المسلمون بتوفيق الله لهم في هذا المجال الذي طال خوض الخائضين فيه دون أهلية.



البيان

العدد السادس والأربعون
جمادى الآخرة ١٤١٢ هـ
١٢ / ١٩٩١ م

مجلة إسلامية شهرية جامعة

تصدر عن

المنتدى الإسلامي

لنــدن

رئيــس التحــرير

محمد العبــدة

العنـــوان

AL BAYAN MAGAZINE

7 Bridges Place, Parsons Green
London SW6 4HR U.K

Tel : 071 - 731 8145
Fax : 071 - 736 4255

بسم الله الرحمن الرحيم

المحتويات

● الافتتاحية ٤

● قراءة في مجلة المنار ٨

عبد القادر حامد

● حوار مع الشيخ علي بن سعيد الغامدي (٢) ١٤

● علماء الاجتماع والعداء للدين (٦) ١٩

د. أحمد إبراهيم خضر

● خواطر في الدعوة ٢٨

محمد العبدة

● لماذا نرفض العلمانية (٢) ٣٠

د. محمد محمد بدري

● الارتباط الوثيق بين العبادة والأخلاق ٤٠

محمد الناصر

● أترضاه لنفسك ٤٥

سلطان بن حبيب الخلافي

البيان الأدبي ______ ٤٩

- **خلا لك الجو** ٥٠
د. عبد الرحمن العشماوي
- **الأدب مفهوماً ولغة** ٥٥
د. مصطفى بكري السيد
- **صورة** ٦٤
يحيى بشير حاج يحيى

المسلمون في العالم ______ ٦٥

- **لقاء مع رئيس اللجنة السياسية في جبهة الإنقاذ** ٦٦
- **أحوال المسلمين في بلغاريا** ٧٤
عماد الدين بكري اسماعيل
- **أيُّ سلام هذا؟!** .. محمد بن حامد الأحمري ٨٠

- **هل تدعم أمريكا دولة روسيا الكبرى** ٨٣
د.أحمد عجاج
- **تحصين الأطفال** ٨٩
د.محمد صايل اهليّل
- **منتدى القراء** ٩٢
- **بريد القراء** ٩٥
- **هموم الدعوة في الغرب** ٩٧
عبد الجبار الطعمة
- **كيف تبني نفسك تربوياً** ١٠٢
عبد الله بن مبارك آل سيف
- **الورقة الأخيرة** ١٠٦
محمد الحسيني

هل هذا من السياسة

(٢)

من سنن الله في التغيير وانتقال الأمة من الضعف إلى القوة أن يملك المسلمون معرفة تفصيلية واستبانة واضحة لسبيل المجرمين، ليأخذوا حذرهم وليفرقوا بين المنافقن والمتاجرين بالشعارات والمبادىء وبين من هم أهل إيمان ورسوخ، وأصحاب أخلاق زكية ومعدن أصيل، ولكن لأن المسلمين لم يمارسوا القرار السياسي بالشكل الصحيح، ولم يشارك الدعاة والعلماء خاصة بهذا القرار فقد ضعف فيهم هذا الجانب، مما جعلهم يتحركون خبط عشواء ويظنون أنهم يمارسون « السياسة ».

وقديماً قالت العرب « قتلت أرض جاهلها » وكأننا لا زلنا نعيش حالة الضعف التي مرت بها الأمة الإسلامية في فترات من تاريخها حين ظهرت كتابات سياسية تفصل بين الدين والسياسة فيقول أحدهم: « والسياسة سياستان، سياسة الدين وسياسة الدنيا، فسياسة الدين ما أدى إلى قضاء الفرض، وسياسة الدنيا ما أدى إلى عمارة الأرض»[١]. والآن يقال: هذا من المصلحة السياسية ولو عارضت المبادىء الإسلامية، بينما نجد أنه في

حالات القوة ظهرت كتابات تقول: إن السياسة يجب أن تتبع الشرع وأن أي تنظيم لأمور الدنيا إنما هو لرعاية الدين، وقد كتب إمام الحرمين [٢] مهاجماً من يريد فصل السياسة عن الشريعة وأطال النَفَس فيه وقال معتذراً عن هذه الإطالة: « وإنما أرخيت في هذا الفصل فضل زمامي وجاوزت حد الاقتصاد في كلامي لأني تخيلت انبثاث هذا الداء العضال في صدور الرجال »[٣]. وقال أيضاً: « وإنما ينسلُّ عن ضبط الشرع من لم يحط بمحاسنه ولم يطَّلع على خفاياه ومكامنه، فلا يسبق إلى مكرمة سابق إلا ولو بحث عن الشريعة لألفاها أو خيراً منها في وضع الشرع »[٤].

والحقيقة أننا ما زلنا نعيش في مرحلة ما بعد الحضارة الإسلامية ولم ندخل بقوة مرة ثانية لصنع هذه الحضارة. هذه المرحلة يصفها مالك بن نبي بقوله: « ولو أردنا أن نسمي هذه المرحلة الخالية من الروح والعقل لكل حضارة لأطلقنا عليها بلا تردد اسم المرحلة « السياسية » بالمعنى السطحي لكلمة سياسة »[٥] ويبدو أننا نفهم السياسة كما يصفها أحد الغربيين «بارتيلمي سانتهيلر »: « إن السياسة وهي مستغرقة في مشاكل الساعة لا يسعها أن تسمو إلى المبادىء »[٦].

فإذا جئنا إلى قضايانا الكبرى لنطبق عليها مفهومنا للسياسة الشرعية، وكيف نتعامل في كل مرحلة فماذا نحن فاعلون؟ إن القضية السياسية الأهم خلال هذا القرن كله هي قضية فلسطين، التي جعلها الله مركز الصراع بيننا وبين اليهود والنصارى من أمم الغرب. وإذا كان المسلمون على وعي بأن يرفضوا ما يسمى « مؤتمر السلام » والذي هو في حقيقته مؤتمر لإذلال المسلمين ولإزالة العداوة والبعضاء من قلوب المسلمين لليهود واعتراف بوجودهم وحقهم في أرض فلسطين..، إذا كانوا على وعي بهذا فلماذا

يخدعون للمرة الألف بالمتاجرين بهذه القضية، لقد تاجر بها القوميون والاشتراكيون والانتهازيون وكلهم سقط وانكشف في أتون المعركة الحقيقية، ولم يبق إلا الشاب المسلم والطفل المسلم والمرأة المسلمة الذين يقفون ببطولة أمام صلف اليهود.

ومن الذين تاجروا ويتاجرون بهذه القضية الإيرانيون ومنذ بداية ثورتهم، ولكننا وجدناهم بعد فترة قصيرة يشترون الأسلحة من إسرائيل؛ أو تكون إسرائيل وعملاؤها وسطاء لشراء الأسلحة الأمريكية، وأثناء انعقاد مؤتمر طهران هلك اليهودي البريطاني « ماكسويل » صاحب الشركات ودور النشر والصحافة، وانكشف أمره في صفقات الأسلحة لإيران وعمالته للموساد. والعجيب أن الذين ذهبوا إلى طهران كانوا يهاجمونها لأنها وقفت موقفاً رديئاً من المجاهدين الأفغان، ويهاجمونها لأنها وقفت موقفاً متخاذلاً أيام حرب الخليج ووقفت موقفاً سلبياً من القضية الفلسطينية، فكيف أصبحت الآن هي القابضة على ناصية تحرير فلسطين.

وإذا كنا لا نقبل بمؤتمر مدريد فهل المزايدات والشعارات ستساعد في تحرير فلسطين ونحن نعلم أن الصراع طويل وطويل بيننا وبين اليهود ومَنْ وراءهم فلماذا لا يكون هناك خطوات قوية على الطريق، وما يقوم به إخواننا المجاهدون في فلسطين هو خطوة كبيرة، ولكن لا بد من تكتل للمسلمين يقابل هذا الحشد من أمم الغرب علينا، لا بد من تكتل القوى الصادقة من أصحاب العقائد الصافية، لا بد من إعداد أجيال قوية، وتوعية الشعوب وتقوية الاقتصاد، وإن جورج ووديع لا يملكون حلاً، وهم الذين شجعوا على ضرب الفلسطينيين عام ١٩٧٠ وهم الذين أساؤوا إلى سمعة الفلسطينيين بأعمالهم الاستعراضية.

إن تاريخ المسلمين في هذا العصر مليء بالتجارب الغنية في مجال التحالفات والحوار، وفشلها ونجاحها ، وقد كتب الكثير حول أمور كانت مجهولة في السابق عن العقائد والفرق، وعن أشخاص بارزين، فلماذا لا يستفاد من هذا كله، وكم كنا نتمنى أن ننتهي من عصر الشعارات الفارغة والمزايدات والمؤتمرات الكلامية.

الهوامش:

١- ابن الحداد، محمد بن منصور: الجوهر النفيس في سياسة الرئيس، تحقيق رضوان السيد ١٩٨٣، وابن الحداد ألف هذا الكتاب لبدر الدين لؤلؤ أمير الموصل المتوفى عام ٦٥٧ هـ

٢- عبد الملك بن عبد الله الجويني (٤١٩ - ٤٧٨ هـ)

٣- الغياثي، للجويني ص ٢٢٢ تحقيق د.عبد العظيم الديب

٤- المصدر السابق ٢٢٩

٥- شروط النهضة ص ٧٩

٦- محمد الحمداوي: في نطاق التفكير الإسلامي ص ٥١ ط. دار الثقافة - الدار البيضاء ١٩٧٩ .

* * *

قراءة في مجلة المنار

عبد القادر حامد

كنت أتصفح بعض مجلدات « مجلة المنار » التي أنشأها الشيخ محمد رشيد رضا، فخطرت خاطرة على ذهني، وهي: أن تُستَعرض هذه المجلة من أول عدد صدر فيها إلى يوم توقفت، ليكون ذلك استرجاعاً لجانب من تاريخ هذه الفترة، وهو جانب الدعوة الإسلامية، وموقف الناس والدول والقوى الفاعلة حينذاك من ذلك.

والدعوة الإسلامية جهد بشري، يعتريه ما يعتري الجهود البشرية الأخرى من آثار ومؤثرات، فينجح حيناً، ويخفق حيناً، وتختلط فيه الإرادة والعاطفة، فتؤثر فيه قوة الإرادة وضعفها، وحرارة العاطفة والشعور وبرودتها، ويتلون بها للسجايا من محاسن ومساوىء، وما للأخلاق من شمائل وغوائل، ولهذا فعندما نستعرضها من خلال مرآة « المنار » لا يعني أننا نتعصب لما عرض أو لطريقة عرضه؛ ونقول: هذا هو الطريق، وليس ثمة غيره، وهو ما ينبغي أن نستجمع جهودنا ونوجهها من أجله، وإنما هي خطرة خطرت، أردنا من ورائها عرض القضايا التي اهتمت لها « المنار »، واعتبارها بالمشكلات التي نواجهها اليوم: هل هي المشكلات

نفسها؛ أم تغير منها شيء؟ ما الذي تغير، وما الذي لا زال حيث هو؟ ما الحلول التي اقترحت؟ وما مدى نجاحها؟ وهل اختلاف العصر يقتضينا البحث عن حلول أخرى....الخ.

لقد بدأ إصدار مجلة « المنار » في العَشر الأخير من شهر شوال عام ١٣١٥ هـ (١٨٩٨ م) أي قبل حوالي سبعة وتسعين عاماً من اليوم. وهي فترة عصيبة من تاريخ الشعوب الإسلامية، إذ كان أكثرها واقعاً تحت السيطرة الغربية المباشرة، والباقي كان آيلاً إلى أن يسقط تحت تلك السيطرة، وهو الأجزاء التي كانت لا زالت تحت الإدارة العثمانية، التي كانت في حكم المنهارة، ولم تجدِ جهود السلطان عبد الحميد إلا في تأجيل الإعلان عن وقت الانهيار.

وحال المسلمين العامة كانت في درجة من الضعف لا تحسد عليها، يقابلون ما يجري حولهم وعليهم بأعين مفتوحة، وأيد مغلولة، وعقول مشلولة. يدبر أمرهم أجنبي شرس طامع، أو وكيل له مدخول العقيدة دنيء النفس. وكان عبد الحميد يبدو وكأنه يريد إيقاف العجلة التي بدأ دورانها في زمن جده « محمود الثاني » الذي بدأ الإصلاحات على النمط الأوربي، واستقدم المستشارين الأجانب من أجل ذلك. واشتد دورانها في عهد أبيه « عبد المجيد » بصدور: « التنظيمات » فانفتح على الدولة العثمانية بسبب ذلك وبسبب الضغوط الخارجية من الأوربيين أبواب لم يعد بإمكان عبد الحميد ولا غيره سدها أو التحكم فيما يدخل منها.

ونتيجة لطغيان الحضارة الأوربية الكاسح، فقد قوي نفوذ الأقليات التي استخدمتها أداة لبسط نفوذها، للتَّدخُّل باسم حمايتها وإنصافها. وهكذا انقلبت الموازين، وبدأ عهد صعود هذه الأقليات - بتعليمها وتسليحها بأسباب القوة - على حساب الأكثرية المهملة التي وجدت نفسها بعد عهود طويلة من الجهل والتجهيل في عالم غير عالمها.

أصبح الطريق ممهداً للإجهاز على كيان المسلمين السياسي، ففساد داخلي

يرافقه ضغط خارجي وأقاليم تسقط؛ واحداً بعد الآخر تحت وطأة الغربيين، وحكام فسقة فجرة سفهاء من طراز الخديوي « إسماعيل » يمهدون الطريق لسيطرة الأجانب المطلقة على البلاد والعباد.

هذا هو الجو الذي بدأ فيه صدور «المنار ».

أهداف المجلة

يلخص محمد رشيد رضا أهداف مجلته بقوله:

« ...أما بعد: فقد أنشأنا هذا « المنار » في العشر الأخير من شهر شوال سنة ١٣١٥، وبينا غرضنا منه في الصحيفة الأولى من صحفه وهو مسائل كثيرة يجمعها: الإصلاح الديني والاجتماعي لأمتنا الإسلامية، هي ومن يعيش معها، وتتصل مصالحه بمصالحها، وبيان اتفاق الإسلام مع العلم والعقل، وموافقته لمصالح البشر في كل قطر وعصر، وإبطال ما يُورَد من الشبهات عليه، وتفنيد ما يعزى من الخرافات إليه.»

هكذا يحدد أهدافه، ومن ذلك يتبين أن المشكلة – كما يراها رشيد رضا – هي فهم الناس للدين؛ وأحوالهم الاجتماعية. وقد انصبت جهوده – فيما بعد – في هذين المجالين:

١– تصحيح نظرة المسلمين في عصره إلى الإسلام: سواء الملتزمون أو غيرهم. أما الصنف الأول: فقد كانت تعكر على عواطفه وإخلاصه كثير من الأعمال التي كان يُظَنُّ أنها من الورع والدين وهي ليست كذلك، وإنما هي عادات وأعراف وتأثيرات تراكمت عبر القرون بسبب الجهل وتهاون أهل العلم، ولها أسبابها الكثيرة كالتأثر بالعادات والأعراف غير الإسلامية، وشيوع التصوف الأعجمي، وجهل الحكام أو إهمالهم بث العلم الصحيح وتشجيع العلماء الأحرار الذين يصنعون ثقافة الأمة ويكونون لسانها الناطق وضميرها الحي.

وأما الصنف الثاني: فهو الصنف الذي تأثر بالدعاية الأوربية والتبشيرية – نتيجة نيله قسطاً من التعليم، واحتكاكه بمدارس البعثات التبشيرية التي غزت بلاد الشام ومصر، أو كان من الذين ابتعثوا إلى أوربا لإكمال تعليمهم في عصر محمد علي ومن بعده، فقد كان لهؤلاء أثر في انحلال الثقة في دين الأمة (وهو الإسلام) إذ كان الكثير منهم معجباً بلا حدود بالثقافة الغربية، لا يعصمه من المبالغة في ذلك عقيدة في القلب متينة، ولا علم شرعي صحيح، وهكذا رجعوا إلى بلادهم وفيهم جرأة تغذيها السطحية، واحتقار للذات يغطونه بكبرياء زرعتها في نفوسهم امتيازاتهم وما نالوه من معرفة ظنوا أنها إكسير الحياة لأمتهم.

٢– محاولة إخراج المسلمين من العجز الاجتماعي الذي حل بهم، وتبصيرهم بعيوبهم وأمراضهم التي تفتك بهم وتمنعهم من النهوض، وذلك بحضه على التربية والتعليم.

مقدار المطبوع

بدأ رشيد رضا بطبع [١٥٠٠] نسخة من كل عدد، ووزعها على من يعرف في مصر وبلاد الشام، والقليل في غيرهما من البلاد الأخرى، ثم عاد إليه أكثر ما أرسل إلى المصريين – ولا يذكر السبب لذلك – وبعد ذلك بقليل منعت رقابة الدولة العثمانية ما كان يرسل إلى السوريين وسائر العثمانيين، فاقتصر على طباعة [١٠٠٠] نسخة، ويقول: « مرت السنة وسنتان بعدها وما كاد المشتركون يزيدون على ثلث الألف إلا قليلاً » !

ومع شعوره بقلة عدد المطبوع إلا أن ذلك لم يدعه إلى اليأس ونفض اليد من هذا الجهد الذي لا يكاد يُحسُّ ، بل استمر في آماله العريضة ويقينه أن الناس سوف تلتفت إلى « المنار » وتقدره حق قدره طال الزمن أوقصر، وها هوذا يقول:

« ما كان انتقاص عملي، منتقصاً من أملي، ولا زهد الأمة في « المنار » باعثاً على جعله طعاماً للنار، ولا لفائف لبضائع التجار - كما هي سنة أصحاب الصحف في هذه الديار - بل كنت أحرص عليه، حاسباً أن الناس سيعودون إليه ».

قد يبدو الرقم [١٠٠٠] لأعداد مجلة توزع بين الناطقين بالعربية رقماً صغيراً، وهو كذلك، رقم صغير، فماذا عساه يفعل فيما بين مشرق بلاد العرب ومغربها، وحق لأكثر الناس تفاؤلاً أن يصاب بخيبة الأمل إذا ووجِه بهذا الرقم. لكن إذا علمنا حال العرب في ذلك العصر؛ ومبلغ الأمية الفاشية بينهم أدركنا أنه رقم لا بأس به. وسيزداد تقديرنا لهذا الرقم إذا قارناه بأرقام المطبوع من أعداد المجلات الجادة في عصرنا هذا. إن ما يماثل مجلة « المنار » من المجلات اليوم إذا وزع بين ١٥ إلى ٢٠ ألف نسخة اعتبر توزيعه لا بأس به، ولكن إذا قارنا الحال اليوم بالحال التي كان عليها الناس زمن رشيد رضا عندما أصدر مجلته؛ فستجيء نتيجة المقارنة لمصلحة ذلك العصر، وذلك لأن ما كان رشيد رضا يشير إليه بشيء من الأسف على أنه سبب قلة المطبوع - وهو الرقابة - لم تتراخَ قبضته، بل اشتدت واشتد بأسها، بل إن هذه القبضة أشرس ما تكون حين تواجه المطبوعات الداعية إلى فهم الإسلام الصحيح الذي يكون مخدوماً لا خادماً ولا مسخراً، ومقصوداً لذاته لا مطلوباً لغيره.

ومع أن نسبة التعليم قد تضاعفت أضعافاً كثيرة عما كانت في مطلع هذا القرن؛ فإن نسبة القراءة وتوزيع المجلات لا تتناسب مع هذه الزيادة في نسبة المتعلمين، ومردُّ ذلك إلى عوامل كثيرة منها: الحيلولة القاسية دون وصول المفيد من الثقافة إلى أيدي الناس لتوهم أن في ذلك تهديداً لمصالح الطبقات المتنفذة. وشيوع وسائل زاحمت القراءة كالراديو والتلفاز وغيرهما، ومنها أيضاً هبوط المستوى التعليمي والالتفات إلى العناية بتمدد التعليم أفقياً وإهماله عمودياً. ثم

انشغال الناس بضروريات الحياة التي أصبحوا يعانون المصاعب الكثيرة للحصول عليها في كثير من البلاد العربية.

إن الحقيقة المرة للواقع الثقافي في البلاد العربية منذ بداية ما يسمونه بعصر النهضة إلى اليوم تتكشف من خلال أرقام توزيع المجلات الجادة، فهذه المجلات - وأخصها المجلات الإسلامية - واقعة بين مطرقة الرقابة وسندان العجز المالي. وأي مجلة لا تدركها رحمة الدولة فمصيرها إما أن تُوقَف، وإما أن تتوقف، وإما أن تستمر من جيب الدولة، والتجربة الماثلة تشير إلى أنه قد يمكن لمجلة علمية مجردة أن تعيش على تمويل الدولة وتنجح؛ أما المجلة التي لها مساس بحياة الناس اليومية - كالمجلات الإسلامية - فإن دعم الدولة لها يفقدها ثقة الناس بها تدريجياً، حتى إذا اكتشفت الدولة أنها أصبحت عبئاً بلا مردود تعالت الأصوات بإغلاقها « نزولاً عند رغبة الجمهور !» وقد تبقيها حفاظاً على الفكر الإسلامي الأصيل! وتشجيعاً للإسلام الحضاري!! ونظراً منها بعين العطف للمؤسسات الإسلامية.

* * *

* *

*

حـــول الفقـــه والتفقــه (٢)

حوار مع الشيخ علي بن سعيد الغامدي

هذه هي الحلقة الثانية من الحوار الذي أجرته البيان مع الشيخ علي بن سعيد الغامدي أستاذ الفقه في المعهد العالي للدعوة في المدينة المنورة.

- **البيان: تيسرت الطباعة والمطابع وسهل تداول الكتاب، وهذا شيء طيب بحد ذاته ولكن بعض الناس أخذوا من كتب الفقه مباشرة وتجرأوا على الفتوى، فما هو الحل. هل تحصر الفتوى بعلماء معينين أم تترك لكل من يجد نفسه قادراً على ذلك؟**

لا شك أن الفتوى عظيمة، وقد يبلغ الإنسان عمراً طويلاً ويستجمع علماً كثيراً من الكتاب والسنة ولكنه مع هذا يتهيب التصدر للفتوى، وهذا الذي كان عليه علماء السلف. فالصحابة رضوان الله عليهم مع أنهم يعيشون مع النبي صلى الله عليه وسلم جواً علمياً عملياً ويرون بأعينهم الأحكام الشرعية ومع هذا إذا جاءهم أحد بسؤال أو استفتاء كانوا يتدافعون الفتوى، وربما لا يجيب أحدهم حتى يرى أنه قد تتعين الإجابة عليه، وكان أشياخ من أصحاب الرسول صلى الله عليه وسلم يفتون ولكن إذا اختلفوا يأتون إلى معاذ ابن جبل

فيصدرون عن رأيه، وهذا دليل على أنه لا يجوز للإنسان أن يتصدر للفتوى حتى يكون طالب علم متفقه مؤهل، ومع ذلك عليه أن يدفع الفتوى عن نفسه ما استطاع إذا وجد من يفتي غيره. ولكن إذا لزمه الأمر ووقف هو على حكم المسألة ويعرف ذلك فلا بأس أن يبين الحكم ويذكر الدليل للمستفتي إذا كان يفقه ذلك، أما إذا كان عامياً فإنه يكفيه أن يخبره بحكم الشرع في هذا، والأصل أن طالب العلم يقرأ الكتاب والسنة وفقه الأوائل ويستفيد ويذهب إلى أي جهة من الجهات ليعلم الناس، والأصل عدم تحديد الفتوى بشخص معين ولكن في زماننا هذا أصبح بعض الناس إذا حفظ حديثاً عن رسول الله صلى الله عليه وسلم فإنه يخول لنفسه أن يفتي بما يشاء، فينبغي للإنسان أن لا يتصدر إلا وهو أهل ذلك، وقد يكون من المصلحة أن تقصر الفتوى في بلد من البلدان أو أقليم من الأقاليم على عالم أو مجموعة من العلماء الذين اشتهروا بالتقوى والورع وجمع أقوال أهل العلم والأدلة في المسألة الواحدة، ومعرفة الواقع الذي يعيش الناس فيه، وكذلك ربما تحدد مسائل يقع الناس فيها بأغلاط كثيرة ويفتون بأقوال مرجوحة، لا بأس أن تحدد جهة إذا كان هذا يحقق مصلحة من المصالح لكن بشرط أن يكون المفتي ممن تنطبق عليه الشروط والضوابط التي ذكرها أهل العلم في كتب الاجتهاد ولو جزئياً، وقد كانت عائشة رضي الله عنها تُسأل عن مدة التوقيت في المسح على الخفين فقالت: عليك بابن أبي طالب فإنه كان يرافق النبي صلى الله عليه وسلم في أسفاره فهذا دليل على الإحالة، وكذلك لما أحالوا عليها فيما تعرفه في مسألة الغُسل، فذكرت لهم الحديث لأبي موسى وصدروا كلهم عن قولها، وهذا لا ينقص من قدر الإنسان إذا عرضت عليه مسألة ثم ردها إلى عالم أو طالب علم.

● **البيان: في أوربا أو الغرب بشكل عام أمور ومشاكل قد لا توجد في المجتمعات**

الإسلامية فإما أن يُسأل أحد العلماء وهو بعيد عن أجواء المشكلة، ويفتي دون الاطلاع على الظروف هنا أو يسأل من يعيش في هذه البلاد وهو ليس أهلاً للفتوى فكيف ترون الحل؟

وهذه قضية مهمة تحتاج إلى دراسة جماعية، للخروج بالحلول التي قد تحد من هذه المشكلة، وقد يكون من الحلول الآنية أن تحصر أهم هذه المشكلات من قبل أناس يعيشون في هذه المجتمعات وتقدم لهيئات علمية لدراستها من كافة الجوانب واقتراح الحلول لها. وهذا العبء يجب أن تقوم به المراكز الفقهية والجامعات الإسلامية وكذلك هناك عبء يقع على المراكز الإسلامية في هذه البلاد ويتمثل في إعداد أشخاص يعيشون في هذه البيئات ويدرسون المشكلات التي يواجهها المسلمون ويكونون مرجعاً للفتوى، وينشروا بحوثاً دورية توزع على الجاليات الإسلامية بلغة مبسطة خالية من التفصيلات التي لا يحتاجها المسلم العادي.

- **بعض الشباب الذين درسوا علوماً غير شرعية يحبون الازدياد من العلم الشرعي وخاصة في الفقه والملاحظ أنهم يقرأون من الكتب الكبيرة مباشرة وليس عندهم عالم، فبماذا تنصحون؟**

طالب العلم هذا يعتبر مبتدئاً والأصل أن يدرس مختصراً من المختصرات، وكل مذهب من المذاهب الأربع المشهورة عنده مختصرات، فيختار واحداً منها وليستخر الله سبحانه وتعالى في دراسة واحد منها. فكتاب الهداية في مذهب أبي حنيفة ميسر ومقرون بالدليل ويليه في السهولة واليسر كتاب العمدة في الفقه لابن قدامة على مذهب الإمام أحمد وبالنسبة لمالك يمكن أن يتفقه على الموطأ فقد جمع بين الحديث والفقه وله الشروح أو الرسالة لابن أبي زيد القيرواني، ومن أيسر كتب الشافعية المهذب للشيرازي وهناك المنهاج أيضاً وله شروح متيسرة، ولا شك أن حاجة المسلمين اليوم إلى وضع كتاب

يجمع القول المترجح قد يحل المشكلة، ويجب أن يدرس أيضاً كتاب في أصول الفقه، ومن أفضل المختصرات وهو يجمع أكثر أقوال أهل العلم كتاب الشيخ ابن عثيمين « الأصول من علم الأصول ».

● **ولكن هناك أقوال ضعيفة ومرجوحة في كتب المذاهب وأقوال ليس عليها دليل فكيف نتخلص من هذا إذا قرئت كتب في المذاهب؟**

نحن متفقون على أنه لا يقرأ لوحده. لأن الذي يقرأ لوحده سيكون له أخطاء كثيرة والأصل أن يقرأ على شيخ، والأصل أيضاً أن يكون هذا الشيخ على علم بالأقوال والأدلة، وعندئذ يبين له أن هذا القول مرجوح بالدليل أو أن هذا القول اعتمد على دليل ضعيف. هذا شيء لا بد منه، ولهذا ذكروا في كتاب « الفقيه والمتفقه » وكتاب « جامع بيان العلم وفضله »، و « تذكرة السامع » على أنه لا بد أن يكون التفقه على شيخ .

والطالب هذا ليس عنده شيء الآن، فلا بد له من موجه، وبعد ذلك إذا كان عنده القدرة على البحث والمقارنة والوصول إلى ما هو أقوى وأقرب إلى الدليل، فهذا له وليس محجوراً عليه. وليس ملزماً بأن يأخذ المذهب كله بما فيه من ضعيف وصحيح.

● **ما رأيكم بمن يعتمد الآن كتاب فقه السنة للشيخ سيد سابق؟**

هذه طريقة غير صحيحة بالنسبة للشباب المبتدىء، لأن الحاصل أنه لم يخرج عن المذاهب، كل ما في الأمر أن الشيخ سيد سابق يقارن أحياناً ويختار. وما دمت ستتابع سيد سابق فمتابعة الشافعي أو أحمد أو أبو حنيفة أو مالك أولى، إذ هؤلاء علماء الحديث والسنة الأولون، فدراسة مختصر من المختصرات على شيخ وحصر الأحكام فيه، هذه مرحلة تأسيسية، ومثل فقه السنة يكون في مرحلة ثانية.

● **ولكن لو فرضنا أنه قرأ « فقه السنة » أو كتاب « سبل السلام » مثلاً على عالم ما المانع من ذلك؟**

لا أقول هناك مانع ولكن أتصور أنها خطوة ثانية، فكأنه مثل الذي يبدأ من السلم من الدرجة الثانية أو الثالثة قبل أن يبدأ بالأولى، والأولى لطالب العلم المتفقه أن يبدأ بصغار العلوم قبل المقارنات، فإذا انتهى من المرحلة الأولى يأتي إلى المرحلة الثانية.

ولكن ذكرت قبل قليل أن من أسباب دراسة بعض الناس الفقه المقارن محاولة الخروج من الانحصار في دائرة المذهب والخروج من أسر التقليد، وهذا فيه نظر، لأن الاتباع شيء والتقليد شيء آخر.

● **بمناسبة الحديث عن التقليد والإتباع ما الفرق بينهما؟**

التقليد يصل بالإنسان إلى درجة التعصب، مثل الذي يقول: إمامنا فرغ من بيان الأحكام، وليس للقرآن والسنة حظ من القراءة إلا للتبرك وهذا الذي نهى عنه أهل العلم، ولكن الاتباع بمعنى ان تتبع مذهباً وتسأل عن الدليل وبعد ذلك إذا انتهيت من مسألة تعود وتنظر في أقوال أهل العلم، ومناقشات المسألة وتختار قولاً من الأقوال إذا كنت مؤهلاً لذلك، ومن التأهيل:

١- حفظ النصوص من القرآن والسنة وفهم شروحها ومعرفة طرق التعارض وعلم الخلاف.

٢- أن يكون على علم بعلم أصول الفقه واستنباط الأحكام من أدلتها.

البيان: وفي آخر هذا اللقاء أكد الشيخ حفظه الله على أهمية العناية بالدليل وتربية طلاب العلم على روح البحث والبعد عن التعصب فجزاه الله خيراً، ونسأل الله عز وجل أن يجعلنا ممن يستمعون القول فيتبعون أحسنه.

هل تحتاج بلادنا إلى علماء اجتماع

د. أحمد إبراهيم خضر

نتابع استعراض شهادات علماء الاجتماع على أنفسهم، وإعلانهم فشل بحوثهم وجهودهم، وتصويرهم غربتهم عن المجتمعات التي يتناولون شؤونها، ويستوردون الحلول لمشكلاتها، مما يصف غرورهم وعنجهيتهم وانفصام شخصياتهم.

فمن ذلك.

أولاً: الاعتراف بأن علم الاجتماع يوجه إلى مستهلكين عاجزين عن رفضه، وأنه نما وترعرع على هامش المجتمعات العربية دون أن يحس به سوى أتباعه ومريديه وأصحاب المصالح الحيوية فيه، أما رجل الشارع فلا يدري عنه شيئاً.

يقول محمد عزت حجازي أستاذ الاجتماع بالمركز القومي للبحوث الاجتماعية والجنائية بالقاهرة:

« لن نقف طويلاً عند الحقيقة المحزنة التي تتلخص في أن جانباً - يبدو لنا كبيراً- من البحث والدراسة والكتابة في علم الاجتماع يوجه إلى مستهلكين عاجزين عن رفضه هم طلبة الجامعات والمعاهد العليا »[1].

ويضيف (سالم ساري) أستاذ الاجتماع بجامعة الإمارات العربية المتحدة:

« ولكن المتتبع لتاريخ علم الاجتماع في الوطن العربي يلاحظ بدائل شتى. إنه نما على هامش المجتمعات العربية... نما وترعرع طيلة نصف قرن من الزمان أو يزيد دون أن يرعاه أو يحس به سوى أتباعه ومريديه وذوي المصالح الحيوية فيه »[٢].

ويقول (ساري) في موقع آخر:

« وأود أن أضيف تحدياً يتمثل في الهوة التي تفصل بين علماء الاجتماع وأفراد المجتمع العاديين وكذلك القضايا الاجتماعية المعاصرة »[٣].

ثانياً: الاعتراف بأن علم الاجتماع نشأ وتطور وما زال هزيلاً غير قادر على توفير نظرية خصبة ومناهج تقود إلى نتائج صلبة الأساس، وأنه كان ولا زال مغترباً عن الواقع الاجتماعي، وأن المتخصصين لم يساهموا إلا في صياغة مشكلات المجتمع العربي وتفسيرها وليس في اقتراح الحلول لها.

يصوغ محمد عزت حجازي هذا الاعتراف بقوله:

« إن نظرة تحليلية نقدية لواقع العلم تنتهي بنا إلى أنه يمر بأزمة، فقد نشأ وتطور وما زال هزيلاً لا يوفر مقولات نظرية خصبة قادرة على الإيحاء بأفكار تعين على النماء والتجدد ومناهج يمكن أن تقود إلى نتائج صلبة الأساس نافذة الدلالة، وكان منعزلاً أو مغترباً عن الواقع الاجتماعي الحي »[٤].

أما سعد الدين إبراهيم فقد عبر عن ذلك في موضعين قال في أولها :

« وبالنسبة للوطن العربي فمنذ الحرب العالمية الأولى واستقلال البلاد العربية لم تظهر مساهمة علمية نظرية يعتد بها الوطن العربي ».

وقال في الموضع الآخر:

« إن المتخصصين لم يساهموا بالقدر الكافي أو بالدرجة المطلوبة في صياغة مشكلات المجتمع العربي المعاصر وتفسيرها أو في اقتراح الحلول المطلوبة لهذه المشكلات »[٥].

ثالثاً: الاعتراف بأن المعرفة التي أنتجها رجال الاجتماع معرفة هزيلة، وأن وجودهم هامشي وتأثيرهم على المجتمع محدود، وأنهم غير ذوي مصداقية أو فاعلية، وأن طالب المعرفة عن الواقع الاجتماعي يمكن أن يجدها في كتابات غير كتابات علم الاجتماع.

يشرح سعد الدين إبراهيم قضية نجاح علم الاجتماع في إثبات وجوده على مستوى الجامعات والمجتمع فيقول:

« إلا أن هزال ما أنتجوه من معرفة قد جعل هذا الوجود هامشياً وجعل فاعليتهم في التأثير على المجتمع محدودة إن لم تكن معدومة. وطالب المعرفة عن الواقع الاجتماعي العربي المعاصر قد لا يجدها إلا في الكتابات الأدبية والصحفية أو في أعمال بعض المشتغلين بالتاريخ والجغرافيا أو الفلسفة والدين، وقد لا تكون هذه المعرفة بالضرورة دقيقة أو عميقة ولكنها على الأقل متوفرة ومفهومة »(٦).

ويتحدث سعد الدين ابراهيم أيضاً عن هامشية علماء الاجتماع فيقول:

« ليس صدفة أن هامشية علماء الاجتماع تواكب هامشية الفرد والمجتمع المدني في أقطار العالم العربي »(٧).

أما عن عدم مصداقية وفاعلية رجال الاجتماع فيقول عبد الوهاب بو حديبة في ندوة أقيمت في أبو ظبي في أبريل عام ١٩٨٣ تحمل نفس العنوان: (نحو علم اجتماع عربي):

« حتى الآن في البلاد العربية ليس لنا مصداقية وبما أنه ليس لنا مصداقية فليس لنا فاعلية. أما قضية المصداقية يمكن أن نقول أننا نتقدم إلى الأوساط العلمية (مؤتمرات وندوات) ونتكلم، أما الأيدي فهي فارغة أو اليد اليمنى لا تدري ما في اليد اليسرى»(٨).

رابعاً: الاعتراف بأن المتخصص في علم الاجتماع نادراً ما يأتي إلى دراسته بمحض رغبته وإرادته، وأن المناهج وأساليب التدريس وهزال الكم من المعرفة في علم الاجتماع لا يساعد على تنشئة المتخصص فيه تنشئة سليمة.

يقول سعد الدين إبراهيم:

« يندر أن يأتي التخصص في هذا الميدان طالب بمحض رغبته وإرادته، وإنما غالباً ما يأتي الطلاب إلى علم الاجتماع إما بمحض الصدفة أو لعدم وجود بديل أفضل متاح أمامهم. والقلة التي تأتي بمحض إرادتها غالباً ما يختلط في عقلها مفهوم علم الاجتماع بمفهوم الخدمة الاجتماعية أو النزعات الخيرية والإصلاحية والإنسانية، ولا تساعد المناهج وأساليب التدريس وهزال الكم من المعرفة السوسيولوجية في الجامعات العربية على تنشئة سوية للغالبية العظمى من الطلاب الذين يقضون أربع سنوات في دراسة علم الاجتماع، ويتخرجون بمفاهيم غير ناضجة عن العلم ومناهجه ومفاهيمه ونظرياته »[٩].

أما عزت حجازي فيشير إلى نفس هذه النقطة قائلاً:

« إن التعليم في مرحلة الليسانس والبكالوريوس والدراسات العليا لا يهتم بنوعية الطلبة ولا ما يقدم لهم من برامج وما يوفر لهم من فرص الإعداد والتنشئة، لهذا بسبب التركيز على التلقين من « كتاب مدرسي » ونتيجة للعمل من موقف التعالي على الواقع أو الانفصال عنه على الأقل ينهي الدارسون تعليمهم وهم ناقصوا الإعداد غير فاهمين للواقع وعاجزين عن التعامل معه »[١٠].

خامساً: الاعتراف بأن المؤلفات العربية في علم الاجتماع سيئة ومتخلفة وسطحية ومترجمة ومستعارة من واقع آخر ومن فكر مؤلفين آخرين تنم عن اضطراب وخلط شديدين، بالإضافة إلى أنها سريعة الإنتاج ومؤلفة أساساً لتحقيق الكسب المادي السريع.

يتحدث أصحاب المؤلفات العربية في علم الاجتماع عن مؤلفاتهم ويصفونها وصفاً دقيقاً. هذا « محمد الجوهري » يقول:

« ولم تلتفت – أي الدولة – إلى أن الأستاذ الجامعي صاحب الخبرة الميدانية الناقصة في فرع لعلم الاجتماع سيكون بالضرورة والقطع مؤلفاً لكتب سيئة ومتخلفة

ومستعارة من واقع آخرين ومن فكر مؤلفين آخرين »[١١].

ونقلاً عن « إياد القزاز » يقول « محمد الجوهري » عن كتابات رجال الاجتماع: « إن تلك الكتابات... علاوة على طابعها النظري فإنها ليست منهجية دقيقة في طريقة العرض؛ بل إن بعضها ينم عن اضطراب وخلط شديدين، وهي تقدم للقارئ معالجة سطحية للموضوع. ويلاحظ فضلاً عن هذا أنه على الرغم من أن تلك الكتابات ليست ترجمات مباشرة للكتب الدراسية الإنجليزية إلا أن التأمل الدقيق لها يكشف لنا أن الجانب الأعظم منها عبارة عن ترجمات غير مباشرة مع إدخال بعض التعديلات عليها والملاءمة مع ظروف القارئ والإيجاز هنا وهناك نقلاً عن بعض الكتب الدراسية الإنجليزية خاصة الكتب المعتمدة منها »[١٢].

هذا ويدلي عبد الباسط عبد المعطي أستاذ علم الاجتماع بجامعتي القاهرة وقطر وأحد قادة حزب التجمع الشيوعي المصري وأحد الماركسيين البارزين في علم الاجتماع ورئيس الجمعية العربية لعلم الاجتماع.. يدلي بدلوه في القضية معترفاً: « إن معظمنا يعيد إنتاج الفكر الغربي استسهالاً للاستهلاك وهذه مسألة حجمت العمل المنتج على مستوى أداء علم الاجتماع . هناك تشابه بين إنتاج « السفن آب» أو ترجمة الأفلام الأجنبية والاقتباس منها وبين تصنيع « الجينز » وبين ترجمة كتاب مدرسي مأخوذ عن المكتبة الأمريكية أو الإنجليزية. التشابه يأتي من قيم الاستسهال وبذل الجهد ومتطلبات السوق – سوق التدريس والتوزيع – الذي يلهث البعض خلفه كسباً للكسب المادي في وقت قصير نسبياً... الجماهير التي يتعامل معها المشتغلون بعلم الاجتماع هي جمهور الطلاب والباحثين الشباب والمبحوثين. بالنسبة لطلاب مراحل الليسانس هم المستهلك للمؤلفات المدرسية التي ينتجها المشتغلون بالعلم وهم بالتالي مصدر دخل أساسي للقائمين بالتدريس في الجامعات العربية. لقد بينت الدراسات التي اهتمت بتحليل ممارسات التدريس وتقويمها في الجامعات العربية أن من بينها زيادة الاتجاه إلى الأعمال المترجمة التي هي في جوهرها إعادة إنتاج لأعمال آخرين وأيا كان جهد الترجمة فهو أقل عناء من

التأليف... كما يلاحظ أن المؤلف الواحد يكتب في معظم إن لم يكن جميع أبعا التخصص وفروعه... معنى هذا بالتأكيد - خاصة إذا ما وضعنا في الاعتبا التسلسل الزمني للأعمال المنشورة - تأليف سريع يستجيب لمتطلبات السوق، سو التدريس وملاحقته، وتبدو الغاية هنا الكم الذي يلاحق الطلب والعائد من كا طلب، وإذا أضفنا إلى هذا أن المؤلف هو صاحب القرار في إلزام الطلاب بشرا مؤلفه فهو الذي يقرر وضع الامتحان وأنه يترتب على هذا فرض رسائل الدكتور المنشورة على طلاب الفرقة الأولى وفرض مؤلفات في بعض الفرق لا علاقة بمواصفات المقرر ومقرراته وتغيير الكتاب المقرر كل عام أكاديمي..»[١٣].

أما سعد الدين إبراهيم فيقول في قضية المؤلفات العربية في علم الاجتماع:

« ... نادراً ما يجد طالب المعرفة إنتاجاً سوسيولوجياً عربياً يطفىء ظمأه لفهم الواق العربي المعاصر بصورة منضبطة أو موضوعية أو شاملة أو حتى جزئية، فأكثر م ثمانين بالمئة من إنتاج أساتذة الاجتماع يكاد ينصرف كلية إلى الكتب المدرسية الت تحاول أن تعلم الطلاب مبادئ العلم وفروعه وتاريخه ونظرياته ورغم أهمية هذ الجانب من إنتاج أساتذة الاجتماع العرب للعملية التعليمية والتربوية إلا أن الشاه هو أن معظم هذه الكتب المدرسية تتسم بما يأتي:

١- تضخم الوعود بقدرات علم الاجتماع على فهم الواقع والتعامل الفعال م المشكلات الاجتماعية.

٢- الاعتماد شبه الكامل على مصادر المعرفة الأجنبية والترجمة المباشرة أو من خلا آخرين.

٣- التعقيد اللغوي والمعنوي في طرح مفاهيم ومقولات علم الاجتماع إما للإيح بجهبذة فكرية أو في الأغلب لعدم الفهم والاستيعاب لما يتم نقله من مصادر أجنبية

٤- ندرة ما يرد في هذه الكتب عن الواقع العربي (قطرياً أو قومياً).

٥- سطحية وتجزيئية القليل النادر الذي يرد في هذه الكتب عن الواقع العر وعدم استناده إلى قاعدة صلبة من المعلومات التقريرية أو الأمبيريقية »[١٤].

سادساً: الاعتراف بأن مجتمع المشتغلين بعلم الاجتماع في بلادنا لا يشكل مجتمعاً مهنياً حقيقياً وإنما هم جماعات مصالح وشلل تتصارع مع بعضها ويسيطر أحدها على الآخر وأن تنشئتهم المعيبة أدت بهم إلى اللامبالاة والسلبية، وعوّدتهم على الوصولية والانتهازية.

يقول محمد عزت حجازي:

« أما بالنسبة للمشتغلين بعلم الاجتماع في الوطن العربي - من الصعب أن نقبل فكرة أنهم يكونون مجتمعاً مهنياً، فهم في الحقيقة ينتظمون في جماعات مصالح متغيرة أو شلل... ويزيد الوضع سوءاً التنشئة المهنية المعيبة المشوهة التي تكف في الإنسان إمكاناته وقدراته الحقيقية واستعداده للمبادرة والانتماء، وتربي فيه اللامبالاة والسلبية وتعوده على الوصولية والانتهازية، وتركز أهم القيم والتوجهات وتدور معظم أنماط السلوك والتصرفات حول الذات والأسرة والشلة وفي نظم تسيطر عليها وتستغلها عناصر طبقية طفيلية وتشجع فيها الكسب المادي بأي ثمن وشكل والاستهلاك في سفه... ولهذا لا تعرف حركة الفكر الاجتماعي في المنطقة العربية الموضوعية والحوار التي تساعد في إنضاج الأفكار وتصحيح الأخطاء وكف تأثير الطرف المتحيز »(١٥).

وهذا سعد الدين ابراهيم يتحدث عما أسماه الحرب الأهلية بين قبائل وعشائر وبطون رجال علم الاجتماع في بلادنا فيقول:

« في المرحلة الأولى التي حاول فيها علم الاجتماع أن يشق مكاناً له في الجامعات (١٩٤٠ - ١٩٦٠ تقريباً) كان جزء كبير من طاقة المشتغلين به ينصرف إلى محاورات لإثبات علميته وموضوعيته وأهميته للمجتمع. وقد تجاوز المشتغلون العرب بعلم الاجتماع هذه المعارك الخارجية مع الذين عارضوا أو شككوا في أحقية هذا العلم الجديد بمكان تحت الشمس الجامعية. لقد انتصروا في تلك المعارك إما لأنهم نجحوا في إقناع الآخرين أو لأن الآخرين سئموا استمرار تلك المعارك. ولكن أساتذة الاجتماع سرعان ما دخلوا مع بعضهم البعض في معارك أهلية في المرحلة الثانية

(١٩٦٠ - ١٩٨٥) إما بالأصالة عن أنفسهم أو نيابة عن أطراف سوسيولوجية متعاركة مع مجتمعات أخرى، وساد تلك المعركة ما يمكن تسميته بمرض البداوة السوسيولوجية. فقد قسم المشتغلون العرب بعلم الاجتماع أنفسهم إلى قبائل اتخذت أسماء ومسميات مختلفة (فهناك النظريون والتطبيقيون، وهناك الماركسيون والوظيفيون، وهناك أتباع المدرسة الفرنسية وأتباع المدرسة الإنجليزية أو الأمريكية أو السوفياتية..الخ) وكل قبيلة سوسيولوجية جرى تقسيمها إلى عشائر (وظيفيون، ووظيفيون جدد، وماركسيون جدد.. الخ) وجرى تقسيم كل عشيرة إلى بطون وحتى أفخاذ. لقد أصبحت البداوة أفيون علماء الاجتماع العرب »[١٦].

ويتحدث عبد الباسط عبد المعطي عن مجتمع رجال الاجتماع من الداخل من زاوية أخرى فيقول:

« هناك جماعات مصلحة وجماعات ضغط على مستوى مؤسسة علم الاجتماع، هي جماعات تكاد تقوم بالممارسات والضغوط التي تأتيها الطبقات المسيطرة داخل البنى الاجتماعية لكنها تأتيها على مستوى العمل الرسمي. هناك باحثون جمعوا في أيديهم خيوطاً كثيرة مؤثرة في مسيرة العلم: التدريس، الإشراف على الرسائل الجامعية، الترقيات، السلطات الإدارية والتنفيذية، اللجان الحكومية، العمل في البحوث الأجنبية... الخ وبالتالي ركزوا كثيراً على مزيد من الكسب أعلى من غيرهم فأسهموا في خلل التوزيع على مستوى المجتمع وعلى مستوى مؤسسة العلم »[١٧].

هذا هو واقع علم الاجتماع وواقع المشتغلين به بعد ما يقارب من ثلاث وثمانين سنة من دخوله إلى بلادنا وإعلانه انقطاعه عن الإسلام.

علم هامشي هزيل لا يرعاه ولا يحس به إلا أتباعه ومريدوه وأصحاب المصالح الحيوية فيه، لم يساهم في صياغة مشكلة واحدة ولا تفسيرها ولا في اقتراح حل لها. طالب المعرفة عن واقع المجتمع يجدها في أي كتابات أخرى إلا كتابات علم الاجتماع التي تتميز بالتخلف والسوء والخلط والاضطراب والنقل عن مجتمعات

أخرى. رجال بلا مصداقية وبلا فاعلية وما هم إلا جماعات مصالح وشلل متصارعة متحاربة.

نحن ما تجنينا عليهم، وإنما هذا هو نص عباراتهم كتبوها بأيديهم وصاغوها بأنفسهم، وهم الذين قالوا واعترفوا (بأن بلادنا ليست في حاجة إلى علماء اجتماع).

« يتبع »

المصادر:

١- محمد عزت حجازي، الأزمة الراهنة لعلم الاجتماع في الوطن العربي، (نحو علم اجتماع عربي) ص ٣٠

٢- سالم ساري، المرجع السابق ص ١٨٥-١٨٦

٣- سالم ساري (ندوة نحو علم اجتماع عربي - أبو ظبي) المنشورة في (نحو علم اجتماع عربي) ص ٣٨٨

٤- محمد عزت حجازي، المرجع السابق ص ١٣

٥- سعد الدين ابراهيم، علم الاجتماع وقضايا الإنسان العربي (نحو علم اجتماع عربي) ص ٣٤٩

٦- سعد الدين ابراهيم، تأمل الآفاق المستقبلية.. (نحو علم اجتماع عربي) ص ٣٤٩

٧- المرجع السابق ص ٣٥٦

٨- عبد الوهاب بو حديبة (نحو علم اجتماع عربي) ص ٣٨٨

٩- سعد الدين إبراهيم، تأمل الآفاق المستقبلية، ..(نحو علم اجتماع عربي) ص ٣٤٧ - ٣٤٨

١٠- محمد عزت حجازي، المرجع السابق ص ٣٥

١١- محمد الجوهري، الكتاب السنوي لعلم الاجتماع، العدد الأول ص ١١

١٢- محمد الجوهري، المرجع السابق، العدد الخامس أكتوبر ١٩٨٣

١٣- عبد الباسط عبد المعطي، في استشراف مستقبل علم الاجتماع (نحو علم اجتماع عربي) ص ٣٧٠-٣٧١

١٤- سعد الدين إبراهيم، تأمل الآفاق المستقبلية.. ص ٣٤٦

١٥- محمد عزت حجازي، المرجع السابق ص ٣٦

١٦- سعد الدين إبراهيم، تأمل الآفاق المستقبلية.. ص ٣٤٦ - ٣٤٧

١٧- عبد الباسط عبد المعطي، في استشراف... ص ٣٧١

مَنْ هذه المنابر
(٢)

مرة ثانية نعود للحديث عن خطبة الجمعة، هذا المنبر الأسبوعي ذو الأهمية البالغة في توعية جماهير الأمة ورفع مستواها الإيماني والعلمي. لقد أهمل غالب الخطباء الإعداد الجيد وأهملوا معرفة ما يقال وما لا يقال، وما هي أوجه النقص عند من يصلي عنده، هل عندهم نقص في فهم العبودية التامة لله أو نقص في التعاطف مع أمور المسلمين في العالم، أو غير ذلك ويحاول سد هذا النقص.

قلما رأيت خطيباً في البلاد التي فشا فيها الجهل بتوحيد العبودية يتكلم عن هذا الجانب وبقوة ويقرع أسماع المصلين بالآيات القرآنية وبالأحاديث النبوية؛ ويفصل لهم أقوال العلماء الكبار في هذا الموضوع.

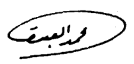
استمعت في الآونة الأخيرة إلى أحد الخطباء وكان يدعو الناس إلى الالتزام بالإسلام سلوكاً وأخلاقاً، وقال لهم في غمرة الحماسة: نحن ليس لنا دنيا، يئسنا من الحصول على شيء من الدنيا، أفلا يكون ديننا صحيحاً..!؟

تعجبت من هذا الفهم السقيم وكيف يلقى الكلام على عواهنه، وكأن

الإسلام يفصل بين الدين والدنيا ولم يدر الأخ الخطيب أننا لا نستطيع الاحتفاظ بديننا على الوجه الأكمل إلا بإتقان بعض دنيانا، وهل يقبل الإنسان منك وعظاً وهو جائع، وهل يكون دين المسلم قوياً وهو يعاني القهر أمام الأعداء.

لا يستشير الأخ الخطيب إخوانه في موضوع الخطبة، ولا يستشير أهل الرأي والحصافة من جمهور المصلين عنده، ولا يقرأ كثيراً في الموضوع الذي سيتكلم عنه؛ فكيف يؤثر في السامعين؟

إن بعض الموضوعات لا بد أن تطرح وترسخ في قلوب وعقول المصلين على اختلاف طبقاتهم، وذلك بالحديث عنها لعدة خطب متوالية؛ مثل مفهوم العبودية لله، والاستسلام لنصوص الوحيين: القرآن والسنة، وتعظيم السنة، وتعظيم الصحابة واحترام الأجيال المفضلة، وبيان محاسن الإسلام وفضائله، وذكر سيرة الرسول صلى الله عليه وسلم في سلمه وحربه، وإبداء الرأي الشرعي فيما يجد من أحداث، وبث روح الأخوة والتعاون ونبذ الفرقة والخلاف... إلى غير ذلك من الموضوعات التي ليس مجال تفصيلها في هذه الخاطرة، وإنما قصدنا الذي نريد الوصول إليه هو استشعار المسؤولية الملقاة على عاتق العالم والداعية الذي يرقى المنابر ليتكلم باسم الإسلام وفي بيت من بيوت الله.



لمـــــاذا

نـــرفـض الـعـلـمـانيـــة

د. محمد محمد بدري

لا شك أن العلمانية - كما عرضنا - لا تستدعي في حقيقة الأمر كبير جهد لبيان تناقضها مع دين الله (الإسلام) .. فهي من ذلك النوع من الاتجاهات والأفكار التي قال عنها علماؤنا قديماً: إن تصوره وحده كافٍ في الرد عليه..[1]

والإسلام والعلمانية طريقان متباينان، ومنهجان متغايران.. طريقان لا يلتقيان ولا تقام بينهم قنطرة اتصال.. واختيار أحدهما هو رفض للآخر.. ومن اختار طريق الإسلام.. فلا بد له من رفض العلمانية..

هذه بديهية من البديهيات التي يعد إدراكها - فيما نحسب - نقطة الانطلاق الصحيحة لتغيير واقع الأمة الإسلامية، ..ويعد غيابها السبب الأول لبقاء هذه الأمة ألعوبة في يد العلمانيين يجرُّونها إلى الهلاك بكل مهلكة من القول والعمل، ويزيدونها غياً كلما اتبعتهم في طريق الغيّ.. طريق العلمانية..

ولأن إدراك هذه البدهية على هذا القدر من الأهمية، فلا بد من التفصيل فنقول: نحن نرفض العلمانية لأنها:

١- تحِل ما حرّم الله:

« إذا كانت الشريعة مُلْزِمة من حيث المبدأ، فإن داخلها أحكاماً ثابتة لا تقبل التغيير، وأحكاماً عامة ثابتة في ذاتها، ولكنها تقبل أن تدخل تحتها متغيرات ومن بين الثوابت التي لا تقبل التغيير ولا يدخل تحتها متغيرات..أحكام العبادات كلها، والحدود وعلاقات الجنسين.. »[٢]

فماذا فعلت العلمانية بهذه الثوابت؟

إن الأنظمة العلمانية تبيح الزنا برضا الطرفين، والمتشدد منها يشترط موافقة الزوج أو الزوجة.. والكثير منها يبيح اللواط للبالغين.. وكلها يبيح الخمر والخنزير.

فأما الزنا برضا الطرفين فنجد مثلاً أن قانون العقوبات في مصر والعراق يؤكد على أن الزنا إذا وقع برضا الطرفين وهما غير متزوجين وسنهما فوق الثامنة عشرة فلا شيء عليهما، وإن كانا متزوجين فلا عقوبة عليهما ما لم يرفع أحد الزوجين دعوى ضد الزوج الخائن..[٣] والأفعال التي يحرّمها قانون العلمانية في جرائم العرض، إنما يحرمها لكونها تشكل اعتداء على الحرية الجنسية فحسب، وليس باعتبارها أمراً يغضب الله ويحرّمه الدين،.. ولذلك فإن الدعوى الجنائية في جريمة الزنا مثلاً لا تتحرك إلا بناء على شكوى الزوج، وللزوج الحق في التنازل عن الشكوى بعد تقديمها، وبالتالي تنقضي الدعوى الجنائية، وتوقف إجراءات التحقيق.. بل للزوج حق وقف تنفيذ العقوبة!!

وهكذا تبيح العلمانية الزنا، وتهيء له الفرص، وتعد له المؤسسات، وتقيم له الحفلات في الملاهي والمسارح..

..وأما الربا فهو عماد الاقتصاد العلماني، تؤسس عليه البنوك، وتقدم به القروض بل ويدخل الناس فيه كرهاً.. ومن شاء فليراجع المواد ٢٢٦-٢٣٣ من القانون المدني المصري، والتي تنص على الفوائد والقواعد المتعلقة بها، تلك المواد التي تحِل بها العلمانية ما حرّمه الله سبحانه بقوله عز وجل:

﴿ يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وذروا ما بقي من الربا إن كنتم مؤمنين، فإن لم تفعلوا فأذنوا بحرب من الله ورسوله..﴾ [البقرة ٢٧٨ - ٢٧٩]

وهذه الآيات نزلت في أهل الطائف لما دخلوا الإسلام والتزموا الصلاة والصيام،

وكانوا لا يمتنعون عن الربا فبين الله أنهم محاربون له ولرسوله إذا لم ينتهوا عن الربا.. فإذا كان هؤلاء محاربين لله ولرسوله فكيف بمن يقيمون للربا بنوكاً، ويعطون للتعامل به الشرعية الكاملة..؟

...وأما الخمر فإن النظم العلمانية تبيح شربها، وتفتح المحلات لبيعها والتجارة بها، وتجعلها مالاً متقوماً يحرم إهداره، بل تنشىء لإنتاج الخمور المصانع وتعطي على الاجتهاد في إنتاجها جوائز للإنتاج!!

وهكذا فإن العلمانية تحل شرب الخمر وبيعها وعصرها.. فتحل ما حرم الله.. وتحرّم إهدارها والإنكار على شاربها.. فتحرم ما أحل الله..

فالعلمانية تحل ما حرّم الله، وتحرّم ما أحل الله.. وليس هذا في الزنا والربا والخمر فقط، أو في الحدود والتعزيرات فقط، أو في مادة أو أكثر من مواد القانون الوضعي العلماني.. بل إن قضية تحليل ما حرّم الله، وتحريم ما أحل الله هي قضية النظام العلماني بأكمله، وبجميع جوانبه المختلفة..

ولما كان تحليل ما حرم الله وتحريم ما أحل الله.. كفراً لمن فعله، ومَنْ قَبِله؛ فلا بد لنا لنبقى مسلمين من رفض هذا الكفر.. ورفض العلمانية التي تقوم عليه.

ونحن نرفض العلمانية لأنها:

٢- كفر بَواح:

العلمانية كما قلنا هي قيام الحياة على غير الدين، أو فصل الدين عن الحياة، وهذا يعني بداهة الحكم بغير ما أنزل الله، وتحكيم غير شريعته سبحانه، وقبول الحكم والتشريع من غير الله.. ولذلك فإن العلمانية « هجر لأحكام الله بلا استثناء، وإيثار أحكام غير حكمه في كتابه وسنة نبيه، وتعطيل لكل ما في الشريعة. بل لقد بلغ الأمر مبلغ الاحتجاج على تعطيل حكم الله وتفضيل أحكام القانون الوضعي على أحكام الله المنزلة.. وادعاء المحتجين لذلك بأن أحكام الشريعة إنما نزلت لزمان وعلل وأسباب انقطعت فسقطت الأحكام كلها بانقضائها »(٤).

وكان من نتيجة ذلك أن أصبحت القوانين والأحكام التي تعلو أغلب ديار الإسلام

هي قوانين « تخالف الإسلام مخالفة جوهرية في كثير من أصولها وفروعها، بل إن في بعضها ما ينقض الإسلام ويهدمه، ..حتى لو كان في بعضها ما لا يخالف الإسلام فإن من وضعها حين وضعها لم ينظر إلى موافقتها للإسلام أو مخالفتها، إنما نظر إلى موافقتها لقوانين أوروبا ولمبادئها وقواعدها وجعلها هي الأصل الذي يرجع إليه »(٥)..

...وقد وضع الإمام الشافعي قاعدة جليلة دقيقة في نحو هذا، ولكنه لم يضعها في الذين يشرعون القوانين من مصادر غير إسلامية، فقد كانت بلاد المسلمين إذ ذاك بريئة من هذا العار، ولكنه وضعها في المجتهدين العلماء من المسلمين الذين يستنبطون الأحكام قبل أن يتثبتوا مما ورد في الكتاب والسنة، ويقيسون ويجتهدون برأيهم على غير أساس صحيح، حتى لو وافق الصواب حيث قال: «ومن تكلف ما جهل، وما لم تثبت له معرفته، كانت موافقته للصواب - إن وافقه من حيث لا يعرفه - غير محمودة والله أعلم، وكان بخطئه غير معذور إذا نطق فيما لا يحيط علمه بالفرق بين الخطأ والصواب فيه»(٦).

وإذا كان هذا هو حكم المجتهد في الفقه الإسلامي على غير أساس من معرفة، وعن غير تثبت من أدلة الكتاب والسنة حتى ولو وافق الصواب.. فلا شك أن هؤلاء الذين يشترعون من دون الله، مخطئون إذا أصابوا، مجرمون إذا أخطأوا، لأنهم أصابوا من غير طريق الصواب، إذ لم يضعوا الكتاب والسنة نصب أعينهم، بل أعرضوا عنها ابتغاء مرضاة غير الله... بل إن هؤلاء الذين يشترعون من دون الله قد وقعوا في نوع من أنواع الكفر الأكبر وهو كفر التشريع من دون الله، قال تعالى:

﴿ **أفحكم الجاهلية يبغون ومن أحسن من الله حكماً لقوم يوقنون** ﴾ [المائدة ٥٠]

يقول ابن كثير رحمه الله عند تفسير هذه الآية: « ينكر تعالى على من خرج عن حكمه المشتمل على كل خير، الناهي عن كل شر، وعَدَلَ إلى ما سواه من الآراء والأهواء التي وضعها الرجال بلا مستند من شريعة الله، كما كان أهل الجاهلية يحكمون به من الضلالات والجهالات مما يضعونها بآرائهم وأهوائهم، وكما يحكم به التتار من السياسات الملكية المأخوذة عن ملكهم جنكيزخان الذي وضع لهم الياسق، وهو عبارة عن كتاب مجموع من أحكام قد اقتبسها من شرائع شتى، من اليهودية والنصرانية والملة

الإسلامية، وفيها كثير من الأحكام أخذها من مجرد نظره وهواه، فصارت في بنيه شرعاً متبعاً يقدمونها على الحكم بكتاب الله وسنة رسوله - صلى الله عليه وسلم - ومن فعل ذلك منهم فهو كافر يجب قتاله حتى يرجع إلى حكم الله ورسوله فلا يحكّم سواه في قليل ولا كثير »[٧].

أرأيت - أخي المسلم - هذا الوصف القوي من الحافظ ابن كثير في القرن الثامن لذلك القانون الوضعي الذي وضعه عدو الإسلام جنكيزخان؟ ألا ترى أن هذا الوصف ينطبق على القانون الوضعي الذي يضعه العلمانيون الذين يشترعون للناس من دون الله؟ إلا في وصف واحد، وهو أن الشريعة الإسلامية كانت عند جنكيزخان مصدراً مهماً لقانونه؛ بينما هي عند العلمانيين مصدراً احتياطياً من الدرجة الثالثة.

وإذا تبين هذا فإننا نقول بما قاله الشيخ محمد بن إبراهيم - مفتي الديار السعودية - رحمه الله: إن من الكفر الأكبر المستبين تنزيل القانون اللعين منزلة ما نزل به الروح الأمين على قلب محمد - صلى الله عليه وسلم - ليكون من المنذرين بلسان عربي مبين في الحكم به بين العالمين والرد إليه عند تنازع المتنازعين مناقضة ومعاندة لقول الله عز وجل:

﴿ فإن تنازعتم في شيء فردوه إلى الله والرسول إن كنتم تؤمنون بالله واليوم الآخر، ذلك خير وأحسن تأويلاً ﴾ [النساء ٥٩].

فإنه لا يجتمع التحاكم إلى غير ما جاء به النبي - صلى الله عليه وسلم - مع الإيمان في قلب عبد أصلاً، بل أحدهما ينافي الآخر... فهذه المحاكم الآن في كثير من أمصار المسلمين مهيأة مكملة، مفتوحة الأبواب، والناس إليها أسراب، يحكم حكامها بينهم بما يخالف السنة والكتاب من أحكام ذلك القانون، وتلزمهم به وتقرهم عليه وتحتمه عليهم. فأي كفر فوق هذا الكفر، وأي مناقضة للشهادة بأن محمداً رسول الله بعد هذه المناقضة[٨].

..إن ما جد في حياة المسلمين من تنحية شريعة الله واستبدالها بالقوانين الوضعية البشرية القاصرة، ورمي شريعة الله بالرجعية والتخلف وعدم مواكبة التقدم الحضاري والعصر المتطور.. إن هذا في حقيقته ردة جديدة على حياة المسلمين..[٩].

وهذا ما قاله الشيخ عبد العزيز بن باز في معرض رده على القوميين حيث قال: ..الوجه الرابع من الوجوه الدالة على بطلان الدعوة إلى القومية العربية أن يقال: إن الدعوة إليها والتكتل حول رايتها يفضي بالمجتمع ولا بد إلى رفض حكم القرآن، لأن القوميين غير المسلمين لن يرضوا تحكيم القرآن فيوجب ذلك لزعماء القومية أن يتخذوا أحكاماً وضعية تخالف حكم القرآن حتى يستوي مجتمع القومية في تلك الأحكام، وقد صرح الكثير منهم بذلك كما سلف وهذا هو الفساد العظيم، والكفر المستبين والردة السافرة[١٠].

وكيف لا وهذه الأحكام الوضعية تحِل ما حرم الله، وتحرم ما أحل الله، وتبيح انتهاك الأعراض وإفساد العقول، وتهلك الحرث والنسل حتى أصبحت المادة القانونية (إذا زنت البكر برضاها فلا شيء عليها) أحفظ لأمن المجتمع عند هؤلاء العلمانيين من قول الله عز وجل:

﴿ الزانية والزاني فاجلدوا كل واحدٍ منهما مائة جلدة ولا تأخذكم بهما رأفة في دين الله، إن كنتم تؤمنون بالله واليوم الآخر..﴾ [النور ٢]

وأصبحت تصاريح الخمارات والملاهي والبنوك الربوية أصلح للمجتمع – عند العلمانيين – من الأخذ بقول الله سبحانه وتعالى:

﴿ إنما الخمر والميسر والأنصاب والأزلام رجس من عمل الشيطان فاجتنبوه لعلكم تفلحون﴾ [المائدة ٩٠]

وقوله عز وجل:

﴿ يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وذروا ما بقي من الربا إن كنتم مؤمنين، فإن لم تفعلوا فأذنوا بحرب من الله ورسوله ﴾ [البقرة ٢٧٨-٢٧٩].

إن الأمر في هذه القوانين الوضعية واضح وضوح الشمس (هي كفر بواح لا خفاء فيه ولا مداورة..)..[١١]، وليس هذه رأياً لنا لنبديه، أو رأياً لعالم أو مفسر أو مجتهد من الفقهاء ننقل عنه، إنما هو النص الذي لا مجال فيه للتأويل، والحكم المعلوم من الدين بالضرورة.. قال تعالى:

﴿ ومن لم يحكم بما أنزل الله، فأولئك هم الكافرون..﴾ [المائدة ٤٤]

فالعلمانية التي تحكم بغير ما أنزل الله ليست معصية، بل هي كفر بواح... وقبول الكفر والرضا به كفر...ولذلك فلا بد من رفض العلمانية لنبقى في دين الله، ونحقق لأنفسنا صفة الإسلام...

ونحن نرفض العلمانية لأنها:

٣- تفتقد الشرعية:

إن أكثر البلاد الإسلامية لا تحكم بشريعة الله.. ولكن يحكمها أناس يحملون أسماء إسلامية، ويستعرضون أنفسهم بين الحين والحين في صلاة أو عمرة أو حج، فتتوهم الجماهير أن لهم (شرعية)، وهم لا يحكمون بما أنزل الله[١٢].. فهل الحاكم إذا أبطل شريعة الله كاملة، واستعاض عنها بالشرائع الجاهلية.. هل تكون له شرعية؟ وهل يكون له على الرعية حق السمع والطاعة؟

..بادئ ذي بدء نقول أنه من المتفق عليه بين العلماء (أن الإمام ما دام قائماً بواجباته الملقاة على عاتقه، مالكاً القدرة على الاستمرار في تدبير شؤون رعيته عادلاً بينهم، فإن له على الرعية حق السمع والطاعة..)..[١٣].

..ولكن هذا الحق في السمع والطاعة يكون في حدود طاعته هو لله ورسوله، فإن عطّل شرع الله، فقد خرج عن طاعة الله والرسول ولم تصبح له طاعة على الرعية.. قال تعالى:

﴿ ..يا أيها الذين آمنوا أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولي الأمر منكم فإن تنازعتم في شيء فردوه إلى الله والرسول إن كنتم تؤمنون بالله واليوم الآخر، ذلك خير وأحسن تأويلاً ﴾ [النساء ٥٨-٥٩]

« وظاهر من البناء اللغوي للآية أن الطاعة لله مطلقة، وكذلك الطاعة للرسول - صلى الله عليه وسلم - ..ولكن ليست كذلك الطاعة لأولي الأمر ..ولو أن الله تعالى قال: أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأطيعوا أولي الأمر منكم لوجبت طاعتهم

مطلقاً كطاعة الله والرسول، ولكن الله جل شأنه لم يقل ذلك، وإنما عطف طاعة أولي الأمر على طاعة الله والرسول بدون تكرار الأمر (أطيعوا)، لتظل طاعتهم مقرونة دائماً بحدود ما أنزل الله..»[١٤]. فشرط الطاعة أن يكون ولي الأمر (منكم) أي من الذين آمنوا، ولكي يكونوا كذلك فلا بد أن يرد الأمر عند التنازع إلى الله (أي كتاب الله)، وإلى الرسول (أي سنة الرسول- صلى الله عليه وسلم ..[١٥]

وقد أكد رسول الله - صلى الله عليه وسلم - هذا المعنى فقال: « اسمعوا وأطيعوا وإن استعمل عليكم عبد حبشي كأن رأسه زبيبة ما أقام فيكم كتاب الله» رواه البخاري. وقال صلى الله عليه وسلم: « إن أمر عليكم عبد مجدع - أو قال أسود - يقودكم بكتاب الله، فاسمعوا وأطيعوا » رواه مسلم. فهذه الأحاديث واضحة الدلالة على أنه يشترط للسمع والطاعة أن يقود الإمام الرعية بكتاب الله، أما إذا لم يُحكّم فيهم شرع الله، فهذا لا سمع له ولا طاعة، وهذا يقتضي عزله، وهذا في صور الحكم بغير ما أنزل الله المفسقة، أما المكفرة فهي توجب عزله ولو بالمقاتلة.[١٦] « ...فمن أجاز اتباع شريعة غير شريعة الإسلام وجب عزله، وانحلت بيعته، وحرمت طاعته، لأنه في هذه الحال يستحق وصف الكفر »[١٧].

والكفر هو أعظم الأسباب الموجبة للعزل، وبه يخلع الإمام عن تدبير أمور المسلمين وقد انعقد إجماع العلماء على أن الإمامة لا تنعقد لكافر، وعلى أنه إذا طرأ عليه كفر وتغيير للشرع أو بدعة خرج عن حكم الولاية وسقطت طاعته[١٨].

وبناء على ذلك فإن وليّ الأمر الذي يتصرف في شريعة الله بالإبطال أو التعديل أو الاستبدال...لا تكون له شرعية، لأنه فقد شرط توليته الذي يعطيه شرعية تولي الأمر وهو تطبيق شريعة الله، أي سياسة الدنيا بالدين.

وإذن فالحكام الذين يسوسون الدنيا بغير الدين، ويقيمون منهاج الحكم على المبدأ العلماني - فصل الدين عن الدولة -.. هؤلاء الحكام ليس لهم شرعية، ولا تجب على الرعية طاعتهم، بل الواجب على المسلم معاداتهم وعدم مناصرتهم بقول أو فعل... هذا من ناحية شرعية الحاكم..أما من ناحية شرعية الوضع، أو ما يمكن أن نطلق عليه

شرعية النظام فنقول:

« ..يعتقد كثير من الناس أن الأوضاع القائمة في معظم أرجاء العالم (الإسلامي) هي أوضاع إسلامية، ولكنها ينقصها تكملة هي تحكيم شريعة الله.. وفي الحقيقة إن هذا الفهم غير صحيح، فتحكيم الشريعة ليس تكملة لأصل إسلامي موجود بالفعل، ولكنه تأسيس لذلك الأصل - بمنى أن الأوضاع لا تكون إسلامية إلا إذا قامت على شريعة الله».. قال تعالى:

﴿ فلا وربك لا يؤمنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم، ثم لا يجدوا في أنفسهم حرجاً مما قضيت ويسلموا تسليماً..﴾ [النساء ٦٥] [١٩].

فأول صفات الدولة الإسلامية التي تجب طاعتها وتحرم معاداتها هو أن يكون الحكم الحقيقي فيها من حيث التشريع والتكوين لله وحده.. وأن لا يكون فيها قانون خاص أو عام يخالف الكتاب والسنة، وأن لا يصدر أي أمر إداري فيها يخالف التشريع الإلهي.. وأن لا ترتكز الدولة في قيامها على أساس إقليمي أو عرقي..[٢٠] ذلك أن الدولة الإسلامية تقوم على الاجتماع على الإسلام والانتساب للشرع، بمعنى أنها ترجع إلى أصول الإسلام وليس إلى أصول الكفر مثل فصل الدين عن الدولة، أو نعرات القومية..

فإذا قام نظام دولة على مبدأ إلغاء الشريعة الإسلامية والإقرار بحق التشريع المطلق لبشر من دون الله، والتحاكم في الدماء والأموال والأعراض إلى غير ما أنزل الله، كان هذا النظام باطلاً، ولا تجب طاعته..

وهذا هو شأن العلمانية التي تقوم على مبدأ فصل الدين عن الدولة، ولذلك «فأنظمة الحكم القائمة الآن في العالم الإسلامي، أنظمة علمانية مقتبسة من النظم الغربية القائمة على مبدأ فصل الدين عن الدولة.. وهذا المبدأ يعتبر خروجاً صريحاً على مبدأ معلوم من الدين بالضرورة، وبالنصوص القطعية في الكتاب والسنة وإجماع العلماء كافة، وهو عموم رسالة الإسلام لأمور الدين وشؤون الحياة، وأن الإسلام منهاج حياة كامل ينظم سائر شؤون المسلمين في دنياهم..»[٢١]

...إن انعدام شرعية الأنظمة العلمانية التي تقوم على فصل الدين عن الدولة،

والتحاكم إلى إرادة الأمة بدلاً من الكتاب والسنة...إن انعدام شرعية هذه الأنظمة هو بديهية من البديهيات.. وموقف المسلم منها يتحدد في عبارة واحدة... إنه يرفض هذه الأنظمة... ويرفض الاعتراف لها بأي شرعية.

« يتبع »

المصادر:

١- العلمانية - سفر الحوالي - ص ٦٦٩
٢- حول تطبيق الشريعة - محمد قطب - ص ٦٢
٣- راجع قانون العقوبات المصري - المواد ٢٦٧ - ٢٧٩، والعراقي - المواد ٢٣٢ - ٢٤٠
٤- عمدة التفسير - أحمد شاكر - ١٥٧/٤
٥- مسند الإمام أحمد - تعليق أحمد محمد شاكر ٣٠٣/٦
٦- المصدر السابق
٧- تفسير ابن كثير
٨- تحكيم القوانين - الشيخ محمد بن إبراهيم - ص ٥، ٦، ١٠
٩- الولاء والبراء - محمد بن سعيد القحطاني - ص ٧٩ بتصرف
١٠- نقد القومية العربية - عبد العزيز بن باز - ص ٥٠
١١- عمدة التفسير - أحمد محمد شاكر - ١٧٢/٤
١٢- الجهاد الأفغاني ودلالاته - محمد قطب - ص ٣٤
١٣- حول تطبيق الشريعة - محمد قطب - ص ٣٤
١٤- كما فسره بذلك مجاهد وغيره من السلف - انظر تفسير ابن كثير ٣٠٤/٢
١٥- حول تطبيق الشريعة - محمد قطب - ص ٣٤
١٦- الإمامة العظمى - عبد الله بن عمر الدميجي - ص ٤٧٣
١٧- مختصر الفتاوى المصرية - ابن تيمية - ص ٥٠٧
١٨- صحيح مسلم بشرح النووي ٢٢٩/٣
١٩- الجهاد الأفغاني ودلالاته - محمد قطب - ص ٤١
٢٠- مؤتمر كراتشي المنعقد في الفترة من ١٢-١٥ ربيع الآخر ١٣٧٠ هـ
٢١- الشهادة - الشيخ صلاح أبو إسماعيل - ص ٢٦

الارتـــباط الوثـــيـــق بـــيـــن

العبـــادة والأخلاق

محمد الناصر

أبرز السمات الأخلاقية للمجتمع المسلم ذلك الارتباط الوثيق بين العبادة والأخلاق، إذ أن العبادة تزكي نفس صاحبها وتوجه سلوكه توجيهاً شفافاً متورعاً عن المحرمات، وتهذب أخلاقه وتقومها باستمرار. فالصلاة مثلاً، تنهى عن الفحشاء والمنكر، أو هكذا ينبغي أن تكون، قال تعالى:

﴿ **وأقم الصلاة، إن الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر** ﴾ [العنكبوت ٤٥]

ويقول جل من قال:

﴿ **فويل للمصلين الذين هم عن صلاتهم ساهون، الذين هم يراؤون ويمنعون الماعون** ﴾ [الماعون ٤-٧].

إن هؤلاء لو كانوا يقيمون الصلاة حقاً لله تعالى، ما منعوا العون عن عباده، وهذا هو المحك الحقيقي للعبادة الصادقة المقبولة عند الله، وهذا هو الرياء الذي يترك الأعمال خواء ويصيرها هباء[1].

والصيام جنة يمتنع فيها المسلم عن الطعام والشراب إلى جانب تقوى المشاعر وانطلاقة الروح.

قال عليه الصلاة والسلام: « من لم يدع قول الزور والعمل به فليس لله حاجة في أن يدع طعامه وشرابه» رواه البخاري. فهذه النصوص توضح لنا مدى اهتمام الإسلام بتهذيب النفس المؤمنة وتخليصها من أدرانها، خلال قيامها بالشعائر التعبدية، ومن ثم توجيه السلوك ضمن هذه القيم.

والزكاة ليست دفعاً للمال فقط وإنما هي تطهير المال والنفس. قال تعالى: ﴿ **خذ من أموالهم صدقة تطهرهم وتزكيهم بها** ﴾ [التوبة ١٠٢]

ومن أجل ذلك وسع النبي صلى الله عليه وسلم في دلالة كلمة الصدقة التي ينبغي أن يبذلها المسلم فقال: « تبسمك في وجه أخيك صدقة، وأمرك بالمعروف ونهيك عن المنكر صدقة، وإرشادك الرجل في أرض الضلال لك صدقة، وإماطتك الأذى والشوك والعظم عن الطريق لك صدقة..» رواه البخاري.

وقل مثل هذا في سائر الشعائر والعبادات، إذ أن علاقة الأخلاق بالعبادة علاقة وطيدة، فقد لا تنفع المرء صلاة ولا زكاة أو صيام يوم القيامة، إن كان من المفسدين المعتدين على الناس. سأل الرسول صلى الله عليه وسلم يوماً أصحابه فقال: « أتدرون من المفلس، قالوا: المفلس فينا من لادرهم له ولا متاع. فقال: المفلس من أمتي من يأتي يوم القيامة بصلاة وزكاة وصيام، ويأتي وقد شتم هذا وقذف هذا، وأكل مال هذا وسفك دم هذا، وضرب هذا، فيعطى هذا من حسناته، وهذا من حسناته، فإن فنيت حسناته قبل أن يقضى ما عليه، أخذ من خطاياهم فطرحت عليه، ثم طرح في النار» رواه مسلم.

ومن هنا جاء الحديث الشريف : « المسلم من سلم المسلمون من لسانه ويده، والمهاجر من هاجر ما حرم الله »،وفي رواية: « والمهاجر من هاجر ما نهى الله عنه »[٢].

فهذه العبادات تلتقي كلها عند الغاية التي رسمها رسول الله صلى الله عليه وسلم في قوله: « وإنما بعثت لأتمم مكارم الأخلاق »[٣].

فإذا لم يستفد المرء من عبادته ما يزكي قلبه وينقي لبه، ويهذب بالله وبالناس صلته فقد هوى(٤). ويؤكد ما نقول حول الصلة الوثيقة بين العبادة والسلوك ما جاء في الحديث النبوي الشريف، إذ روي عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رجلاً قال: « يا رسول الله إن فلانة تكثر من صلاتها وصدقتها وصيامها، غير أنها تؤذي جيرانها بلسانها، قال صلى الله عليه وسلم: هي في النار. قالوا يا رسول الله: إن فلانة تذكر من قلة صيامها وصلاتها، وأنها تتصدق بالأثوار من الأقط ولاتؤذي جيرانها، قال: هي في الجنة»(٥).

تؤكد هذه الأحاديث على عدم جدوى العبادة إذا فقدت روحها وفاعليتها في تهذيب نفس صاحبها.

والأخلاق في الإسلام تكليف رباني قبل كل شيء، قال تعالى:

﴿ قل إن صلاتي ونسكي ومحياي ومماتي لله رب العالمين لا شريك له ﴾

فإذا كان الصدق تكليفاً ربانياً، والأمانة تكليفاً ربانياً، والوفاء بالوعد تكليفاً ربانياً... فهل تدخل هذه التكاليف في العبادة أم تعتبر خارجة عنها زائدة عليها؟!. وكيف تكون خارجة عنها أو زائدة عليها، والله سبحانه وتعالى يقرر أنه لم يكلف البشر إلا أن يعبدوه:

﴿ وما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدون ﴾ [الذاريات ٥٦]

ويؤكد هذا الحديث النبوي الشريف: « لا إيمان لمن لا أمانة له، ولا دين لمن لا عهد له » (٦)

فإذا خرجت هذه الأخلاق من دائرة العبادة لن تصبح في حس الناس لازمة، وإنما تصبح شيئاً جميلاً إن وجد، فإن لم يوجد فلا بأس. ومن هنا صار لدى الناس إسلام بلا أخلاق.. إسلام لم ينزله الله تعالى، ولم يأمر به، وإنما هو أمر مضاد تماماً.. ومع ذلك يمارسه الناس على أنه: « غاية المراد من رب العباد».

إلا أن الفساد الذي طرأ على مفهوم العبادة وحصرها في الشعائر التعبدية

فحسب، وأخرج منها ألواناً كثيرة من المعاملات، كانت في حس الأجيال الأولى داخلة في مفهوم العبادة الواسع الشامل، باعتبارها سلوكاً إسلامياً مرتبطاً بلا إله إلا الله.. هذا المفهوم الشامل للعبادة انحرف عما كان عليه بسبب الفكر الإرجائي الذي أعطى لهذا الانحراف شرعيته، حين أخرج العمل من مسمى الإيمان ومقتضياته..

وبسبب الفكر الصوفي المنحرف عن التوازن الإسلامي مما زاد في فساد مفهوم العبادة..

كل هذا وذاك قد دمرا الجوهر الحضاري المتضمن في هذا الدين، والذي كان قوامه السلوك الأخلاقي المرتبط بالعقيدة والمترجم لها في دنيا الواقع.

وبعبارة أخرى، حين صار المسلم لا يجد حرجاً في قلبه أن يكذب وأن يغش أو أن يخون الأمانة، وأن يتهاون في العمل ويخلف العهود... يكون قد تجرد من أخلاقيات لا إله إلا الله، وتجرد من قيمها الإسلامية والإنسانية.

هذا التخلف في مفهوم العبادة والأخلاق نشأ عنه تخلف حضاري هائل، أخرج هذه الأمة من زمرة المتحضرين، كما أخرجها من ريادة العالم الذي أصبح تائهاً عن منهج الله(٧).

وإن هذه الأمة لا تمكَّن إلا بقدر التزامها بمقتضيات الإيمان والسلوك النظيف الطاهر، والعبادة المؤثرة الخالصة في مجتمع الفضيلة والعفاف، ذلك المجتمع المعافى من الجهر بالسوء والشرور والذنوب كما أشار إلى ذلك الحديث الصحيح، قال صلى الله عليه وسلم:

«كل أمتي معافى إلا المجاهرون، وإن من المجاهرة أن يعمل الرجل بالليل عملاً ثم يصبح وقد ستره الله فيقول: يا فلان عملت البارحة كذا وكذا، وقد بات يستره ربه ويصبح يكشف ستر الله عنه» (٨).

وإنها لخدمة عظيمة نسديها للأمة، بأن نزيل هذا الغبش عن أعينها، ونضع

بين أيديها نماذج الصفاء الإيماني، وتمثل مقتضياته في النفوس، مع تحوله إلى أخلاق قويمة وسلوك أصيل.

المصادر:

١- انظر رسالة في الرياء، ذمه وأثره السيء: سليم الهلالي ص ٤٥ مكتبة ابن الجوزي ١٤٠٨ هـ.
٢- صحيح مسلم ١٠٠/٢ .
٣- موطأ الإمام مالك: ومسند الأمام أحمد ٣٨١/٢ .
٤- انظر: خلق المسلم للغزالي ص ٩-١٢ .
٥- رواه أحمد والحاكم قال: صحيح الإسناد « الترغيب والترهيب، كتاب البر والصلة ٣٥٣/٣ ».
٦- الجامع الصحيح ١٩٨/٢ .
٧- انظر واقعنا المعاصر ص ١٧٠-١٧٩ بتصرف واختصار.
٨- أخرجه البخاري ٤٨٦/١٠ الفتح، ومسلم: بشرح النووي ١٩/١٨ .

* * *

* *

*

أترضــاه لنفســـك

سلطان بن حبيب الخلافي

كان محمد بن واسع يبيع حماراً له، فقال له رجل: أترضاه لي؟ قال: لو رضيته لم أبعه[1].

هذه الحادثة قمة في المعاملة التي تكون بين الأخوان وخاصة الدعاة إلى الله سبحانه وتعالى، وهذه إشارة من – محمد بن واسع – إلى أنه لا يرضى لأخيه إلا ما يرضى لنفسه وهكذا المعاملة، فبعض الناس يحب أن يعامله الناس بأحسن الأخلاق وأجلها، وأن يتلطفوا معه في المعاملة وأن يضعوه في مكانه اللائق به، وفي المقابل تجده لا يهتم في معاملته لإخوانه بالحسنى كما يهتم في أن تكون معاملة غيره له على أحسن حال وأفضل مقال،

قال ابن عباس رضي الله عنهما: « إني لأمر على الآية من كتاب الله فأود أن الناس كلهم يعلمون منها ما أعلم[2]. ولقد جاء معنى ما أشرنا إليه من عنوان هذا المقال في حديث عن النبي في أن المؤمن يحب لأخيه ما يحب لنفسه، روى البخاري ومسلم عن أنس رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال:

«لا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه »[٣].

فالمتأمل في هذا الحديث، يجده قاعدة عظيمة تنبع من خلالها كثير من الأخلاق، ولذلك كان كلام النبي صلى الله عليه وسلم من جوامع الكلم.

إن من يعامل الناس على أساس أن يحب لهم ما يحب لنفسه تماماً فإنه سيعاملهم حتماً بكل خلق رفيع، لأن هذا هو ما يجب أن يعامله الناس به إذ يحبه لنفسه. ومن هنا يجد نفسه مثلاً مدفوعاً إلى الصبر على أخيه المسلم كلما دعت ظروف التعامل إلى الصبر، لأنه يحب من الناس أن يصبروا عليه، كلما بدر منه ما لا يقبله الناس إلا بصبر.

ويجد المسلم نفسه مدفوعاً إلى العفو والصفح والمسامحة والإغضاء عن الهفوات والسيئات، كلما وجد من إخوانه ما يسوءه من تصرفاتهم معه، لأنه يحب من الناس أن يعاملوه بالصفح والعفو والمسامحة والإغضاء عن الهفوات والسيئات، كلما بدر منه من تصرفات تسوء إخوانه[٤]. وكذلك أنواع المعاملة من ستر العيوب والنصح سراً وكره الغيبة فهو يحب أن يعامل الناس بما يحب أن يعاملوه به.

ارتباط الحديث بالإيمان

فالإيمان لا يبلغ حقيقته ونهايته وكماله إلا بعد أن يتحقق مثل هذا الحديث في المسلم، فالإيمان قد ينتفي لانتفاء بعض أركانه وواجباته[٥].

ففي رواية خرجها الإمام أحمد رحمه الله: « لا يبلغ عبد حقيقة الإيمان حتى يحب للناس ما يحب لنفسه من الخير »[٦]. وهي تدل على أن العبد لا يبلغ حقيقة الإيمان وحلاوته ولذته حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه من الأخلاق والمعاملة الحسنة.

تطبيق هذا الحديث يدخل الجنة ويزحزح عن النار:

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « من أحب أن يزحزح عن النار

يدخل الجنة فلتدركه منيته وهو مؤمن بالله عز وجل ويأتي إلى الناس الذي يحب أن يؤتى إليه »[٦]. فحري بالمسلم الداعية إلى الله أن يستنفره مثل هذا الحديث لأن تكون معاملته حسنة مع إخوانه كما يحب ذلك منهم.

الأسباب التي تمنع من هذا الخلق

أولاً: الحسد

يقول ابن رجب رحمه الله: وهذا كله إنما يأتي من كمال سلامة الصدر من الغش والغل والحسد[٧]. فإن الحسد يقتضي أن يكره الحاسد أن يفوقه أحد في خير أو يساويه فيه لأنه يحب أن يمتاز على الناس بفضائله وينفرد عنهم، ورحم الله ابن عباس رضي الله عنهما حيث يقول: إني لأمر على الآية من كتاب الله فأود أن الناس كلهم يعلمون ما أعلم منها[٨].

وقال الشافعي: وددت أن الناس تعلموا هذا الدين ولم ينسب إليّ منه شيء[٩]. فالحاسد تجده يحب أن يعامله الناس بأحسن المعاملات فيريد منهم خلقاً رفيعاً، وتذللاً، وانبساطاً وعدم تتبع لزلاته على الرغم من أنه قد أشهر سيف المعاملة السيئة، والتكبر، والأنانية، وأخذ بعد فترة يكتب ويدون زلات إخوانه.

وعين الرضا عن كل عيب كليلة ولكنَّ عين السخط تبدي المساويا

والإيمان يقتضي خلاف ذلك وهو أن يشركه المؤمنون كلهم فيما أعطاه الله من الخير من غير أن ينقص عليه منه شيء. والحاسد ليس يحسدك على عيب فيك، ولا على خيانة ظهرت منك، ولكن يحسدك بما ركب فيه من ضد الرضا بالقضاء. قال العتبي:

أفكر ما ذنبي إليك فلا أرى لنفسي جرماً، غير أنك حاسدُ[١٠].

فنعوذ بالله من شر حاسد إذا حسد.

ثانياً: الكبر

قال تعالى:

﴿ تلك الدار الآخرة نجعلها للذين لا يريدون علواً في الأرض ولا فساداً ﴾[١١]

فبطر الحق وغمط الناس واحتقارهم وازدراؤهم يجعل المسلم يعامل إخوانه المعاملة السيئة مما يدعو إلى المعاملة بالمثل.

« فمن تواضع لله رفعه » وهذا من سنن الله في عباده، كما أن من استكبر وتعالى على خلق الله أذله الله. فالمستكبر يرفع نفسه فوق مستوى جلسائه، فيعيش وحده في جوه النفسي المتعاظم، ولا يحب أن يفوقه أحد، وربما يكون ترفعه إلى مكانة ليس هو في الحقيقة أهلاً لها.

وأخيراً إن الناقد البصير قد يجد في واقع الدعاة إلى الله عز وجل وما يحدث بينهم من الهجران والقطيعة والمعاملة التي لا تليق بأمثالهم – ولعل مرجع ذلك إلى عدم التدبر لمثل هذه الأحاديث النبوية التربوية التي تجعل القلوب صافية، والمحبة وافرة، وتجد التعاون بين الدعاة إلى الله عز وجل على أحسن حال.

المصادر:

١– جامع العلوم والحكم ص ١١٢

٢– المرجع السابق ص ١١٥

٣– فتح الباري ٥٦/١

٤– الأخلاق الإسلامية عبد الغني الميداني ج١

٥– جامع العلوم والحكم ص١١١

٦– انظر جامع العلوم

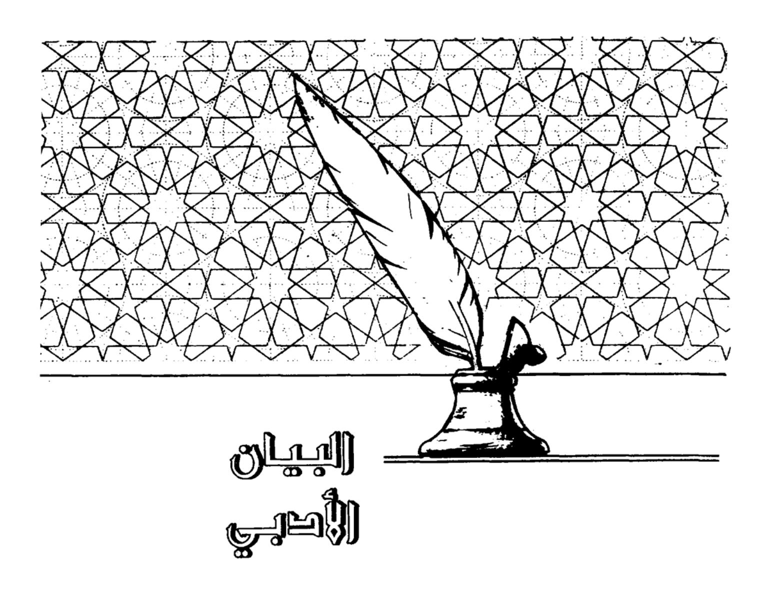
٧– رواه مسلم من حديث عبد الله بن عمرو بن العاص

٨– جامع العلوم والحكم ص ١١٣

٩– جامع العلوم والحكم ص ١١٥

١٠– روضة العقلاء

١١– القصص ٨٣



- خلا لك الجو

- الأدب مفهوماً ولغة

- صورة

خلا لك الجوُّ

شعر د. عبد الرحمن العشماوي

وسوف تُرفع القبابْ
وتهجر البلابلُ الغناءْ
ويُنشد الغرابْ
وسوف يعقد الذبابُ جلسةَ انتخابْ
وسوف يحدث انقلابْ
وعندها سيكثُرُ الضَّباب
ويدفن المزاهرَ الترابْ
ويبخل السحابْ
وتنتهي صلابةُ الهضابْ
سمعتُ قائلاً يقول:
يا أيها النيامْ

عليكم السلامْ
فليلكم ما زال ينصب الخيامْ
ولم يزلْ يخيط جبَّةَ الظلامْ
يا أيها النيامْ
عليكم السلامْ
فليلكم ينظِّم المسيرة
ويخلط العجين بالخميرةْ
ويكتب الحكاية المثيرةْ
الرِّيحُ – وقت القيظِ – يا أحبتي سمومْ
وفي الشتاء زمهريرْ
والناس بين قاعد يريد أن يقومْ
وواقفٍ يريد أنْ يسيرْ
فهل رأيتم بلبلاً في لجةٍ يعومْ
وهل رأيتم سمكاً يطيرْ؟؟؟
وهل رأيتم عاقلاً تُطربه الهمومْ
وهل رأيتم عاجزاً يُغير؟!
سمعت قائلاً يقول:
القدسُ – عفواً يا أحبتي –
أقصد « أورشليم »
تشاهد القتيل والجريح واليتيمْ

تعيش تحت وطأة اللئيمْ
وتشتكي من جرحها القديمْ
يا ويلكم.. ما عاد يستثيركم صراخُها الأليم
القدسُ - يا أحبتي - حزينةٌ عليلَهْ
تَبيتُ تحت وطأةِ القنابل المُسيلهْ
واعجباً من حجرٍ يغار حينما يرى نظرتها الكليلَهْ
وأمتي غارقةٌ في لهوها ذليلَهْ!!
سمعت قائلاً يقول:
يا شفة البركان لا تُتمتمي
لا تنطقي بلهجة الدُّخَان والحممْ
فأمتي تُدير قهوة الولاءِ للأممْ
وتشرب الحُثالهْ
توزِّع الطحين للأممْ
وتأكل النخالهْ
وأمتي تُعلن في وسائل الإعلامْ
رسالةً يسمعها الأنامْ
تُعلن أنّها تقوم بالرسالهْ
وأنها نموذج البَسالهْ
وأنها لا تقبل العمالهْ
سمعت قائلاً يقول:

يا شفة البركان لا تعبِّري
سيّان عندي أن تكوني لوحةً للصمتِ
أنْ تزمجري
فإنني عرفت موردي ومصدري
وإنني..
تئنُّ تحت وطأة الجراح أسطري
وإنني..
سمعت أن تاجراً معلَّقاً بثوبه المعصفَرِ
يبيع تحت جُنْح ليله..
وجه صباحٍ مُسفرِ
يبيع دون رهبةٍ ويشتري
سمعت قائلاً يقول:
يا قلمَ الحقيقةِ احذرِ
قُلْ ما يشاء القومُ أو فقفْ
أما سمعتَ أحرفي تصيح في دفاتري:
يا دولةَ اليهود زمجري
وزمجري
وقدمي وأخِّري
« يا لك من قُبَّرةٍ بمعمرِ
خلا لكِ الجوُّ فبيضي واصفُري

ونقّري ما شئتِ أن تنقّري »
يا قائلَ المقالةِ الجبانْ
نسيتَ أن أمتي عظيمة الكيان
وأنها تلوذ بالرحمانْ
وعندها من دينها الأمانْ
يا قائل المقالةِ الجبانْ
مَنْ قال: إن نجمةً تطاول القمرْ؟!
وإنَّ نملةً ستكسر الحجرْ؟!
وإنَّ أجذمَ اليدين يعزف الوَتَرْ؟!
مَنْ قال أيها المكابر العنيدْ
إن غباراً يُنزل المطرْ
وإن ريحَ قيظٍ تنعش الشجَرْ
وإنَّ شِدّةَ الحَذَرْ
تُنجي من القَدَرْ
يا قائلَ المقالةِ الغريبْ.
رجاؤنا في الله لن يخيبْ
رجاؤنا في الله لن يخيبْ.

الأدب مفهوماً ولغة

د. مصطفى بكري السيد

١- القول والفعل

« يحاول الشاعر أن يحاكي صوت الفعل الذي يصوره، في صوت الألفاظ التي ينظمها، فقد يكثر مثلاً من حروف الضاد والطاء ليدل على الضرب والطعن وقد يكثر من حروف السين والصاد ليدل على صليل السيوف، أو من حروف الراء ليدل على خرير الماء وهكذا »[١].

هل تنتهي العلاقة بين القول والعمل عند حدود المحاكاة الصوتية؟
أكبر الظن أن الأمر أبعد من ذلك، إذ كثيراً ما شدّ سمعي وعقلي تَوَحُّدُ القول بالفعل، فكم سمعت المتكلم من منطقة « نجد » من العامة كان أو من المثقفين يُعَبِّر عن طلب أحدهما باستدعاء الآخر، فيقول لصاحبه إذا واجه مشكلة أو مشكلاً: قل بها، أو قل به، كما سمعت مثل هذا الاستعمال من أحد زملائنا المدرسين من بادية الأردن.

وإذا كنت عاجزاً عن تفسير هذا التوحيد بين القول والعمل، فلقد شدني ورحت أبحث عن أصوله في تراثنا اللغوي، وكان ابتهاجي عظيماً عندما استوقفني أثناء مطالعتي في صحيح البخاري هذان الحديثان:

عن عائشة رضي الله عنها « أن النبي صلى الله عليه وسلم أراد أن يعتكف، فلما انصرف إلى المكان الذي أراد أن يعتكف، إذا أَخْبِيةٌ: خِباء عائشةَ، وخِباء حفصةَ، وخِباء زينبَ، فقال:

آلبِرَّ تقولونَ بهنَّ؟ ثم انصرف فلم يعتكف حتى اعتكف عشراً من شوال »[٢].

أما الحديث الثاني فهو:

عن أبي ذر رضي الله عنه، قال كنت مع النبي صلى الله عليه وسلم، فلما أبصر يعني أُحُداً - قال:

ما أُحب أنه تحوّل لي ذهبا يمكث عندي منه دينارٌ فوق ثلاث إلا ديناراً أرصده لِدَيْنٍ. ثم قال:

إن الأكثرين هم الأقلُّون، إلا من قال بالمال هكذا، وهكذا - وأشار أبو شهاب بين يديه وعن يمينه وعن شماله - وقليل ما هم »[٣] الحديث.

فاستعمال الفعلين / تقولون بهن / و / قال بالمال / واضح الدلالة على أن الفعل يُعَبَّر عنه بالقول،

كما عثرت على شواهد عربية وعالمية يفضي تأملها إلى ردم المسافة القائمة في عقولنا وأعمالنا بين القول والعمل:

يقول الأخطل التغلبي (٢٠ - ٩٢ هـ):

حتى تركتهُمُ مني على مَضَضٍ   والقول ينفُذُ ما لا تنفذ الإِبَرُ

فقد جعل القول فعلاً بل أفعل من الإبر.

ويقول ليوناردو دافنتشي الإيطالي (١٤٥٢ - ١٥١٩):

« يقتل الفم أكثر من الخنجر! ».

ويقول شكسبير (١٥٦٠ - ١٦١٦) على لسان هاملت:
« سأكلمها خناجر، ولن أمس خنجراً »[٤].
وربما ذهب بعضهم إلى جعل الفعل فرعاً عن الاسم يقول إمرسون:
« الأفعال هي نوع من الكلمات »[٥].

٢- تعريف الأدب

لم ينجُ عالم الأدب، وبقية أشقائه من فروع العلوم الإنسانية من محاولة الهيمنة لأكثر من طرف على مفهومه كي يولي وجهه شطر الوجهة التي يرضونها، ولينسجم مع موقعهم الفكري وواقعهم السياسي، وربما نجد بعض متلقي الأدب يُقَدِّم صورة معينة للأدب كيما يُصاغ على مثالها، وبذلك يفقد الأديب حريته، ويغدو إبداعه معلباً، وأمثال هؤلاء المتلقين يريدون أن تصبح تجربة الإبداع الرائع عملية آلية، تخضع لما تخضع له أية عملية إنتاجية من مراعاة شروط العرض والطلب وأذواق المستهلكين!!!

إن تسليع الأدب باسترضاء كل الأطراف، يئد الأدب ويعزل الأدباء عن دورهم المرجو، ويفقد الأدب ثمرتي المعرفة والمتعة المتمثلين بالصياغة الأدبية الإبداعية. ولقد تحامى كثير من النُّقاد تعريف الأدب[*] خشية تحديده، أو مخافة الحجر عليه، ولا جناح علينا أن نخالفهم فنقول:
الأدب فعل لغوي / راجع المقدمة: القول والفعل / لأن الأديب يصنع برؤاه وألفاظه ما قد يصنعه الحداد والبناء بالحديد والحجر / [٦] يتجسد فيه شكل من أشكال الوعي، وهو صدور عن موقع ثقافي، وإحساس جمالي، وموهبة لم تسقَ بماء واحد، وفي كل الأعمال الأدبية تكون اللغة وسيطاً، بين طرفي الإبداع: الباث والمستقبلين، واللغة في غير الأدب وسيلة وفي الأدب غاية، كما تحمل في

بقية العلوم رسالة إبلاغية، أما في الأدب فتحمل دلالة بلاغية، وإذا كنا نقول لكل كاتب في كل علم: ماذا قلت؟ فإننا نضيف للأديب سؤالاً آخر ونقول له: كيف قلت؟

واللغة في القول الأدبي ليست مجموعة ألفاظ بل مجموعة علاقات، لأن المبدع لا يستعمل اللغة مجرد تركيب، أو إنشاء يحفظ أو يتوارث ويلقّن، أو رصفاً قواعدياً للمفردات المعجمية[٧] بل هو إبداع يحقق فرادته ورسالته بالصياغة، إنه «إنزال فكرة في مادة / اللغة / وتشكيله على مثالها »[٨].

٣- كلمة أدب

أين كان هذا اللفظ مُستكّنا قبل أن يطل علينا محمّلاً بدلالته اللغوية والفكرية؟ إن الإجابة أكبر من مساحة هذا المقال ولكن سأشير إلى بعض المفاهيم التي تناولت المادة أ / د / ب / وتطورها .

لا بد من الإشارة إلى أن هناك معجمات عربية متخصصة رصدت كلمة / أدب / جذراً لغوياً ومعنى اصطلاحياً مثل:

« كشاف اصطلاحات الفنون – إحصاء العلوم – ومفاتيح العلوم للجرجاني – والكليات للكفوي، وهناك معجمان لمجدي وهبة ومعجم لإبراهيم فتحي »[٩].

« كما عرض لكلمة / أدب / عبد الله العلايلي في معجمه الذي لم يتمه وكتب فيها خمسة أو ستة أعمدة »[١٠].

وإذا كانت هذه الدراسة قد تأسست في مداخلها على حديثين رواهما البخاري فلا ضير عليها أن تعتمد الحديث الشريف أصلاً في تعريف وتطوُّر كلمة / الأدب/ .

أخرج البخاري في صحيحه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: « أيما

رجل كانت عنده وليدة فعلمها فأحسن تعليمها، وأدبها فأحسن تأديبها، ثم أعتقها وتزوجها فله أجران ».

يقول الدكتور عبد الملك مرتاض المدرس بجامعة وهران الجزائرية معلقاً على هذا الحديث:

« قرن التأديب بالتعليم ليس يعني إلا شيوع ذلك المعنى للأدب بهذا المفهوم في ذلك العهد المبكر، وقد استعمله بهذا المعنى أبو تمام في كتابه الحماسة »[٥١].

ولا بد أن نشير ونشيد بجهود ابن خلدون الذي حاول لأول مرة منذ أرسطو أن يضع المهاد لتأسيس علم الأدب، وأن يصوغ نظرية أدبية متكاملة كما يبدو لمتصفح الأوراق الأخيرة من مقدمته.

٤- الأدب واللغة

ألمحت باختصار / في تعريف الأدب / إلى العلاقة بينه وبين اللغة، وأحاول الآن بسط القول بعض البسط في هذا الأمر.

اللغة الأدبية تؤدي جملة من الوظائف المختلفة، غير أن الجمالية هي الوظيفة السائدة، والتي تتحقق معها وبها (أدبية الأدب).

ولا بد من الإشارة هنا بأن اللغة المستعملة في الأدب بحسبانها مقررات ليست مناط الدراسة والتقويم، وإنما تبدأ (أدبية النص) أو (ما يجعل الأدب أدباً) أو ما يميز الأدب أنه من / عندما تتمثل اللغة بالتراكيب والجمل، وهي لغة / معنى المعنى / حيث تتكفل الصياغة العلمية بالمعنى أما الصياغة الجمالية هي التي تنتج معنى المعنى وهدفها (جمالي يتعلق بإثارة المتلقي وإشباعه).

يقول أبو حيان التوحيدي:

« إن حَدَّ الإفهام والتفهم معروف، وحدّ البلاغة والخطابة موصوف، وليس

ينبغي أن يكتفى بالإفهام كيف كان، وعلى أي مرجع وقع، والبلاغة زائدة على الإفهام الجيد بالوزن والسجع والتقفية، والحلية الرائعة وتخير اللفظ، وهذا الفن لخاصة الناس، لأن القصد فيه الإطراب بعد الإفهام »(١٢).

نحن في حياتنا نستعمل في كثير من المناسبات صيغاً لفظية معينة، ولا نستعمل / معناها / فلا نقول للشارب:

أقدم لك التهاني بشربك بل نقول / هنيئاً / ولا نقول للحاج:

أرجو أن تكون حججت حجاً مبروراً بل تكتفي بقولك / حجاً مبروراً / وفي ذلك يقول سيبويه، ولعلها تكون أول لفتة لبلاغة النحو: « ألا ترى أنك لو قلت طعاماً لك، وشراباً لك، ومالاً لك، تريد معنى: سقياً أو معنى المرفوع الذي فيه معنى الدعاء لم يجز، لأنه لم يستعمل هذا الكلام كما استعمل من قبله، فهذا يدلك ويبصرك أنه ينبغي لك أن تجري هذه الحروف كما أجرت العرب، وأن تعني ما عنوا به »(١٣).

وهذه اللفتة من سيبويه رحمه الله فتحت الباب أمام ظهور مستويين للغة الأدبية:

المستوى الأول: مستوى الصحة.

المستوى الثاني: مستوى الجمالية.

أما صحة النص فينظر فيها إلى اللغة وأسلوب الأداء، من حيث أن اللغة مؤسسة اجتماعية لا سبيل للفرد المبدع أن يخترم قاعدة من قواعدها أو يخالف نظاماً من أنظمتها الفرعية، بل إنه لا يمكن عده مبدعاً إلا إذا تمكن من تحقيق المعادلة الصعبة بين صرامة قواعده وحرية إبداعه،

وأما جمالية النص فهي نتاج عبقرية المبدع وحريته في التعامل مع موضوعه وأسلوبه، وبقدر ما لا يكون للأديب الشاعر أو الكاتب من الحرية أمام اللغة كمؤسسة اجتماعية كاملة، بقدر ما يملك الحرية كلها تجاه الصياغة الجمالية،

ومواجهة الإنشاء الفني بالطريقة التي يؤثرها أو تجود بها قريحته،

وقد استقر في ذهن روّاد النحو العربي أنفسهم مثل سيبويه أن للشعر خصوصية في التعامل مع اللغة، فقد ميّز سيبويه في أحد فصول « الكتاب » بين لغة الشعر ولغة الكلام مستعرضاً بعض الجوازات التي تسوغ للشاعر ولا تجوز لغيره، وهو ما كان يتفق مع رأي أستاذه الخليل بن أحمد الفراهيدي (٩٦ – ١٠٧ هـ) الذي ينسب إليه هذا القول: « الشعراء أمراء الكلام، يصرفونه أنى شاؤوا، وجائز لهم ما لا يجوز لغيرهم من إطلاق المعنى وتقييده، ومن تصريف اللفظ وتعقيده، ومد مقصوره وقصر ممدوده، والجمع بين لغاته، والتفريق بين صفاته، واستخراج ما كلّت الألسن عن وصفه ونعته، والأذهان عن فهمه وإيضاحه، فيقربون البعيد، ويبعدون القريب، ويحتج بهم ولا يحتج عليهم»[١٤].

ولو تساءلنا عن أسباب التفويض الذي منحه شيخا اللغة للشاعر لما أخطأنا الصواب إذا قلنا إن الإبداع الذي يتحقق للغة على أيدي الشعراء (أدبية النص) يستحق بعض التنازلات لمصلحة الإبداع.

وإذا تحققت للنص أدبيته تحرر من الآنية، وبات أحد معالم الحياة جميلة، فما لا يصدق عليه وصف أدب في كل العصور والأزمان بصورة مطلقة فليس من الأدب في شيء، لأن النص « الذي يحتفظ بكيانه ويثبت وجوده في كل الظروف، هو الأدب القيّم، أما الأعمال الفنية الموقوتة بزمن معين فإن قيمتها تزول بزوال زمنها، وتموت بموت مقتضياتها، ومن ثم تكون الأسباب التي أكسبتها شعبية وقتية هي نفسها التي تعمل ضد استمرار حياتها »[١٥].

واللغة الأدبية كانت إحدى الثمار الطيبة لدراسات إعجاز القرآن، فالقرآن الكريم كان خيراً في كل اتجاه، ونعمة في كل وجهة، إن محاولة تفسير إعجازه، وتأويل جماليته أخرجت من الدرس الأدبي كنوزاً رائعة، كانت المادة الخصبة للاتجاهات النقدية، والمقاييس الجمالية، وهكذا كان القرآن وسيظل خيراً عمياً

على العربية.

وهكذا لا يكون الأديب أديباً ولا « الشاعر شاعراً لما فكّر فيه وأحسه، ولكنه شاعر لما يقوله من شعر، فعبقريته تكمن في إبداعه اللغوي، أما الحساسية المفرطة فلا تكفي لتكوين شاعر »(١٦).

ومرة قال الرسام الفرنسي ديجا (١٨٣٤ - ١٩١٧) للشاعر الفرنسي مالارميه (١٨٤٢ - ١٨٩٨): « إنني لا أستطيع أن أعبِّر عما أريد التعبير عنه، مع أن عقلي يصطخب بالأفكار، فأجابه مالارميه - إن الشعر - يا عزيزي لا يصنع من الأفكار ولكنه يصنع من الألفاظ »(١٧).

فاللغة الأدبية هي التي شدتنا إلى محفوظنا من الأدب الجميل وجذبتنا إلى تلكم الرؤى التي تعج بالأفكار، وتضج بالحركة، وتموج باللون، هي التي صنعت للأدب العربي سمعته، ومن إعادة توزيعها المتفرِّد نُسجت أثواب مجده، والشيء نفسه حصل في الأدب الغربي (فاللغة هي التي صنعت / عُطَيْل / قدّم نفسه لِ (ديزر مونة) من خلال اللغة، وهي التي قوّضته في النهاية، وهذا في خاتمة المطاف سر عظمة شكسبير الذي لم يفعل شيئاً سوى أنه ترك اللغة تفجِّر طاقاتها، وتصنع الحدث)(١٨).

ولكن أين يقف مضمون النص وموضوعه من أدبيته؟ إن النقد الحديث قد تجاوز ثنائية الشكل / المضمون، وأصبح من المتعذر درس كل منهما بمعزل عن الآخر، ما بينهما أكبر من وحدة ، وأكثر من اتحاد،

إن الأديب الحق يجب أن يكون ملتزماً فطرياً وأخلاقياً بمصالح المجتمع الكبرى، وبما يثري إنسانية الإنسان وما يرفع عنه من إصر وأغلال، وإذا كنا نجد أدباء لا يرتقون إلى هذا المستوى، في كل صنعة مهما كانت نبيلة نجد فئاماً من الناس يستأكلون بمبادئهم ويستطلقون العطايا بقيمهم، وحسبنا الله ونعم الوكيل.

* – يقول الدكتور عز الدين إسماعيل:

« الأدب هو الشيء المجرد، ما أولانا ألا نتعب أنفسنا في محاولة تعريفه » الأدب وفنونه ص ٢٤، ولكن الدكتور أحمد كمال زكي عرفه بقوله: « نشاط لغوي يستهدف توليد الحياة التي تحدث متعة جميلة »، النقد الأدبي أصوله واتجاهاته ص ٧٦ .

المصادر:

١- هموم المثقفين ط ١ ١٩٨١ دار الشروق ص ٢٣٨-٢٣٩ وقصة عقل ط ١ ١٩٨٣ دار الشروق ص ١٥٤ ومؤلفهما: زكي نجيب محمود.

٢- صحيح البخاري ٢٧٧/٤ رقم ٢٠٣٤ .

٣- المصدر نفسه ٥٤/٥ – ٥٥ رقم ٢٣٨٨ .

٤- شكسبير معاصرنا ص ٢٨٠ ترجمة جبرا إبراهيم جبرا.

٥- مجلة فصول ص ١١٥ عدد أكتوبر ١٩٩٠ م.

٦- الفن والحلم والعقل جبرا إبراهيم جبرا ص ٣٦٠ .

٧- حدود النص الأدبي صدوق نور الدين ص ١٥ .

٨- مقدمة في نظرية الأدب د. عبد المنعم تليمة ص ٩٧ .

٩- قراءة جديدة لتراثنا النقدي ٢٩٥/١ .

١٠- المصدر نفسه ٢٩٦/١ .

١١- المصدر نفسه ٢٧٨/١ – ٢٧٩ .

والدكتور مرتاض أشار إلى مصدر الحديث بقوله: صحيح البخاري ٢٤٠/٣ .

١٢- المقابسات، للتوحيدي ص ١١٧ تحقيق حسن السندوبي.

١٣- قراءة جديدة لتراثنا النقدي ٨٠٦/٢ .

١٤- المصدر نفسه ٤٣٥/١ – ٤٣٦ .

١٥- الأدب وفنونه د. عز الدين إسماعيل ص ٦٦ .

١٦- نظرية البنائية في النقد الأدبي ص ٣١٥ د. صلاح فضل.

١٧- الأدب وفنونه ص ٩٩ .

١٨- الإبداع، عابد خزندار ص ١٣٠ .

صورة

يحيى بشير حاج يحيى

بـالخـنـا أمـضـى شـبـابَـه وغــدا الخــمــرُ شـــرابَـــهْ
لم يجــد راحـــةَ قـــلـــب بـــيـــن كـــأس وربـــابَـــه
قـــد دعـــونــــاهُ مـــراراً والهـــدى يـــطـــرُقُ بـــابـــهْ
لم يجـبْ صـــوتـــاً لـــداعِ صَـمَـمُ الـقـلـب أصـابَـهْ
أنـــا لا أرجـــو عـــقـــابَـــهْ إنـــما أرجـــو مـــآبَـــهْ
فـــلـــقـــد كـــان نَـــقـياً مـــثـــلَ مـــاءٍ مِـــنْ سَـحـابَـهْ
لا تـسَـلْـنـي كـيـف أمـسى ليس في هــــذا غـــرابَـــهْ
صـــاحَـــبَ الأشـــرار جـــهـــلاً ولهـــم أعـــطـــى رِغـــابَـــهْ
فـــاحـــذرَنْ يـــا صـــاح مـــنـــه إن في الخـــيـــر اجـــتـــنـــابـــه
مـــن يـــكـــنْ لـــلـــجُـــرب خِـــلاً ليس يخـــلـــو مـــن إصـــابـــهْ


المسلمون في العالم
– مقابلة مع أحد مسؤولي جبهة الإنقاذ
– أحوال المسلمين في بلغاريا
– أيُّ سلام هذا؟!

مقابلة مع

رئيس اللجنة السياسية لجبهة الإنقاذ الجزائرية

زار المنتدى الإسلامي في لندن الأخ الفاضل رابح كبير رئيس اللجنة السياسية بالمكتب التنفيذي المؤقت لجبهة الإنقاذ الإسلامية وكانت فرصة لعرض أحوال الجبهة الإسلامية، وآخر المستجدات على الساحة الجزائرية، ورؤية المسلمين هناك لواقع الجزائر ومستقبلها. وبعد الاستفسار والاطمئنان عن صحة الشيخين عباسي مدني وعلي بلحاج والإخوة الذين لا يزالون في السجون بدأنا هذا الحوار:

● **البيان: نريد منكم صورة للوضع الحالي في الجزائر وكيف تقومون هذا الوضع؟**

بسم الله الرحمن الرحيم، الحمد لله كما أمر والصلاة والسلام على نبيه خير البشر وبعد:

في الحقيقة إن الذي حدث في الجزائر ليس بالأمر الهين، لا شك أن إخواننا سمعوا عما حدث من ضرب للجبهة الإسلامية للإنقاذ، لقد ضربت في قيادتها من مختلف المستويات فبين معتقل وبين من غير وبدّل، وكذلك كثير من أفراد الشعب الجزائري الذين كانوا يعملون مع الجبهة، كانت هجمة شرسة، ولكن

من فضل الله تبارك وتعالى أن هذه الجبهة فيها أناس مخلصون تابعهم الشعب الجزائري بحب وإخلاص لأنها تمثل العمل في سبيل إقامة دولة الإسلام، فالتوفيق كان بيد الله، في الوقت الذي ضربت فيه الجبهة اجتمع ثلة من الشباب، من شباب الجبهة في مدة قياسية، في مدة يومين استطاعوا تجميع أكثر من (٤٥) ولاية من ولايات الوطن التي تعد (٤٨) ولاية، في الأوراس وفي مدينة « باتنة » حيث كان النظام يقول بأن مدينة باتنة ستكون مقبرة الجبهة، وخرجت الجبهة من ذلك اللقاء أقوى وأمتن، ثم حاول النظام إلهاء الناس من خلال دعوته لإقامة حوار بين الحكومة والأحزاب. ولكن الجبهة لم تشارك لأن النظام كان يريد مشاركتها وهي محطمة، وشاركت الأحزاب وقلنا لهم: إن مشاركتكم مجرد لعبة ليس لها أي فائدة، وقد تأكد الجميع من ذلك بعد صدور القوانين الأخيرة، حيث لم تأخذ الحكومة بعين الاعتبار كل ما جرى في ذلك اللقاء. بعد ذلك رفع الحصار. وقبل أن يرفع، لما رأى النظام أن الجبهة غدت قوية رغم كل ما حصل ورغم حالة الحصار، لما رأى ذلك اعتقل الأخ عبد القادر حشاني مسؤول مكتب التنفيذ الوطني ظناً منهم أن هذا سيعيد الجبهة إلى نفس الحالة التي كانت عليها عندما اعتقل الشيخين عباسي مدني وعلي بلحاج فرّج الله عنهما، ولكن الأمر تجاوز تلك المرحلة وأصبحت الجبهة كمؤسسة هامة فيها هياكل مضبوطة ومستقرة، ثم إنها تصفَّت من الدرن الذي كان موجوداً وتم التمحيص والتصفية، وكانوا يظنون أن ندوة البلديات الإسلامية ستتوقف لأنهم يدركون أن تلك الندوة تمثل انطلاقة جديدة وقوية، عندما تجتمع كل بلديات الجبهة (٨٥٦) بلدية وتجتمع كل المكاتب البلدية والولائية فمعنى هذا أن كل حالة الحصار التي ضربت كانت صفراً، حاولوا منعنا من الندوة دون أي مبرر قانوني (من قوانينهم) ففضحنا ذلك بندوة صحفية، ثم تراجعوا وتمت الندوة وكانت

بإذن الله دفعاً قوياً للعمل، وبمجرد رفع الحصار عادت الجبهة كقوة فاعلة في المجتمع، ثم توالت أنشطةها باستمرار وربما كان أكبر هذه الأنشطة تجمعات على مستوى المناطق (الغرب في وهران، والشرق في قسنطينة) وأخيراً جاءت المسيرة التاريخية التي كانت يوم الفاتح من نوفمبر كتعبير عن الوفاء لشهداء الجزائر الذين هم شهداء الإسلام، حيث إن البيان الذي رفعه المجاهدون المسلمون يومها (نوفمبر ١٩٥٤) كان ينص صراحة على أنهم رفعوا راية الإسلام حتى تقام دولة حرة مستقلة في إطار المبادىء الإسلامية، والذي حصل بعدئذ هو انحراف وتبديل. فالجبهة نظمت هذه المسيرة، وقد حاولت الصحافة الأجنبية وبعض الصحف الوطنية تقزيم هذا الحدث، ولكنها كانت مسيرة ضخمة. وفي الجمعة الماضية نظمنا ستة تجمعات على مستوى الوطن، والعبد الضعيف ذهبت إلى ولاية الشرق وأخي عبد القادر ذهب إلى ولاية الغرب وآخر ذهب إلى ولاية الوسط، وأحب أن أعلمكم أن الشعب الجزائري شعب جاد دوّخ كل أعدائه.

هذا وضع الجبهة الآن، وقد غيرت السلطة لهجتها ونظرتها، فحاولت محاورتنا بعد أن اتضح لها ان الجبهة لا يمكن كسرها، وبحمد لله بدأت الأمور بالتحسن، صحف الجبهة عادت للظهور (كانت ممنوعة) اتصلنا بهم وقلنا لهم لماذا تمنعون (الفرقان) من الصدور، فقالوا لأن الفرقان فيها كلام قوي، فقلنا لهم هناك جرائد أخرى فيها كلام قوي ولم تمنع، فردّ الوزير بأن الكلام إذا جاء من الجبهة ليس مثل الذي يأتي من جهة أخرى. وعادت جريدة الفرقان وكذلك جريدة المنقذ في طريقها للعودة بإذن الله وننتظر بأن تسير الأمور نحو الانفراج ولعله يطلق سراح المشايخ إن شاء الله.

● **البيان: ذكرتم في حديثكم أن من أهداف بيان الفاتح من نوفمبر قيام دولة مستقلة والسؤال: هل حصل هذا وهل أكثر دول العالم الإسلامي مستقلة فعلاً خاصة إذا ربطنا**

بين الواقع الموجود وموقف ميتران عندما قال إنه سيعود لو استولت الجبهة على الحكم؟
حقيقة - أخي الكريم - الجزائر استقلت عام ١٩٦٢ وكانت تسير نحو الاستقلال في مراحل معينة رغم الانحراف الذي حصل، ولكن الآن نحن نسير نحو التبعية يوماً بعد آخر، فالجزائر ترضخ لشروط صندوق النقد الدولي، والنظام أفلس في جميع الميادين، ونحن في ندوة صحفية تساءلنا: من يحكم الجزائر؟ أصبحت المشكلة مطروحة، هناك تراجع عن كل المكتسبات بما فيها الاستقلال الوطني، فصندوق النقد الدولي يفرض شروطاً قبل رفع أسعار المواد الاستهلاكية وشيئاً فشيئاً يتدخلون في قرارات البلاد، وربما يصل الأمر إلى أشياء لا تحمد عقباها.

● **ما هي العلاقة الآن بينكم وبين الأحزاب الإسلامية وهل هناك تعاطف معكم وهل هناك تنسيق أو تعاون فيما بينكم؟**

في الحقيقة إن المحنة التي جرت لم تكن محنة بقدر ما كانت منحة من الله تبارك وتعالى ﴿ **ما كان الله ليذر المؤمنين على ما أنتم عليه حتى يميز الخبيث من الطيب..** ﴾ [آل عمران ١٧٩] هذا بالنسبة لوضعنا الداخلي وكذلك بالنسبة لإخواننا فنحن نرى أن العمل مواقف، فعندما ترى أن أخاك مظلوم مقهور ثم تتشفى به فلست أدري أي تعاون يمكن أن يحصل، فربما سمعتم أن بعض الإسلاميين قال بأن الجبهة زجاجة وانكسرت وأمر هؤلاء الناس أصبح مع الشعب الجزائري وليس مع الجبهة، لقد اتصلوا بنا بعد ذلك عندما رأوا أن الجبهة لم تنكسر بإذن الله، فقلنا لهم: إن إشكالياتكم اليوم مع الشعب الجزائري، أقنعوه بمواقفكم، المسألة لا يمكن أن تنسى بمجرد لقاء، يجب أن يكون هناك عمل قوي، الواقع يحمل الناس على التصديق بأنها كانت خطأ وأن الموقف سيتغير إلى الأحسن؛ وهناك أحزاب كانت مواقفها مشرفة مثل حركة الأمة، ولها صلات بالجبهة الإسلامية، وهناك غيرها.

● **البيان: وحزب النهضة؟**

النهضة كذلك وقفت مواقف لا بأس بها وتوجد لنا علاقات معهم، المسؤول عن النهضة في لجنة للدفاع عن المعتقلين السياسيين مع الشيخ سحنون ومسؤول حركة الأمة السيد يوسف بن خدة، هذا الأمر معروف.

● **البيان: قضية تنقية الصفوف من الأمور التي تقوي الجبهة ولا شك، هل هناك محاولة للرجوع من قبل الذين خرجوا من الجبهة أو انشقوا عنها؟**

الذين لفظتهم الجبهة في وقت المحنة منهم صنف باع ضميره، وهؤلاء لا كلام عنهم، لقد فصلوا من الجبهة، وهناك من وقف مواقف سلبية جداً واتخذ لقاء « باتنة » فيهم قراراً عندئذ ينظر في شأنهم، وهناك أناس آخرون بقوا في المجلس.

● **البيان: ننتقل إلى موضوع الانتخابات، هل ستدخل الجبهة الانتخابات القادمة؟**

موضوع الانتخابات يتعلق بالظروف السياسية، فرغم أن القوانين التي صدرت أخيراً فيها من الظلم الشيء الكثير، ولكنها أقل ظلماً من السابق وهذا شيء مؤكد، إنها فتحت مجالاً للرقابة على الانتخابات وهناك وضع ينبغي أن يسوى، هناك إشكالات سياسية عصلت في البلد، هؤلاء المعتقلون من الشيوخ وغيرهم، العمال المفصولون، الشهداء والجرحى في الأحداث، هذه مسائل ينبغي أن تسوّى، لقد قلنا: إنه إذا رأينا توجهاً صادقاً في الأجواء السياسية ولو في مرحلة معينة (حتى أصارحكم) وإذا لمسنا أن هناك استعداداً حقيقياً من خلال الممارسة السياسية لا من خلال التصريحات السياسية، لقد قلنا لهم: نحن لا ينفع معنا الكلام، نريد الممارسة الفعلية، وبدأت بعض الأمور تظهر وإن شاء الله يستمر الأمر كذلك فالأمر إذن يتخذه مجلس الشورى في الجبهة الإسلامية، آخذين بعين الاعتبار تطورات الوضع

السياسي فإذا قدرنا أنها تؤدي إلى انتخابات حرة ونزيهة تعطى فيها الكلمة للشعب الجزائري فنحن نقبل عندئذ لأننا واثقون أن شعبنا لن يختار غير الإسلام.

● **البيان: ولكن باب الترشيح أقفل الآن؟**

بالنسبة لهذا الأمر فالجبهة كما ورد في بيانها (لست بالخب ولكن الخب لا يخدعني) نحن قلنا: إن الموقف بالدخول أو المقاطعة لم يتخذ بعد، ولكننا أمرنا إخواننا في الولايات أن يستعدوا لهذا وكأننا داخلون الانتخابات، والجبهة هي الحزب الوحيد الذي قدم مرشحيه في كل دوائر الوطن.

● **البيان: بعض الإسلاميين خارج الجزائر يقولون: إن القوى التي تكره الإسلام سواء من الداخل أو الخارج لن تسمح للمسلمين بالوصول إلى أهدافهم عن طريق الديموقراطية فعندما يحسون بالخطر يلغون هذه الديموقراطية. فما جوابكم على ذلك؟**

نحن نرى العكس تماماً، لأنه لو وصل أي حزب إلى السلطة وخاصة الإسلاميين عن غير طريق الاختيار الشعبي فإن الدول المحيطة بنا، الدول الغربية ستتخذها ذريعة قوية لأجل التدخل المباشر، ولا شك أن الخارطة الجزائرية معروفة، فهذا المبرر ينبغي أن نقطعه أمام الأعداء، فيكون الاختيار هو اختيار الشعب، لنقطع الطريق أولاً أمام النظام نفسه فلا يجد مبرراً، الشعب رفضك واختار غيرك فينبغي أن ترحل، بالنسبة للدول الغربية لا تجد مبرراً للتدخل لأنه اختيار شعبي يعني تقطع أمامهم كل المبررات.

● **البيان: الدول الغربية في نظرتها للمسلمين في بلادهم ليست منصفة، ولا تريد أن يكون لهم نفس الحقوق التي يتمتع بها المواطن العادي عندهم، فمفهومها للديموقراطية مفهوم مزدوج وغير صحيح، وهي تفهم الحرية والديموقراطية لشعوبها، ولكن لا تفهم ما يسمونه الديموقراطية للمسلمين، وهذا واضح في كل بلاد المسلمين. في كل هذه**

البلاد لو توفر جو من الحرية وقامت حركات لها شعبية، ونظم المسلمون صفوفهم لاكتسحوا الانتخابات، وهذا يعلم به الغربيون جيداً، ولذلك نراهم يعلنون بكل وقاحة معارضتهم أن يكون المسلم في مركز قوي (وضع الجزائر مثال واضح على ذلك) لقد وقفت كل القوى مشجعة لضرب الجبهة، لا نقول وقفت متفرجة بل مشجعة على ضربها، والمسلم غير الجزائري يرى بوضوح - ومعه الحق - أنه لن يُسمح للمسلمين بهذا الطريق للوصول إلى موضع القوة، فهل هذا واضح بالنسبة للإخوة في الجبهة؟

هذا تحليل صادق، لأننا نعتقد نفس الاعتقاد، ولكننا نحن من خلال وسائل الإعلام في مختلف الجهات حتى وسائل الإعلام الغربية التي تتصل بنا نبين هذا المفهوم حتى يعرف الرأي العام لماذا المسلم فقط يحرم من الاختيار في ظل الإسلام، اليهودي يختار أن يعيش في ظل يهوديته فلا يمنعه أحد، والنصراني كذلك، المسلم له حق، قلتم: إن الاختيار ينبغي أن يكون للشعب، نحن كذلك نقول هذا الكلام، لا نخاف من شعبنا، نحن نقيم عليهم الحجة بهذه الطريقة، ولئن تدخلوا بعد ذلك في شؤونا، فمن حق المسلمين أن يرفضوا ذلك التدخل بوسائلهم، والشعب الجزائري تاريخه حافل عندما رفض تدخل المستعمر في بلاده وقاومه وانتصر عليه.

- **البيان: ولكن القضية هناك كانت تصدياً لإنسان خارجي يضع جنوده وضباطه وجهاً لوجه مع الشعب الجزائري؛ أما الآن مواجهتك ليست صراحة مع فرنسا أو غيرها وإنما مع الجيش الذي هو مؤلف من أبناء الشعب وليسوا فرنسيين قطعاً، وإن كان كثير من قياداتهم واقعين تحت تأثير الفكر الفرنسي، فكيف الخروج من ذلك؟**

لقد كان سعينا واضحاً من أجل أن يقتنع كل الجزائريين أو معظمهم على الأقل بأن الجبهة الإسلامية ليست كما يدعون ليست غولاً يأكل الناس، ولا تخيف، ولا ترعب، لأن الجزائريين الذين قد يكونون وقفوا ضد الجبهة الإسلامية كانوا مخدوعين، مغرراً بهم، الآن نريد أن نقطع جميع هذه الحجج

أمام السلطة وأمام الأعداء، لقد كلفنا موقفنا كثيراً، والحياة جهاد، ونحن لسنا نادمين بحال من الأحوال، لأنه إذا رأينا منكراً ينبغي أن نقف ضده، الشعب ليس نادماً ومن خلال التفافه القوي يتضح أنه يتحدى أكثر، إن دخول الناس السجون جعل كثيراً من أفراد الجيش ومن قادته يؤمنون أن ما كان يقال لهم إنما كان محض افتراء وكذب، عندما احتكوا بالإسلاميين قالوا: هؤلاء لا يخيفون، هؤلاء آمن على البلاد من غيرهم، كانت الدعاية تكذب وتقول إن الجبهة ترفض ميراث التحرير، وقفة الفاتح من نوفمبر كانت حاسمة في هذا الباب، نحن نريد بالإقناع، بالحجة أن نبطل حجج المبطلين. بواسطة الضغط الشعبي استطاعت الجبهة تغيير ذلك القانون الجائر بقانون أقل منه جوراً، ونقول من الآن: ليس بوسع النظام تزوير الانتخابات إلا إذا استخدم العنف. وعندما يحصل هذا فلا يوجد استقرار في البلاد، ونحن في الجبهة رفعنا القضية منذ البداية إلى الشعب الجزائري.

« يتبع »

* * *

أحوال المسلمين في بلغاريا

عماد الدين بكري إسماعيل

ساءت حالة المسلمين في كثير من بلدانهم بعد الحرب العالمية الأولى وسقوط الدولة العثمانية، واستُعمِرَ الكثير منها إن لم نقل كلها، وازدادت الحالة سوءاً بعد الحرب العالمية الثانية وبشدة في مناطق الأقليات، ومن البلدان التي تعرض فيها المسلمون لأبشع أنواع الظلم والاضطهاد حيث منعوا من إقامة شعائر دينهم، دولة « بلغاريا ».

لمحة موجزة عن بلغاريا:

تقع بلغاريا في الجزء الشمالي الشرقي من شبه جزيرة البلقان، وتبلغ مساحتها ١١١٠٠٠ كيلومتر مربع، وسكانها ٩ ملايين نسمة وعدد المسلمين في بلغاريا حوالي ثلاثة ملايين مسلم، أي ثلث سكان بلغاريا تقريباً.

والمسلمون هناك يتكلمون لغتين: التركية، وهؤلاء من أصل تركي سكنوا بلغاريا مع أوائل الفتح العثماني لبلغاريا ١٣٩٦ م، والذي دام حتى عام ١٨٧٨ م، وهم يشكلون ثلث السكان هناك.

والبلغارية: وهؤلاء السكان الأصليون، ويعرفون بـ « البوماك » وهي كلمة بلغارية تعني الأنصار، فهم الذين نصروا العثمانيين وآزروهم عند فتحهم لبلغاريا وكانوا في ذلك الوقت على دين الإسلام، ولذلك نجدهم يقولون ويُصِرُّون على أنهم أسلموا قبل دخول العثمانيين بلغاريا بقرون، إلا أنهم لم يستطيعوا أن يقيموا دولة لضعفهم، والله أعلم.

حال المسلمين في فترة الحكم الشيوعي ١٩٤٥ - ١٩٨٩ م

حكم العثمانيون بلغاريا ما يقرب من خمسة قرون (٤٨٢ سنة) كان الحكم الإسلامي في بدايتها واضحاً قوياً، ثم تدنى الحكم فيها كما تدنى في كثير من المناطق التي شملها الحكم العثماني، إلى أن وصل مرحلة التفكك والاضمحلال في القرن التاسع عشر الميلادي. وبخروج العثمانيين من تركيا ١٨٧٨ م (وهو ما يعبر عنه البلغار بالاستقلال عن الإمبراطورية التركية) واجه المسلمون عقبات كبرى، وضغوطاً شديدة من البلغار الذين يرون الدولة العثمانية مستعمِرة، فأخذوا يلفظون كل ما خلفه الأتراك في بلدهم وأول ما أرادوا لفظه الإسلام والمسلمين الموجودين في بلغاريا، لأن كلمة الإسلام عندهم تعني الأتراك وهم المستعمرون في نظرهم. فضيق على المسلمين كثيراً، وازداد الضغط وبلغت الحملة ضد الإسلام ذروتها إبان الحكم الشيوعي إذ أجبروا المسلمين وفي مناطق البوماك بالذات على تغيير أسمائهم، وهدمت كثير من المساجد وحول بعضها إلى متاحف كما هو الحال في مسجد صوفيا الجامع الكبير ومسجد بلويدف الجامع كذلك فكلاهما حول إلى متحف يعرضون فيها كل ما يمت إلى تاريخهم بصلة متجاهلين تاريخ المسلمبن، إذ لم نشاهد في أي من المتحفين (المسجدين) شيئاً عن الإسلام إلا روعة المسجدين الذين بنيا على الطراز التركي القديم.

وازداد الضغط سوءاً في أوائل السبعينات على الإخوة البوماك بالذات . وفي الثمانينات أذاق الحكم الشيوعي المسلمين من أصل تركي الويلات مما اضطر الكثير

منهم إلى الرجوع إلى تركيا - التي لم يرها الكثير منهم - مفضلاً الوضع فيها على هذا الضغط الذي يعانيه في بلغاريا، فاراً بدينه إلى منطقة أكثر أمناً وأقل اضطهاداً.

وممن ساعد الحكومة الشيوعية في الآونة الأخيرة في حكمهم وللأسف الشديد ما أسموه بالفتى الذي وضعته الدولة الشيوعية رقيباً لها على المسلمين إذ يأتيهم بأخبار المسلمين، وعمله الأصلي ضابط مخابرات، وهو يتسمى باسم المسلمين ومن أبوين مسلمين، فلا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم.

فكانت حالة المسلمين إبان الحكم الشيوعي - يرثى لها، منعوا من تعليم القرآن بل حتى من اقتناء المصحف إلا خفية، ومنعت النساء والفتيات من الحجاب، وصودرت المدارس الإسلامية التي حافظت على كيانها حتى بعد خروج الأتراك وقبل الحكم الشيوعي، صودرت وحولت إلى نواد تجمع الشباب الشيوعي من الجنسين، أو إلى أماكن للخياطة، أو إلى مرابط للخيول، إلى غير ذلك مما يسيء إلى المسلمين.

وبعد مصادرة الدارين وتحويل بعض المساجد إلى متاحف وهدم بعضها، تعطل التعليم وتعطلت الدعوة، فنتج عن ذلك جهل المسلمين الشديد بشعائر دينهم وعقيدتهم والذي رآهم عن قرب يحس بذلك ويتألم له.

حال المسلمين اليوم

بعد نهاية الحكم الشيوعي في ١٩٨٩ م، فرح المسلمون فرحاً شديداً بذلك وتوجهوا إلى المساجد وعادت البشاشة إلى وجوههم، ورجعوا إلى مساجدهم القديمة يرممونها ويصلحون من شأنها، وزجعوا إلى تعليم أطفالهم القرآن في المسجد في الأمسيات وأيام عطلة نهاية الأسبوع، وأعادوا بعض المدارس وعاد الحجاب إلى الشارع، وتقف أخي المسلم مشدوهاً كيف عاد المسلمون والحجاب بالذات بهذه القوة، إذ رأينا قرى في مناطق « مادان » وما حولها: كل نسائها وبناتها محجبات،

في الشوارع والأسواق والطرقات، وفي المدارس...الخ. إنها عودة قوية صادقة تحتاج إلى من يدعمها ويقف إلى جانبها.

أهم ما يحتاجه المسلمون بإلحاح:

إن هذه العودة الطيبة والإنابة الصادقة إن شاء الله تعالى تحتاج إلى ترشيد وإنارة، فمما يؤدي إلى ذلك ويلبي رغبات المسلمين في بلغاريا أن يتولى المسلمون المخلصون:

١- إعادة بناء المدارس: مادياً، وذلك بإصلاح المدارس القديمة المتصدعة، أو إنشاء مدارس جديدة في مناطق يشكل المسلمون نسبة عددية كبيرة فيها.

وعلمياً: وذلك بإعداد منهج علمي وفق منهج أهل السنة والجماعة مترجماً باللغتين التركية والبلغارية حتى يتسنى لهم الفهم السريع مع تزويدهم بالمعلمين الأكفاء والتعهد بتغطية نفقاتهم، إذ إن عامة المسلمين هناك من الفقراء.

٢- إنشاء داخليات (سكن داخلي) للطلاب الذين يأتون من خارج مدينة المركز، مما يساعد على توطيد آصرة الأخوة والعمل الجماعي والذي به بعد توفيق الله يكون إكمال البعض للبعض في جو إيماني أخوي.

٣- إعادة ترميم المساجد القديمة وإنشاء الجديدة في مناطق التكتل مما يكون له عظيم الأثر بإعادة دور المسجد للصدارة في بناء الشخصية المسلمة كما كان ماله في صدر الإسلام، يُخرج الدعاة والمجاهدين في آن واحد.

مناطق تكتل المسلمين واحتياجاتها

١- منطقة كيرجلي:

وهي في الجنوب الشرقي لبلغاريا وكل سكان المنطقة مسلمون، ويقدر عدد المسلمين بها بحوالي ٢٠٠,٠٠٠ نسمة، يحتاجون إلى مدارس جديدة وترميم القديم من المدارس والمساجد مع إنشاء مساجد جديدة في بعض المركز والقرى التابعة للمنطقة.

٢- منطقة رازقراد:

تضم المسلمين في الشرق والشمال الشرقي لبلغاريا، وعدد المسلمين فيها يقدر بحوالي ٢٥٠,٠٠٠ نسمة موزعين على مدن وقرى المنطقة وأهم مدن المنطقة هي:

أ- مدينة « شومان »:

وتعداد المسلمين فيها حوالي ٥٠,٠٠٠ نسمة، وفي المدينة أضخم مسجد وأجمله، بني قبل ثلاثمائة وخمسين سنة، وما زال يعمل، وبها مسجد آخر أقل ضخامة من الأول.

وبها مدرسة النواب المشهورة وهي واحدة من ثلاث مدارس رُخِّص لها بالعمل، عملت اثنتان منهن، والثالثة تحتاج إلى من يتكفل بها مادياً وعلمياً ومعنوياً، ومدرسة النواب هذه تحتاج إلى دعم كبير فهي مدرسة مهمة واقعة في منطقة زاخرة بالمسلمين وفي مدينة من أهم مدن بلغاريا.

ب- مدينة « روسى »:

وتقع في الشمال الشرقي مع حدود « رومانيا » وعدد المسلمين فيها حوالي ٤٠٠,٠٠٠ نسمة، تحتاج إلى مدرسين، مع العلم أن بها مدرسة ضخمة بحاجة إلى إعادة تعمير وتأسيس، مساحتها (٢٥٠٠) متر مربع، فيها فصول الدراسة وسكن الطلاب وتحتاج إلى جهد كبير حتى تقوم. وبالمدينة مسجدان يسدان حاجة المسلمين الحالية.

ج- مدينة رازفراد « عاصمة الإقليم »:

عدد المسلمين بها ٢٥٠,٠٠٠ نسمة بها ثلاث مساجد، يعمل منها واحد فقط والآخران بحاجة إلى صيانة وإعادة تعمير.

وتحتاج المدينة لمدرسة واحدة على الأقل لتغطية حاجة الطلاب بالمدينة وضواحيها، ولا بد من إنشائها إذ لا توجد بالمدينة مدرسة قديمة كغيرها من مدن المسلمين.

٣-منطقة « مادان »:

وهي من مناطق البوماك، وتقع جنوب بلغاريا قريباً من الحدود اليونانية، وتعداد المسلمين بالمنطقة حوال ٨٠,٠٠٠ نسمة، وتعدادهم بمدينة مادان نفسها حوال ١٥,٠٠٠ نسمة، وهي بحاجة ماسة إلى مركز يجمع مسلمي المنطقة ومدرسة لتعليم أبنائها.

٤- جوتس دلجف:

وهي من مناطق البوماك كذلك، وهي في الجنوب الغربي لبلغاريا وقريبة من الحدود اليونانية كذلك. وسكان هذه المنطقة يقدرون بـ ٦٠,٠٠٠ مسلم وفي المدينة نفسها حوالي ١٠,٠٠٠ مسلم بحاجة ماسة إلى مسجد كبير ومدرسة.

٥- منطقة بلوبدف:

عاصمة بلغاريا الأولى، عدد المسلمين في هذه المنطقة أكثر من ٤٠ ألف نسمة، بها مسجد ضخم بني عام ٨٧١ هـ الموافق ١٤٥٠ م تقريباً وما زال يعمل، وبها مسجد آخر جميل حوّله الشيوعيون إلى متحف، والمسلمون يحاولون استعادته. ويحتاجون إلى مدرسة في الوقت الراهن لتحل ضائقة التعليم.

٦- مدينة خاسكوفو:

تعداد المسلمين بها أكثر من ٢٥ ألف نسمة، فيها مسجد واحد يعمل، وثانٍ أحرقه الشيوعيون وثالث هدم قبل عشر سنوات، وهم بحاجة إلى مدرسة حيث يبلغ مرتادو المسجد يومي السبت والأحد من الأولاد أكثر من (٢٠٠) .

وهناك قرى تحتاج إلى مساجد صغيرة وأماكن لتحفيظ القرآن الكريم ترفق بالمساجد أو منفصلة، في كثير من المناطق.

ولا يتسع المجال هنا لذكر كل هذه القرى بل بعض المدن التي تتبع المناطق المذكورة آنفاً.

هذه هو حال إخوانكم ببلغاريا فهلا مددنا يد العون لهم وأنقذناهم بتلبية احتياجاتهم أو بعضها وأبرأنا ذمتنا أمام الله تعالى.

أيُّ سلام هذا؟!

محمد بن حامد الأحمري

عشنا هذه الأشهر الأخيرة مأساة غريبة، كل ما فيها يوحي بالاستهجان والسخرية من هذه الأمة المسلمة المسكينة التي يتفق اليهود والنصارى على تحديد مصالحها، وتحديد حروبها وسلامها، وتحديد أعدائها وأصدقائها، وبالتالي اختيار قادتها المعبرين عن مواقفها. فهذه حنان حنا عشراوي الناطقة باسم الشعب الفلسطيني المسلم تعطي من بقي لديه ذرة عقل عنواناً لهذا الفصل الجديد من القضية الإسلامية الفلسطينية .

وهذا الفصل الغريب من هذه الملحمة سبقته أمور كثيرة، مهدت لهذه الحال وشارك في إنتاج هذه الفصول الانهزامية المتتابعة لاعبون كثيرون من فلسطين ومن غيرها، وكان لبعض المشاركين أدوار خطيرة أوصلتنا إلى هذه المحطة الاستسلامية التي نقف عندها اليوم.

والجديد في أيامنا هذه ليس المخطط الذي يوقع عليه العرب ويساندونه ويسلمون به بل ويرغمون شعوبهم عليه؛ الجديد فيه هو الالتزام العملي، أما المخطط اليهودي فقد قرأه العرب منذ زمن ولكنهم للأسف لم يعقلوه. إن الصلح الأخير يلزم العرب

بأن ينهوا حالة الصدام النفسي مع اليهود وأن يقبلوا بإسرائيل دولة صديقة تتمتع بحقوق الجار وامتيازات لا يتمتع بها العرب تجاه بعضهم. ومن ذلك حقها بإنهاء العداء الثقافي والإعلامي لها، ومنع العرب عن الحديث في أي أمر من الدين قرآناً أو سنة أو حدثاً من أحداث السيرة فيه إشارة إلى اليهود وأساليبهم الخبيثة مع غيرهم وهو الشرط الذي اشترطه شامير للصلح والنقاش، وإنهاء المقاطعة الإعلامية والثقافية والاقتصادية، وبالأخص حذف كلمة الجهاد ضد إسرائيل من قاموس العرب والمسلمين. أما إنهاء المقاطعة الاقتصادية فهي لا تقل خطورة عن غيرها حيث يمتد النشاط الاقتصادي اليهودي في أعماق خمول العرب وضياع المؤسسات الاقتصادية الناجحة وغياب الصناعة التي توفر للناس حاجاتهم في بلدان المسلمين حيث يستولي اليهود - وهم من هم معرفة بأصول التجارة وكنز الأموال وعباداتها - ويمتصون ما بقي في هذه البلاد من خيرات ومصادر، ويستولون على الثروات الطبيعية ويصنعونها ثم يعيدونها لنا مرة أخرى، لتعيش الأمة تحت رحمة تجار يهود الذين دمروا اقتصاد العالم الأكثر وعياً وحرية فكيف إذا استولوا على الإقطاعات العربية المتخلفة فيزيدوننا تجويعاً ويسوموننا صنوفاً جديدة من الذل والهوان.

ثم نعمل جميعاً عرباً وغير عرب عمالاً صغاراً مستضعفين أقل من درجة الخدم في مصانع اليهود. إن الذي يؤسف له أشد الأسف أننا نعلم جميعاً ومنذ زمن - من قرأ ومن لم يقرأ - ما يريد يهود منا ثم لا تنفع المعرفة ولا يجدي التحذير، فمنذ قرابة خمسين عاماً ونحن نعرف ونقرأ معالم هذه المأساة ثم لا يزيدنا ذلك إلا سكوتاً وصمتاً واستسلاماً مقيتاً.

وإذا استسلمت الحكومات فلا أقل من أن يبقى لنا دين نعرف به الحق من الباطل وأن نحافظ على كلمة الحق ننطق بها حين لا نستطيع أن نطبقها في الحياة، وأن نحافظ على عقول المسلمين مدركة واعية لعدوها وشره المستطير، وأن نذكر الأمة بالتاريخ اليهودي الأسود. ومحاولة اغتيالهم للرسول صلى الله عليه وسلم مشهد حي في قلوب المسلمين، وقصة غدرهم بالمسلمين لم تغب عنا، وقتلهم

الأنبياء ثم سفك دماء المسلمين في عصرنا هذا والمذابح الوحشية التي مارسوها ويمارسونها علينا كل يوم ليس لنا أن نغيِّبها عن ذاكرة الأمة وليس لنا أن نزور التاريخ لصالح يهود كما يحاولون إلزام المسلمين هذه الأيام.

إن اليهود يحاربون الإسلام والمسلمين باليهودية والتاريخ اليهودي، والعرب يغازلونهم بأسلوب المستسلم الواهن العلماني الهجين الذي يكذب منتحلاً ألقاب القومية والوطنية والديموقراطية يغطي بها حكمه البوليسي الذي هو دعامة وجودهم. جاء شامير بحاخاماته يلبسون شعار الدين في دائرة الاجتماع ثم يشتم العرب ويغادر القاعة قائلاً لهم: إن غداً السبت وعندنا صلاة.

ويجيب أحد الصحفيين بصلف: « إذا أردت ان تصفني فقل: إنني رجل يهودي تجري اليهودية في دمه. » فمن من المسؤولين الذين اجتمعوا معه من يجرؤ على مثل هذا الجواب: « إذا أردت أن تصفني فقل: إنني مسلم يجري الإسلام في دمه » حتى لو كان كاذباً بهذا الادعاء؟! هل يجرؤ أحدهم أن يقول ذلك ولو من باب الدعاية والاستعراض مثل شامير؟!

نعم لقد تأكدت إسرائيل أنها تتعامل مع رجال البوليس في العالم العربي الذين جاءوا إلى المؤتمر وقد تأكدوا من تكميم كل الأفواه، واعتقال كل الأشخاص الذين يظن بهم معارضة هذه الخطوة المشينة، جاءوا بلا هوية وبلا قضية ولديهم استعداد بقبول أي حل يريده شامير، أليس قبول الاشتراك في هذا المؤتمر كان مرهوناً بعرض أسماء الوفد الفلسطيني عليه؟! ثم يعقب بعض الصحفيين العرب بصفاقة لا نظير لها: لقد كانت إسرائيل مرغمة على كل شيء في المؤتمر! وأن العرب كانوا منتصرين!! نعم لكم أن تسموا كل هزائمكم نصراً، ولكننا لن نسميها إلا باسمها الحقيقي. داعين الله أن يبدل هذه الحال وأن يلهم المسلمين الرشاد، ويقيض لهم من ينتشلهم مما صاروا إليه.

هل تدعم

أمريكا دولة روسيا الكبرى

د. أحمد عجاج

أخيراً تحررت شعوب الإمبراطورية السوفياتية – التي تستحق عن جدارة لقب الرجل المريض – من قبضة الحكم الديكتاتوري وظاهرة الانغلاق والخوف لتجد نفسها مرة أخرى تواجه مرحلة من عدم الاستقرار والضياع. فالديموقراطية التي دغدغت أحلام الشعب المقهور وارتسمت صورتها الذهبية الواعدة بالخير ومستقبل أفضل لم تكن إلا حلماً كاذباً ووهماً. والشعب السوفياتي بجميع فئاته يسير ببطء نحو المجهول وفي ذاكرته شبح مجاعة عام ١٩٢٠-١٩٢٢ داعياً بحرارة أن لا يقذف مرة أخرى نحو هذا المصير المؤلم.

فالاتحاد السوفياتي الذي كان يوماً ما دولة عظمى نافست أقوى قوى الأرض قاطبة، يجد نفسه في موقف المراقب العاجز ينظر بعينين عاجزتين إلى تفكك أواصره وتفجر الخلافات والقوميات والعصبيات العرقية التي كانت في الماضي وحدة متكاملة وجزءاً لا يتجزأ من إمبراطوريته الكبرى المترامية الأطراف.

هذا الواقع أجبر الاتحاد السوفياتي على التراجع من الساحة الدولية والانكفاء والتقوقع. وغياب الاتحاد السوفياتي وتفككه يطرح تساؤلات عديدة لها تأثيرها

المباشر على الساحة السياسية الدولية والعلاقات الاقتصادية والعسكرية. والسؤال الذي يطرح نفسه في هذا السياق هو طبيعة الموقف الأمريكي من الظاهرة السوفياتية. وبعبارة أخرى: هل تسعى الولايات المتحدة إلى مساعدته وإنقاذه من الرمال المتحركة، أم أنها تؤثر التفرج على موت عدوها أو أنها ستعتمد خياراً آخر؟

الواقع هو أن الولايات المتحدة دائماً، شأنها شأن بقية الدول، تتعامل ضمن إطار المصلحة والمنفعة دون أي اعتبار للعامل الأخلاقي والمثل العليا. وعامل المصلحة هذا ميز العلاقات الأمريكية – السوفياتية وطبعها بطابعه حتى في أشد الظروف حرجاً وخطورة.

والولايات المتحدة لم تتردد أبداً في استعمال سلاح الاعتراف، في الأعوام التي سبقت عام ١٩٣٣، للضغط على الدولة الفتية الشيوعية التي تعتمد مبادىء وأهدافاً تتعارض مع مصلحتها وأهدافها. إلا أن هذا الموقف سرعان ما تلاشى عندما شعرت الولايات المتحدة أن وجودها مهدد من قبل الدولتين الألمانية واليابانية وأنه لا سبيل إلى الحد من نفوذهما إلا بالتقارب مع العدو الشيوعي (الاتحاد السوفياتي).

وفعلاً اعترفت الولايات المتحدة بالدولة الشيوعية في عام ١٩٣٣ وتحالفا معاً لدحر عدويهما الياباني والألماني. والملفت للنظر أن هذه ليست أول مرة يتم فيها التعاون بين الدولتين – المتناحرتين – بل إن هناك حوادث كثيرة وشواهد تدل على تعاونهما عندما تستدعي الحاجة سواء كان هذا محكوماً بالواقع الاقتصادي أو غيره. وللتدليل على ذلك فإن وزير التجارة الأمريكي المشهور بعدائه للشيوعية «هاربرت هوفر» لم يتردد لحظة في تقديم المساعدات الغذائية والإنسانية للاتحاد السوفياتي في عامي المجاعة والتي بلغت قيمتها خمسين مليون دولار أمريكي. وبالطبع فإن هذه المساعدة تثير التساؤل والعجب إذ كيف يعقل لوزير يكن العداء للشيوعية أن يقدم لها إكسير الحياة! إلا أن هذا ليس مستغرباً أبداً لأن الولايات

المتحدة حصلت نتيجة هذا على بعض ذهب الاتحاد السوفياتي وتخلصت في الوقت نفسه من فائض في الإنتاج الذي يؤدي تكدُّسه إلى إبطاء نموها الاقتصادي. ولربما كان العامل الإنساني والديني لهما دور، ولكن يبقى العامل الاقتصادي هو البارز والمسيطر.

إذن من الممكن جداً أن لا تترك الولايات المتحدة عدوها وحيداً إذا كانت ترى في ذلك مصلحة لها. فالاتحاد السوفياتي لم يعد أخيراً تلك القوة التي تُخشى بل تضاءل حجمه ونفوذه كما تنبأ بذلك رئيس الولايات المتحدة الأمريكية السابق رونالد ريغان حين قال إن « الغرب لن يحد من نفوذ الشيوعية بل سيتجاوزها ولن يشغل نفسه بإدانتها بل سيطرحها جانباً كفصل شاذ في التاريخ الإنساني»[١]. والرئيس ريغان لم ينطلق من فراغ بل كان يعتمد أصلاً على تعاليم الإنجيل عندما قال: إن الاتحاد السوفياتي إمبراطورية الشر وإن « تعاليم الإنجيل وأقوال المسيح تتطلب منا أن نقاوم الشر بكل ما أوتينا من قوة »[٢].

وفعلاً كان له ما أراد فالاتحاد السوفياتي لم يعد بعد تفككه واستقلال جمهورياته إمبراطورية الشر ولكن هل يؤدي هذا إلى تغيير السياسة الأمريكية؟

لا شك أن الولايات المتحدة لم تعد ترى في الاتحاد السوفياتي ذلك الشبح المرعب. وهذا لايعني أبداً زوال الخطر الناتج عن تفكك الاتحاد السوفياتي . فالسلطة المركزية تلاشت والوضع الاقتصادي يزداد سوءاً، وهيبة غورباتشوف أصبحت بلا معنى، مما دفع صحيفة برافدا السوفياتية بوصفه أخيراً « بالرئيس الذي ليس له دولة ». ومناشدة الزعماء السوفيات الغرب بتقديم المساعدات لم تلق حتى الآن آذاناً صاغية.

والرئيس السوفياتي غورباتشوف في خطابه الذي ألقاه أمام مؤتمر « الأمن والتعاون الأوروبي » الذي انعقد في الأشهر الماضية في موسكو، تساءل عن سبب تأخر الدول الغربية بتقديم المساعدات الاقتصادية لبلاده قائلاً: « إن الظروف

الموجودة الآن صالحة لبدء عملية التعاون وبناء البلاد ». وأضاف مؤكداً « إن العالم سيتعامل من الآن وصاعداً مع اتحاد من دول مستقلة تتعايش فيه دول وجمهوريات وعشرات من القوميات والعصبيات بصورة اختيارية ومتساوية ».

وتصر الولايات المتحدة وحلفاؤها الغربيون على أن وجود اتحاد كهذا داخل الاتحاد السوفياتي ليس كافياً بحد ذاته وأنه يتوجب تكملة الثورة السياسية بثورة اقتصادية كشرط أولي لتقديم المساعدات الغربية المنتظرة. بل ذهبت الولايات المتحدة أخيراً أبعد من ذلك باشتراطها على الاتحاد السوفياتي تقديم خطة اقتصادية يوافق عليها صندوق النقد النقد الدولي والبنك الدولي، شأنه شأن أية دولة من العالم الثالث، كشرط مسبق للمساعدات الأمريكية. وطالبت الولايات المتحدة أيضاً الاتحاد السوفياتي والجمهوريات السوفياتية بضرورة الاتفاق أولاً على توزيع المسؤوليات والسلطات التي بالإمكان منحها للسلطة المركزية في موسكو.

وهكذا يتضح أن الولايات المتحدة تستعمل السلاح الاقتصادي مرة أخرى كوسيلة لضمان نفوذها وسيطرتها في الامبراطورية المنهكة. فالولايات المتحدة لا ترى أية فائدة في تقديم مساعدات مالية واقتصادية لبلد لم تتضح حتى الآن معالم تركيبته المستقبلية.

وتبدو السياسة الأمريكية من خلال تصريحات المسؤولين الأمريكيين أنها تميل إلى رؤية الإمبراطورية السوفياتية بنصف حجمها السابق. فدعوتها الدائمة للسماح لدول البلطيق بالانفصال والاستقلال لا تتفق مع دعواتها الداعية إلى إيجاد نوع من الوحدة السياسية والاقتصادية والعسكرية ضمن إطار ما. إلا أن هذا التناقض يمكن أن يزول إذا نظر إلى الأمر من زاوية أخرى. فالولايات المتحدة لا تمانع في أن تأخذ الجمهوريات السوفياتية نوعاً من الحريات الداخلية شريطة أن لا تشمل القضايا الدفاعية. ووجود جمهوريات، داخل الاتحاد السوفياتي، تمارس حريات كاملة في القضايا الاقتصادية والخارجية يوفر للولايات المتحدة فرصة ذهبية للعب

على التناقضات والاستفادة من استثمارات ومشاريع يمكن أن تقوم بها. وبالفعل فإن عدة جمهوريات سوفياتية تتنافس في الحصول على الاستثمارات الأجنبية وتعرض عروضاً مغرية في سبيل ذلك. إلا أن تصوراً كهذا يبدو غير ممكن في الوقت الراهن. فوجود السلاح النووي الفتاك والخطر على أراضي الجمهوريات السوفياتية خلق نوعاً من الارتباك والتوتر في السياسة الأمريكية. هذا الارتباك بدا ظاهراً عندما أعلنت بعض الجمهوريات السوفياتية عن نيتها في الإبقاء على السلاح النووي الموجود على أراضيها ومعارضتها إعادته إلى روسيا الفيدرالية. والارتباك مرده إلى أن هذه الجمهوريات باستطاعتها أن تهدد المعسكر الغربي أي أوروبا باستخدامها الصواريخ النووية الموجودة على أراضيها. والتهديد بدوره لا يمكن أن يصدر عن جمهوريات تدين بالولاء للحضارة الغربية وتلتقي معها سواء في المعتقد أو العادات بل من جمهوريات لا تتوفر فيها هذه المقومات. إذن فالخطر الحقيقي يكمن في الجمهوريات الإسلامية التي لا تشارك المعسكر الغربي أفكاره وحضارته وتاريخه وهنا بيت القصيد.

إن احتمال إبقاء الجمهوريات الإسلامية داخل الاتحاد السوفياتي على السلاح النووي أو استخدامه أو نقله لطرف ثالث يرسل قشعريرة في الجسد الأمريكي والغربي معاً. وقادة روسيا الفيدرالية يعون هذا تماماً ويعرفون مدى خطورته عليهم وعلى العالم الغربي. فقد صرح نائب وزير دفاع روسيا الفيدرالية الجنرال فاتلي شليكوف منذ فترة وجيزة أنه ليس لدينا أي شيء نخشاه من الغرب.. فالخطر يأتي الآن من الجنوب بما فيه من الجمهوريات الإسلامية. ويجب علينا أن نأخذ العامل الإسلامي في الحسبان[٣].

وفي هذا السياق ذكرت صحيفة الاندبندنت البريطانية (بتاريخ ١٥ أكتوبر ١٩٩١) أنباءً أفادت عن قيام تعاون بين المؤسستين العسكريتين الأمريكية والروسية لإنشاء شبكة مضادة للصواريخ النووية. وهدف هذه الشبكة الدفاعية،

استناداً إلى الصحيفة المذكورة، هو التصدي للصواريخ النووية التي من الممكن أن تطلقها جمهوريات سوفياتية أو دولة من دول العالم الثالث.

وأما احتمال كهذا فإن الولايات المتحدة تجد نفسها أمام خيار واحد لا غير هو تدعيم روسيا الكبرى لتكون صمام أمان للخطر الكامن في الجمهوريات السوفياتية إذا تعذر إقناعها بضرورة التخلي عن السلاح النووي والانضمام إلى اتحاد يجمع الجمهوريات كلها ضمن إطار دستوري معين. وهذا التصور لمحت إليه صحيفة الهيرالد تريبيون الأمريكية في مقال لها (بتاريخ ١٥ اكتوبر ١٩٩١) جاء فيه « أن وجود روسيا القوية والمنيعة التي تحتكر السيطرة على السلاح النووي هو أمر لا يبعث على السرور. ولكن هذا الاحتمال هو أقل خطورة من أن يكون موضوع السيطرة على السلاح النووي داخل الاتحاد السوفياتي موضع شك ».

إذن فالولايات المتحدة الأمريكية أمام خيارين: العمل بطريقة ما على إبقاء الاتحاد السوفياتي القديم ولكن بنصف حجمه وضمن إطار دستوري تعطى فيه الجمهوريات كل ميزات الدول المستقلة باستثناء القضايا الدفاعية والسيطرة على السلاح النووي. وفي حال تعذر هذا فإن الولايات المتحدة ليس لديها أي خيار سوى تقوية روسيا الاتحادية لتشكل درعاً واقياً وسيفاً مصلتاً على الجمهوريات الأخرى التي كانت يوماً ما جزءاً من إمبراطورية كبرى « الاتحاد السوفياتي ».

الهوامش:

١- خطاب ريغان في جامعة نوتردام في ١٧ مايو ١٩٨١ Regan Public Papers, 1981, p434

٢- Speech to Nationals of Evangelical, Orlendo, Florida, Regan Public Papers, Wachington, 1984, pp363-364.

٣- فورين ريبورت ٧ نوفمبر ١٩٩١ .

تحصين الأطفال

د. محمد صايل اهليّل

يعتبر الهدف الأول والأخير الذي يسعى له الطب دائماً هو الوصول بالمريض إلى الحالة الطبيعية من سلامة الجسم، سواء بالعلاج الدوائي أو الجراحي عند حدوث مرض ما أو دفع غائلة المرض عن الجسم السليم، ومنع حصولها بمختلف الوسائل من نظافة عامة وحجر صحي، ومنع الاختلاط بالمصابين أو عن طريق التحصين بإعطاء التلقيحات.

يكون - أحياناً - من الصعب علاج بعض الأمراض التي تصيب الأطفال، لذا فإن المحافظة على سلامة الجسم السليم هي بنفس القدر من الأهمية - إن لم تكن أكثر أهمية - من علاج الطفل المريض. نعم إن الطفل المريض يحتاج إلى المعالجة، ولكن منع إصابة الطفل السليم بالمرض أهم، وذلك لأن المضاعفات التي ربما تنجم قد تكون بسيطة أو شديدة، وقد تكون طارئة أو دائمة تلازمه طيلة حياته، وقد تشل بعض قدراته العقلية أو الحسية أو الحركية أو غيرها، لذا فإن المثل القائل: درهم وقاية خير من قنطار علاج هو أصدق ما يمكن أن يقال في مثل هذا الموضع من درء غائلة المرض بتحصين الطفل.

إن الطفل - بحكم صغر حجمه وعدم تعرضه مسبقاً للأمراض - وضعف مناعته النسبي - أقل قدرة إذا ما قيس بالكبار، على مقاومة الأمراض التي قد تحل به، لذا فإن بعض الأمراض أسرع انتشاراً وأشد خطراً على الأطفال منها على الكبار.

إن أمراضاً كالتدرن الرئوي والخانوق (الدفتريا) والكزاز، والشاهوق (السعال الديكي) وشلل الأطفال: من الأمراض التي قد تفعل الأعاجيب بالطفل إذا أصيب بأحدها، لما تسببه من مضاعفات خطيرة قد تصل إلى الوفاة، إضافة إلى صعوبة علاجها وارتفاع كلفته. وإن نتائج مثل هذا العلاج غير مضمونة أحياناً، فالعلاج لا يقدر أن يمنع حدوث المضاعفات الناجمة. لذا كان تحصين الأطفال باللقاحات الخاصة بهذه الأمراض أسلم وأنجح السبل.

إن بعضنا قد تعود أن يرى أمراضاً كثيرة تنتشر بين الأطفال وكأنها أمر حتمي لا بد للطفل أن يمر به خلال سني عمره، أو كأنه مرحلة من مراحل نموه، فالحصبة، والنكاف والحصبة الألمانية - بشكل أقل شيوعاً - تنتشر بين الأطفال بشكل سريع جداً كأنها النار تدب في الهشيم خصوصاً الأطفال في سني الدراسة الأولى، أما خطورة هذه الأمراض فهي بما تسببه من مضاعفات تكون أحياناً غاية في الخطورة، فشيوعها وانتشارها بين الأطفال لا يعني انتفاء أضرارها بتاتاً. لذا فإن اللقاحات الخاصة بها تمنع أيضاً انتشارها بين الأطفال، وتقلل من المضاعفات الناجمة عنها.

إن اللقاحات تُعطَى للأطفال حسب خطة زمنية معينة، ويعاد تكرارها لبناء مناعة كافية في جسم الطفل طول عمره مما يقلل من احتمال إصابته بالمرض الذي حُصِّنَ ضده حال حدوث تعرضه لطفل مصاب، وتعطى اللقاحات حسب جدول الزمني التالي:

١- لقاح التدرن الرئوي - يعطى خلال الأشهر الأولى خصوصاً في المناطق التي

ينتشر فيها المرض بشكل واسع.

٢- لقاح الخانوق - الشاهوق - الكزاز: يعطى بالعضل على الشهر الثاني ثم يعاد في الشهر الرابع، وتعطى جرعة ثالثة في الشهر السادس من العمر. يُسمى هذا اللقاح باللقاح الثلاثي. يعطى الطفل جرعتان منشطتان من هذا اللقاح على العمر سنة ونصف، وأخرى على العمر بين ٤ - ٦ سنوات.

٣- لقاح شلل الأطفال وهو يعطى عادة بالفم ولكن بنفس مواعيد اللقاح السالف.

٤- لقاح الحصبة - النكاف - الحصبة الألمانية : يعطى على عمر ١٥ شهراً مرة واحدة فقط.

بهذا يكون الطفل قد أكمل تحصينه ضد الأمراض الخطرة التي يمكن منع حصولها خلال سني الطفولة الأولى.

هل لهذه اللقاحات من آثار جانبية؟

هذا ما قد يسأله البعض، والجواب: نعم، ولكن غالباً ما تكون الآثار الجانبية بسيطة ومؤقتة تظهر عادة كحمى لا تتجاوز ٣٦ ساعة أو بشكل ألم موضعي في مكان الحقنة العضلية، أو ظهور طفح جلدي خفيف لا يستلزم علاجاً، أما بالنسبة للمضاعفات الرئيسية فهي نادرة الحدوث وأن الضرر الناجم عن اللقاح أقل بكثير من المضاعفات الناجمة عن الإصابة بالمرض نفسه إذا ما أصيب الطفل به.

إن هذه اللقاحات فعَّالة جداً، فهي تحصن الطفل من المرض بنسبة عالية قد تصل إلى مئة بالمائة في بعض اللقاحات، لذا فإن تحصين الطفل ضد الأمراض المذكورة حق للطفل على والديه، فلا يقصران في تأدية هذا الواجب.

أين التوازن معاشر الخطباء

كثيراً ما نجد خطيباً في مسجد ما يثري أفكار جماعة مسجده بموضوع معين ويبديء ويعيد حول ذلك الموضوع، ويهمل ما سواه، وكأن المسلمين قد صلحت جميع أحوالهم وفهموا كل شيء سوى هذا الموضوع الذي لا تكاد تصلي معه في مسجده إلا ويحدثك عن أهميته وجهل المسلمين به وحاجتهم إليه. أحد الخطباء يتكلم في كل جمعة عن التبرج والسفور والنساء وخروجهن إلى الأسواق الخ... وخطيب مسجد آخر لا تكاد تسمعه يخطب إلا في الموت والجنة والنار والقبر ومنكر ونكير. وإمام ثالث لا يتكلم إلا عن أعداء الإسلام والغزو الفكري وخطط اليهود. وإمام رابع يذكر الناس دائماً بشروط الصلاة ووجوب الزكاة وأحكام المسح على الخفين ويغفل تماماً عن غيرها.

إن الخطبة ما شرعت ليركز من خلالها على موضوع أو موضوعين، بل شرعت ليتم من خلالها التعليم والترغيب والترهيب والتذكير بجميع ما يهم المسلمين كأحكام عباداتهم ومعاملاتهم ومشاكلهم الاجتماعية وعلاج بعض عاداتهم المخالفة للشرع وتبصيرهم بواقعهم وتعريفهم سبل المجرمين وبيان خطر إهمال النهي عن المنكر ووجوب الأمر بالمعروف إلى آخر القائمة الطويلة التي يحتاج للحديث عنها أولئك المتجهون للمسجد الجامع أداءً لفريضة الله تعالى وأملاً في سماع المفيد الجديد.

أبو سليمان الشافي

لمـــــــاذا

لا نقبل على المجلات الإسـلامية ونساندها؟

من الملاحظ أن بعض المثقفين من أهل الخير لا يقبلون على المجلات الإسلامية في الوقت الذي نجدهم فيه يقبلون على غيرها من المجلات والصحف بدعوى أنهم يأخذون من تلك الصحف ما يفيد ويدعون ما يضر... .وإذا ما ذكرت عند أحدهم مجلة إسلامية - حيث الفائدة دون الضرر - فإنه يأخذ يعدد أخطاء تلك المجلة وتقصيرها في أمور معينة. ونقول لهذا الأخ: ولنفرض أنك مصيب فيما تقول، لكن ألا ترى يا أخي أن الإنسان لا يخلو من العيوب والأخطاء؟ فما بالك بمجلة يقوم عليها ويساهم فيها مجموعة من الناس وأنا هنا لا أُقر الأخطاء ولكني أريد أن أؤكد أنه إن كان للمجلات الإسلامية من عيوب فهي قليلة جداً إذا ما قورنت بعيوب غيرها من الصحف بل لا وجه للمقارنة هنا. وقد يكون ما يُنظر إليها على أنها أخطاء أو عيوب ما هي إلا الأخذ بأمر اجتهادي أو أمر يقبل اختلاف وجهات النظر وقد تكون في أمور ثانوية كمسألة الإخراج أو قضية التوزيع..

وإنني هنا أدعو للإقبال على المجلات الإسلامية - أو على بعضها أو إحداها على الأقل - قراءة وإن أمكن اشتراكاً أو مساهمةً فإن في ذلك ثقافة صافية لعقولنا حيث نجد الموقف الصادق والرؤية الأمينة والتحليل السليم والموضوع المهم...

كما أن في ذلك أيضاً تشجيعاً ودعماً لتلك المجلات المفيدة وهي الأولى بذلك من غيرها. ومن المعلوم أنه لا يمكن أن تنجح صحيفة جادة بدون أن يكون لها قُراءٌ ومتابعون يقفون بجانبها يقدمون الاقتراح الجيد والتوجيه القويم والنقد البناء والمساهمة التي تضيف إلى الخير خيراً.

وإذا علمنا حجم العقبات التي توضع في وجه المطبوعات الإسلامية، والتسهيلات التي تمنح لغيرها - على الرغم من أخطاره وعواقبه - أصبح من الواجب أن يتنادى المسلمون - جماعات وأفراداً - إلى تشجيع كل ما من شأنه التعريف بالإسلام والدفاع عنه في وجه الإعلام الذي يثير الشبهات ويهدف إلى تشويه صورة الإسلام بين أبنائه وأعدائه.

عثمان بن محمد الخنين

* *

اعتذار

ورد في العدد [٤٥] ص ٣٠ عنوان المقال مبتوراً، فقد سقط منه في المطبعة الجزء (وقفات مع) مما جعله يبدو وكأنه خطأ لغوي، فنعتذر عن ذلك.

* *

بريد القراء

● الأخ **أبو محمد** يقترح على المجلة الإعلان في صفحاتها عن مشروع للتبرع باشتراكات لقراء آخرين يعجزون عن توفير قيمة الاشتراك في كثير من بقاع العالم. ذلك أن كثير من الراغبين العاجزين عن الاشتراك وذلك بسبب ضيق ذات اليد وهذا هو الأغلب، أو يكون بسبب القيود التي تفرضها بعض الحكومات على تحويل العملة الصعبة.

● **البيان**: نشكر الأخ **أبا محمد** على اهتمامه بأمور المسلمين وحرصه على وصول الخير إليهم. ونحن نضم صوتنا إلى صوته ونعلن هذا في **البيان** لأن ما ذكره الأخ صحيح وهناك قراء كثيرون يمنعهم من الاشتراك نظام تحويل العملات في بلدهم وقد كان من أهداف ذكر الاشتراك الممتاز هو مساعدة مثل هؤلاء.

● الأخ **عبد الحفيظ خالد جبريل**

شكراً لك على ملاحظتك التي أبديتها حول زاوية طرائف في (**البيان الصغير**) كما نشكرك على اهتمامك **بالبيان**.

● الأخ **محمد عبد الله القحطاني**

أرسل كلمة قصيرة ينعي فيها على طريقة التعليم في البلاد العربية التي يقضي فيها الطالب وقتاً طويلاً لا يتناسب أبداً مع كمية المعلومات المقدمة إليه، ولا مع الاستفادة من هذه المعلومات، خاصة إذا قارنا ذلك مع المدة التي كان يدرس فيها الطالب في العصور الإسلامية الزاهرة وكيف يتخرج بعدئذ.

● الأخ **محمد بوراس**

أرسل إلينا مقالة بعنوان (رسالة إلى المسلمة المعاصرة، هؤلاء هم أعداؤك) نقتطف منها ما يلي:

« إن المرأة المسلمة في ظل الإسلام لا تحتاج إلى شعارات زائفة، ولا إلى دعوات باطلة، والأجدر أن تكون الحرية التي تنادي بها هي تحرير العقول من هيمنة الفكر المسموم الذي تحمله التيارات التغريبية وتحرير السلوكيات من آفة التقليد الأعمى، وإن دعاة تحرير المرأة ما هم إلا حفنة ممن تشربوا الفكر الغربي وأعجبوا بوضعية المرأة هناك..».

● الأخ **عبد الوهاب محمد عبد الجبار**

نرحب بك يا أخ عبد الوهاب والقصة التي أرسلتها بحاجة إلى صياغة أفضل وننصحك بالإطلاع وكثرة المطالعة.

● الأخ **إبراهيم زمل الشمري** أرسل مقترحاً:

١- لم لا تكون هناك زاوية بعنوان علماء المسلمين تُعْنَى بنشر تراجمهم باختصار وأهم وأشهر إنتاجهم - حيث أن معظم القراء لا يعلمون الكثير عن تراجم وسيَرْ علمائهم.

٢- زاوية أخرى بعنوان « إعرف إخوانك في العالم » تَعنى بنشر الوقائع التاريخية للأقليات المسلمة في العالم وبعض ما تعرضوا له من ويلات ونكبات مثل إخواننا في يوغوسلافيا وشرق أوروبا والاتحاد السوفييتي والصين.

ولكم جزيل الشكر.

● **البيان** : نشكر الأخ إبراهيم على اهتمامه وسيرى في هذا العدد بعض ما اقترح وهي دراسة ميدانية لأحوال المسلمين في بلغاريا ونعده إن شاء الله بتحقيق الاقتراح الأول.

هموم الدعوة في الغــرب

عبد الجبار الطعمة

عندما نلقي نظرة على تاريخنا الإسلامي، وكيف انتشر الإسلام في فترة وجيزة ليغطي حوالي ثلاثة أرباع العالم القديم، فلا نملك إلا الدهشة والإعجاب للدور الذي لعبه التجار وغيرهم من الدعاة المسلمين في انتشار الإسلام في البقاع النائية من العالم القديم.

عندما نحلل بعناية الحقائق التاريخية، نجد أن أولئك التجار والحرفيين بأسلوبهم التلقائي؛ وبتقواهم واستقامتهم في تعاملهم مع الناس، يختلفون اختلافاً جذرياً عن أولئك المبشرين الذين يمثلون الأديان الأخرى، والذين يستخدمون الوسائل الإغرائية والأموال الطائلة ودعم الحكومات والمؤسسات الرسمية وشبه الرسمية.

إن سر نجاح المسلمين الأوائل في الدعوة، يكمن في كونهم مسلمين بحق، يطبقون الإسلام بصدق على أنفسهم، وينتهجون أسلوب الأمانة في التعامل اليومي مع كل البشر، وكانت شخصياتهم انعكاساً حياً وصادقاً للإسلام الحقيقي.

هذه هي الوسائل التي كانوا يستخدمونها، والتي جعلت أولئك الذين يحتكون بهم يحاولون التعرف على ما يؤمنون به، وبالتالي تتكون القناعة التامة لديهم

لاعتناق الإسلام، عن رغبة ملحة، فيأخذونه ديناً حياتياً.

إن على المسلمين الذين يعيشون في الغرب، مسؤولية كبيرة وواجباً صعباً. إن مهمتهم لا تنحصر فقط في دحض افتراءات المستشرقين وما يقومون به من تشويه للحقائق التاريخية، ولكن ليتصرفوا كمسلمين حقيقيين، ليكونوا مثالاً ناطقاً للإسلام. كما كان الأوائل من السلف، وفوق كل ذلك، عليهم أن يحافظوا على الأجيال الجديدة التي نشأت في الغرب، من عوامل الذوبان من ناحية الدين والشخصية والهوية. ويجب عليهم أن يجاهدوا في عرض الإسلام الحقيقي على الجيران والأصدقاء، ومن يحتكون به، عسى أن تمحى تلك الصورة التي خلفتها العصور السالفة وافتراءات المؤرخين، التي صبغت الإسلام بصبغة ممقوتة لدى الإنسان غير المسلم.

إن دائرة الضوء التي يجب أن نوجه أنظارنا إليها الآن في الغرب، هي الأجيال المسلمة التي ولدت في هذه البلدان.

أحد القساوسة الهنغاريين، وجه كلامه في كنيسته، قائلاً للأقلية الهنغارية التي تقطن أمريكا: « أنتم أيها الهنغاريون في البيئة الأمريكية، كأنكم في جزيرة صغيرة وسط محيط هائل، وإن الأمواج تعصف بها من كل جانب، وما لم تعملوا شيئاً لحماية هذه الجزيرة، فإنها ستصبح يوماً ما جزءاً من هذا المحيط الزاخر ».

إن نفس الشيء يمكن أن يقال عن المسلمين في الغرب. إنهم أقلية صغيرة في بيئة غير مألوفة، وما لم يبادروا إلى المحافظة على قيمهم، فإنهم سيكونون هم الخاسرين.

إن الصعاب التي يواجهونها الآن ليس مستحيلاً التغلب عليها، ولكنها تحتاج إلى اهتمام وعناية بالغتين.

فالمشكلة تكمن في عدم الخبرة في فن إبراز الإسلام أو تمثيله التمثيل الصحيح، وأن الكثير من ذلك يعتمد على طريقتنا في تعليم أولادنا الطرق المثلى

للقيم والعادات والتقاليد، فالكثير منا يحاول فرض ذلك بالقوة وهذه طريقة غير مأمونة العواقب بل لا بد من استعمال الحكمة.

إن طريقة الدعوة للإسلام في البلاد العربية مثلاً، تختلف في بعض جوانبها عنها في إنكلترا، وإن طريقة الدعوة في إنكلترا، تختلف عنها في أفريقيا.. ﴿ **ادع إلى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة** ﴾.

إننا إذا أردنا أن نعّرف أحدهم بالإسلام، فالحكمة هي الوسيلة لذلك. إن كلمة الحكيم في اللغة العربية والتركية والفارسية والأردية، وبعض اللغات الأخرى، تعني الطبيب. والطبيب الحاذق هو الذي يشخص الداء، ويعطي الدواء المناسب لكل علة، ولو أنه أعطى لكل المرضى نفس الدواء، لشفي البعض، وبقي البعض الآخر عليلاً، وربما مات بسبب الدواء. عندما يدعونا القرآن الكريم إلى استعمال الحكمة في الدعوة إلى الله، فإن هذا يعني التمييز في وسائل الدعوة، حسب الظروف والأحوال والأمكنة والأشخاص.

علينا أن نحلل الأشخاص أمامنا ثم بعدها نقرر طريقة الدعوة لكل واحد بما يلائمه.

في البلاد الإسلامية، يقوم الخطيب أو الداعية، أحياناً، وبنية حسنة طبعاً، بتقريع الناس، والنحو باللائمة عليهم، ولكنهم يتقبلون ذلك بصدر رحب وهم مدركون أن هذا الانتقاد أو التقريع، إنما جاء لحرص الخطيب أو الداعية على هداية الناس إلى الطريق الأصوب، أما إذا ما استعملت الطريقة ذاتها في الغرب، فإن الداعية سوف يسمع كلمات تدل على أنه تعدى حدوده وأثار مشاعر الآخرين، وحتى من أولئك الشباب اليافع الذي يرى أنه يعيش في مجتمع حر، وأن هذا الخطيب أو الداعية قد جرح شعوره، وأثار حفيظته. من هنا تأتي ضرورة التفريق بين هذا وذاك في انتهاج أسلوب الدعوة، لأن الناس ليسوا على نفس الشاكلة.

إن الداعية في الغرب، يواجه مهمة صعبة للغاية، أما في البلدان الإسلامية، فإن الناس، على الأغلب، مشتركون في الانضباط الإسلامي والقيم الخلقية، وعلى مستوى معين. وبعكس أولئك الذين يعيشون في الغرب، وفي إنكلترا بالذات، فإن الداعية يتعامل مع خلفيات متشعبة جداً من حيث العادات والتقاليد والأعراف واللغات والاتجاهات المذهبية والعرقية. إن كل هذه الاختلافات يجب أن توضع في الحسبان وتحلل وتهضم ثم توجه الدعوة، وبوجود مثل هذه القاعدة العريضة والمتشعبة، فإن الهداية إلى طريق الله تعالى، تأتي بعد ذلك من الله وحده، لمن أراد هدايته.

إن على الآباء والأمهات في الغرب أن يكونوا حذرين في كيفية توجيه النصح والتعامل مع أبنائهم إذ من الممكن أن يفقدوهم، حيث أن النظام الاجتماعي يسمح لهم بالتمرد والعيش بمعزل عن الأهل حيث يتم إيواؤهم من قبل واجهات النظام الاجتماعي، فيعيشون بعيدين عن جو العائلة الإسلامي، وتكمن الخطورة في اندماجهم برفقاء السوء، وانصهارهم في محيط المجتمع الزاخر.

إن الإسلام كذلك يضمن للأبناء أن يحيوا حياة تحقق لهم العيش بكرامة وحرية، ضمن الأطر الإسلامية، داخل البيت وخارجه.

عندما يعطي القرآن الكريم ثلاثة طرق للدعوة وهي: استعمال الحكمة أولاً، ثم الموعظة الحسنة، ثم المجادلة بالتي هي أحسن، فإننا على الأغلب نجادل أكثر بكثير مما يجب، ونحاول التركيز في جدالنا على الاختلافات الطفيفة في المسائل الفقهية، بينما الواقع يقول بأن هذه الاختلافات، لا تحمل تناقضات في الدين.

إن الجدال بشكل عام، لا يخلق إلا الفتنة والنزاع، ويضيع كثيراً من الجهود المخلصة والهادفة، وكثيراً من العمل البناء الدوؤب، وإننا لنشهد الكثير من هذه الممارسات الخاطئة يومياً.

إن البعض يتعامل في أمور الربا ويصرف الأموال الطائلة على أشياء كمالية، ولا

يؤدي الفرائض المطلوبة كالزكاة، والحج، ولكنه يناقش إن كان اللحم الذي يأكله قد ذبح على الطريقة الإسلامية أم لا، إن مثل هذه التصرفات تقوى مزيفة، ينعكس خطرها على الأجيال التي نقوم بتربيتها.

إن أكبر همنا أن لا يتزوج أولادنا من غير المسلمين، محاولين ضمان مستقبلهم بإرسالهم عند نهاية عطلة الأسبوع، إلى المدارس الخاصة لتعليم العربية أو الأوردية وتحفيظهم القرآن الكريم وتعريفهم بأمور دينهم، ثم نسرع الخطى بعدها إلى الانغماس في الدنيا، ولا نطبق الإسلام على أنفسنا، سواء داخل البيت أم خارجه. إن الأطفال لا يمكنهم تعلم الكثير بهذا الأسلوب بقدر ما يعلمهم التقليد اليومي في البيت وأهلهم هم الأولى أن يعكسوا التصرف الإسلامي اليومي.

إن علينا إذا أردنا أن يكون أولادنا مسلمين بحق - أن نكون مسلمين بحق. إذا كان لديك طفل يبلغ سنتين من العمر ورآك تصلي، صلى معك بتلقائية وعفوية، وسوف يأتي بعدها الفهم التدريجي. إن التقليد دائماً يولد الفهم...هذه هي الطريقة المثلى، والتي تبدأ من أشياء صغيرة، قد نحقرها، إلا أنها الأساس الذي تبنى الأجيال الإسلامية عليه.

إننا نحاول أحياناً أن نحمل الأطفال ما لا يطيقونه.. يجب أن نعلمهم القراءة والكتابة بأناة وحكمة، ولو حاول الآباء صرف بعض الوقت، وباستمرارية وصبر، لآتت الثمار أكلها ومن ثم يأتي التعليم الأكثر عمقاً.

كـيف تبني نفســـك تـربـويـــاً

عبد الله بن مبارك آل السيف

أهمية الموضوع

مر المسلمون في الفترة السابقة بمرحلة كانت الحاجة فيها إلى الدعوة والتربية أكبر من تحصيل المادة أسوةً بالمرحلة المكية التي ركز الرسول صلى الله عليه وسلم جهده فيها على توسيع رقعة الدعوة وتربية الأفراد مع قلة التكاليف والأحكام الشرعية، ولهذا كان بعض المربين قد أهمل نفسه في الجانب العلمي.

وبعد أن توسعت رقعة الدعوة وكثر سواد المهتمين بالإسلام وكسبت الدعوة رصيداً كبيراً في الشارع الإسلامي وهي المرحلة التي يمكن أن تشبه بالمرحلة المدنية – في بعض الجوانب – في هذه الرحلة ظهرت الحاجة إلى البناء التربوي الجماعي – لا الخاص .

إن الحاجة إلى العلم الشرعي في بناء العمل الإسلامي تنبع من ضرورة السير على منهج الكتاب والسنة، كما تنبع من تعطش الشباب المسلم إلى العلم الشرعي

الصحيح وتقويم مسيرتهم على أساسه ووزن الناس بميزان الشرع.

ولذا فإن الدعاة الأكثر تأثيراً في الجيل القادم هم أكثر الناس حصيلة شرعية وتربوية، فلا يغني أحد الجانبين عن الآخر، ولذا كان هذا الموضوع في أساليب البناء التربوي والعلمي.

الجانب التربوي

هناك عدة أساليب لبناء شخصية الداعية التربوية وتنمية قدراته الدعوية وزيادة خبراته وتجاربه منها:

١- قراءة كتب التفسير وخاصة في مجال دعوات الأنبياء وصبرهم وتحملهم وأساليبهم في الدعوة وتربية أتباعهم من المؤمنين، ودراسة أحوال الكافرين ومعرفة صفاتهم وطبائعهم وعاداتهم في التعامل مع الدعوات الصادقة من خلال القرآن وتفسيره.

٢- قراءة سيرة النبي صلى الله عليه وسلم والاسترشاد بحرصه على تبليغ الدعوة ودراسة أساليبه في البلاغ وطريقته في تربية الأتباع واستغلاله لكل المناسبات في التربية والدعوة من خلال القرآن والسنة.

٣- قراءة سيرة السلف الصالح في تربية النفوس وكيفية تزكيتها وحملها على الخير والطاعة والمصابرة في ذلك، وطريقة الصحابة في تبليغ الإسلام إلى الأمصار المفتوحة وكيف استطاعوا تربية الآلاف المؤلفة من الداخلين في الإسلام بالقدوة الحسنة وكيف نقلوهم إلى هذه المرحلة الإيمانية العالية.

٤- قراءة كتب الدعوة التي تعنى بالأساليب وتحديد الأهداف وبلورة المنهج الدعوي وخاصة من الموثوقين أهل السنة والجماعة أصحاب المنهج السليم. كما أنه

يمكن الاستفادة من منهاج غيرهم - بحذر - في القضايا المشتركة التي أبدعوا فيها.

٦- العمل في مجالات الدعوة العامة الخاصة له أثر كبير في بناء شخصية الداعية، وكلما كانت دعوته أوسع كلما كانت شخصيته أقوى تربوياً، وبذلك تزيد خبرته الدعوية، وكم من الناس قليل القراءة في مجال الدعوة والتربية ولكنه يثير إعجابك به في هذا المجال وتتملكك الدهشة منه، والسر في ذلك كما قلت الحركة المباشرة وكما يقال: « حَرِّكْ تَرَ ».

٧- قراءة كتب الرقائق والوعظ وتهذيب السلوك والتذكير بالله والتخويف من عذابه والتي تحث على مراقبته وخشيته ورجائه والاعتماد والتوكل عليه والإخلاص له والتجرد في القول والعمل والاعتقاد له.

الجانب العلمي

ويشمل تحصيل العلم الشرعي وبناء الحصيلة الثقافية العامة ومعرفة الواقع.

وهنا أمور ننبه إليها قبل ذكر أساليب القراءة منها:

- الفنون الصعبة تقرأ في أوقات الصفاء الذهني، والكتب السهلة تقرأ في الأوقات الأخرى.
- لا تقف عند المسائل الصعبة إذا تعسرت - خلال القراءة - حتى لا تضجر من القراءة، واعرضها على شيخ فيما بعد أو ابحثها.

أساليب القراءة

١- قراءة كتب معينة في العلم على الشيخ أو شرح الشيخ لها.

٢- قراءة الكتاب كله مع الإشارة إلى ما يشكل ثم عرضه على شيخ بعد الانتهاء.

٣- طريقة بحث المسائل من أول باب في الفقه إلى آخره مع معرفة الراجح.

٤- طريقة قراءة متن في العلم ثم قراءة شرحه والتوسع في الفن.

٥- طريقة قراءة كتاب الطهارة من الفقه مثلاً ثم قراءة كتاب الطهارة من الحديث ثم من القواعد الفقهية - عند من يرتبها على الأبواب الفقهية - ثم من تخريج الفروع على الأصول وهكذا بالربط بين العلوم.

٦- طريقة تلخيص ما قرأه في يومه ثم قراءة الملخص في الليل ومحاولة حفظه ومراجعته في الصباح.

٧- طريقة القراءة مع استنباط الفوائد وترتيبها وكتابتها في أوراق خاصة لتكوين مشاريع تأليف طويلة المدى، أو بتعليق النكات العلمية المهمة في غلاف الكتاب أونقلها إلى حواشي كتب أخرى تناسبها.

٨- طريقة القراءة مع الآخرين مع الحوار والنقاش.

٩- طريقة تلخيص الكتاب كله ثم قراءة التلخيص عدة مرات.

١٠- طريقة قراءة الكتاب كله مرة واحدة وعدم تجزئته أو الانشغال بغيره.

١١- طريقة استصحاب الكتب الصغيرة الجيدة في كل مكان وزمان وقراءتها للحفاظ على الوقت - خاصة مع سهولة حملها.

١٢- طريقة ترتيب العلوم بحسب السنوات، فمثلاً: السنة الأولى للعقيدة والسنة، التي بعدها للفقه، ثم التي بعدها للحديث، أو يجمع في السنة الواحدة بين علمين مترابطين فأكثر، ثم ينتقل إلى علوم غيرها وهكذا.

قصة وعبرة

محمد الحسيني

في معهد تدريس اللغة الإنكليزية وفي مادة تقدم لتطوير القدرة على الكلام تحلق الطلاب الأجانب من عرب وآسيويين ومن جنوب أمريكا حول المدرس الذي بدأ حديثه بإعطاء وصف لطريقة تقديم الكلمة أو الخطبة، وضرورة البداية بكلمة جامعة تلمح إلى الموضوع، ثم الدخول في تحديد واضح له ثم إعطاء فكرة عن موقف المتكلم من القضية التي يريد نقاشها، ثم عناصر الموضوع وسرد الأفكار وأدلتها. وكان موضوع الحديث: الكلام عن الخمر وأضرارها الشاملة للفرد والمجتمع، ومع المدرس الكتاب المنهجي الذي يساعد على طريقة التدريس، وفيه مثال كامل للكلمة المطلوبة، وفيه أدلة إقناع بأخطار الخمر حيث تسبب موت مئات الآلاف من الناس، وتكاد تكون السبب الأول للموت في أمريكا من حيث الأسباب المباشرة لحوادث السيارات أو الموت البطيء؛ لما تسببه من أمراض عصبية تُميت ببطء. وبدأ المدرس درسه أو كلمته في الموضوع وبحماسة ظاهرة لأخطار هذا المرض، واتبع الأسلوب المطلوب في العرض وكان مقتنعاً بما يقول.

ثم أمر الطالب الأول بالحديث عن الخمر حيث تحدث طالب مسلم مؤكداً فكرة المدرس وأن الخمر مفسدة للحياة مدمرة للخلق ولم يزد عما قاله المدرس لضعفه في التعبير عن رأيه ولأنه مبتدىء في تعلمه الإنكليزية. ثم تحدث بعده طالب مسلم آخر وقرر ما سبق أن قرره الأستاذ والطالب الأول، وكان هدفه مجرد الكلام ليتمرن على الإنكليزية لا للإقناع..

وفجأة وقبل انتهائه من حديثه انفجر المدرس غضباً واحمر وجهه بما يشير إلى سخط عظيم وقال: إنكم تتحدثون عن الخمر وفساده بعاطفة دينية ولا تناقشون القضية بأسلوب علمي، إن الدافع الديني يحرككم لهذا الموقف الغريب الخاطىء تجاه الخمر وشربها وموقفكم من الخمر خطأ فادح حيث الخمر مفيدة للصحة، وطبيبي الخاص ينصحني بأن أشرب كأساً من الخمر على كل عشاء! فما كان من الطلاب إلا أن التقت أبصارهم يتبادلون ألحاظ السخرية والاحتقار لهذا المدرس الغبي الحاقد الذي كذّب العلم والعقل والكتاب الذي يقرؤونه وكذب نفسه أخيراً في حديثه الافتتاحي عن مصائب الخمر، وكذب تاريخ أمريكا وتاريخ البشرية كله بما سجل عن هذا الشر العريق. والسبب الذي دفعه إلى هذا أن الطالبين كانا مسلمين يبدو عليهما التدين الذي يدرك المدرس علائمه من سلوكهما المترفع من بين طلاب المعهد، ويدرك أنهما يكرهان الخمر ويحتقران أهلها لأن الله حرمها. وأما العلم والعقل فقد حرمها وحرمتها أمريكا سنة ١٩٣٠ فلم تستطع التنفيذ وتحولت البيوت إلى مصانع للخمور وكثر القتلى والمسجونون والمطاردون بسببها.

لقد كان المدرس يريد من الجميع التأكيد على نقد الخمر ونقد السكارى، ولكن حين أحس بالنقد الآتي من الدافع الديني فقد عقله وتحول إلى شخص متناقض من شدة كراهيته للإسلام.

ليس الغريب أن يقف هؤلاء هذا الموقف مما يخالف آراءهم ويثير تعصبهم؛ ولكن الغريب أن يتأثر بهذه الروح كثير من المسلمين الذين يقبلون النقد من جميع الجهات غير المسلمة ولا يقبلونه من إخوانهم في العقيدة، فتجد حرباً شعواء تعلن على من يلفت نظرهم إلى أخطائهم وعيوبهم من المسلمين الذين يستشهدون بـ « قال الله، وقال رسوله. »

البيان

العدد السابع والأربعون
رجب ١٤١٢ هـ
١ / ١٩٩٢ م

مجلة إسلامية شهرية جامعة
تصدر عن
المنتدى الإسلامي
لنـدن

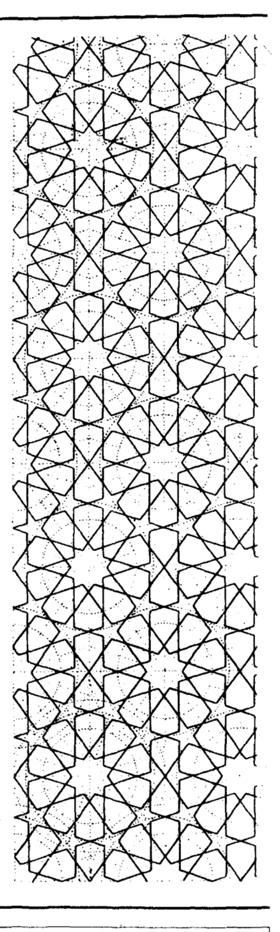
رئيـس التحـرير
محمد العبـدة

العنـوان

AL BAYAN MAGAZINE

7 Bridges Place, Parsons Green
London SW6 4HR U.K

Tel : 071 - 731 8145
Fax : 071 - 736 4255



بسم الله الرحمن الرحيم

المحتويات

- **الافتتاحية** ٤
- **آية من كتاب الله** ١٠
- **صفات الطائفة الناجية** ١٢
  د. سليمان العايد
- **وقفات مع حقوق المصطفى** (صلى الله عليه وسلم) ٢٣
  عبد العزيز بن محمد آل عبد اللطيف
- **فتاوى في بعض التعاملات المالية** ٣١
  الشيخ: عبد العزيز بن عبد الله بن باز
- **خواطر في الدعوة** ٣٦
  محمد العبدة
- **المدارس الأهلية: الواقع المرير والأمل المنشود** ٣٨
  محمد الناصر
- **هجرة اليهود الفلاشا** ٤٤
  مازن عبد الله

● التطبيع : استراتيجية الاختراق الصهيوني (تأليف: غسان حمدان) ٥٣
عرض: د. يوسف الصغيّر

البيان الأدبي ـــــــــــــــ ٥٧

● مناهج لا كلمات ٥٨
د. عبد الله عمر سلطان

● وقفة على أعتاب مستوطنة ٦٤
شعر: د. عبد الرحمن صالح العشماوي

● إبحار في زمن السقوط ٦٧
عبد العزيز بن محمد السالم

المسلمون و العالم ـــــــــــــــ ٧٠

● مقابلة مع رئيس اللجنة السياسية لجبهة الإنقاذ الجزائرية (٢) ٧١

● المخطط الصليبي في البرنامج التعليمي للجبهة الشعبية في إرتريا ٧٨
موسى عبد الله

● تقرير عن مسلمي جنوب الفلبين ٨١

● وانتهت إمبراطورية الرعب والتجسس ٨٩
محمد حامد الأحمري

● مع القراء ٩٥

● منتدى القراء ٩٩

● مكتبة البيان ١٠٢

● بريد القراء ١٠٣

● الصفحة الأخيرة ١٠٤
د. مالك إبراهيم الأحمد

رهائنهم ورهائننا

ماذا يعنينا من موضوع الرهائن الذين يطلَقُ سراحهم في بيروت، واحداً بعد الآخر، وهل لنا في قضيتهم قول ما دمنا لم يكن لنا قول في ارتهانهم، ولا شأن في إطلاقهم؟

نعم، إن لنا لشأناً في ذلك من جهة أن المنطقة التي جرت فيها فصول هذه المسرحية هي بلادنا - بلاد المسلمين - بل ولأن هذه المسرحية قد تمت - في جانب منها - باسم الإسلام. ثم لأن هذه القضية لها تعلق شديد - في مظهرها وما تشير إليه - بقضية الحرية = حرية المسلم في بلده وأرضه التي ورثها عن آبائه وأجداده الذين روَّوها بدمائهم وعرقهم، قضية الحرية التي تشغلنا ليل نهار، سراً وجهراً، ويجب أن تشغل كل مسلم، وتصرفه عن كل شيء، إذ كل شيء يقصر عن مكانة الحرية، وكل ما يسعى له البشر لا قيمة له ولا ثمرة إذا كانت الحرية غائبة أو مفتقدة.

لقد راقبنا بداية ونهاية هذه المسرحية من مكان يؤهلنا لتقويمها والحكم عليها أكثر من غيرنا، فلسنا نحكم عليها حكماً منغلقاً ينتمي إلى أحد طرفيها، وحكمنا

عليها ليس أسيراً لمقتضيات المكان الذي جرت عليه - إذ نحن لا نعيش فيه - ولا المكان الذي نعيش فيه - إذ نحن لا ننتمي إليه، ولا هو يقبل انتماءنا إليه - فنحن ضحية المكانين والعقليتين اللتين تصرِّفان الأمور فيها. وكل ما يرتكب على الأرض الإسلامية - مما يسبب أدنى ألم لغير المسلمين يحمِّل الإعلام الغربي وزره المسلمين جميعاً؛ اشتركوا فيه أو لم يشتركوا، رَضُوا به أو كرهوا، أو أُكرِهوا عليه، علموا به أو لم يعلموا. وكل ما يحمد من الأقوال والأفعال - من وجهة نظر هذا الإعلام الذي يسميه الناس - خطأً - حراً يُبْحَث عن مصادر له غير إسلامية، أو يُخْتَلَقُ له ذلك اختلاقاً، وإلا تجوهل وأخفي:

إن يسمعوا ريبةً طاروا بها فرحاً | مني وما سمعوا من صالح دفنوا
صُمٌّ إذا سمعوا خيراً ذُكرت به | وإن ذكرت بسوءٍ عندهم أَذِنوا[1]

لم تحقق هذه المسرحية شيئاً يذكر لمن نفذوها - حسب اعتراف من لهم صلة بهم على الأقل، ولسنا ندري: ماذا كان يرجو هؤلاء من ورائها؟

لكن، نعم؛ لقد حققت هذه المسرحية الكثير . فقد استفادت بعض الأطراف المشاركة منها مادياً ومعنوياً، وأعادتها إلى « سوق البيع والشراء العالمي » بعد عزلة، وجرت صفقات هنا وهناك لا يعلمها إلا الله ثم الراسخون في العلم! وحققت شيئاً ثميناً للممثلين المشاركين فيها، فقد زاد سعار الإعلام الغربي تحامله وهجومه على « السلوك المسلم » واتخذ منها مادة يبدىء في الحديث عنها ويعيد كلما أعوزه موضوع يبقي الصراع بين الإسلام من جهة والعالم المتحضر!! من جهة أخرى حياً في الذاكرة، وجرحاً نزَّازاً يذكر رجل الشارع غير المسلم بوحشية المسلمين، وأنهم لا عهد لهم ولا ذمة، ولا سبيل إلى إصلاحهم إلا بإبادتهم، أو على الأقل - بإبقائهم عبيد العصا[2].

١- أَذِنوا: استمعوا

٢- يضرب هذا المثل للقوم إذا استُذلوا، وهو اسم لكل ذليل تابع.

إن المراقب لهذه القضية يعجب لبعد المسافة التي تفصل بين المسلم العادي وبين أبسط حقوقه؛ بالمقارنة مع الفرد في هذه البلاد الغربية، ويطرح الإنسان العادي أسئلة بسيطة على نفسه من مثل:

● ما الذي جعل هذه القيمة الكبيرة لإنسانهم، وهذه القيمة المهينة لإنساننا؟ ألدين؟ أم اختلاف الطينة؟ أم الجغرافيا والمناخ؟
● كيف الخروج مما نحن فيه من مهانة وضياع، وتحويل هذا الكثير من الكلام إلى قليل من الفعل المثمر؟
● كيف السبيل إلى جعل خطوات المسلمين في أوطانهم متوافقة مع ما يريده حكامهم، ورغبات حكامهم مساندة لآمالهم وتطلعاتهم؟

وأسئلة كثيرة تتدافع كلما طرق سمع المرء شيء له صلة بمشكلة الرهائن، وما أكثره!

لقد أقضت هذه الأسئلة وأمثالها مضاجع الكثيرين ممن يهمهم أمر المسلمين منذ احتكاكهم بالغرب ومحاولتهم كشف الأسرار الكامنة وراء هذه المفارقات، ولا نظن أننا سنأتي بجديد إذا قلنا: إن حياة هذا الغربي قد توحدت بجملة قضايا وأهداف يمثلها له وطنه. وانسجمت خطاه مع خطا النظام - ولا أقول: الجماعة - الذي يسيِّر أمور هذا الوطن، لذلك تجد هذا الوطن يتجاوب معه إذا حصل له مكروه خارج بلاده مهما كان عليه سلوكه وشخصيته، قد يكون لصاً محترفاً، أو مخادعاً كبيراً، أو تاجراً، أو مغامراً غريب الأطوار، أو أفاقاً وضيعاً لا قيمة اجتماعية له، أو جاسوساً... ولكنه عندما يصيبه مكروه؛ أو تتعرقل له مشاريع تجد الذين يهبون لنجدته من بلاده كثيرين، والذين يغضون الطرف عن حماقاته وسيئاته أكثر، فإن انقطعت به السبل حيث لا يستطيع أن يظفر بواحد من بني جلدته؛ فإن سفارات الدول الصديقة - ولا نقول: الشقيقة، فهذه خاصة بالبلاد العربية! - مفتحة الأبواب أمامه، يقابل من شاء فيها، ويتكلم ما يشاء دون خوف أو تردد، لا تلفظه الأعتاب، ولا تحمَرُّ في مواجهته الحَدَق. وهبه

جرّب قسوة أو تعرض لإهانة في نفسه وجسمه، فما هي إلا فترة وتمر، طالت أم قصرت، فالدولة وراءه، وكذلك الجمعيات الخيرية، بل وجمعيات تنشأ خصيصاً له، تذكر الناس صباح مساء أن لا ينسوا اسمه، بالصحف والأغاني وبطاقات العيد، والإعلانات والحفلات، والصلوات في الكنائس، حتى « ينطبل »[1] العالم بقصته، فيُفرَجُ عنه، ويخرج معززاً مكرماً محاطاً بالحراسة كأنه جوهرة فريدة أو درة يتيمة يخشى عليها من الضياع، ويخاف عليها من نسمات الهواء، يتزاحم المراسلون وآلات التصوير عليه، والسعيد منهم من يظفر منه بجملة أو بسمة يلتقطها ليسجل بها سبقاً صحفياً يشتهر به ويكتسب منه ترقية... أما في بلادنا فينال هذا الرهينة الأجنبي مكانة هي فوق البشر وتحت « الفرعون ». وما ينتظره في بلاده من تدليل واهتمام شيء يعز على الوصف، وهكذا تتحول تجربته القاسية إلى مغامرة ممتعة، يتذكر فصولها وتفاصيلها بشيء من الزهو والاعتزاز، ويكتب عنها كتاباً يدخل فيه التاريخ من أوسع أبوابه، وتتزاحم دور النشر على الدفع له ما يريد حتى يأذن لها بنشره.

هذه حال رهائنهم، يُسخَّر لهم كل شيء من أجل أن يظل العالم يتذكرهم، ويحوِّلهم الإعلام إلى مشكلة عالمية، لا مشكلة بين إرهابيين وجهة رسمية فقط، ويقف العالم كله على قرنه حتى تحل هذه المشكلة.

فماذا عسانا نقول لو أردنا أن نصف حال رهائننا القابعين في ألف سجن وسجن، وألف دهليز ودهليز، هل يذكرهم أحد، وهل يجرؤ على التفكير بهم ذو عقل؟ كم عددهم يا ترى؟ هل جرّب مرة أحد أن يحصيهم؟ منظمة العفو الدولية؟ منظمات محلية مثلاً؟ ولو نوت ذلك؛ هل تستطيع؟!

لنأخذ واحداً من هؤلاء الرهائن الأغفال المنسيين، هل نسميه؟ لا نقدر! لئلا يساق أهله أو من يحفظ اسمه مجرد حفظ إلى السجن ويلقوا المصير نفسه، وعندها نكون حمقى لأننا عالجنا المنكر الصغير بمنكر أكبر!

١- ينطبل: من العامي الفصيح لم نجد فعلاً يؤدي معناه، فاخترناه.

لا تسل عن جناية هذا الرهينة، ولكن كيف حُقِّق معه؟ كيف حوكم؟ وأين؟ ومتى؟ وما الحكم؟ أستغفر الله لقد نسينا أنه رهينة! هل هناك «عنترة» أو «زير» في طول العالم العربي وعرضه يفتخر ويجاهر بأن له قريباً يقبع في السجون لرأي رآه؟! إن الرهينة في عالمنا المنكوب تتعداه النكبة إلى أقربائه من الدرجة الأولى والثانية والثالثة؛ فيصبحون مشبوهين ولوتنصلوا من فَعلته بشتى الأساليب، ولوتنكروا له بالسب والقذف والتضييق والوشاية لتبييض صفحاتهم. لو خلّف هذا الرهينة أطفالاً وزوجة أو أبوين كبيرين لا عائل لهما غيره؛ ومرّ بهؤلاء من توجَّع لحالهم وحركته النخوة القومية (لا الإسلام!) للتفكير في إغاثتهم لا لأنهم بشر؛ بل لأنهم من ذوات الأكباد الرطبة...! هل تراه يسترسل في هذه التداعيات إلى نهايتها؟! أي إلى مد يد العون لهم؟ لا شك أنه سيقطع هذا الاسترسال فور أن ينتبه إلى حقيقة أنهم معتقلون بتهمة الرجعية أو التعصب، وهل في قوانين العرب ما أصبح أكبر من هذه الخيانة؟! فيخاطب نفسه: « ابتعد عن الشر » تالياً قوله تعالى: ﴿ **لا يكلف الله نفساً إلا وسعها** ﴾ .

في بلادنا لا يفكر ذوو الرهينة أن يسألوا عنه مجرد سؤال: أحيّ هو أو ميت؟ أيبق سنة أم عشرين؟ بل لا يحب هؤلاء أن يدري أحد بمشكلتهم، ولو أن « مغفلاً » لا يقدر العواقب ذكر اسم صاحبهم لرمقته العيون برعب أن: اسكت ويلك! وأردفت الألسنة بالتقريع واللوم لصاحب الاسم المذكور والتبرؤ منه لأنه جلب لهم الشقاء والبؤس.

في بلادنا يخرج الرهينة - إن خرج - يتوارى من الناس، ولا يحب أحداً أن يراه. هذا إن كان سوياً لم يُصَب بعاهة جسمية أو نفسية، أو بهما كليهما! يشك في نفسه وفي أهله وفي أصدقائه، في كل من حوله. كم في بلادنا من مشوَّهي النفوس؟ قد يقرأ كلامي هذا من يراه متشائماً يعكس حالة خاصة لفرد أو أفراد قلائل، بينما الكثرة تعيش في بحبوحة، وتتقلب في أعطاف السعادة، وأقول: نعم، هناك آلاف تُنْفَق، وضحكات تعلو، ولكن الأكيد أن هؤلاء الضاحكين

ضائعون عن أنفسهم من كثرة معاناتهم من الازدواجية في حياتهم، ومن شدة وطأة « الباطنية » التي طبعت كل شيء بطابعها؛ الناس والمجتمعات والماضي والحاضر والمستقبل.

ليس الرهائن الذين لا يُدرَى عددهم في بلادنا هم الذين يهددون مجتمعاتنا بجعل التشويه النفسي ظاهرة يصعب علاجها؛ بل إن المجتمع كله يعيش هذه الحالة: الطليق والأسير.

إن مشكلة « رهائننا » ليست مقصورة عليهم وحدهم ولا يعانون هم وحدهم من نتائجها؛ بل هي مشكلة مجتمع عريض بأسره يراد له أن يتفتت ويتحلل ويندثر.

إن مفهوم الوطنية طارىء علينا – نحن المسلمين – ويطلب منا أن ندين لهذا المفهوم بالولاء، ونفرغ قلوبنا من أي ولاء يزاحمه. ولكن هل تركت تجارب قرن من الزمان ضماناً للمسلم كي يعيش حراً عزيزاً آمناً في سربه؟ لقد قاسى آباؤنا المر بحجة تأجيل حل المشاكل حتى يخرج الاستعمار الغاصب، وتجرعوا وتجرعنا معهم العلقم على مدى جيل كامل بحجة الإعداد لمعركة تحرير فلسطين وطرد الصهيونية، وانتهينا إلى هذه النهاية المحزنة.

هل يمكن زرع الولاء في القلوب بالعصا، وكيف يبني العبيد أوطاناً؟ لا وطن بدون حرية، وما أرخص الأرض التي يهان فيها المرء، ولا يجد فيها الأمن والاستقرار.

آية من كتاب الله

﴿ مَنْ ذا الذي يُقرِضُ اللهَ قرضاً حسناً فيضاعفَهُ لهُ أضعافاً كثيرةً واللهُ يَقبِضُ ويَبْسُطُ وإليه ترجعون ﴾ *

والتعبير عن الإنفاق بالإقراض، الذي يشعر بحاجة المستقرض إلى المقرض عادة، جدير بأن يملك قلب المؤمن، ويحيط بشعوره، ويستغرق وجدانه، حتى يسهل عليه الخروج من كل ما يملك ابتغاء مرضاة الله وحياء منه، فكيف وقد وعد برده مضاعفاً أضعافاً كثيرة ووعده الحق؟ هذا التعبير بمثابة الهز والزلزال لقلوب المؤمنين، فقلب لا يلين له ويندفع به إلى البذل قلب لم يمسه الإيمان. ولم تصبه نفحة من نفحات الرحمن. قلب خاو من الخير، فائض بالخبث والشر، أي لطف من عظيم يداني هذا اللطف من الله تعالى بعباده؟ جبار السماوات والأرض رب كل شيء ومليكه، الغني عن العالمين، الفعال لما يريد، المقلب لقلوب العبيد، يرشد عباده الذين أنعم عليهم بفضل من المال واختصهم بشيء من النعمة، إلى مواساة إخوانهم بما فيه سعادة لهم أنفسهم ولمن يعيش معهم، ويهديهم إلى بذل شيء من فضول أموالهم في المصالح العامة التي فيها

* - [البقرة ٢٤٥]

صلاح حالهم، وحفظ شرفهم واستقلالهم، فيبرز هذا الهدي والإرشاد في صورة الاستفهام، دون صيغة الأمر والإلزام، ويسمي نفسه مقترضاً ليشعر قلب الغني بمعنى الحاجة التي ربما تصيبه يوماً من الأيام، ثم هو يعده بمضاعفة ذلك العطاء – أيكون هذا اللطف كله منه بعبده الذي غمره بنعمته، وفضله على كثير من خلقه، ثم يجمد قلب هذا العبد وتنقبض يده، لا يستحي من ربه، ولا يثق بوعده، ويقال مع هذا أنه مؤمن به، وبأن ما أصابه من الخير فهو من عنده؟ كلا مثل في نفسك ملكاً من ملوك الدنيا يريد أن يجمع إعانة للفقراء أو لمصلحة من مصالح الدولة، وقد خاطبك بمثل هذا الخطاب، في التلطف والاستعطاف، ومثل في خيالك موقع قوله من قلبك، وأثر كلامه في يديك.

أما كون القرض حسناً فالمراد به ما حل محله ووافق المصلحة، لا ما وضع موضع الفخفخة وقصد به الرياء والسمعة. ومن الناس من ينفق في الصالح بنية حسنة ولكن بغير بصيرة تريه مواطن المنفعة بنفقته، فيبني مسجداً حيث تكثر المساجد فيكون سبباً في زيادة تفرق الجماعة وذلك مخالف لحكمة الشرع، أو يبني مدرسة ولا يحسن اختيار المعلمين لها، أو يفرض لها من النفقة ما لا يكفي لدوامها، فيسرع إليها الخراب، أو يضع فيها معلمين فاسدي الاعتقاد أو الآداب، فيفسدون ولا يصلحون، فمثل هذا لا يقال له قرض حسن، وإنما يكون الإنفاق قرضاً حسناً مستحقاً للمضاعفة الكثيرة، إذا وضع موضعه مع البصيرة وحسن النية، ليكون على الوجه المشروع من إقامة الدين، وحفظ مصالح المسلمين، أو منفعة جميع الأنام، من الطريق الذي شرعه الإسلام.

تفسير المنار ٤٦٦/٢.

من صفـــــات

الطـائفـة الـناجيـة

في الكتــــــاب
والسنــــــــة

د. سليمان العايد

خلق الله البشرية أول خلقها مؤمنة بربها، موحدة له. قال الله تعالى: **﴿كان الناس أمة واحدة، فبعث الله النبيين مبشرين ومنذرين وأنزل معهم الكتاب بالحق ليحكم بين الناس فيما اختلفوا فيه وما اختلف فيه إلا الذين أوتوه من بعد ما جآءتهم البينات بغيا بينهم فهدى الله الذين آمنوا لما اختلفوا فيه من الحق بإذنه والله يهدي من يشاء إلى صراط مستقيم﴾ [البقرة ٢١٣].**

وقال الله عز وجل في الحديث القدسي: « إني خلقت عبادي حنفاء كلهم، فاجتالتهم الشياطين عن دينهم » رواه مسلم.

وآمن مع كل رسول أفضل أهل عصره، وخير أتباعه، وحملوا هذا الدين ليبلغوه، وبذلوا ما استطاعوا لنصرته وتأييده. ثم حدث لكل أمة انحراف وضلال عن نهج رسولهم. فاختلف الأتباع، وتعددت مذاهبهم. وزاغ أكثرهم عن طريق الحق طريق الأنبياء والرسل. وكان من الصعب إعادة تلك الأمم وجمع تلك الطوائف على كلمة الحق الواحدة، للتحريف الذي وقع في كتبهم، والتغيير الذي أحدث في أديانهم، فلم يبق لديهم أصل سالم من العبث يرجعون إليه، ولا قانون محكم يتحاكون إليه،

فاتسعت الهوة، وعظمت الشقة، فلم يزدادوا إلا انحرافاً، وأنّى لمن فقد الأصل الصحيح أن يعود إلى الحق؟!

وقد أخبر رسول الله صلى الله عليه وسلم عن افتراق هذه الأمة، فقال: «افترقت اليهود على إحدى أو اثنتين وسبعين فرقة، وافترقت النصارى على إحدى أو اثنتين وسبعين فرقة، وتفترق أمتي على ثلاث وسبعين فرقة» رواه الحاكم عن أبي هريرة، وصححه وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «ألا إن من قبلكم من أهل الكتاب افترقوا على ثنتين وسبعين ملة، وإن هذه الأمة ستفترق على ثلاث وسبعين، ثنتان وسبعون في النار وواحدة في الجنة، وهي الجماعة» أخرجه أبو داود والدارمي وأحمد والحاكم، وجاء في بعض طرق الحديث، عن عبد الله بن عمرو: «أن بني إسرائيل تفرقت على اثنتين وسبعين ملة، وتفترق أمتي على ثلاثة وسبعين ملة كلها في النار إلا واحدة، فقيل له ما الواحدة؟ قال: ما أنا عليه اليوم وأصحابي».

فالصفة الجامعة لأوصاف هذه الطائفة أن يكونوا مثل الصحابة، أن يكونوا على ما كانوا عليه من الاعتقاد والعمل، والأخلاق، وغير ذلك من صفاتهم..

وهذه هي الجماعة المنصورة التي أخبر عنها رسول الله صلى الله عليه وسلم بقوله: «لا تزال طائفة من أمتي قائمة بأمر الله، لا يضرهم من خذلهم، ولا من خالفهم، حتى يأتي أمر الله، وهم ظاهرون على الناس». رواه الشيخان وأحمد وقوله: «لا تزال طائفة من أمتي ظاهرين على الحق لا يضرهم من خذلهم حتى يأتي أمر الله، وهم كذلك». رواه مسلم والترمذي وابن ماجه عن ثوبان.

وهذه الطائفة لها أوصاف وسمات، تنزل بها الكتاب، ونطقت بها السنة، وأسُّ هذه السمات، وركن هذه الصفات هو الاعتقاد الصحيح في الله، وما يجب له، وأسمائه وصفاته، وعبادته وحده لا شريك له، والإيمان بملائكته، وكتبه، ورسله واليوم الآخر، وما أعده لعباده المؤمنين من نعيم، وما توعد به الكافرين من عذاب مقيم، والإيمان بما قضى الله وقدر، من خير أو شر، حلوه ومره من الله وحده. ﴿ **إنا كل شيء خلقناه بقدر** ﴾ [**القمر ٤٩**].

وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «..واعلم أن الأمة لو اجتمعوا على أن

يضروك بشيء لم يضروك إلا بشيء قد كتبه الله عليك. رفعت الأقلام، وجفت الصحف » رواه الترمذي، وقال: حديث حسن صحيح وعند غيره: « واعلم أن ما أخطأك لم يكن ليصيبك، وما أصابك لم يكن ليخطئك » وهذه هي أولى صفات الأبرار قال تعالى:

﴿ ليس البر أن تولوا وجوهكم قبل المشرق والمغرب ولكن البر من آمن بالله واليوم الآخر، والملائكة والكتاب والنبيين... ﴾ [**البقرة ١٧٧**].

وهذه الصفة لا تتحقق إلا بسلوك منهج الصحابة في الإيمان: إيمان بلا شك، وقبول بلا تردد، وتسليم بلا كراهة، وإذعان للأمر، واجتناب للنهي.

هذه هي الصفة التي إذا استقامت وصحت، استقامت بقية الصفات، وباقي السمات والأوصاف فروع منها، ومبنية عليها.

والكتاب والسنة قد بينا صفات هذه الطائفة، وأوضحا سماتها، في مواضع كثيرة، منها قوله تعالى:

﴿ والمؤمنون والمؤمنات بعضهم أولياء بعض يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر، ويقيمون الصلاة، ويؤتون الزكاة. ويطيعون الله ورسوله، أولئك سيرحمهم الله، إن الله عزيز حكيم ﴾ [**التوبة ٧١**].

وقال الأوزاعي: « خمس كان عليها أصحاب النبي الله صلى الله عليه وسلم: لزوم الجماعة، واتباع السنة وعمارة المسجد، وتلاوة القرآن، وجهاد في سبيل الله » (١).

وإن من صفات هذه الطائفة:

١- طلب العلم والاشتغال به.

٢- لزوم السنة والعمل بها.

٣- الاجتهاد في الطاعات.

٤- الجهاد في سبيل الله.

١- شرح السنة ١٩٨/١

٥- الدعوة إلى الخير.
٦- الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.
٧- النصح لكل مسلم.
٨- موالاة المؤمنين.

ونخص في الصفحات الآتية بعض الصفات بحديث مقتضب.

طلب العلم والاشتغال به

لا عمل في الإسلام إلا بعد علم لقوله تعالى:

﴿ فاعلم أنه لا إله إلا الله واستغفر لذنبك ﴾ [محمد ١٩]

فبدأ بالعلم ثم أمر بالعمل.

والعلماء هم أصحاب القيادة والتوجيه في الأمة، والمسؤلون عن تركة الأنبياء: العلم، والقائمون على تربية الأمة، وإصلاح شأنها، وقد عرف الإسلام لأهل العلم فضلهم، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم فيما رواه أبو الدرداء: « من سلك طريق علم سهّل الله له طريقاً من طرق الجنة، وإن الملائكة لتضع أجنحتها رضا لطالب العلم، وإن السماوات والأرض والحوت في الماء لتدعو له، وإن فضل العالم على العابد كفضل القمر على سائر الكواكب ليلة البدر، العلماء هم ورثة الأنبياء. وإن الأنبياء لم يورثوا ديناراً ولا درهماً، وإنما ورثوا العلم، فمن أخذ به، فقد أخذ بحظ وافر» رواه ابن داوود والترمذي وأحمد وابن ماحه.

وأهل السنة هم حملة العلم، حملة الوحي، والأمناء عليه يبلغونه كما سمعوه، ويؤمنون به كله، ويتناقلونه جيلاً عن جيل، وقرناً عن قرن، فيحمل العلم في كل خلف أفاضلهم، وذووا العدل منهم، ينفون عنه تحريف الغالين، وانتحال المبطلين، وتأويل الجاهلين، وزيف الوضاعين.

والعلامة التي تميز علم أهل السنة عن علم غيرهم هي كثرة استدلالاهم واحتجاجهم بحديث رسول الله صلى الله عليه وسلم، وتعظيم شأن تلك الأحاديث، والبحث عن صحة أسانيدها والعمل بها ولو خالفت ما عندهم من آراء.

وعلامة أهل البدع اجتنابهم الحديث، وقلة استدلالهم به، فلا يكادون يذكرونه إلا على سبيل النقد والرد، والتأويل والتحريف، والازدراء والاستهجان.

لزوم السنة والعمل:

سمة من سمات المؤمنين، لا يكتفون بالنية الطيبة، ولا يصدهم الاشتغال بالعلم عن العمل به، إذ هو ثمرة العلم، ويحذرون أشد الحذر من أن يحدثوا الناس أو يأمروهم بأمر، ثم لا يقوموا به

﴿ أتأمرون الناس بالبر وتنسون أنفسكم، وأنتم تتلون الكتاب، أفلا تعقلون﴾ [البقرة **٤٤**].

والعمل بالعلم سبب لقبول الدعوة، وإجابة الداعي، كما قال الله عن صاحب « يس » :

﴿ يا قوم اتبعوا من لا يسألكم أجراً وهم مهتدون ﴾ [يس ٢١]

وقال شعيب مخاطباً قومه:

﴿ وما أريد أن أخالفكم إلى ما أنهاكم عنه، إن أريد إلا الإصلاح ما استطعت، وما توفيقي إلا بالله، عليه توكلت وإليه أنيب ﴾ [هود ٨٨].

وما يصد الناس عن الحق مثل أن يجدوا دعاته غير عاملين به، وأهله غير قائمين به، وأن يُلْفُوهم مُطَّرحين العمل به جانباً، نابذين كتاب الله وراءهم ظِهْرِيّاً، ألسنتهم لا تفتر، وحناجرهم لا تبحّ، وجوارحهم لا تعمل، كالسراج يضيء للناس، ويحرق نفسه.

وقد تحققت هذه السمة في أهل السنة والجماعة، وكانوا أحق بها وأهلها فكانوا في طليعة العاملين بالسنن، القائمين على الأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر، المجاهدين

في سبيل الله بأموالهم وأنفسهم. وكان علماؤهم في أوائل صفوف المجاهدين، كابن مبارك، والإمام البخاري، وابن تيمية، الذي حارب التتار حين غزوا بلاد الإسلام.

فما كانوا يعرفون أن بعض المشايخ يتفرغ لجمع الأتباع، وحشد الأنصار وتكثير الأشياع. أو ينصرف إلى كتابة الأبحاث العلمية، دون أن يكون لهم أثر على الحياة، ودون أن يأمروا بمعروف، أو ينهوا عن منكر، ولا يعرفون أن هناك علماء يختصون بأمر العلم، ويأمرون العوام بالجهاد والعمل والطاعة والسنة. ولا يكونون سباقين لما يأمرون به، بل كانوا علماء عاملين، يتعلمون العلم لا ليباهوا به ويتصدروا به المجالس، بل تعلموا العلم ليعملوا به أولاً، ثم يدعوا الناس إليه. فما كانوا يفهمون أن العلم يقصد لذاته، وأنه أمر مجرد، بل هو مسئولية، كلما ازدادوا علماً زادت مسئوليتهم.

الجهاد في سبيل الله

قال الله تعالى:

﴿ يا أيها الذين آمنوا هل أدلكم على تجارة تنجيكم من عذاب أليم، تؤمنون بالله ورسوله، وتجاهدون في سبيل الله بأموالكم وأنفسكم، ذلكم خير لكم، إن كنتم تعلمون ﴾ [الصف ١١].

وقال تعالى:

﴿ أم حسبتم أن تدخلوا الجنة ولما يعلم الله الذين جاهدوا منكم ويعلم الصابرين ﴾ [آل عمران ١٤٢].

وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: « من مات ولم يغز، ولم يحدث نفسه بغزو، مات على شعبة من النفاق »، وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم في حديث معاذ رضي الله عنه: « إن رأس الأمر الإسلام، وعموده الصلاة، وذروة سنامه الجهاد ».

ووجوب الجهاد والغزو في سبيل الله عقيدة عند أهل السنة، إذ يذهبون إلى أن الجهاد ماض مع ولاة الأمر من المسلمين برهم وفاجرهم، إلى قيام الساعة.

والجهاد ليس دفاعياً فقط كما يزعمه المهزومون، بل الجهاد نوعان: جهاد طلب، وجهاد دفاع، قال الله تعالى:

﴿ يا أيها الذين آمنوا قاتلوا الذين يلونكم من الكفار، وليجدوا فيكم غلظة، واعلموا أن الله مع المتقين ﴾ [التوبة ١٢٣].

وترك الجهاد مهلكة، وهوان، وخسارة في الدنيا والآخرة:

﴿ وأنفقوا في سبيل الله، ولا تلقوا بأيديكم إلى التهلكة، وأحسنوا إن الله يحب المحسنين ﴾ [البقرة ١٩٥].

وعن أسلم بن عمران قال: حمل رجل من المهاجرين بالقسطنطينية على صف العدو حتى خرقه، ومعنا أبو أيوب الأنصاري، فقال ناس: ألقى بيده إلى التهلكة، فقال أبو أيوب: نحن أعلم بهذه الآية، إنما نزلت فينا، صحبنا رسول الله صلى الله عليه وسلم، وشهدنا معه المشاهد، ونصرناه، فلما فشا الإسلام، وظهر، اجتمعنا معشر الأنصار - نجياً، فقلنا: قد أكرمنا الله بصحبة نبيه صلى الله عليه وسلم، ونصره، حتى فشا الإسلام، وكثر أهله، وكنا قد آثرناه على الأهلين، والأموال والأولاد، وقد وضعت الحرب أوزارها، فنرجع إلى أهلينا وأولادنا فنقيم فيهما، فنزل فينا:

﴿ وأنفقوا في سبيل الله، ولا تلقوا بأيديكم إلى التهلكة، ﴾

فكانت التهلكة الإقامة في الأهل والمال، وترك الجهاد » رواه النسائي وأبو داود والترمذي وغيرهم.

الدعوة إلى الخير

انتدب الله هذه الأمة لتخرج الناس من الظلمات إلى النور، فقال:

﴿ ولتكن منكم أمة يدعون إلى الخير، ويأمرون بالمعروف، وينهون عن المنكر، وأولئك هم المفلحون ﴾ [آل عمران ١٠٤].

وجعلهم شهداءه في أرضه، والقائمين على سنته قال تعالى:

﴿ وكذلك جعلناكم أمة وسطاً لتكونوا شهداء على الناس، ويكون الرسول عليكم شهيداً ﴾ [البقرة ١٤٣].

وشرفهم بأن جعل عملهم وعمل نبيهم واحداً هو الدعوة إلى الله، قال:

﴿ قل هذه سبيلي أدعو إلى الله على بصيرة أنا ومن اتبعني، وسبحان الله وما أنا من المشركين ﴾ [يوسف ١٠٨].

وجعل الدعوة خير القول وأفضل العمل قال:

﴿ ومن أحسن قولاً ممن دعا إلى الله وعمل صالحاً وقال: إنني من المسلمين ﴾ [فصلت ٣٣].

وليس هذا موضع التفصيل في هذا الموضوع.

الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر

وصف الله عباده المؤمنين بهذه الصفة في مواضع عدة، فقال:

﴿ والمؤمنون والمؤمنات بعضهم أولياء بعض، يأمرون بالمعروف، وينهون عن المنكر، ويقيمون الصلاة، ويؤتون الزكاة، ويطيعون الله ورسوله، أولئك سيرحمهم الله. إن الله عزيز حكيم ﴾ [التوبة ٧١].

وقال عن عباده المؤمنين:

﴿ التائبون العابدون الحامدون السائحون، الراكعون. الساجدون، الآمرون بالمعروف، والناهون عن المنكر والحافظون لحدود الله وبشر المؤمنين ﴾ [التوبة ١١٢].

وقال:

﴿ الذين إن مكناهم في الأرض أقاموا الصلاة، وآتوا الزكاة، وأمروا بالمعروف، ونهوا عن المنكر ولله عاقبة الأمور ﴾ [الحج ٤١].

ومن صفات الأمة الوسط، خير الأمم، وأتبعها لحقّ، الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، قال تعالى:

﴿ ولتكن منكم أمة يدعون إلى الخير، ويأمرون بالمعروف، وينهون عن المنكر، وأولئك هم المفلحون ﴾ [آل عمران ١٠٤].

وقال:

﴿ كنتم خير أمة أخرجت للناس، تأمرون بالمعروف، وتنهون عن المنكر وتؤمنون بالله، ولو آمن من أهل الكتاب لكان خيراً لهم، منهم المؤمنون، وأكثرهم الفاسقون ﴾ [آل عمران ١١٠].

وقال في مدح طائفة من أهل الكتاب:

﴿ ليسوا سواء، من أهل الكتاب أمة قائمة يتلون آيات الله آناء الليل وهم يسجدون، يؤمنون بالله واليوم الآخر ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر، ويسارعون في الخيرات، وأولئك من الصالحين ﴾ [آل عمران ١١٣ - ١١٤].

ونعى على طائفة أخرى إقرارهم المنكر، ورضاهم به، وتركهم الأمر بالمعروف، فقال:

﴿ لُعِن الذين كفروا من بني إسرائيل على لسان داود وعيسى بن مريم، ذلك بما عصوا وكانوا يعتدون، كانوا لا يتناهون عن منكر فعلوه، لبئس ما كانوا يفعلون﴾ [المائدة ٧٨ - ٧٩].

وترك الأمر بالمعروف، والتناهي عن المنكر نذير شؤم على الأمة، ينذرها مغبة ما تصنع، ويؤذن بزوالها، أو حلول عقوبة الله فيها، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: « ما من قوم يعمل فيهم بالمعاصي، ثم يقدرون على أن يغيروا إلا يوشك الله أن يعمهم بعقابه » أخرجه أبو داود. وعن عدي بن عمير قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: « إن الله لا يعذب العامة بعمل الخاصة حتى يروا المنكر بين ظهرانيهم، وهم قادرون على أن ينكروه فلا ينكروه، فإذا فعلوا ذلك عذب الله العامة والخاصة » أخرجه أبو داود. والأحاديث بهذا المعنى كثيرة وفيرة.

ويسلكون في تغيير المنكر الطرق الشرعية، من مثل قول الرسول صلى الله عليه وسلم: « من رأى منكم منكراً فليغيره بيده، فإن لم يستطع فبلسانه، فإن لم يستطع فبقلبه، وذلك أضعف الإيمان » رواه مسلم عن أبي سعيد الخدري.

وهم مع حرصهم على القيام بالأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر، يتحاشون إثارة الفتنة بين المسلمين، فلا يخرجون على الأمراء بالسيف، لأنه يؤدي إلى فتنة تسفك فيها دماء المسلمين، ولا يتركون إنكار المنكر عليهم، وتبيين المعروف لهم، لقول الرسول صلى الله عليه وسلم: « أفضل الجهاد كلمة حق عند سلطان جائر» رواه أبو داود والترمذي وابن ماجه عن أبي سعيد.

ولا ينابذونهم إلا أن يروا كفراً بواحاً فيه من الله برهان.

ويقومون بالأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر، بين عامة المسلمين حتى يُعذِروا إلى ربهم، بإقامة الحجة، وتوضيح الحق، عن أبي ثعلبة الخشني رضي الله عنه أنه قيل له: كيف تقول في هذه الآية: ﴿ **عليكم أنفسكم، لا يضركم من ضل إذا اهتديتم**﴾، قال: سألت عنها خبيراً، أما والله فقد سألت عنها رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال: بل ائتمروا بالمعروف، وانهوا عن المنكر حتى إذا رأيت شحاً مطاعاً، وهوى متبعاً، ودنيا مؤثرة، وإعجاب كل ذي رأي برأيه، فعليك بنفسك، ودع عنك أمر العوام » أخرجه أبو داود والترمذي وابن ماجه.

النصح لكل مسلم

جعل رسول الله صلى الله عليه وسلم النصيحة هي الدين بقوله الذي رواه أبو رقية تميم بن أوس الداري: « الدين النصيحة (ثلاثاً) قلنا: لمن يا رسول الله؟ قال: لله عز وجل، ولكتابه، ولرسوله صلى الله عليه وسلم ولأئمة المسلمين وعامتهم » رواه مسلم.

وحق على المسلم أن ينصح المسلمين، ويحب لهم من الخير ما يحب لنفسه ولا يغشهم، أو يمنع خيره عنهم، بل يبذل لهم كل ما يستطيع من علم ومال ودلالة على

الخير وإرشاد إلى سبيل الحق، وما به صلاحهم في أمور الدنيا والآخرة. قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: « حق المسلم على المسلم ست » فذكر منها «وإذا استنصحك فانصح له ». وقال أبو عمرو بن الصلاح: « النصيحة لعامة المسلمين إرشادهم إلى مصالحهم، وتعليمهم أمور دينهم ودنياهم، وستر عوراتهم، وسد خلاتهم، ونصرتهم على أعدائهم، والذبّ عنهم، ومجانبة الغش والحسد لهم، وأن يحب لهم ما يحب لنفسه، ويكره لهم ما يكره لنفسه. وما شابه ذلك.

ومن نصحهم دفع الأذى والمكروه عنهم، وإيثار فقيرهم، وتعليم جاهلهم ورد من زاغ منهم عن الحق في قول أو عمل بالتلطف في ردهم إلى الحق، والرفق بهم في الأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر، ومحبة إزالة فسادهم ولو حصل له أذى في سبيل ذلك.

وأعظم نصح للمسلمين بيان الحق لهم، وشرح حقائق الإسلام، وتعريفهم بما يجب عليهم، ورد ما يعلق بالشرع من أهواء مضلة، تصرف الناس عن الكتاب والسنة، وبيان مخالفة تلك الأهواء، ودعوة من وقع في شيء منها إلى الاحتكام إلى الكتاب والسنة، والعودة إليهما.

والنصيحة للخلق لها منزلة عالية، ودرجة رفيعة، لا ينالها إلا من منّ الله عليه بالهداية والتوفيق، قال أبو بكر المُزَنِيّ: ما فاق أبو بكر رضي الله عنه أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم بصوم ولا صلاة، ولكن بشيء كان في قلبه قال: ما الذي كان في قلبه؟ قال: الذي كان في قلبه الحب لله عز وجل والنصيحة في خلقه.

ومن النصيحة للمسلمين حسن اختيار الطريقة في وعظهم، وإرشادهم، كأن يعظه سراً، ويدعوه بحكمة، ويأمره وينهاه برفق.

ويدل على ما للنصح من قيمة حديث جرير بن عبد الله البجلي: « بايعت رسول الله صلى الله عليه وسلم على النصح لكل مسلم » رواه مسلم.

وقفـــــات مع

حقوق المصطفى صلى الله عليه وسلم

عبد العزيز بن محمد آل عبد اللطيف

إن الحديث عن نبينا وحبيبنا محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم حديث تنشرح له صدور أهل الإيمان، وتتشوق له نفوس الصالحين، ويدفع العاملين إلى الاستقامة على الصراط المستقيم، كيف لا وهو صلى الله عليه وسلم سيد ولد آدم، وخاتم النبيين، وهو أولى بالمؤمنين من أنفسهم، قد خصه الله تعالى بخصال رفيعة وكثيرة انفرد بها عن بقية الأنبياء السابقين عليهم السلام، فهو أول من يعبر على الصراط يوم القيامة، وأول من يقرع باب الجنة ويدخلها، وله المقام المحمود ولواء الحمد، وهو أول شافع ومشفع. وفي هذه السطور أستعرض معك – أخي القارئ – شيئاً من الحقوق الواجبة علينا تجاه نبينا محمد صلى الله عليه وسلم:

١- يمكن – ابتداءً – أن نجعل حقوق المصطفى صلى الله عليه وسلم بهذه العبارة الجامعة التي سطّرها الشيخ محمد بن عبد الوهاب – رحمه الله – قائلاً: « ومعنى شهادة أن محمداً رسول الله: طاعته فيما أمر، وتصديقه فيما أخبر، واجتناب ما نهى وزجر، وأن لا يُعْبَدَ الله إلا بما شرع. »[١]

٢- وإن من أهم ما يجب علينا تجاه حبيبنا محمد صلى الله عليه وسلم أن نحقق محبته اعتقاداً وقولاً وعملاً، ونقدمها على محبة النفس والولد والناس أجمعين.
قال تعالى:

﴿ قل إن كان آباؤكم وأبناؤكم وإخوانكم وأزواجكم وعشيرتكم وأموال اقترفتموها وتجارة تخشون كسادها ومساكن ترضونها أحبَّ إليكم من الله ورسوله وجهاد في سبيله فتربصوا حتى يأتي الله بأمره والله لا يهدي القوم الفاسقين ﴾ [التوبة ٢٤].

يقول القاضي عياض عن هذه الآية: « فكفى بهذا حضاً وتنبيهاً ودلالةً وحجةً على إلزام محبته، ووجوب فرضها، وعِظم خطرها، واستحقاقه لها صلى الله عليه وسلم، إذ قرّع سبحانه من كان ماله وأهله وولده أحب إليه من الله ورسوله، وأوعدهم بقوله تعالى: **﴿ فتربصوا حتى يأتي الله بأمره ﴾** ثم فسَّقهم بتمام الآية، وأعلمهم أنهم ممن ضلَّ ولم يهده الله. »(٢)

وعن أنس رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: « لا يؤمن أحدكم حتى أكون أحبَّ إليه من ولده ووالده والناس أجمعين. »(٣)

وعن أنس عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: « ثلاث من كن فيه وجَدَ حلاوة الإيمان - وذَكَرَ منها - أن يكون الله ورسوله أحبَّ إليه مما سواهما. »(٤)

ولقد ضرب الصحابة رضي الله عنهم أروع الأمثلة في صدق وتمام المحبة لرسول الله صلى الله عليه وسلم، فهذا عمر بن الخطاب رضي الله عنه يقول للعباس: أن تُسلم أحبّ إليّ من أن يسلم الخطاب؛ لأن ذلك أحبُّ إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم.

وسئل علي بن أبي طالب رضي الله عنه: كيف كان حبكم لرسول الله صلى الله عليه وسلم؟ قال: كان والله أحبّ إلينا من أموالنا وآبائنا وأمهاتنا، ومن الماء البارد على الظمأ. وكان عمرو بن العاص رضي الله عنه يقول: ما كان أحد

أحبّ إليّ من رسول الله صلى الله عليه وسلم، ولا أجلّ في عيني منه، وما كنت أطيق أن أملأ عيني منه إجلالاً له، ولو سئلت أن أصفه ما أطقتُ؛ لأني لم أكن أملأ عيني منه.

ولا شك أن لمحبة النبي صلى الله عليه وسلم علامات، منها كثرة ذكره له، فمن أحبَّ شيئاً أكثر ذكره، ومنها كثرة شوقه إلى لقائه، فكل حبيب يحب لقاء حبيبه. ومنها محبته لمن أحبّ النبي صلى الله عليه وسلم من المهاجرين والأنصار، وعداوة من عاداهم، وبغض من أبغضهم وسبَّهم، فمن أحبَّ شيئاً أحب من يحبه، وقد قال النبي صلى الله عليه وسلم في الحسن والحسين: اللهم إنّي أحبّهما فأحِبّهما. ومن علامة حبه للنبي صلى الله عليه وسلم شفقته على أمته، ونصحه لهم، وسعيه في مصالحهم، ورفع المضارّ عنهم، كما كان الرسول صلى الله عليه وسلم بالمؤمنين رءوفاً رحيماً[٥].

٣- ومن أهم وأكثر علامات محبته صلى الله عليه وسلم: متابعته والاقتداء به، يقول القاضي عياض - رحمه الله -: « اعلم أن من أحب شيئاً آثره وآثر موافقته، وإلا لم يكن صادقاً في حبه، وكان مُدّعياً، فالصادق في حب النبي صلى الله عليه وسلم من تظهر علامة ذلك عليه، وأولها الاقتداء به، واستعمال سنته، واتباع أقواله وأفعاله، والتأدب بآدابه في عسره ويسره، ومنشطه ومكرهه، وشاهد هذا قوله تعالى:

﴿ **إن كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله** ﴾ [آل عمران ٣١] [٦].

كما أن من متابعته صلى الله عليه وسلم التمسك بسنته والحذر من الابتداع في دين الله، كما قال صلى الله عليه وسلم: « من أحدث في أمرنا هذا ما ليس منه فهو ردٌّ. »[٧] يقول ابن رجب في شرح هذا الحديث: « فهذا الحديث يدل بمنطوقه على أن كل عمل ليس عليه أمر الشارع، فهو مردود، ويدّل بمفهومه على أن كل عمل عليه أمره، فهو غير مردود، والمراد بأمره هاهنا دينه وشرعه،

فالمعنى إذاً: أنّ من كان عمله خارجاً عن الشرع ليس متقيداً بالشرع، فهو مردود. »[٨]

٤- ومن حقه صلى الله عليه وسلم: أنّ الله أمر بتعزيره وتوقيره فقال:

﴿ وتعزِّروه وتوقروه ﴾ [الفتح ٩]

يقول ابن تيمية - رحمه الله - : « التعزير اسم جامع لنصره وتأييده ومنعه من كل ما يؤذيه، والتوقير: اسم جامع لكل ما فيه سكينة وطمأنينة من الإجلال والإكرام، وأن يعامل من التشريف والتكريم والتعظيم بما يصونه عن كل ما يخرجه عن حد الوقار. »[٩]

ويقول أيضاً: « أما انتهاك عرض رسول الله صلى الله عليه وسلم فإنه مناف لدين الله بالكلية؛ فإن العرض متى انتُهك سقط الاحترام والتعظيم، فسقط ما جاء به من الرسالة، فبطل الدين، فقيام المدحة والثناء عليه والتعظيم والتوقير له قيامُ الدين كله، وسقوط ذلك سقوط الدين كله، وإذا كان كذلك وجب علينا أن ننتصر له ممن انتهك عرضه.. »[١٠] وقد قال الله تعالى:

﴿ إن شانئك هو الأبتر ﴾ [الكوثر ٣]

فأخبر سبحانه أن شانئه (مبغضه) هو الأبتر، والبتر: القطع، فبين سبحانه أنه هو الأبتر بصيغة الحصر والتوكيد. ومما قال ابن تيمية عن هذه الآية الكريمة الجامعة: « إن الله سبحانه بتر شانيء رسوله من كل خير، فيبتر ذكره وأهله وماله، فيخسر ذلك في الآخرة، ويبتر حياته فلا ينتفع بها، ولا يتزود فيها صالحاً لمعاده، ويبتر قلبه فلا يعي الخير، ولا يؤهله لمعرفته ومحبته، والإيمان برسله، ويبتر أعماله فلا يستعمله في طاعة، ويبتره من الأنصار فلا يجد له ناصراً، ولا عوناً، ويبتره من جميع القرب والأعمال الصالحة، فلا يذوق لها طعماً، ولا يجد لها حلاوة، وإن باشرها بظاهره، فقلبه شارد عنها. »

ولذا قال أبو بكر بن عياش: أهل السنة يموتون ويحيى ذكرهم، وأهل البدعة

يموتون ويموت ذكرهم؛ لأن أهلِ السنة أحيوا ما جاء به الرسول صلى الله عليه وسلم فكان لهم نصيب من قوله ﴿ **ورفعنا لك ذكرك**﴾. وأهل البدعة شنئوا ما جاء به الرسول صلى الله عليه وسلم، فكان لهم نصيب من قوله : ﴿ **إن شانئك هو الأبتر** ﴾. »(١١، ١٢)

٥- ولقد تحققت العقوبات، ووقعت المثلات في حق من أبغض الرسول صلى الله عليه وسلم أو تنقصه بسبّ، أو استهزاء، أو افتراء. وقد عرف من ذلك حالات عديدة منها:

أ- من ذلك ما رواه البخاري في صحيحه عن أنس رضي الله عنه قال: كان رجل نصراني، فأسلم وقرأ البقرة وآل عمران، وكان يكتب للنبي صلى الله عليه وسلم، فعاد نصرانياً، فكان يقول: لا يدري محمد إلا ما كتبتُ له، فأماته الله، فدفنوه، فأصبح وقد لفظته الأرض، فقالوا: هذا فعل محمد وأصحابه، نبشوا عن صاحبنا فألقوه، فحفروا في الأرض ما استطاعوا، فأصبح قد لفظته الأرض، فعلموا أنه ليس من الناس، فألقوه.

ب- ومن ذلك ما ذكره ابن تيمية « عن أعداد من المسلمين العدول أهل الفقه والخبرة، عما جرّبوه مرات متعددة في حصر الحصون والمدائن التي بالسواحل الشامية، لما حصر المسلمون فيها بني الأصفر في زماننا، قالوا: كنا نحن نحصر الحصن أو المدينة الشهرَ أو أكثر من الشهر وهو ممتنع علينا حتى نكاد نيأس، إذ تعرض أهله لسبّ رسول الله صلى الله عليه وسلم والوقيعة في عرضه، فعجلنا فتحه، وتيسر، ولم يكد يتأخر إلا يوماً أو يومين أو نحو ذلك، ثم يفتح المكان عنوة، ويكون فيهم ملحمة عظيمة، قالوا: حتى إن كنا لنَتَبَاشر بتعجيل الفتح إذا سمعناهم يَقَعون فيه، مع امتلاء القلوب غيظاً عليهم بما قالوا فيه. »(١٣)

ج- ومن العقوبات التي حلّت بمن انتقص الرسول صلى الله عليه وسلم - ولو تعريضاً - في هذا الزمان ما ذكره الشيخ أحمد شاكر رحمه الله عن أحد خطباء

مصر، وكان فصيحاً متكلماً مقتدراً، وأراد هذا الخطيب أن يمدح أحد أمراء مصر عندما أكرم طه حسين، فقال في خطبته: جاءه الأعمى [١٤]، فما عبس بوجهه وما تولى »! ، فما كان من الشيخ محمد شاكر - والد الشيخ أحمد شاكر - إلا أن قام بعد الصلاة، يعلن للناس أن صلاتهم باطلة، وعليهم إعادتها؛ لأن الخطيب كفر بما شتم رسول الله صلى الله عليه وسلم. يقول أحمد شاكر: « ولكن الله لم يَدع لهذا المجرم جرمه في الدنيا، قبل أن يجزيه جزاءه في الأخرى، فأقسم بالله لقد رأيته بعيني رأسي، بعد بضع سنين، وبعد أن كان عالياً متنفخاً، مستعزاً بمن لاذ بهم من العظماء والكبراء، رأيته مهيناً ذليلاً، خادماً على باب مسجد من مساجد القاهرة، يتلقى نعال المصلين يحفظها، في ذلة وصغار، حتى لقد خجلت أن يراني، وأنا أعرفه وهو يعرفني، لا شفقة عليه، فما كان موضعاً للشفقة، ولا شماتةً فيه، فالرجل النبيل يسمو على الشماتة، ولكن لما رأيت من عبرة وعظة.»[١٥]

٦- وفي نهاية هذه المقالة أقول: إن مما يزيدنا حبّاً للرسول صلى الله عليه وسلم، والتصاقاً بهديه وسيرته، أن نسعى إلى محاسبة أنفسنا ومعرفة أخطائنا، فإذا اكتشفنا عيوبنا، فسنجد في هديه صلى الله عليه وسلم العلاج الناجع لهذه الأدواء التي حلّت بنا، وإليك أمثلة على ذلك:

فإذا كان أحدنا مقصراً في جانب النوافل والعبادات - مثلاً - فليتذكر أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يصلي حتى تتورم قدماه وقد غفر له ماتقدم من ذنبه وما تأخر.

وقد يكون أحدنا متصفاً بالجبن والهلع، ألا فليعلم أن رسول الله صلى الله عليه وسلم - كما أخبر أنس بن مالك رضي الله عنه - كان من أشجع الناس، وقد قال عليّ رضي الله عنه: إنا كنا إذا حمي البأس، اتقينا برسول الله صلى الله عليه وسلم.

وربما كان البعض منا مشغوفاً بحب الدنيا والتكالب عليها، ومن ثم فلينظر إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم الذي كان من أزهد الناس في الدنيا، حتى قالت عائشة: ما شبع رسول الله صلى الله عليه وسلم ثلاثة أياماً تباعاً من خبز حتى مضى لسبيله [١٦].

وقد نلمس في أنفسنا وغيرنا جفاء مع الناس وسوء معاملة، وقد قال أنس: خدمت رسول الله صلى الله عليه وسلم عشر سنين، فما قال لي أفٌ قط، وما قال لشيء صنعته لِمَ صنعته؟ ولا لشيء تركته لِمَ تركته؟ وصدق الله تعالى عندما قال سبحانه في شأنه:

﴿ فبما رحمة من الله لنت لهم، ولو كنت فظاً غليظ القلب لانفضوا من حولك﴾ [آل عمران ١٥٩]

وأخيراً فقد يتلبّس أحدنا بأثرة وأنانية، فلا يهتم إلا بنفسه وشخصه مع أن رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: « لا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه ». وإليك هذا الحديث الذي يبيّن ما كان عليه الرسول صلى الله عليه وسلم من الموالاة والرحمة والإشفاق لأهل الإيمان، عن جرير قال: كنا عند رسول الله صلى الله عليه وسلم في صدر النهار، قال فجاءه قوم حفاة عراة، متقلدي السيوف، عامتهم من مضر، بل كلهم من مضر، فتمّعر (تغيّر) وجه رسول اللع صلى الله عليه وسلم لما رأى بهم من الفاقة، فدخل ثم خرج، فأمر بلالاً فأذّن وأقام فصلى، ثم خطب فقال: **﴿ يا أيها الناس اتقوا ربكم الذي خلقكم من نفس واحدة..﴾** إلى آخر الآية **﴿ إن الله كان عليكم رقيباً ﴾**والآية التي في الحشر **﴿ يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله ولتنظر نفس ما قدمت لغد ﴾** تصدّق رجل من ديناره، من درهمه، من ثوبه، من صاع برّه من صاع تمره حتى قال: ولو بشق تمرة، قال: فجاء رجل من الأنصار بصرة كادت كفه تعجز عنها، بل لقد عجزت، قال: ثم تتابع الناس حتى رأيت كومين من طعام

وثياب، حتى رأيتُ وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم يتهلل (يستنير) كأنهُ مُذْهَبَة، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم « من سنّ في الإسلام سنة حسنة فله أجرها وأجر من عمل بها بعده من غير أن ينتقص من أجورهم شيء»[(١٧)]

أسأل الله أن يرزقنا تمام التأسي برسول الله صلى الله عليه وسلم وأن يحشرنا مع زمرته.

المصادر:

١- مجموعة مؤلفات الشيخ محمد بن عبد الوهاب ١٩٠/١
٢- الشفا ٥٦٣/٢
٣- رواه البخاري ومسلم
٤- رواه البخاري ومسلم
٥- انظر تفصيلاً لتلك العلامات في كتاب الشفا للقاضي عياض ٥٧١/٢-٥٧٧
٦- الشفا ٥٧١/٢
٧- رواه البخاري ومسلم
٨- جامع العلوم والحكم ١٧٧/١
٩- الصارم المسلول ص ٤٢٢
١٠- الصارم المسلول ص ٢١١
١١- الفتاوى ٥٢٦/١٦-٥٢٨ باختصار
١٢- الصارم المسلول ص ٤٥٧-٤٥٨
١٣- الصارم المسلول ص ١١٧
١٤- يعني طه حسين، ومن المعلوم أن طه حسين كان أعمى البصر والبصيرة، انظر (طه حسين في ميزان الإسلام) للأستاذ أنور الجندي.
١٥- كلمة الحق ص ١٧٦-١٧٧
١٦- رواه مسلم.
١٧- رواه مسلم.

فتـــاوى في بعـــــض التعـامـلات الماليـــــة

الشيخ: عبد العزيز بن عبد الله بن باز

- البيع إلى أجل.
- بيع التورق.
- العينة.
- القرض (بالفائدة).

الحمد لله والصلاة والسلام على من لا نبي بعده وآله وصحبه. أما بعد:

فقد سئلت عن حكم بيع السلعة التي تساوي مائة ريال نقداً بمبلغ مائة وخمسين ريالاً إلى أجل:

والجواب عن ذلك: أن هذه المعاملة لا بأس بها، لأن بيع النقد غير بيع التأجيل، ولم يزل المسلمون يستعملون مثل هذه المعاملة، وهو كالإجماع منهم على جوازها. وقد شذ بعض أهل العلم؛ فمنع الزيادة لأجل الأجل، وظن ذلك من الربا وهو قول لا وجه له وليس من الربا في شيء، لأن التاجر حين باع السلعة إلى أجل إنما وافق على التأجيل من أجل انتفاعه بالزيادة والمشتري إنما رضي

بالزيادة من أجل المهلة وعجزه عن تسليم الثمن نقداً، فكلاهما منتفع بهذه المعاملة وقد ثبت عن النبي صلى الله عليه وسلم ما يدل على جواز ذلك، وذلك أنه صلى الله عليه وسلم أمر عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما أن يجهز جيشاً فكان يشتري البعير بالبعيرين إلى أجل، ثم هذه المعاملة تدخل في عموم قول الله سبحانه

﴿ **يا أيها الذين آمنوا إذا تداينتم بدين إلى أجل مسمى فاكتبوه..** ﴾ الآية. وهذه المعاملة من المداينات الجائزة الداخلة في الآية المذكورة، وهي من جنس معاملة بيع السلم، فإن البائع في السلم يبيع من ذمته حبوباً أو غيرها – مما يصح السلم فيه – بثمن حاضر أقل من الثمن الذي يباع به المسلم فيه وقت السلم، لكون المسلم فيه مؤجلاً، والثمن معجلاً، فهو عكس المسألة المسئول عنها. وهو جائز بالإجماع وهو مثل البيع إلى أجل في المعنى، والحاجة إليه ماسة كالحاجة إلى السلم، والزيادة في السلم مثل الزيادة في البيع إلى أجل، لكن إذا كان مقصود المشتري لكيس السكر ونحوه بيعه والانتفاع بثمنه وليس مقصوده الانتفاع بالسلعة نفسها فهذه المعاملة تسمى مسألة (التورُّق) ويسميها العامة (الوعدة) وقد اختلف العلماء في جوازها على قولين:

أحدهما: أنها ممنوعة أو مكروهة، لأن المقصود منها شراء دراهم بدراهم وإنما السلعة المبيعة واسطة غير مقصودة.

والقول الثاني للعلماء: جواز هذه المعاملة لمسيس الحاجة إليها، لأنه ليس كل أحد اشتدت حاجته إلى النقد يجد من يقرضه بدون ربا، ولدخولها في عموم قوله سبحانه: ﴿ **وأحل الله البيع..** ﴾، وقوله تعالى: ﴿ **يا أيها الذين آمنوا إذا تداينتم بدين إلى أجل مسمى فاكتبوه..** ﴾ ولأن الأصل في الشرع حِلُّ جميع المعاملات إلا ما قام الدليل على منعه، ولا نعلم حجة شرعية تمنع هذه المعاملة، وأما تعليل من منعها أو كرهها بكون المقصود منها هو النقد فليس ذلك موجباً لتحريمها ولا

لكراهتها، لأن مقصود التجار غالباً في المعاملات وهو تحصيل نقود أكثر بنقود أقل، والسلع المبيعة هي الواسطة في ذلك.

وإنما يمنع مثل هذا العقد إذا كان البيع والشراء من شخص واحد كمسألة العينة. فإن ذلك يتخذ حيلة على الربا، وصورة ذلك أن يشتري شخص سلعة من آخر بثمن في الذمة، ثم يبيعها عليه بثمن أقل ينقده إياه، فهذا ممنوع شرعاً لما فيه من الحيلة على الربا، وتسمى هذه المسألة مسألة العينة، وقد ورد فيها من حديث عائشة وابن عمر رضي الله عنهما ما يدل على منعها. أما مسألة التورق، - التي يسميها بعض الناس الوعدة - فهي معاملة أخرى ليست من جنس مسألة العينة، لأن المشتري فيها اشترى السلعة من شخص إلى أجل وباعها من آخر نقداً من أجل حاجته للنقد، وليس في ذلك حيلة على الربا، لأن المشتري غير البائع، ولكن كثيراً من الناس في هذه المعاملة لا يعملون بما يقتضيه الشرع في هذه المعاملة، فبعضهم يبيع ما لا يملك ثم يشتري السلعة بعد ذلك ويسلمها للمشتري، وبعضهم إذا اشتراها يبيعها وهي في محل البائع قبل أن يقبضها القبض الشرعي، وكلا الأمرين غير جائز لما ثبت عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال لحكيم بن حزام: « لا تبع ما ليس عندك » وقال عليه الصلاة والسلام: « لا يحل سلف وبيع ولا بيع ما ليس عندك » وقال عليه الصلاة والسلام: « من اشترى طعاماً فلا يبعه حتى يستوفيه » وقال ابن عمر رضي الله عنهما: « كنا نشتري الطعام جزافاً فيبعث إلينا رسول الله صلى الله عليه وسلم من ينهانا أن نبيعه حتى ننقله إلى رحالنا » وثبت عنه عليه الصلاة والسلام أيضاً أنه نهى أن تباع السلع حيث تبتاع حتى يحوزها التجار إلى رحالهم.

ومن هذه الأحاديث وما جاء في معناها يتضح لطالب الحق أنه لا يجوز للمسلم أن يبيع سلعة ليست في ملكه ثم يذهب فيشتريها، بل الواجب تأخير بيعها حتى يشتريها ويحوزها إلى ملكه، ويتضح أيضاً أن ما يفعله كثير من الناس

من بيع السلع وهي في محل البائع قبل نقلها إلى ملك المشتري أو إلى السوق أمر لا يجوز لما فيه من مخالفة سنة الرسول صلى الله عليه وسلم، ولما فيه من التلاعب بالمعاملات وعدم التقيد فيها بالشرع المطهر، وفي ذلك من الفساد والشرور والعواقب الوخيمة وما لا يحصيه إلا الله عز وجل، نسأل الله لنا ولجميع المسلمين التوفيق للتمسك بشرعه والحذر مما يخالفه.

أما الزيادة التي تكون بها المعاملة من المعاملات الربوية فهي التي تبذل لدائن بعد حلول الأجل ليمهل المدين وينظره فهذه الزيادة هي التي كان يفعلها أهل الجاهلية ويقولون للمدين قولهم المشهور: أما أن تقضي وأما أن تربي، فمنع الإسلام ذلك وأنزل الله فيه قوله سبحانه: ﴿ **وإن كان ذو عسرة فنظرة إلى ميسرة** ﴾ وأجمع العلماء على تحريم هذه الزيادة وعلى تحريم كل معاملة يتوسل بها إلى تحليل هذه الزيادة، مثل أن يقول الدائن للمدين: اشتر مني سلعة من سكر أو غيره إلى أجل، ثم بعها بالنقد وأوفني حقي الأول، فإن هذه المعاملة حيلة ظاهرة على استحلال الزيادة الربوية التي يتعاطاها أهل الجاهلية، لكن بطريق آخر غير طريقهم.

فالواجب تركها، والحذر منها، وإنظار المدين المعسر حتى يسهل الله له القضاء، كما أن الواجب على المدين المعسر أن يتقي الله، ويعمل الأسباب الممكنة المباحة لتحصيل ما يقضي به الدين، ويبرىء به ذمته من حق المدينين.

وإذا تساهل في ذلك ولم يجتهد في أسباب قضاء ما عليه من الحقوق فهو ظالم لأهل الحق غير مؤد للأمانة، فهو في حكم الغني المماطل، وقد صح عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال « مطل الغني ظلم »، وقال عليه الصلاة والسلام: « ليُّ الواجد يحل عرضه وعقوبته » والله المستعان.

ومن المعاملات الربوية أيضاً ما يفعله بعض البنوك وبعض التجار من الزيادة في القرض إما مطلقاً وإما في كل سنة شيئاً معلوماً، فالأول: مثل أن يقرضه ألفاً

على أن يرد إليه ألف ومائة أو يسكنه داره أو دكانه أو يعيره سيارته أو دابته مدة معلومة أو ما أشبه ذلك من الزيادات.

وأما الثاني: فهو أن يجعل كل سنة أو كل شهر ربحاً معلوماً في مقابل استعماله المال الذي دفعه إليه المقرض، سواء دفعه باسم القرض أم باسم الأمانة، فإنه متى قبضه باسم الأمانة للتصرف فيه كان قرضاً مضموناً ولا يجوز أن يدفع إلى صاحبه شيئاً من الربح إلا أن يتفق هو والبنك أو التاجر على استعمال ذلك المال على وجه المضاربة بجزء مشاع معلوم من الربح لأحدهما والباقي للآخر، وهذا العقد يسمى أيضاً: القراض، وهو جائز بالإجماع، لأنهما قد اشتركا في الربح والخسران، والمال الأساسي في هذا العقد في حكم الأمانة في يد العامل إذا تلف من غير تعد ولا تفريط لم يضمنه وليس له من عمله إلا الجزء المشاع المعلوم من الربح المتفق عليه في العقد.

وبهذا تتضح المعاملة الشرعية والمعاملة الربوية. والله ولي التوفيق، وصلى الله وسلم على نبينا محمد وآله وصحبه...

* * *

حتى لا نخادع أنفسنا

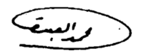
كانت القاعدة الأساسية التي سار عليها العلماء الربانيون من هذه الأمة في تعليم الناس وتربيتهم هي حملهم على الطريق الوسط، فلا غلو ولا تقصير، ولا تيئيس ولا طمع، ونريد تطبيق هذه القاعدة الآن في قضية ما يقال عن خوف الغرب من المسلمين ومن الصحوة الإسلامية، وأنه يحسب لها ألف حساب؛ وأن التحدي الكبير بعد سقوط الاتحاد السوفييتي هو الإسلام والمسلمون، ونعلن بهذا في صحفنا وخطبنا، فهل يصح في التربية القويمة أن نميل بالناس إلى جانب الاطمئنان والركون إلى قوة الصحوة وخوف الغرب منها، وهل نحن أقوياء حقيقة أم أننا نخادع أنفسنا.

إن واقع المسلمين الحالي من الضعف والتفرق والخراب الاقتصادي وتراجع القوة العسكرية، وصراع القبائل والعشائر ما يدل على أنه غير مخيف، ولكن إذا عرفنا كيف يفكر الغرب، وكيف يحتاط للمستقبل البعيد، ويستعد للأمور قبل أوانها، فالجواب: نعم، الغرب يخشى من الإسلام ومن المسلمين لأنه يحذر أن تفاجئه الأحداث بشيء لم يكن يتوقعه،

بنهوض سريع لم يحسب له حساب، خاصة وأن الإسلام يزحف بشكل مستمر سواء في كسب أنصار جدد أم في عودة المسلمين إلى دينهم.

ولا نستبعد أن يضخم الغرب هذا الموضوع كي نفرح ونعيش أحلاماً سعيدة، وهو غير بعيد عن استعمال هذه الأساليب في مقارعة الخصوم، حتى يؤلب شعوبه، ويستنفر الطاقات وله في ذلك أحابيل شديدة الخبث، وما بالك بأقوام دأبوا منذ ثلاثة قرون على استعمار الأرض ونهب خيراتها، وصدق من قال: إن الغرب تعمق في مسائل علم النفس كي يستخدمه في أغراضه الاستعمارية.

هذا الكلام ليس لغرس اليأس والإحباط في النفوس، وإنما لنعرف مواقع ضعفنا وقوتنا، وكيف نستكمل مواطن القوة، ومن أين يأتينا الخلل، وليس من الأساليب الحكيمة أن نُفرح الشباب المسلم بأننا قوة يُخشى بأسها ثم يتبين لهم بعدئذ ما يؤيد عكس هذا، بل نعطي أنفسنا الحجم الحقيقي، ونكون متفائلين بأن الإسلام هو الغالب بإذن الله، وسيبلغ أقطار الأرض، وهو التحدي الحضاري أمام الغرب فعلاً، ولا يوجد أمة أو شعب يملك منهجاً متكاملاً به يُعتز وبه يتميز مثل المسلمين، والغرب يكره أشد الكراهية من يتعالى عليه، ولكن هذا المنهج يحتاج إلى تطبيق على أرض الواقع.



المدارس الأهلية
الواقـع الـمرير
والأمل المنشـود

محمد الناصر

تؤسس المدارس الأهلية عادة من أجل أهداف خاصة يحددها أصحاب هذه المدارس، أو المؤسسات التي أقامتها، أو لسد حاجة تعليمية ملحة لم تغطها المدارس الحكومية.

وقد كانت البعثات التبشيرية سباقة إلى هذا المجال في بلاد المسلمين، لأغراض التبشير تحت مظلة الاستعمار الحديث، وما يزال تأثيرها قائماً حتى الآن...

ثم قامت مدارس وطنية في بلاد المسلمين، بعضها سار على نهج العلمانيين متأثراً بالهجمة الفكرية الغربية، وبعضها الآخر أراد أصحابه إيقاف هذا الغزو الصليبي، فأنشأ مدارس متناثرة في أنحاء العالم الإسلامي لنشر تعاليم هذا الدين الحنيف، وهذا الذي يعنينا في هذا المقال.

المدارس التبشيرية الأجنبية

ركز أعداؤنا على زرع المدارس والجامعات ني بلادنا منذ مطلع هذا القرن، من

أجل تشكيك أبناء المسلمين في قيم الإسلام ومعتقداته باسم العلم والمعرفة، وتمكنوا من تخريج كثير من أبناء المسلمين، قاد بعضهم دفة الحكم في أقطارهم فترة من الزمن، فكانوا أسوأ خلف لشر سلف من أسيادهم. فقد اعتبر هؤلاء أن « المدارس من أحسن الوسائل لترويج أغراض المبشرين ».(١)

حرص هؤلاء أن تؤسس هذه المدارس والجامعات على النمط العلماني الغربي ظاهراً. يقول تاكلي: « يجب أن نشجع إنشاء المدارس على النمط الغربي العلماني لأن كثيراً من المسلمين قد زعزع اعتقادهم بالإسلام والقرآن حينما درسوا الكتب المدرسية الغربية وتعلموا اللغات الأجنبية. »

وكانت الأغراض الحقيقية إذن من إنشاء هذه المدارس والجامعات هو التخريب العقائدي والفساد لمصلحة المستعمر، تحت مظلة العلم والمعرفة والتحديث والعلمانية. وقد تنوعت وسائل المبشرين في أعمالهم هذه فأسسوا المدارس للأطفال، وللبنات، وأنشأوا قسماً للطب وآخر لنشر الإنجيل. (٢)

ومن وسائل المبشرين في كل من سوريا وفلسطين:

١- توزيع نسخ من الإنجيل.

٢- التبشير عن طريق الطب.

٣- المدارس والكليات.

٤- الأعمال النسائية مثل: زيارة المبشرات لمنازل المسلمين وإلقائهن المحاضرات الخاصة... (٣)

وكانوا يستغلون الفقر والحاجة في بعض بلاد المسلمين، فيختارون الأطفال دون سن الخامسة لقاء مبلغ من المال، ويرسلون بعضهم - بعد تدريسهم في مدارس التبشير - إلى فرنسا، كما حصل في السنغال، إذ يعود الصبي مسيحياً إلى بلاده، ويمنح حق المواطن الفرنسي في المستعمرات من حيث المستوى

الاجتماعي والوظائف. ومن أمثلة هؤلاء: سنغور « سان جورج » رئيس جمهورية السنغال السابق، **فهو مسيحي، لكن أبويه وإخوته مسلمون**.(٣)

لقد خرجت المدارس والجامعات التبشيرية كثيراً من قادة الفكر والسياسة في بلاد المسلمين، ومعظمهم من النصارى والموتورين، ومن أبرزهم: ميشيل عفلق، وجورج حبش، وقسطنطين زريق وأنطون سعادة.(٤)

واهتمت هذه المدارس الأهلية بتعليم المرأة المسلمة لإخراجها من دينها عنوة. تقول الصليبية (آنّا مليجان): « ليس هناك طريق لهدم الإسلام أقصر مسافة من تعليم بنات المسلمين في مدارس التبشير الخاصة، إن القضاء على الإسلام يبدأ من هذه المدارس التي أنشئت خصيصاً لهذه الغاية، والتي تستهدف صياغة المرأة المسلمة على النمط الغربي، الذي تختفي فيه كلمة الحرام والحياء والفضيلة».(٥)

لقد نجحت هذه المدارس الأهلية في أداء مهمتها بالعمل الجاد وحسن التخطيط، واتباعها وسائل تربوية حديثة مستفيدة من دعم الأثرياء ورجال الكنيسة وحكومات الاستعمار.

المدارس الأهلية الإسلامية

شعر المسلمون بالخطر وقد أفسد عليهم أبناءهم، فحاول بعض أهل الخير والغيرة أن يرمموا بعض هذا الخراب وأنشأوا عدداً من المدارس الأهلية المتناثرة في أنحاء بلادهم، اعتباراً من الأقطار العربية في آسيا وأفريقيا أو في بلاد المسلمين في هاتين القارتين، ثم تبعتها محاولات لأبناء الجاليات الإسلامية في أوربا وأمريكا.

كانت جهود هذه المدارس طيبة، ويكفي المخلصين من أصحابها الأجر والمثوبة إن شاء الله... إلا أنها ما تزال تتعثر في أساليبها ومناهجها، ويسود معظمها الارتجال وأخطاء أخرى، أبعدتها عن تحقيق الأهداف المرجوة، ويمكن الإشارة إلى أهم هذه الأخطاء والانحرافات:

أ- يسود معظمها الارتجال وعدم التخطيط، ؛ إذ سرعان ما تنشأ الفكرة ثم يبحث عن المبنى وبعد ذلك تكون الصدمة في عدم وجود الكوادر الإدارية المناسبة ولا هيئة التدريس المؤهلة، ولا حتى فكرة واضحة عن المناهج الإضافية والأنشطة المختلفة.

ب- الإشراف والإدارة: بسبب السرعة قد لا يوضع الرجل المناسب في المكان المناسب، فيضطر أهل الخير لاختيار مشرفين أو إداريين من غير ذوي الاختصاص التربوي.

وإنه لأمر طبيعي أن يشرف المهندس على مباني المدارس وتهيئتها صحياً، وأن يباشر الطبيب المسلم الإشراف على علاج أبناء المسلمين فيها، وأن يستلم المدرس التربوي أمر التدريس أو الإشراف الإداري إن كانت خبرته كافية.

أما أن يسلم الإشراف والإدارة إلى المهندسين والأطباء أو التجار، فإنه لأمر مفزع ومؤسف حقاً حيث لا يستفاد من الكفاءات والاختصاصات في مجالاتها المناسبة ثم يقال بعد ذلك: ليس بالإمكان أحسن مما كان... هاتوا البديل.

ج- الهاجس المادي: وهو من العوائق التي تقف أمام اختيار الكفاءات في التدريس، وهو الشبح الذي يجعل أصحاب الحاجات يرتضون بالأجر الزهيد.. أو هو الذي يقدم الخريجين الجدد لأن رواتبهم أقل... وطبيعي أن عطاء هؤلاء سيكون ضعيفاً. وبذلك يتحول أطفال المسلمين إلى مراكز تجارب وتدريب.. حتى إذا اكتسب المستجدون الخبرة، أو اكتفى صاحب الحاجة، تحول المدرسون إلى الوظائف الأخرى ذات الحوافز الأفضل.. وهكذا يستمر التخبط.. أين أموال المسلمين الفائضة؟ أين التضحيات العقدية؟! ابحث عنها في المحاضرات والخطب والتنظير...

د- أما رياض الأطفال(٦): فكثير منها أصبح أشبه بأماكن يتجمع فيها الأطفال في ملعب آمن على سلامة أبدانهم. أما حالتهم النفسية، وحالتهم العقدية

والدينية، وقدراتهم العقلية فحدث عنها ولا حرج. إنها توأد بخشونة المعاملة أو الجهل بنفسية الأطفال فيتخرج هؤلاء في المجتمع وقد امتلأوا بالعقد النفسية، والانحرافات الخلقية.

وبعض هذه المدارس لا يتفاعل مع خصائص الطفولة فيثقل على الأطفال بتحميلهم فوق قدراتهم، فيكرهون المدرسة بدلاً من أن يرتاحوا إليها.

هـ- ومما يعرقل تقدم هذه المدارس، ويعيق العملية التربوية، في بعض المدارس الجادة، تدخل حكومات تلك البلاد، فإذا كانت علمانية فهي حاقدة تجهض كل تحرك للمدارس الإسلامية.

وإذا كانت بين بين أربكت هذه المدارس بكثرة تدخل الموجهين أو الإداريين، وقد يكون هؤلاء ممن لا خبرة لديهم، أو لا يؤمنون بعقيدة أو هدف هذه المدارس، فيستغلون عصا السلطان بشراسة، ويذكروننا بسلطة المندوب السامي أيام الانتداب المشؤوم. وربما تحولت هذه المدارس بسبب هذا التدخل أو بسبب الأخطاء السابقة، إلى مكان للمشاحنات والدسائس فتضيع الأهداف وتنسى الغايات، ولا تكفي النية الطيبة في إنشاء هذه المدارس ما دامت لم تحقق أهدافها.

هذه صورة مجملة استخلصها من متابعتي لهذا الموضوع في عدد من ديار المسلمين، ولعلي لا أكون متشائماً واليأس ليس من شيم المؤمنين، ولكن الكلمة الصريحة الصادقة واجبة ولو كانت مرة لأنها أمانة تؤرق أصحابها.

فلا بد من:

١- التخطيط في وضع المناهج الجادة المساعدة ذات الهدف العقدي والأخلاقي.

٢- ومن تقديم أصحاب الخبرة والكفاءة في الإدارة والتدريس

٣- وألا يشغل الهاجس المادي أصحاب المدارس، فربح ضئيل مع الأجر العظيم خير وأبقى.

٤- التعاون بين المدارس الإسلامية، والاستفادة من الخبرات فيما بينها، لأن رسالتها رسالة عظيمة.

إننا نريد من هذه المدارس ومدارس المسلمين عموماً أن تخرج الدعاة والمصلحين، إذ ما بال مدارس التبشير قد تضافرت جهود القائمين عليها - رغم باطلهم-، والمسلمون تتفرق كلمتهم رغم الحق الذي يحملونه؟!

وإنه لأمل يراودنا في نجاح هذه المؤسسات، وأن تقوم بدورها العظيم، وتحقق الأمل المنشود.

المصادر

١- الغارة على العالم الإسلامي ص ١٠١، الدار السعودية للنشر

٢-٣ انظر تفصيلاً لذلك في: التبشير والاستعمار، والغارة على العالم الإسلامي

٤- الغزو الفكري والتيارات المعادية للإسلام: القسم الخامس، إعداد الشيخ أحمد بشير « نقلاً عن التبشير والاستعمار ».

٥- في مسألة السفور والحجاب، د. عبد الودود شلبي ص ٤

٦- انظر كتابنا: تربية الأطفال في رحاب الإسلام (فصل رياض الأطفال ص ٤٥٣)

* * *

هجـــرة اليهـــود الفلاشـــا

مازن عبد الله

يتمتع غالبية يهود الولايات المتحدة بمداخيل مادية ضخمة ونفوذ كبير في المؤسسات المالية والاجتماعية والسياسية، وبالإضافة إلى مناخ الحريات الشخصية هناك؛ فضل هؤلاء البقاء على الهجرة ومناصرة إسرائيل من مواقعهم المؤثرة داخل الولايات المتحدة الأمريكية... ولما كانت هجرة يهود أمريكا محكومة بهذه الظروف التي تجعل هذه الهجرةمحدودة، كان أمل إسرائيل مركزاً على هجرات كثيفة من دول الكتلة الشرقية عامة والاتحاد السوفييتي بشكل خاص...

لقد ركزت الحركة الصهيونية على الضغط على الاتحاد السوفييتي للسماح لليهود السوفيات بالهجرة، واستخدمت في سبيل ذلك كل وسائل الضغط السياسي والإعلامي بربط موضوع الهجرة بحقوق الإنسان، كما تحرك اللوبي الصهيوني في الولايات المتحدة ليجعل موضوع هجرة اليهود السوفييت على جدول أعمال أية مباحثات تدور بينها وبين الاتحاد السوفييتي... وبعد انتهاء الحرب العالمية الثانية، كان اليهود وحقوقهم الثقافية والدينية وهجرتهم في صلب المواضيع التي دارت حولها الحرب الباردة. وقليلة هي الاجتماعات التي عقدت بين مسؤولين أوروبيين

أو أمريكيين ومسؤولين سوفيات بعد الحرب؛ ولم يكن موضوع الهجرة اليهودية ضمن جدول اعمالهم، فبقي هذا الموضوع مشهراً في وجه الاتحاد السوفييتي مع تعاقب قياداته ومسؤوليه.

وقبل الدخول في تفاصيل هجرة يهود الاتحاد السوفييتي نود الإشارة إلى هجرتين سبقتا هذه الهجرة، ولو أنهما كانتا أقل أهمية وأصغر حجماً.

هجرة يهود إيران:

لقد كان الشاه متعاطفاً مع إسرائيل، وكانت له علاقات وثيقة بها. ونتيجة لهذه الصلة؛ فقد كانت هجرة يهود إيران محكومة بالظروف الاقتصادية والعقائدية لهؤلاء اليهود؛ شأنهم شأن يهود أمريكا، فقد آثر أثرياء اليهود الإيرانيين البقاء في إيران وإمداد إسرائيل بالدعم المادي والمعنوي، ذلك أن الكثيرين منهم كانت لهم السيطرة على بعض قطاعات الاقتصاد الإيراني، ولم يغادر إيران سوى القليل من أصحاب الدخول المتدنية والمتعصبين الدينيين.

عندما نجحت الثورة في إيران وأسقط الشاه، بدأ اليهود هناك يخططون للهجرة إلى إسرائيل بأعداد كبيرة.. وبقدر ما كانت إسرائيل منزعجة من التوجهات المعلنة للثورة الإيرانية، فقد أسعدها أن تتدفق موجات المهاجرين من اليهود الإيرانيين إليها. وهكذا، فعندما نشبت الحرب العراقية الإيرانية وصدرت قرارات حظر توريد السلاح الأمريكي إلى إيران التي تعتمد قواتها المسلحة اعتماداً أساسياً على السلاح الأمريكي؛ جاءت إسرائيل لتنتهز الفرصة، وبعد اتصالات سرية، قامت بشحن قطع غيار لطائرات الفانتوم والدبابات الأمريكية مع كميات من الذخيرة، وذلك مقابل السماح بإقامة جسر جوي حمل الآلاف من اليهود الإيرانيين إلى إسرائيل. ولكن هذه الرحلات توقفت بعد فترة قصيرة من بدئها وذلك لأسباب عديدة ما لبثت أن حُلَّت، فأُكملت الصفقة التي كانت تحلم بها إسرائيل، وذلك في سبتمبر عام ١٩٨٧، حيث سمحت إيران بهجرة حوالي ٣٠,٠٠٠ يهودي

إيراني بدأ عن طريق تركيا، ثم جواً أو بحراً من تركيا إلى إسرائيل.

هجرة يهود أثيوبيا « الفلاشا »:

الولايات المتحدة الأمريكية، وبشخص رئيسها جورج بوش تتدخل لدى أطراف عديدة في منطقة البحر الأحمر لتنفيذ عملية مدنية عسكرية، قام خلالها الجيش الإسرائيلي بـ « مهمة إنسانية » لإنقاذ مجموعة يهودية « معرضة للإبادة ». لقد بدأت العملية ليل ٢٦ أيار ١٩٩١ حيث تمكنت إسرائيل من نقل حوالي ١٤,٥٠٠ يهودي أثيوبي من أديس أبابا إلى تل أبيب خلال ست وثلاثين ساعة على متن أربعين طائرة عملاقة معظمها تابع للجيش من طراز هيركوليز - ١٣٠ سي، وأخرى استؤجرت وأزيلت مقاعدها فحشر فيها الفلاشا حشراً وهم جلوس على أرضيتها، لتتسع لأكبر عدد منهم.

لقد بدأت عمليات تهجير الفلاشا إلى إسرائيل في بداية الثمانينات. ومع ظهور الحاجة إلى مزيد من المهاجرين لزيادة الكثافة السكانية مهما كانت مهاراتهم قليلة، بدأت الوكالة اليهودية بتنظيم حملة لجمع التبرعات خاصة في كندا والولايات المتحدة لتمويل عملية تهجير يهود أثيوبيا.

في أواخر السبعينات، كانت الوكالة اليهودية قد بعثت ببعض عملائها ووعاظها ليعيشوا بين يهود أثيوبيا. وهناك تمكن هؤلاء من نشر فكرة أن اليهود الأثيوبيين سيتعرضون في المستقبل القريب إلى حملات الاضطهاد وإرهاب من قبل عناصر معادية للسامية، بالإضافة إلى توزيع نشرات دعائية عن أرض الميعاد والخير والنعيم الدائم الذي ينتظر كل يهودي يهاجر إليها.

على صعيد آخر، وخلال زيارته إلى أمريكا في محاولة لشراءالسلاح، اصطدم الرئيس الأثيوبي منجستو هيلا ميريام برفض أعضاء الكونغرس الموافقة على بيع سلاح أمريكي لأثيوبيا. عندئذ نصح البعض منغستو بالاستعانة بنفوذ إسرائيل في الكونغرس. وكان « بيغن » آنذاك في الولايات المتحدة يجري مباحثاته الشهيرة مع

للتزود بالوقود على أنها طائرات ترانزيت عابرة، ومن ثم تقلع مباشرة إلى إسرائيل... لقد استمرت تلك العملية فترة على هذا المنوال، قامت خلالها الطائرات البلجيكية بثمان وعشرين رحلة نقلت فيها حوالي عشرة آلاف يهودي أثيوبي إلى إسرائيل، حتى توقفت بعد حادثة تسرب الغاز في إحدى مخازن البضائع التي كان يخبأ فيها اليهود الفلاشا وانكشاف العملية.. فلقد اعترف متحدث رسمي أسرائيلي في مؤتمر صحفي يوم ١٩٨٥/١/١٦ بأن إسرائيل قد رتبت فعلاً تلك العملية السرية التي تحدث عنها بزهو وفخر واعتبرها من أهم العمليات التي نفذتها مخابرات بلاده بنجاح.

عملية سبأ:

بعد انكشاف أمر العملية الأولى أي « عملية موسى »، أخذت المخابرات الأمريكية على عاتقها أمر تنفيذ العملية التالية والتي أطلق عليها اسم عملية «سبأ». وفي ١٩٨٥/٣/٦ قام الرئيس الأمريكي الحالي جورج بوش، والذي كان يشغل في تلك الأثناء منصب نائب الرئيس، بزيارة خاصة للسودان فاجتمع بالرئيس النميري وأقنعه بالعملية الجديدة التي وعده بأن المخابرات الأمريكية بكل ثقلها هي التي ستتولى تنفيذها. لقد وافق النميري على العملية شرط أن لا تتوجه الطائرات الأمريكية التي ستقل الفلاشا إلى إسرائيل مباشرة وإنما تتوجه إلى إحدى القواعد الأمريكية في أوروبا أولاً ومن ثم تتابع رحلتها إلى إسرائيل، ولكن عند بدء تنفيذ العملية في ١٩٨٥/٣/١٨ تجاهلت المخابرات الأمريكية هذا الشرط؛ فكانت طائرات الشحن العسكرية تقلع من إحدى القواعد العسكرية الأمريكية في أوروبا لتصل إلى مطار العزازا بشرق السودان ثم تقلع بحمولتها من يهود الفلاشا مباشرة إلى أحد المطارات العسكرية الإسرائيلية في النقب.

لقد اختارت المخابرات الأمريكية مطار العزازا المهجور كبديل عن مطار الخرطوم، وذلك لقربه من منطقة « القضارف » ولسهولة إحكام السيطرة الأمنية

عليه، فهيأت ممراته بحيث يصبح جاهزاً لاستقبال طائرات النقل العسكرية الضخمة من طراز سي ١٣٠ والتي استخدمتها في تلك العملية... لقد شارك في تنفيذ العملية وزيادة في التمويه، موظفو هيئة الإغاثة الدولية الذين تم تجنيدهم لصالح المخابرات الأمريكية. ولكن بالرغم من كل تلك الاحتياطات والتدابير الأمنية المشددة، فقد تسربت أنباء تلك العملية وخاصة بعد حادثة مراسل صحيفة لوس أنجلس تايمز، وذاع السر، فبدأت تتناقله في ١٩٨٥/٣/٢٢، الدوائر الصحفية والسياسية، وهكذا توقفت العملية الثانية بعد فترة قصيرة من بدئها، قامت الطائرات الأمريكية العسكرية خلالها بست رحلات فقط نقلت فيها آلاف اليهود الفلاشا إلى إسرائيل.

التغييرات الدولية والعملية الجديدة:

في عام ١٩٨٩، وعندما بدأت ملامح تغير موازين القوى الدولية والإقليمية تظهر، خاصة بين أمريكا والاتحاد السوفييتي ومن ثم بين إسرائيل والدول العربية، أعلنت أثيوبيا عن إعادة علاقاتها الديبلوماسية مع إسرائيل، بعد قطيعة دامت ٢٢ سنة. عندئذ بدأت إسرائيل تخطط لعقد صفقة مع أثيوبيا تكون عملية تهجير اليهود الفلاشا من أهم عناصرها. وهكذا لم تستغرق المسألة وقتاً طويلاً حتى تمكنت إسرائيل من عقد صفقة مهمة مع أثيوبيا، وإن لم تستطع أن تحقق كل ما كنت تطمح له وبالسرعة التي تريدها... فلقد وافقت إسرائيل على إمداد أثيوبيا بالسلاح والعتاد والمستشارين العسكريين ومستشارين في مجال الري والزراعة ومجالات أخرى، مقابل موافقة أثيوبيا على السماح لإسرائيل بإقامة قاعدة تنصت واستشعار عن بعد في إحدى الجزر الأثيوبية بالبحر الأحمر، بحيث يمكنها هذا الموقع من التجسس الالكتروني على السعودية واليمن، وموافقتها على تهجير اليهود الفلاشا من أثيوبيا إلى إسرائيل. وفعلاً، فلقد تأكد لدى دوائر المخابرات أن تهجير يهود أثيوبيا إلى إسرائيل بدأ مباشرة بعد وصول أول دفعة من الأسلحة

الإسرائيلية إلى أثيوبيا.

عملية جسر سليمان:

وكما ذكرنا في مطلع حديثنا عن اليهود الفلاشا، فلقد تابع رئيس الولايات المتحدة الحالي وعراب عملية سبأ: جورج بوش، وبصورة شخصية، الجهود الرامية إلى ترحيل حوالي ١٦ ألفاً من الفلاشا إلى إسرائيل، خوفاً عليهم من مغبة انفجار الوضع في أديس أبابا وخاصة بعد انهيار حكومتها.

فبعد انتهاء حرب الخليج وانقلاب موازين القوى السياسية والعسكرية، الدولية والإقليمية، وتفرد أمريكا شبه التام بالساحة الدولية، أوعزت إلى بعض عملائها في بعض الجبهات الثورية في جنوب وغرب أثيوبيا وأعطتهم الضوء الأخضر من أجل تفجير الأوضاع في البلاد. وعندما انفجر الوضع في أثيوبيا، سارع جورش بوش ليتصل بادىء الأمر، وحسب مراسل صحيفة نيويورك تايمز، بالرئيس الأثيوبي منغستو هيلا ميريام وناشده الإسراع بترحيل ما تبقى من اليهود الفلاشا من أثيوبيا إلى إسرائيل و « لأسباب إنسانية ».، للم شملهم مع أسرهم وأقربائهم الذين تم ترحيلهم من قبل في عمليتي موسى وسبأ. ولكن عندما ربط منغستو موافقته على هذا الطلب مقابل موافقة أمريكا على إمداد حكومته بالسلاح وإعطائه مئة مليون دولار نقداً، تخلى عنه بوش..

بدأت الأحداث تتسارع في أثيوبيا، وبدأ الثوار الذين تمثلهم « جبهة الشعب الأثيوبي الديموقراطية الثورية » و « جبهة ثوار أورومو » و « الجبهة الشعبية لتحرير أرتيريا » يحرزون نجاحات سريعة في زحفهم نحو العاصمة وميناء عصب، الميناء الوحيد الذي يربط أثيوبيا بالعالم الخارجي، فشعر منغستو بدنو أجل حكومته فتنازل عن الحكم لنائبه تيسفاي كيدان الذي شكل حكومة جديدة بعد هروب منغستو إلى زمبابوى حيث طلب حق اللجوء السياسي.. عندئذ عادت أمريكا لتدخل على خط الأحداث ثانية. والغريب أن المفاوضات حول ترحيل اليهود

الفلاشا لم تكن تتم بين الحكومة الإسرائيلية والحكومة الإثيوبية. ولكن عبر وسيط أمريكي، هو اليهودي هيرمان كوهين، مساعد وزير الخارجية الأمريكية للشؤون الأفريقية. وكان المبرر الذي تجري بموجبه هذه المفاوضات هو محاولة عقد مؤتمر لحل النزاع بين الثوار والحكومة الأثيوبية والذي اتخذت لندن مقراً له. في تلك الأثناء كانت الأحداث تتسارع في أثيوبيا وبدأت كفة الميزان تترجح لصالح الثوار الذين سيطروا على ميناء عصب وعلى غالبية المواقع الاستراتيجية في البلاد وبدأوا زحفهم الأخير نحو العاصمة. عندئذ طلبت الحكومة الأمريكية ممثلة بكوهين تأجيل المفاوضات في لندن وتأجيل اقتحام الثوار العاصمة، وكان هدف كوهين من هذا التأجيل، هو الحصول على مهلة تسمح بنقل الفلاشا عبر جسر جوي يربط بين أديس أبابا وإسرائيل قبل تدمير العاصمة عند اقتحامها.. وهكذا كان، فلم يستغرق الأمر أكثر من خمسة أيام و٣٥ مليون دولار، كانت من نصيب الحكومة الأثيوبية، تم خلالها نقل جميع اليهود من الفلاشا، الذين جمعوا في مخيمات قرب السفارة الإسرائيلية في العاصمة، عبر مطار أديس أبابا إلى إسرائيل.

بعد انتهاء هذه العملية التي أطلق عليها اسم عملية « جسر سليمان » مباشرة، استؤنفت في ٢٧/أيار/١٩٩١ المفاوضات التي أعلن فيها كوهين القرار الأمريكي بإعطاء الضوء الأخضر للثوار باقتحام العاصمة. وهكذا سقطت العاصمة وسقطت معها الحكومة، وأسدل الستار على ما عرف بقصة اليهود الفلاشا في أثيوبيا.

التطبيع

استراتيجية الاختراق الصهيوني

تأليف: غسان حمدان
عرض د. يوسف الصغير

يعتبر هذا الكتاب من الكتب المهمة في هذا الموضوع حيث إنه يجمع بين صغر الحجم نسبياً (٢٥٦ صفحة من القطع المتوسط) وغزارة المعلومات والإحصاءات الموثقة المعروضة عرضاً جيداً من وجهة نظر إسلامية في عمومها ويتكون هذا الكتاب من مقدمة وسبعة فصول.

في المقدمة ألقى الضوء على كارثتين ابتليت بهما الأمة في هذا العصر وهما إلغاء الخلافة الإسلامية ودور التآمر اليهودي والصليبي فيها، والثانية اغتصاب فلسطين وإقامة دولة اليهود فيها وما تبع ذلك من استغلال العشرات من الحركات والأحزاب المنحرفة لهذه الأحداث وإعلانها الوصاية على الشارع الإسلامي بادعائها العداوة مع اليهود ومقاومة الوجود اليهودي في فلسطين على الرغم من مدهم الأيدي لهم في الخفاء. ولبيان منحنى العلاقات الظاهرة بين العرب ودولة اليهود عقد الكاتب الفصل الأول حيث بين أن الإجماع العربي الرسمي على رفض الاعتراف بالعدو كان شاملاً منذ العام ١٩٤٨ وحتى هزيمة ١٩٦٧ م باستثناء موقف الرئيس التونسي بورقيبة، وكانت المقاطعة من أبرز ملامح هذه الحقبة

حيث اتخذ مجلس الجامعة العربية في أيار ١٩٥١ م قراراً بإنشاء مكتب المقاطعة العربية لإسرائيل وقد أُنفقت أموالاً هائلة على جهاز المقاطعة، ولكنها لم تمنع تسرب البضائع الإسرائيلية إلى الدول العربية، وبالعكس وقد ازداد التسرب كثيراً بعد حرب ١٩٦٧ م، فقد كان البترول العربي يستورد عن طريق طرف ثالث أو يفرغ مباشرة من الناقلات في عرض البحر، وكانت المنتجات الإسرائيلية تتسرب عن طريق دول مجاورة مثل إيران واليونان وقبرص، أو عن طريق مراكز تصديرية عالمية مثل تايوان وهونغ كونغ.

وبدأت مرحلة جديدة بعد زيارة السادات للقدس، حيث برز اصطلاح جديد وهو التطبيع، وقد استعمله اليهود كثيراً على الرغم من المغالطة في المفهوم حيث أن التطبيع هو عودة العلاقات إلى سابق عهدها، بينما الأصل في العلاقة مع اليهود هو العداوة كما قال تعالى: ﴿ **لتجدن أشد الناس عداوة للذين آمنوا اليهود والذين أشركوا** ﴾ ولا ينكر الساسة اليهود أن التصور الإسرائيلي للسلام مع العرب يدور حول فكرة أساسية هي تطبيع العلاقات العربية الإسرائيلية التي هي مرحلة من مراحل السيطرة اليهودية، ولا يمكن تصور أن زيارة السادات للقدس كانت وليدة خاطرة في ذهن الرئيس، بل إن الاتصالات الإسرائيلية كانت مستمرة بلا انقطاع مع أكثر من طرف عربي. وما نشر وينشر عن كتب موثقة حول لقاءات شخصيات وزعماء عرب مع زعماء اليهود يغني عن ذكر الأسماء، فالأمر أصبح واضحاً لكل ذي لب.

وهناك صلات ودية حميمة بين بعض الزعماء وزعماء إسرائيل وقد سمحت بعض السلطات لليهود والذين يهاجرون إلى إسرائيل بالاحتفاظ بجنسية البلد الذي غادروه، وكثير من مسؤولي إسرائيل الآن هم من ذاك البلد وقد طالب زعيم هذا البلد في مقابلة مع صحيفة السياسة الكويتية بالاعتراف بإسرائيل واعتبارها «حارة» لليهود في الدول العربية.

وإذا كانت الاتصالات الإسرائيلية - المارونية ليست محل استغراب فإن

الاتصالات الفلسطينية - الإسرائيلية توضح إلى أي مدى وصلت إليه القيادة الفلسطينية حيث اشتمل الكتاب على حقائق وإحصاءات كثيرة، ويجدر الإطلاع عليها فهي تحتوي على معلومات عن مفاوضات ولقاءات كثيرة سواءً بين أفراد أو بين وفود منها ما هو سري ومنها ما هو علني. أما الاتصالات المصرية-الإسرائيلية فقد جرت بشكل سري في عهد عبد الناصر تحت إشراف أمريكي، وجاء السادات ليكمل المسيرة فبدأ بعملية إعداد إعلامي لترويض الشعب المصري وتصوير كل المصاعب بسبب الصراع، وأن السلام سيجلب الثراء، وبدأت العملية العلنية بمبادرة السادات في مجلس الشعب يوم ١٩٧٧/١١/٩م حيث أعلن فيها رغبته في زيارة القدس « وغزو العدو في عقر داره » وبعد جولات من المباحثات تم التوقيع على معاهدة كامب ديفيد التي تعتبر مثالاً يحتذى لأي معاهدة قد تجري بين العرب وإسرائيل، فهي تتعدى كونها معاهدة سلام إلى معاهدة يتم بموجبها فتح المنطقة أمام النفوذ والسيطرة اليهودية، ويمكن تلخيص مظاهر التطبيع بالآتي:

١- التطبيع السياسي حيث أرسيت علاقات دبلوماسية كاملة ولقاءات قمة متبادلة.

٢- التطبيع الاقتصادي حيث تمت إزالة جميع الحواجز بل أصبحت إسرائيل الدولة الأولى بالرعاية.

٣- التطبيع الثقافي حيث ينظر اليهود أنه الدعامة الرئيسة لبقاء السلام حيث يتم نزع العداء لليهود من العقل العربي.

ومن مظاهر التطبيع يتبين لنا أهمية التطبيع الكبيرة بالنسبة للكيان اليهودي، حيث يتم كسر الحاجز النفسي بين المسلمين واليهود، وتنتهي المقاطعة العربية مما يفتح المجال لتوسع اقتصادي كبير في إسرائيل نتيجة فتح الأسواق العربية، وهناك أمر آخر هو أهمها وهو أن الاستقرار الأمني في المنطقة سيؤدي إلى سيل كثيف من هجرة اليهود إلى إسرائيل، مما يقرب اليهود من تحقيق حلم إسرائيل الكبرى

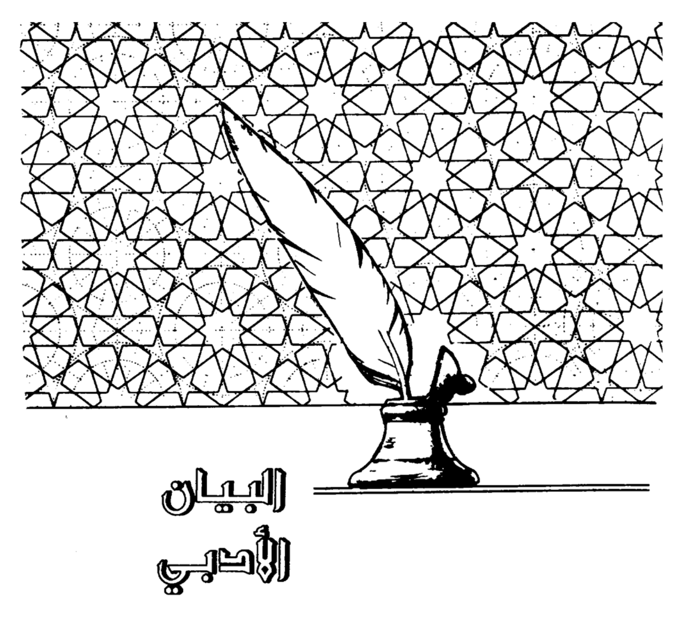
حيث أن قلة عدد السكان هو أكبر عامل يعرقل المشاريع اليهودية في المنطقة.

ويتبين من حرص اليهود على التطبيع بين مصر وإسرائيل عدة مظاهر خطيرة منها استغلال الدين وتطبيعه حيث تم تصوير زيارة السادات للقدس بأنها إحياء لسنة الرسول صلى الله عليه وسلم في صلحه مع قريش، وسنة صلاح الدين في دخوله القدس، وقد أصر اليهود على منع بث السور التي تتحدث عن اليهود وحذف الآيات التي تفضح اليهود من الكتب الدراسية، وكذلك منع البرامج الدينية التي تتناول قصص اليهود والواردة في القرآن، وأخيراً تأليب النظام على الحركة الإسلامية.

وبعد أن تم توقيع الاتفاقية الثقافية الملحقة بكامب ديفيد في ١٩٨٠/٥/٨ م أسرعت الحكومة المصرية وقامت بمراجعة شاملة لمناهج التعليم في مصر وتعديلها لتلائم المرحلة الجديدة، وبالطبع لم يتم شيء من هذا في الجانب اليهودي .

إن اليهود مصرون على تحقيق هدفهم مستعينين على ذلك بتواطؤ الحكومات العربية إضافة إلى جدهم وجلدهم، فمنذ الأيام الأولى لتأسيس إسرائيل صرح بن غوريون في كلمة موجهة إلى الطلاب اليهود بقوله: « إن هذه الخارطة ليست خارطة شعبنا، إن لنا خارطة أخرى عليكم أنتم طلاب المدارس اليهودية وشبابها أن تحولوها إلى واقع... يجب أن يتسع شعب إسرائيل من النيل إلى الفرات.»

إن حلقات هذا المسلسل لن تنتهي إلا بتحقيق موعود الله تعالى لهذه الأمة على لسان نبيها بأن تحصل المجابهة النهائية بين اليهود وبين جند الإسلام حيث قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: « لا تقوم الساعة حتى يقاتل المسلمون اليهود فيقتلهم المسلمون حتى يختبئ اليهودي وراء الحجر والشجر فيقول الحجر والشجر يا مسلم يا عبد الله هذا يهودي خلفي فتعال فاقتله..» رواه مسلم والترمذي. فما يحصل الآن هو بشارة لهذه الأمة بعودة دولة الإسلام وإن الله جامع اليهود ليوم الملحمة.



- مناهج لا كلمات

- وقفة على أبواب مستوطنة يهودية

- إبحار في زمن السقوط

مناهج لا كلمات

د. عبد الله عمر سلطان

« التجرد » ادعاء أم ممارسة؟

سؤال مطروح في أوساط المفكرين والمصلحين منذ القديم، والسؤال نفسه يجد طريقه إلينا بصورة شاخصة قوية اليوم لا سيما ونحن نعيش عصر الانبعاث الإسلامي اللحظة بصورة متجددة...

وبقدم السؤال... بأهمية الإجابة.. بحجم القضية.. وباتفاق الأطراف على إجابة واحدة لا تدع مجالاً للمراوغة ولا مساحة للتدليس!

التجرد ممارسة وتطبيق وواقع ينطلق من قناعة ونظرية ومُسلَّمة.. والتجرد في عرف الأمة الوسط ظل هكذا، وعاش كذلك دون أي بهرجة أو فلسفة مخلة...

التجرد يعبر عنه رجال خير القرون، ورواد أهل السنة بتلك العبارة الشهيرة «قد أحسن من انتهى إلى ما قد سمع »... وتأملوا قصة هذا الحديث وتوقفوا لحظات قسرية أمام هذا النموذج البسيط المدهش! « عن حصين بن عبد الرحمن قال كنت عند سعيد بن جبير فقال: أيكم رأى الكوكب الذي انقض البارحة؟ فقلت أنا: ثم قلت: أما إني لم أكن في صلاة ولكني لدغت. قال فما

صنعت، قلت ارتقيت، قال فما حملك على ذلك؟ قلت حديث حدثناه الشعبي؛ قال: وما حدثكم؟ قلت حدثنا عن بريدة بن الحصيب أنه قال: لا رقية إلا من عين أو حُمَة؛ قال: قد أحسن من انتهى إلى ما قد سمع..، ولكن حدثنا ابن عباس عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: عرضت علي الأمم، فرأيت النبي ومعه الرهط، والنبي معه الرجل والرجلان، والنبي ليس معه أحد إذ رفع لي سواد عظيم فظننت أنهم أمتي، فقيل لي: هذا موسى وقومه فنظرت إلى سواد عظيم فقيل لي: هذه أمتك ومعهم سبعون ألفاً يدخلون الجنة بغير حساب ولا عذاب، ثم نهض فدخل منزله فخاض الناس في أولئك فقال بعضهم فلعلهم الذين صحبوا رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال بعضهم لعلهم الذين ولدوا في الإسلام ولم يشركوا بالله شيئاً.. وذكروا أشياءً فخرج عليهم رسول الله صلى الله عليه وسلم فأخبروه فقال: هم الذين لا يسترقون ولا يكتوون ولا يتطيرون وعلى ربهم يتوكلون، **فقام** عكاشة بن محصن فقال: ادع الله أن يجعلني منهم، فقال أنت منهم. ثم قام رجل آخر فقال: ادع الله أن أكون منهم... قال سبقك بها عكاشة» [متفق عليه واللفظ لمسلم].

والحديث على ما فيه من العبر والدروس والتي لا تنقضي فإنه يمر على أكثرنا اليوم دون توقف أمام النص المعجز.. والنبراس المضيء... وقفة تأمل وتتلمذ واجبة، هل نقف أمام الخوف الشديد من الرياء والتابعي الجليل يقول لمن توهم بأنه شاهد النجم حيث كان يقوم الليل بعبارة « ولكني لدغت..»، أم أمام الحوار الدائر بين جمهرة الصحابة في القضايا الهامة وحرصهم على الخير..، أم أمام مفهوم التوكل والأسباب؟ أم أمام ظاهرة التطير؟ كلها وقفات مهمة لكننا سنختار موضعاً واحداً للوقوف **والاعتبار..**

هذا هو المنهج.... التابعي الأول مجتهد محسن في عرف أخيه، لأنه اتبع أصح الأدلة وسار على أوضح المسالك التي كانت بين يديه.. وهذا دأبهم، في ظل

مفهوم التجرد المكرس واقعاً، لا يتخذ من الموقف السابق والدليل المرجوح إلا سلماً في الطريق إلى الحق المطلق الثابت بصورة أوكد.

هكذا بكل تجرد.. وتواضع.. وتنازل يؤخذ بزمام الحق.. ويُتولى شطر اليقين. من كان هذا دليله وذلك منهجه يفرح حقاً بالوصول إلى الأسلم ويحلق بقوة واندفاع في اتجاه جديد عليه لكنه مؤمن به كل الإيمان..، دأب صاحب هذا التوجه، التجرد مما آمن به في لحظة ثبوت الحق القاسي على النفوس التي تظن أن تبنيها مواقف سابقة تجعلها مرتبطة آلياً بها، هكذا دون نقاش، وإن إعلان الخطأ طقس من طقوس الضلال.. الذي يجب ألّا يقترف.

خط صاحبنا التابعي يقول: اسمعوا لا شيء يقف في طريق الحقيقة سوى النفوس المريضة والخيالات الهشة..، الحق في الثابت الصحيح وما كان طريقاً إليه وموصلاً بحبله طريق ليس إلا... فإذا تمسكت بمرحلة معينة وأضفت حولها قداسة وهالة فإن هذا لا يعني أنها هي الغاية من السفر المرهق، ... الغاية هناك حينما تصل إلى نهاية الرحلة... لا يمكن لأعرابي مجتهد أن يزعم أن عسفان وهي الطريق المؤدي إلى حرم الله الآمن هي البيت الحرام.. عسفان مع ما فيها من رجال خير.. ومساجد عامرة مرحلة قريبة من الوصول إلى البيت العتيق...، والأعرابي هذا إما أن يتنازل عن وهمه حينما يواجه مباشرة بأنه صحيح الظن في مساره لكنه لم يبلغ ما نذر نفسه له أو يظل مصراً على التمسك بموقفه...، إن عليه في تلك اللحظة أن يتنازل عن عسفان ووهمه الجميل الذي بناه حولها...، ويشار إليه إلى جبال سود يجد مكة بعدها... فإذا قبل الأعرابي فإنه انتهى إلى ما قد سمع... وإذا أصر على أنه لم ير في حياته مكاناً يشبه ما تخيله أنه البلد الحرام فإنه سيبقى في عسفان... وتبقى مكة هي بيت الله الحرام... بالرغم من كل الأساطير والأحلام والرؤى التي قلبت في ذهنه عسفان حتى غدت في حسه الفطري ما قصده حاجاً.

« قد أحسن من انتهى إلى ما قد سمع. »

عبارة بسيطة، وجملة مستقطعة من الحديث... ولكن كم هي عظيمة وعميقة تعلن للمسلمين على مر العصور أن القاعدة العظيمة ﴿ **لا يكلف الله نفساً إلا وسعها** ﴾ تسري على طالب الحق كما تسري على مجتنب الخبث...، ولا يسأل الله عبداً إلا ما كان في استطاعته وعلمه وتحت يده...، وتجعل من منهج « المجتهد المخطيء » مدخلاً عظيماً نقف نحن اليوم أمامه في مرحلة من عصور التقدم المادي وتظل الحضارة المعاصرة قاصرة عن بلوغه..، هذه البدهيات في المنهج تحث على التجرد في حدود الممكن والمستطاع ولا تثقل كاهل الإنسان وتلقي به في دائرة المستحيل... لكنها تصوغ في نفس الوقت الطريق الموصل من خلال التجرد المطلق للحق بلا تردد.

« قد أحسن من انتهى إلى ما قد سمع »

أمر الدين لا يؤخذ إلا هكذا في مسائل الشرع والمعتقد والتعامل اليومي! وأمام صحوة وانبعاث المسلمين اليوم تبرز ظاهرة تفرض نفسها فرضاً وتجبرنا على طرحها دون خيار.. متمثلة في تشرذم العاملين لإعادة هذا الدين حينما يغفلون عن إدراك مثل هذه القاعدة!

وحالة الانبعاث في كل عصر يصاحبها شيء من الحيرة والقلق والمحاولة حتى تستقيم الصحوة وتتصلب وتتجذر! لكن من الظلم بل من العبث أن يُضفىَ على حالات الحيرة والقلق الموصلة إلى الحق شيء من القداسة وأن يُرَشَّ من حولها بخور الكرامة لكونها محاولة وكفى إن حالنا اليوم يشبه عسفان وأعرابيها...، أن نطلق على هذه المحاولات المجتهدة صفة الثبات والأصلية يجعلها قوالب مرعبة ورموزاً عسفانية! وكلما تخيلنا وأطنبنا في خيرية المحاولة واجتهادها الطيب، فإنها مرحلة ليس إلا ومحطة في الطريق إلى الهدف المنشود، ومن ادعى غير ذلك حينما يواجه بالنص القاطع والدليل الساطع فإنما هو يتقوقع في دثور الإعرابي الذي ظل

يصرخ: وهذه المساجد، وتلك النفوس المؤمنة أليست هي بكة أم القرى؟؟ نعم أيها المجتهد إنها محاولة جادة وصادقة صدرت عنك... لكن تأمل أمامك أدلة تصرخ، ونصوص توضح، وأصول تجذر... هل تتركها وتضرب بها عرض الحائط؟ أم أنها جديرة بالبحث والنظر.. تأمل أيها الحبيب منهج سلفك... تعرض عليك القضية من هذا المنظار وتلك الزاوية فلا يكون موقفه سوى التسليم والانصياع متمتماً: قد أحسن من انتهى إلى ما قد سمع...

لم يقل.. دليلي أخذته من الشعبي.. أتشك في الشعبي وعلمه؟؟ ولم يجادل قائلاً: دليلي ثابت عن النبي صلى الله عليه وسلم كدليلك! ولم يقل... كل يأخذ بما يرتاح إليه.. أنا آخذ برأي إمام معتبر. وأنت بآخر... ولم يتباد بشعار الجهلة «اختلاف أمتي رحمة». تجرد واقعاً ممارساً وتحركاً يدب... ويندفع. واليوم... كم من الدعاة العاملين يطبق هذه القاعدة ويستسلم لهذا الشعار!! حقاً!

تأملوا من حولكم لتروا كم منا يرى في الطرق المجتهدة، مقدسات ورايات يقاتل وينتهك من أجلها كل شيء... حتى النصوص والقواطع؟ تأملوا كم منا يفكر في أن كل الجماعات العاملة والأفراد المخلصين ما هم إلا أسباب خير ومحاولات رشاد قابلة للخطأ والصواب؟

تأملوا كم الذين يتجردون للحق والثابت حتى ولو عارض من يثقون بهم وينخرطون في صفوفهم؟ تأملوا موقفنا اليوم من هذا المنهج والهدى المشع.. وموقفنا غداً بين يد الباريء... ليس بيننا وبينه ترجمان.. أفراداً لا جماعات!؟ تأملوا ثم اعرفوا بعد ذلك كم منا يقوده حصين بن عمران... وكم من مئات العاملين يعيشون منطق أعرابي عسفان! ثم بعد ذلك ثقوا بأن التاريخ بعد أمد سيقول عن كل هذه المحاولات أنها محاولات ليس إلا..، قد تنتج شجرة مباركة في ظل التجرد وقد..، تآكلت كما تآكلت أندلس بالأمس..، وتتآكل بعض قوانا واقعاً نراه على مرأى البصر.

انظروا للمتجرد من أمثال ابن تيمية حينما واجه « المتوجسين » من المقلدة الهامشين، وأدركوا بعدها كم ينجح المتجرد المتصل بالحق على أهل السلطان والفتوى والعلم الزائف.. ولو بعد حين... كما حصل لأحمد بن عبد الحليم معظم معاصريه وهم أعداؤه في ذات الوقت لم نكن لنعرف عنهم شيئاً لولا وجود ذلك الرجل الذي خالف المذهب، وأفزع المقلدة من أهل عصره حينما التزم شعار الالتزام بالحق والانتهاء إلى ما قد سمع من الثابت...، وانظروا إلى الشيخ القاسمي في بداية هذا القرن وهو يواجه المتعصبة من المذهبيين فلا يملكون أمام المتجرد / الرمز سوى اتهامه بالاجتهاد!!

وهي تهمة في نظر ضيقي الأفق وأسرى الاتباع الأبله لا توازيها تهمة!

« قد أحسن من قد انتهى إلى ما قد سمع »

منهج لا تحسن الألسنة لوكه دون أن يدب.

وكلمات متأصلة ليست طارئة.

ونداء مدوٍ له في سمع المتجردين.. والمتجردين القلة؛ أذن واعية! وعلى مر العصور والبقاع المتناثرة، لكنه يظل مشعاً كأنه كوكب دري في شعاب الحقب والزمان.

* * *

وقفـــــة على أعتــــاب

مستوطنـــة يهـــودية

شعر: د. عبد الرحمن صالح العشماوي

يا أبي ..
هذي روابينا تغشَّاها سكونُ الموتِ ..
أدماها الضجرْ
هذه قريتنا تشكو ..
وهذا غصن أحلامي انكسرْ ..
يا أبي ..
وجهك معروق ...
وهذا دمع عينيك انهمرْ ..
هذه قريتُنا كاسفة الخدينِ
صفراء الشجرْ
ما الذي يجري هنا يا أبتي ..

هل نفضَ الموتَ التترْ ؟!
يا أبي ..
هذا هو الفجر تدلَّى فوقنا من جانب الأُفقْ
وفي طلعته لون الأسى
ها هو المركب في شاطئنا الغالي رَسَا
غيرَ أنا ما سمعنا يا أبي
صوتَ الأذانْ
عجباً
صوتُ الأذانْ ؟؟
منذ أنْ صاحبني الوعيُ بما يحدث في هذا المكانْ
منذ أنْ أصغيتُ للجدَّةِ ..
تروي من حكاياتِ الزمانْ :
« كان في الماضي وكان »
منذ أن أدركتُ معنى ما يُقالْ
وأنا أسمع تكبيرَ أذان الفجرِ ..
ينساب على هذي التِّلالْ
فلماذا سكت اليومَ ..
فلم أسمعْ سوى رَجْعِ السؤالْ ؟؟!
يا أبي ..
هذا هو الفجر ترامى في الأُفقْ

هذه الشمس تمادت في عروق الكونِ
ساحت في الطرقْ
فلماذا يا أبي لم نسمع اليومَ الأذانْ ؟!
ولماذا اشتدت الوحشة في هذا المكانْ ؟؟
يا أبي ..
كنا على التكبير نستقبل أفواج الصَّباحْ
وعلى التكبير نستقبل أفواج المساءْ
وعلى التكبير نغدو ونروحُ
وبه تنتعش الأنفس تلتام الجروحُ
وبه عطر أمانينا يفوحُ
فلماذا يا أبي لم نسمع اليوم الأذانْ ؟!
ولماذا اشتدت الوحشة في هذا المكان ؟!
يا بُنيَّ اسكتْ فقد أحرقني هذا السُّؤالْ
أنت لم تسألْ ولكنّك أطلقت النِّبال
أوَ تدري لِمِ لَمْ نسمع هنا صوت الأذانْ؟!
ولماذا اشتدت الوحشة في هذا المكانْ ؟!
هذه القرية ما عادتْ لنا
هذه القرية كانت آمنهْ
هي بالأمس لنا
وَهِيَ اليوم لهم مستوطنَهْ.

إبحار في زمن السقوط

عبد العزيز بن محمد السالم

رجـل سـار عـلى درب الـرمـادْ وتـسـادى في أمـــانـــيـــه وزادْ
وعـلى كـل الـشـعـارات ارتـق خـفـقـتْ رايـاتُـه في كـل نـادْ
وتـنـادتْ بـسـمـةُ الـنـصر عـلى كـل ثـغـرٍ عـشـق الـرِّقَ ومـادْ
و(رفـاق) الـنـصر قـد بـاتـوا عـلى لَـغَـطٍ يـعـلـو وأقـداحٍ تُـعـادْ
رجـلٌ مـاتـتْ حـيـاة الـنـاس في صوته الأحمر يستهوي الجهادْ
يـدَّعـي حـبَّ المسـاكـيـن ولا يستحي من قطع أعناق العبادْ
يـتـبـاكـى حـيـنَ يـلـق أمـةً تشتكي الضعفَ وتستجدي النفادْ
ويـنـادي بـانـتـصـار الحـق مـن كل مَنْ يدعو إلى دربَ الفسادْ
ويـبُـزُّ الـنـاسَ في مـظـهـره أنـه المنـقـذُ مـن كـل الـشـدّادْ

أنـه بـذرة خـيـرٍ لـلـدنـى		يـمـلأ الأرضَ جـلالاً واجـتـهـادْ
يـمـحـقُ الـبـاطـلَ في مـعـقـلـه		ويـنـادي بـمـسـاواة الـعـبـادْ
وإذا الـشـرُّ تـنـامـى زرعُـه		في الـورى فـهـو لـه شرٌّ حـصـادْ
هـكـذا ظـنَّ وهـذا مـا ادَّعـى		هـكـذا قـالَ وهـذا مـا أرادْ
خـدعَ الـدنـيـا بـفـكـرٍ أحـمـرٍ		غـيُّـه خـافٍ وقـد أبـدى رشـادْ
بـعـبـارات عـلى مـبـسـمـهـا		ألـفُ آهٍ تـتـمـطـى في انـقـيادْ

*   *   *

كـان جـبـاراً وفي أفيائـه		مـصـنـعٌ يـعـلـو وبـنـيـانٌ يُـشـادْ
والـورى يـهـتـف في مـوكـبـه		فـهـو يـسـتـهـوي ملايـيـن الجـرادْ
في حمى (منجله) رعبٌ سرى		يحـصـد الأمـنَ وأحـلام الـرقـادْ
في حـمـى (مـنـجـلـه) شرعٌ بـه		أمـةٌ تُـسـبـى وآلافٌ تـبـادْ
لا تَسَلْ (مطرقةَ) الغدر كما		لا تَـسَـلْ (مـنـجـلَـه) عما يُـرادْ
فـلـقـد بـانَ لـنـا الحـقُّ ومـا		عـادَ يـلـهـيـنـا عـن الحق سـوادْ
سـقـطـتْ كـل الـشـعـارات الـتي		رُفـعـتْ فـوقَ مـنـار (الاتحـادْ)

*   *   *

رجـلٌ أسـقـطـه طـغـيـانُـه		رجـلٌ أنـهـكـه أهـلُ الجـهـادْ
طـالما دامـتْ ليالي عـرسـه		فـليذق من أهلِنا طعمَ الحِدادْ

قَـدُّكَ المـمـشـوقُ يـا هـذا ذوى فـاطّـرح فـكـراً هـزيـلاً وعـنـادْ

عُد إلى كهف الضلالات ومُتْ في نـواحـيـه وخـذْ مـاءً وزادْ

لا تُجـربْ حـظَّـك الـعـاثـر في دعـوة أخـرى وأثـوابٍ جِـدادْ

كـفـرَ الـنـاس بـما قـلـتَ وهـل يحـصـد المرءُ وروداً مـن قـتـادْ!

* * *

قـد تـعـجَّـبـتُ ولـكـن ليس من سَقْطَة الفكر الذي امتدَّ وسادْ

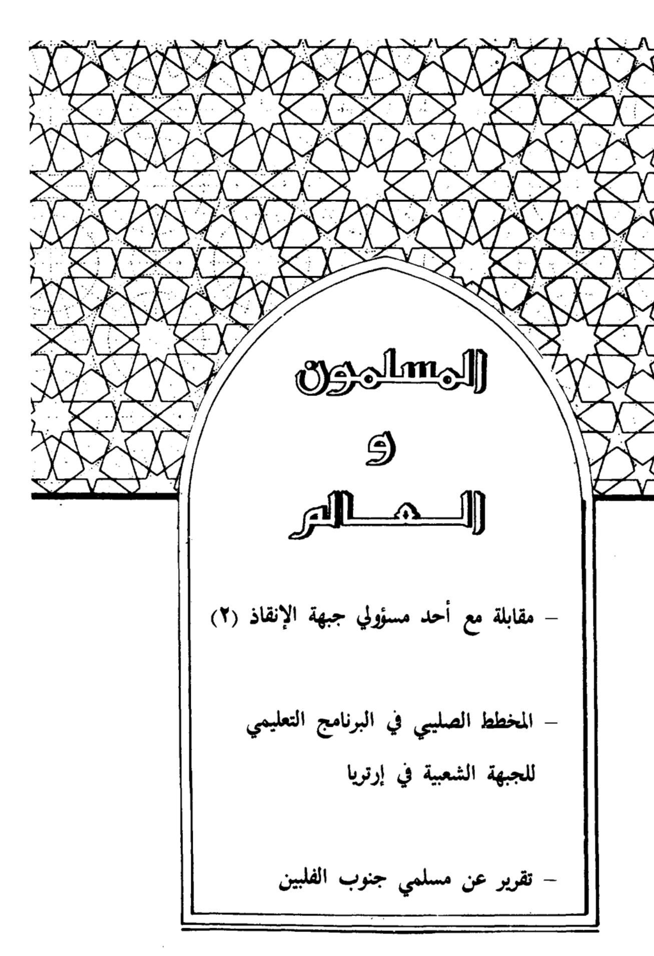
إنـما مـن بـعـض قـومـي حـيـنـما جـعـلـوا فـكـرتـه فيهـم عـمادْ

أنـا أقـسـمـتَ وهـذا الـكـون لي شـاهـدٌ قـولاً وفـعـلاً واعـتـقـادْ

أنـه لا حـظَّ في الـنـصـر لـنـا حـيـنـما نُـسْلِـمُ لـلـكـفـر الـقيادْ

إنـما الـنـصـرُ حـليـفٌ صـادقٌ لـصـلاحٍ وكـفـاحٍ وجِـلادْ

* * *



المسلمون و العالم

- مقابلة مع أحد مسؤولي جبهة الإنقاذ (٢)

- المخطط الصليبي في البرنامج التعليمي للجبهة الشعبية في إرتريا

- تقرير عن مسلمي جنوب الفلبين

مقابلة مع

رئيس اللجنة السياسية لجبهة الإنقاذ الجزائرية (٢)

« وصلنا في الحوار مع الأخ رابح كبير رئيس اللجنة السياسية بالمكتب التنفيذي المؤقت لجبهة الإنقاذ الإسلامية في العدد السابق إلى موضوع الانتخابات وما يتعلق بها، ونكمل في هذا العدد بقية المقابلة..»

- البيان -

● **البيان: لقد كانت جماهير المجاهدين في الثورة الجزائرية تطالب باستقلال الجزائر المسلمة وكانت الشعارات إسلامية ثم سرقت الثورة من بعد ألا ترون أن التعويل على الجماهير وأنها هي التي ستحسم الموقف لصالح الإسلام سيعيد التجربة السابقة في الجزائر وفي بلدان مشرقية أخرى؟**

لا بد من التنبه إلى خصائص الشعب الجزائري وواقعه الحالي، فالشعب الجزائري الآن ليس هو بأي حال الشعب في عام ١٩٦٢ فمستوى الوعي الآن تغير تماماً، أصبحت شعارات الجبهة (لا إله إلا الله محمد رسول الله، عليها نحيا وعليها نموت وفي سبيلها نجاهد) يحفظها كل طفل وتُردد في كل

دار، مستوى الوعي ارتفع كثيراً، ثم بالنسبة للقيادة التي تحمي هذا المسار ليست محددة في شخص . في بداية الاستقلال كان هناك قيادة مخضرمة وتمت تصفية هذه العناصر الإسلامية أما اليوم فالجبهة الإسلامية تسيِّر عناصر لا تؤمن بغير الإسلام، فكيف يمكن لهم أن يسرقوا النصر، وهذا في حسابنا على كل حال، لأن الذين يسيرون الجبهة من مكاتبها الولائية إلى أعلى هيئة فيها وهي المجلس الشورى غالب هؤلاء من الأخوة المتشبعين بالحل الإسلامي، فهذا الوضع لعل الله سبحانه وتعالى يبارك فيه وتستأنف الحياة الإسلامية من جديد.

● **قلتم إن الجبهة صارت أقوى وخاصة بعد المحنة، وكان الأعداء يتوقعون تفكك الجبهة، وذكرتم أن بقاء الصف موحداً كان أحد الأسباب، هل هناك أسباب أخرى؟**

الذي نقوله الآن في الجبهة الإسلامية سواء مع بعضنا أو في لقاءاتنا مع الشعب الجزائري أن من أعظم الأسباب التي حمت الجبهة الإسلامية إنما هي عناية الله حقيقة، نحن نؤمن أنه كلما أخلصنا العمل لله، وكلما تمسكنا بكتاب الله وسنة نبيه صلى الله عليه وسلم كلما أعاننا الله تبارك وتعالى. بعض المحللين السياسيين قالوا: إنه مستحيل، الجبهة لا يمكن أن تقوم الآن، الضربة كانت شرسة، أكثر من مئتين من رؤساء البلديات سُجنوا، قُتل شباب داخل المساجد ولكن الشعب عرف أن هذا الطريق هو طريق الإسلام، الشعب الجزائري شعب متميز في تحديه، إذا عرف الحق واستمسك به يصعب على أعدائه أن يخيفوه.

● **البيان: من أسباب قوة الجبهة أنها بدأت بداية غير حزبية، فهل هذا مستمر، أعني أن لا يعامل الذي من الجبهة معاملة خاصة عمن هو خارجها ولو كان رجلاً طيباً فاضلاً؟ وشيء آخر أن البعض يعتبر أن الجبهة ليس لها إطار محدد، ولكن هل من الناحية**

الفكرية تتبنى أشياء محددة حتى تكون متماسكة فهي من جهة المنهج متماسكة، ومن جهة الإطار غير حزبية؟

الجبهة كانت كذلك، وستبقى كذلك بإذن الله، فالإطار الذي يجمع العمل في الجبهة إنما هو الكتاب والسنة، قال الله، قال رسوله، أي الدليل، نحن لا نخضع إلا للدليل، ونحن لا نقبل من إخوتنا الذين جاءوا من تنظيمات معينة أن يأتوا ككتلة، بحيث يكون هناك تكتل داخل الجبهة، إنما الجبهة تبقى حركة أمة، حركة شعب، في إطار الكتاب والسنة.

- **البيان: هل تتبنى الجبهة بالنسبة للعقيدة والمفاهيم عقيدة أهل السنة وفهمهم للإسلام؟**

أنا قلت الإطار العام هو الكتاب والسنة والجبهة منذ البداية، تعتقد ما ورد في الكتاب والسنة وفق فهم سلفنا الصالح، هذا الأمر واضح دون تغيير بإذن الله.

- **البيان: إن أي عمل، سواء كان عملاً إسلامياً أو غير ذلك يحتاج للمراجعة والنقد الذاتي والمسلمون بحاجة شديدة إلى مثل هذا فهل حصل مثل هذا في إطار الجبهة، هل صححت الأخطاء وروجعت الحسابات؟**

نحن نعتقد أننا كمسلمين ينبغي علينا أن نراجع أنفسنا بين الحين والآخر، وكلما وجدنا أن هناك أمراً فيه أخطاء نستبعده، هذا لا شك فيه، الجبهة الإسلامية تقوّم أعمالها بين الفينة والأخرى وهي ليست معصومة عن الخطأ، وهي مستعدة للتراجع عن الخطأ إذا تأكدت أنه خطأ.

- **البيان: في الآونة الأخيرة، هل تحديها للسلطة مثل الدعوة للإضراب وأنه إذا لم يستجب للمطالب فسنعلن الجهاد، هل كان هذا خطأ؟**

أولاً ينبغي أن نصحح، أنا في علمي وفي اعتقادي أن الجبهة لم تقل بأنه إذا لم تقع الاستجابة سنجاهد، لأنها لم تعد الإعداد للجهاد.

● **البيان: ألم تذكر كلمة التهديد بالجهاد في تصريحات قادة الجبهة؟**

على كل حال في التصريحات الرسمية للجبهة في اعتقادي أنها لم ترد، وإذا وردت على لسان بعض القادة فهي تعبر عن رأي أما الجبهة فهي لم تتبنَّ الجهاد في هذه المرحلة، أما قضية الإضراب هل هو موقف حق؟ في تقديرنا أنه لم يكن موقفاً خاطئاً، لأننا كنا بين خيارين، إما أن نترك الانتخابات تمر بالتزوير، وسوف يأخذ النظام المصداقية وإما أننا نوقف ذلك التزوير مع علمنا أنه قد يسقط شهداء وقتلى: ﴿ **ولولا دفع الله الناس بعضهم لبعض لفسدت الأرض**﴾ فالإضراب كان لا بد منه، وقد ورد عن بعض إخواننا أن الاستجابة لم تكن واسعة فهذا غير صحيح، فالاستجابة كانت واسعة، لا أقول الانقطاع عن العمل، بل لأنها كانت حركة شعبية، شارك فيها الشعب، المسيرات وصلت إلى القرى والمداشر وليس فقط المدن ولكن كان هناك تعتيم إعلامي شديد، في مدينة عنابة كانت المسيرة طولها (١٤) كم لا يتمالك الإنسان عندما يراها إلا أن يبكي من الفرح، كانت مواقف مهيبة، فالإضراب كان ناجحاً رغم ما حدث.

● **البيان: هل كنتم تتوقعون اعتقال الشيخ عباسي مدني والشيخ علي بلحاج؟**

بكل تأكيد، الشيخان كانا يتوقعان ذلك وكانا على علم وقد أخبرا إخوانهما بذلك، نحن ندرك المخاطر التي تحيط بنا، وكنا ندرك أن الأمر جد لا لعب فيه.

● **البيان: هل الحكم الفعلي في الجزائر هو للجيش أم لرئيس الجمهورية؟**

في الحقيقة النظام في الجزائر هو نظام واحد، فالرئاسة والجيش شيء واحد بالنسبة لنا.

● البيان: هل الأحزاب غير الإسلامية تمثل خطراً كبيراً؟ فإذا كان هناك قوة للجيش، للجبهة، أين تضع الأحزاب العلمانية، وهل هناك ترتيب لأخطرها؟

تأثير الأحزاب على الشعب الجزائري تأثير ضعيف، لا يوجد هناك حزب يستطيع أن يجند الشعب، هناك أحزاب تستطيع أن تجند فئة معينة من الشعب، كل الأحزاب (تدير) تجمعات ولكن لا يجرؤ حزب من الأحزاب أن يعقد تجمعاً كبيراً، القضية لم تعد قضية الجبهة الإسلامية، أصبحت قضية شعب،

● البيان: الذين اتخذوا موقفاً مشرفاً هل كانوا من الإسلاميين؟

هناك بعض الإسلاميين وهناك - للأسف الشديد - غير الإسلاميين مثل بعض اليساريين مع أن هناك إسلاميين اتخذوا مواقف سيئة وكان هذا على مرأى من الشعب الجزائري.

● البيان: هل كان موقف هؤلاء اليساريين يتماشى مع ضعفهم، وموقفهم عبارة عن تكتيك حزبي من أجل كسب ورقة في المستقبل أم موقفاً مجرداً؟

في السياسة لا توجد مواقف مجردة ولكن أقول أن هذه الأحزاب إنما أحسنت الحسابات وهذا أفضل من حسابات بعض إخواننا.

● البيان: في الدوائر العربية والصحفية بشكل خاص يثار سؤال عما يسمونه (اللعبة الديموقراطية) وأن الجبهة ضمناً ترى عدم شرعية الانتخابات والبرلمانات بشكلها الحالي وأنه إذا فازت فستمنع كل الإحزاب من حرية التحرك أو حرية الكلمة، كيف يجاب عن مثل هذا الإشكال؟

هذا الكلام أجبنا عنه في لقاءات عدة مع الشعب الجزائري ومع الصحافة فقلنا: النظام اليوم يستكثر على الشعب الجزائري والجبهة الإسلامية أن تقول « لا ميثاق، لا دستور، قال الله، قال الرسول » بينما هم الذين في السلطة

ويزعمون أنهم يحترمون الدستور هم أول من يدوس الدستور فمثلاً قضية (جريدة الفرقان) منعوها أيام الحصار فلما انتهى الحصار جاءت مراسم من وزارة الدفاع تقول أن مبرر المنع انتهى، فلما كلمناهم في الموضوع، قالوا جاء هاتف من الوزارة بالمنع، فقلنا: هل نحن في دولة القانون أم في دولة التلفون، الجبهة الإسلامية منذ انطلاقها تعمل في هذه المرحلة الانتقالية، وأعلنت منذ البداية أنها إن وصلت إلى السلطة فإنها ستغير القوانين التي تنافي شريعة الله تبارك وتعالى، هذه لم نخفها وكنا صرحاء مع الشعب.

● **البيان: إذا طلب منكم المشاركة، هل ستشاركون في حكومة، الأغلبية فيها لغيركم، والدستور غير إسلامي؟**

نعتقد أنه إذا شاركنا في الانتخابات وكانت نظيفة فإن الجبهة الإسلامية ستفوز بإذن الله.

● **البيان: إن مما يحرج الحكومة - فضلاً عن قوة الجبهة - هو المشكلة الاقتصادية، مشكلة الديون والبطالة، هل عند الجبهة برامج لهذا الأمر؟**

بكل تأكيد إن الأزمة الاقتصادية ليست مفصولة عن الأزمة السياسية، فالذي أفسد الاقتصاد إنما هو السياسة، وعلى رأسها انعدام الثقة بين الحاكم والمحكوم، إن الجزائر دولة غنية (ومن قال إن الجزائر دولة فقيرة؟) غنية بثرواتها الطبيعية، غنية بتربتها، بشبابها المستعد للعمل، ففي إمكاننا في وقت قياسي تأمين الغذاء، النظام الحالي أفلس اقتصادياً فهو ينتظر القمح من الخارج، أسعار المواد ترتفع والديون إلى أين تذهب؟ في النظام الإسلامي توزع الثروة توزيعاً عادلاً، وعندما يرى الشعب مسؤوليه يقفون معه في نفس الخندق فسيحقق الاكتفاء الذاتي إن شاء الله،

● **البيان: سؤال أخير. هل تضم الجبهة جميع شرائح الشعب، أغنياء فقراء، مثقفين، علماء، البدو، الريف..**

كان النظام في البداية يقول: إن الجبهة فيها الأغنياء! لماذا لأن الجبهة رفضت أموال النظام، لأن النظام يعطي دعماً للأحزاب قالت الجبهة: هذا غير معقول، هذه الأموال من حق الأمة، والأحزاب التي لها امتداد شعبي الشعب هو الذي يمولها. فلما رفضنا قالوا: معكم الأغنياء ومرة اتهموا بأن هناك دولاً أخرى تعين الجبهة، وكل مرة يخرجون بدعايات لا أساس لها. إخواني: والله أقول لكم، هذا واقع الجزائر جميع الشرائح مع الجبهة الإسلامية، في المدن، في الأرياف، في بلاد القبائل، وهؤلاء تمسكهم بالإسلام شيء عظيم، والوعي يزداد والالتفاف حول الجبهة يقوى والحمد لله.

البيان: شكراً لكم على هذه الفرصة ونرجو أن تتكرر فرص اللقاء لمعرفة أحوال المسلمين في الجزائر.



* *

*

المخطط الصليبي

في البرنامج التعليمي للجبهـة الشعبية في إرتريـــــا

موسى عبد الله

تؤكد السياسات التعليمية المطروحة من حكومة الجبهة الشعبية الإرترية وجود نوايا صليبية تسعى إلى قمع الإسلام وإضعاف عقيدته في نفوس معتنقيه. ويحسب كثيرٌ من المسلمين أنهم حققوا كسباً ثقافياً عظيماً بتجويز تعريب المواد الدراسية في مرحلتهم الابتدائية من سلمهم التعليمي.

إلا أني لا أرى فيما يبث الآن عبر صوت الجماهير في أسمرا من سياسات تعليمية سوى تكريس للمفاهيم الصليبية التي قد تنطلي على بعض من مثقفينا، وليس فيها من جديد سوى أنها اتسمت بمزيد من المكر والدهاء في صراعها مع الإسلام حين قررت:

أولاً: خلافاً لتصريحات إسياس أفورقي في لقائه مع وفد الماريا أقر الإعلان التعليمي الجديد إمكانية تأسيس مدارس أهلية وأجنبية تنفذ برنامجها الخاص ولا تتقيد ببرنامج الحكومة التعليمي، ولا تمنع من تدريس الدين إذا رغبت، شريطة أن لا يكون مرسباً للطالب وأن تكون المادة الدينية الملقاة عليه وحظها من الحصص الأسبوعية واليومية خاضعة للنقاش، أما المدارس الحكومية فالدين سيبق

مفصولاً عنها ومبعداً.

ثانياً: المعاهد الإسلامية تنحصر مهمتها في تعليم المواد الدينية فحسب ولا يحق لها مزج العلم التجريبي في برنامجها التعليمي حسبما هو منطوق في الإعلان.

ثالثاً: أكد الإعلان تطوير بعض لهجات القبائل الإرترية بالحرف اللاتيني والتدريس بها في المرحلة الإبتدائية لمن أراد.

إن البحث عن جذور هذه السياسة التعليمية يوصلها إلى أصول صليبية وسياسات استعمارية وفي الوقت ذاته يبرهن على التشوش والاضطراب الذي تعيشه الجبهة الشعبية في التعامل مع الواقع الإرتري المسلم الذي بدأ يهمس تضجراً من مثل هذه الأطروحات، ويبدو أن شيئاً من الغمز واللمز بدأ يطرق أسماع قيادة الشعبية، الأمر الذي يجعلها تبيح تدريس الدين في المدارس الأهلية والأجنبية على حذر ووجل.

ولكن الجبهة الشعبية مهما حاولت تخدير الشعب المسلم ببعض الإصلاحات السطحية فإنها لن تستطيع إخفاء حقيقتها ومكائدها الصليبية فبرنامجها التعليمي ما زال يفيض حقداً على الإسلام لدرجة أنه ضاق من إتاحة المجال للمعاهد الإسلامية لتزويد أبنائها بسائر المعارف العلمية، وهو بنهجه هذا يهدف إلى إعاقة تقدمها وترقيها وتزهيد الطلاب في الإلتحاق بها، وجعل خريجيها مجرد أناس ينحصر مجال نشاطهم في ساحة المسجد، ويقتصر دورهم في تنظيم حفلات المولد النبوي والإصغاء إلى كلمة إسياس التي ستلقى بهذه المناسبة في كل عام.

والتعامل مع المعاهد الإسلامية بهذه السياسة إنما ينطلق من نظرة صليبية تجعلها في مصاف الأديرة النصرانية التي لا تطمح إلى أكثر من تخريج واعظ ديني بصليبه النحاسي وجلبابه الأسود.

وليس في تطوير لغات القبائل الإرترية بالحرف اللاتيني إلا جلب لسياسات الآباء اليسوعيين وتلامذتهم الذين نادوا باستخدام الحرف اللاتيني في تطوير

لهجات بعض البلدان العربية.

وأما فيما يتعلق بالمرامي الصليبية من اعتماد الإنجليزية لغة التعليم من المرحلة الإعدادية فحسبي أن أورد نص كلام المبشر تكلي في كتابه الإسلام والتبشير، حيث قال: « يجب أن نشجع إنشاء المدارس، وأن نشجع على الأخص التعليم الغربي، إن كثيراً من المسلمين قد زعزع اعتقادهم حينما تعلموا اللغة الإنجليزية، إن الكتب المدرسية الغربية تجعل الاعتقاد بكتاب شرقي مقدس أمراً صعباً جداً. »

يظهر لي أن هذا يكفي لإلقاء الضوء على الطرح التعليمي الصليبي الذي ما زالت تصر الجبهة الشعبية على تطبيقه في واقعنا الإرتري طمساً للهوية الإسلامية وخصائصها المميزة.



تقرير عن مسلمي جنوب الفلبين

الجانب التاريخي بإيجاز:

يجهل كثير من المسلمين أن الإسلام هو أول دين سماوي وصل إلى الفلبين واعتنقه كل سكان هذه المنطقة، كما أن الحضارة الإسلامية هي أول حضارة عرفتها جزر الفلبين.

وقد وصل الإسلام إلى هذه الجزر في عام ١٣١٠ م (٦٦٢ هـ)، وقيل قبل ذلك، كما يعتبر أن أول دولة منظمة قامت في هذه البلاد هي دولة إسلامية، حيث تأسست في منصف القرن الخامس عشر الميلادي أول دولة إسلامية، واستمرت لمدة ١٠٠ سنة تقريباً.

ولكن لم تنعم تلك الجزر طويلاً، فقد تعرضت للتحدي الصليبي البرتغالي الذي انتقل من البحر المتوسط إلى المحيط الهندي والهادي، وذلك ابتداء من عام ٩١٧ هـ - ١٥١١ م.

بعد ذلك تعرضت هذه الجزر للغزو الاستعماري (الإسباني) سنة ٩٢٣ هـ -

١٥٢١ م بقيادة ماجلان حيث قتله المسلمون، وخلال عشرات السنين سيطر الإسبان على شمال جزر الفلبين، مما دفع بعض المسلمين إلى الهجرة جنوباً هرباً من بطش المستعمر، وفي تلك الفترة سميت هذه الجزر بالفلبين نسبة إلى فيليب الملك الإسباني في ذلك الحين، بعد ذلك اتجه المستعمر الإسباني جنوبا لإتمام سيطرته على هذه الجزر، إلا أنه ووجه - هذه المرة - بمقاومة عنيفة من المسلمين، واستمرت الحرب بينهم مدة (٣٧٧ سنة) ٩٢٣ - ١٣٠٠ هـ ١٥٢١ - ١٨٩٨م.

وفي القرن التاسع عشر الميلادي ١٨٩٨ م (١٣٠٠ هـ) تمت اتفاقية بين أمريكا وإسبانيا انسحبت على أثرها إسبانيا مقابل (٢٠٠ مليون دولار أمريكي) حيث حلّ محلها المستعمر الأمريكي الجديد، كما أدخلت الجزر الجنوبية (جزر المسلمين) ضمن هذه الصفقة.

عند استلام الأمريكان هذه الجزر وقف المسلمون ضدهم، وقد استفاد الأمريكيون من تجربة الإسبان القمعية ضد الجزر الجنوبية، مما دفعهم إلى تغيير هذه السياسة والتحول إلى سياسة (السكَّر)، حيث أقنعوا المسلمين بأنهم جاؤا لإصلاح أخطاء الإسبان، وإنشاء المدارس لهم، وحمايتهم!!! وحدث على أثر ذلك اتفاقيات مثل اتفاقية (فرانك كاربنتر) المحافظ الأمريكي..

أنشأ الأمريكيون بعد ذلك المدارس وأصبحوا يشرفون على تربية أبناء المسلمين، وبدأوا ينصّرونهم..

أدرك الأمراء - بعد ذلك - هذه الخدعة، وقاموا بثورات، ولكن ماذا حدث؟

حدث أن كثيراً من أبناء الأمراء كانوا قد تدربوا في تلك المدارس وأخذوا عنها الثقافة الغربية، مما دفع بهؤلاء « العلمانيين » الأبناء إلى الوقوف مع هذا المستعمر.

وفي تلك الفترة تمّ الاتفاق بين الأمريكيين ونصارى الفلبين على إعطائهم حكماً ذاتيا في الجزء الشمالي، وكان هذا أول حكم ذاتي وذلك سنة ١٣٥٣ هـ ١٩٣٥م. وخلال الحرب العالمية الثانية تمكن اليابانيون من طرد الأمريكيين من تلك الجزر، لكن لم يلبثوا أن عادوا بعد عامين أو ثلاثة.

وفي عام ١٣٦٦ هـ - ١٩٤٦ م حصلت الفلبين على الاستقال ككل، وضمت بلاد المسلمين إلى هذه الحكومة النصرانية ظلماً وعدواناً.. ومن ذلك التاريخ ومسلمو الفلبين يتعرضون لمخططات طمس الهوية الإسلامية لهذا الشعب المسلم. وتتلخص هذه المخططات فيما يلي:

١- تهجير النصارى من الشمال إلى الجنوب ومنحهم الأراضي الزراعية.
٢- إعطاء النصارى بعض المناصب الهامة في أرض المسلمين.
٣- الاتجاه إلى تنصير أبناء المسلمين.
٤- محاولة طمس الدين من النفوس عن طريق إنشاء المدارس الغربية والكنائس ونشر الفساد.

إلا أن جميع هذه المخططات - ولله الحمد والمنّة والفضل - لم تفلح في طمس هوية هذا الشعب المسلم، وإن كان لها دور كبير في إبعاد بعض المسلمين عن منهج الإسلام الصحيح.

بعد ذلك لجأت هذه الحكومة النصرانية إلى أسلوب الإرهاب، وذلك عن طريق تكوين عصابات (منظمة إيلاجا) التي قامت بقتل المسلمين والفتك بأسر كاملة، وقاموا بإحراق المدارس الخاصة بالمسلمين، وكان ذلك في السبعينات.

أدرك بعض زعماء المسلمين - وبعد أن أفلست المنظمات الوطنية والعلمانية في تحقيق أهداف مسلمي الفلبين بسبب الولاءات والارتباطات المشبوهة - ضرورة إنشاء منظمة إسلامية تجتمع تحتها كلمتهم، وتقف ضد هذه المخططات الإرهابية. وتمّ ذلك بتأسيس (جبهة مورو الإسلامية) والتي يرأسها الشيخ

(سلامات هاشم) حيث قاموا بوضع خطة تستغرق خمس سنوات لتنظيم أنفسهم، لكن تلك العصابات فرضت عليهم المعركة، حيث قاموا بإحراق المسلمين وقتلهم، وكان ذلك عام ١٣٩٠ هـ ١٩٧٠ م، حيث نشبت حرب بين جبهة مورو الإسلامية وبين هذه العصابات الإرهابية، وتمكن المسلمون من طردهم من بعض المواقع، وتدّخلت الحكومة للتوسط بين الطرفين حيث إن الحكومة كانت تدّعي عدم علاقتها بهذه العصابات الإرهابية، إلا أن الأمر اتضح بعد ذلك بدعم الحكومة لهم.

وفي عام ١٣٩٢ هـ ١٩٧٢ م انتصر المسلمون نوعاً ما، وتمكنوا من طرد (عصابات منظمة إيلاجا) عن بعض القرى، إلا أن تدخل الحكومة استمر - مع عدم تدخّل المسلمين في شؤون إخوانهم!! وأعلنت الحكومة فرض الحكم العسكري وذلك في عهد (ماركوس)، وبعدها مباشرة تعرضت بلاد المسلمين لهجوم شامل من الجيش الفلبيني جواً وبحراً وبراً، مما أدى إلى نشوب قتال شديد جداً، ونظراً للهجوم الحكومي على المسلمين تحولت الحرب إلى حرب عصابات وذلك أواخر عام ١٣٩٢ - ١٣٩٤ هـ ١٩٧٢ - ١٩٧٤ م.

وقد قدّمت الفلبين المسلمة زمن ماركوس الصليبي وفي فترة اثنتي عشرة سنة فقط: ١٣٩٢ - ١٤٠٤ هـ ١٩٧٢ - ١٩٨٤ م:

- ٣٠ ألف قتيل معظمهم من النساء والأطفال وكبار السن من المسلمين
- استرقاق ستة آلاف مسلمة على أيدي الجنود الصليبيين الفلبينيين.
- تشريد أكثر من مليوني مسلم.
- فرار حوالي ٣٠٠ ألف نسمة، واضطرارهم إلى الهجرة إلى البلاد المجاورة (ولاية صباح التابعة لماليزيا).
- أحراق ٣٠٠ ألف منزل من بيوت المسلمين.
- تدمير مائة قرية ومدينة إسلامية.

اغتصاب معظم أراضي المسلمين الخصبة.

- تدمير أكثر من ٥٠٠ مسجد للمسلمين[١].

وفي عام ١٣٩٥ هـ ١٩٧٥ م تدخلت منظمة المؤتمر الإسلامي في إجراء مفاوضات بين الطرفين، إلا أنها فشلت في ذلك. وفي عام ١٤٠٦ هـ ١٩٨٦ م سقط ماركوس، ووصلت أكينو إلى الحكم، وسارت على خطى من سبقها يتولى توجيهها مجلس الكنائس الفلبيني، حيث عينت كبار القساوسة مستشارين لها.

ولا زالت المخططات الصليبية العالمية تخطط وتنفذ وتتابع، ومن خطط الصليبية الأخيرة لخنق المسلمين في جنوب الفلبين: ترشيح رجل صليبي في ولاية صباح شمال دولة ماليزيا المسلمة والتي تحد « مندناو » من الجنوب.

ولا يزال المسلمون في الفلبين يعانون من تسلط النصارى على دينهم وأعراضهم وأراضيهم وأرواحهم، ونسأل الله أن يعزّ المسلمين ويحفظ دماءهم وأعراضهم، وأن يقيم دولتهم على التوحيد، وأن يمكن لهم، إنه على ذلك قدير، وبالإجابة قدير.

المشكلات التي تواجه مسلمي الفلبين

لو أردنا تتبع جميع المشكلات التي تواجه المسلمين في هذه البلاد لاحتاج ذلك إلى دراسة أكثر عمقاً وتوسعاً للوقوف على هذه المشكلات وأسبابها.. إلا أننا هنا سوف نركز على جانبين اثنين من جوانب هذه المشكلة والتي قد تكون من أهم العقبات التي تواجه مسلمي جبهة تحرير مورو للنهوض بالمسلمين - هنا - تربوياً واقتصادياً وللدفاع عنهم، والمحافظة على شخصيتهم الإسلامية وهي كالتالي:

١- مشكلات تعوق الدعوة والتربية:

تدير جبهة تحرير مورو الإسلامية حوالي ٤٠٠ مدرسة (ابتدائية - متوسطة - ثانوية) وتتعاون مع ٢٠٠ داعية متنقلين بين مناطق المسلمين - كما يوجد بعض الأخوة الدعاة الذين تتبناهم بعض الجهات (وهم قليل) وتبرز المشكلة هنا وهي: أن معظم الإخوة الدعاة والمربين هم من الفقراء الذين يضطرهم الفقر إلى ترك عمل الدعوة والاتجاه إلى كسب الرزق لإطعام أسرهم حيث أن الكثير منهم لا يجد من يكفل أسرته في حال تفرغه لأعمال الدعوة، كما تعاني هذه المدارس من نقص الكتب العلمية والشرعية في جميع التخصصات بالإضافة إلى مكتبات التي يحتاج إليها الدعاة لتعليم المسلمين أمور دينهم. يضاف إلى ذلك صعوبة التنقل بين مناطق المسلمين، وافتقار المسلمين إلى وسائل النقل التي يحتاجون إليها.

٢- مشكلات تعوق الأعمال الجهادية:

حيث أن الفقر صفة ملازمة للمسلمين - في تلك البلاد - نجد أن المجاهدين يعانون من الفقر الذي يدفعهم إلى ترك خنادقهم والاتجاه إلى طلب الرزق، وهذا مما لا شك فيه يؤدي إلى إضعاف القوة العسكرية للمسلمين، كما أن هناك مشكلة تعوق العمل الجهادي وتعتبر من المشكلات الأساسية التي يعاني منها المجاهدون إلا وهي قلة الأسلحة والذخائر، ونقصها عند المجاهدين ليس بسبب ندرتها - فهي متوفرة - ولكن ضيق ذات يدهم يحول بينهم وبينها.

مشاريع جبهة مورو الإسلامية

مسلمو الفلبين كغيرهم من المسلمين لهم آمال وطموحات وتطلعات لمستقبل أفضل، وتتمثل طموحاتهم هذه - بالالتفاف حول قيادتهم التي تسعى لتنفيذ

خطط طموحة من شأنها - إن شاء الله - المضي قدماً بمسلمي الفلبين لتبوء المكانة اللائقة بهم - من خلال العمل على أربعة محاور هي:

١- العمل على توجيه المجتمع إلى الإسلام الصحيح:

وذلك عن طريق إنشاء المدارس والمعاهد بمختلف مراحلها، وقد أشرنا إلى جانب من ذلك عند الحديث عن المشكلات التي تواجه الدعوة. كما تطمح الجبهة إلى تكثيف العمل لتبصير المسلمين بأمور دينهم وشرح العقيدة الإسلامية الصحيحة لهم وكيفية العمل بها، وذلك عن طريق زيادة عدد الدعاة وتفريغهم لهذا العمل، وترجمة وطباعة الكتب الشرعية، بالإضافة إلى إنشاء المزيد من المدارس والمساجد التي من خلالها يتخرج نشء مسلم يعلم أمور دينه، ويتقن أمور دنياه ليساهم في بناء مجتمع إسلامي قوي ومتين.

٢- العمل على الاكتفاء الذاتي:

ويقصد به هنا الجانب الغذائي، وذلك عن طريق تبني سياسة العمل على توفير الغذاء الأساسي عن طريق زراعة الأراضي الخاصة بالمسلمين وتوفير غذائهم منها، وعدم الاعتماد على مصدر خارجي، حيث يزرع الأرز والذرة وأشجار الموز، وبعض المحاصيل الأخرى. وتجدر الإشارة إلى أن الجبهة قد اقتربت من الاكتفاء الذاتي في إنتاج الأرز والذي يشكل الغذاء الرئيس الذي يعتمد عليه السكان هناك، إلا أن تطور هذا العمل يحتاج إلى الكثير من المعدات الزراعية والخبرات الفنية، حيث تعتمد الزراعة على الطرق البدائية، وكل ذلك بسبب عدم توفر القدرات المادية اللازمة لتطوير هذا القطاع.

٣- تطوير الجهاز الإداري للجبهة:

ويتم ذلك عن طريق توفير دورات لتعليم بعض المجاهدين الشؤون الإدارية،

وهذا الاتجاه لا شك سيكون له مردود إيجابي على جميع قطاعات الجبهة عندما تدار بأيد مؤهلة، حيث تكون قادرة على تطوير العمل والسير به إلى الأفضل.

٤- بناء قوة عسكرية إسلامية:

يطمح المسلمون إلى بناء قوة عسكرية تمكنهم من مواجهة عدوهم وإحكام سيطرتهم على كامل أراضيهم، ويعتمد هذه البناء على جوانب منها:

عمل دورات تدريبية للمجاهدين لرفع الكفاءة القتالية، وتتفاوت مدة الدورة بناء على ظروف المجاهد حيث أن هناك دورات لمدد قصيرة، ودورات لمدة ٣ أشهر، ودورات لمدة ستة أشهر. كما يوجد كلية عسكرية تستوعب ٢٠٠ طالب، ومدة الدراسة بهذه الكلية ثلاث سنوات، وتشتمل الدراسة بها على تربية شرعية، وعسكرية، وتدريبات عملية..

ويطمح قادة الجبهة إلى إيجاد مصدر ذاتي للتزود بالسلاح حتى يتمكنوا من مواجهة عدوهم والله غالب على أمره.



وانتهت إمبراطورية الرعب والتجسس

محمد حامد الأحمري

سنوات قلائل شهد العالم فيها نهاية الإمبراطورية الشيوعية التي لم يخطر على بال دارس للحضارات أن يرى نهاية إمبراطورية بهذه السرعة وبلا غزو خارجي ولا ثورة مضادة، كهنة المعبد أنفسهم حطموه على رؤوسهم، وأنهوا أسطورة غريبة وفصلاً نشازاً في تاريخ العالم « دولة الإلحاد ».

الذين قرأوا ملحمة البداية الشيوعية وعنف رجالها وشدتهم لا يكادون يصدقون هذه النهاية الهزيلة وضعف الحكومة وتهاوي قدرتها ونهاية مركزيتها ونهاية الجيش والجاسوسية بل نهاية الحزب إلى غير رجعة. ذلك أن العالم قرأ عن روسيا كتب البطولات الأسطورية ككتاب « عشرة أيام هزت العالم »[1] وغيره من الكتب التي مجدت الزعماء الشيوعيين وكما سموهم زوراً: أنبياء الثورة[2]، وكانت هذه الكتب تمجد البطولات والزعامات، وما كان يدرك القارىء في بلدان العالم الإسلامي وبلدان العالم الثالث أن هذه الكتابات والمبالغات في تمجيد الزعامات تعني وجود طبقة

١- كتبه شاهد عيان لأيام الثورة هو جون ريد مؤسس الحزب الشيوعي الأمريكي.

٢- من الكتب التي شاعت عن هذا: الثلاثة الذين صنعوا الثورة: لينين وتروتسكي وستالين لوولف وكتاب النبي عن تروتسكي لإسحاق دويتشر وكتاب لينين للويس فيشر.

جديدة مستغلة ومحطمة لإنسانية الفرد واحترامه وحقوقه في روسيا، لقد كان الشيوعيون يمجدون أفراداً منهم إلى حد العبادة، يرتفع هؤلاء الناس فوق كل نقد وفوق كل شخص وفوق كل مبدأ حتى كانوا هم المبادىء وهم الدولة وهم الشعب وهم كل شيء، وكان ذلك يعني دون شك تحطيم الشعب وإذلاله، ذلك أن الأمة كانت محرومة من السلطة تماما في روسيا فإذا كانت السلطة عبارة عن وحدة مكونة من مائة درجة فقد كانت في روسيا مائة كاملة بيد الرئيس والحزب، وهذا يعني فقدان الشعب لأي حق ولهذا كان الشعب يترصد نهاية الحزب حتى يسلب منه كل شيء، وهذا ما حدث اليوم حتى أصبحت روسيا تهدم وتبيع تلك الأصنام التي نحتت لزعمائها الذين كانوا متفردين بكل شيء.

لقد كان التطرف في الاستبداد يعني الهدم والخلاص من الشبح الذي كان مخيماً بتطرف مقابل، إن المستبد مهما رأى أنه يملك أزمّة الأمور فإنه سرعان ما يفقد كل شيء يفقد كل سلطة وكل احترام، ويكون نقطة سوداء قاتمة في تاريخ الأمة أي أمة، وبمقدار ما يرى نفسه محترماً معصوماً صائب الموقف والقرار، يكون الرد عليه يوم سقوطه غاية في احتقاره واحتقار شخصه وأعماله وكل أتباعه وحواشيه. وهذه نهاية كل حكم فردي. وهكذا كانت روسيا ما بين فردية الحاكم واستبداد الحزب.

تأخذ الدول زمناً طويلاً حتى تسقط، وكما يقولون لم تسقط روما في يوم واحد، ولكن روسيا سقطت في يوم واحد، وكأنها تنكر تلك القواعد التي يروق للمؤرخين أن يقفوا عندها ويقيسوا عليها، وروسيا تعطي الدارس مزيد وعي بأن الدول الكبيرة تبقى جثتها الهامدة تخيف الناظرين وقتاً طويلاً بعد موتها حتى إذا تهاوت وخرت بعد سنين تبين الناس أن لو كانوا يعلمون الحق ما لبثوا في رعب مهين. ومشكلة المراقبين لأحوال هذه الدول أنهم لا يستطيعون تجاوز الماضي بسهولة، ولا معرفة حقيقة ما يجري، لأن السمعة الهائلة وضخامة الأمجاد واتساع الرقعة وقوة الجيش والـ « ك.ج.ب » الاستخبارات الروسية كل ذلك يصنع حاجزاً بين الأعين وبين حقيقة ما كان يحدث من روح منهارة وفساد ومقيم.

عقاقير لإحياء الموات

١- الإرهاب:

حين اشتد هرم بورقيبة وخرفه طالب بإعدام رجالات الاتجاه الإسلامي في تونس، وهكذا الأنظمة إذا أوشكت على الموت قاومته بالإرهاب والتعذيب والتظاهر بالحياة والقوة، وهكذا يقاوم الحكم المشرف على الموت بالإرهاب خارجياً إذا عدم المخالف في الداخل وسكت الجميع توقياً لغضب شيخوخته ورعونة قراراته التي تميته أخيراً.

وعندما كانت روسيا تشيخ وتذبل ويهترىء جسمها كما كانت أجسام زعمائها المسنين كبريجنيف، وتشيرننكو، وأندروبوف الذين تلاحق هلاكهم في زمن قياسي كانوا يحاربون هذه الشيخوخة والنهاية بمساحيق إرهابية في أفغانستان ويحاولون استعادة أنفسهم وإشعار العالم بأنه لم يزل في عظامهم مخ وقوة.

وكانت أفغانستان المسمار الأخير في نعش إمبراطورية الاستبداد، وقد كانوا يأملون أن تكون أفغانستان وجهاً جديداً معبراً عن قوتهم وشدة نفوذهم ولكن هذه المساحيق الإرهابية التي يتظاهر أهلها بالقوة لم تزد أصحاب الحق إلا إصراراً على حقهم ولم تزد على أن حطمت بقية الشيخوخة وتحرك المقاومون في بولندا، وشرقي أوربا ورومانيا وألمانيا الشرقية.

٢- التجسس:

وتلجأ الحكومات المنهارة في زمن شيخوختها إلى التجسس، وترى أنه هو الذي يحفظ كيانها ويرصد أعداءها، فتضخم من هذا الجهاز وتعلي من شأن رجاله وتفتح أمامهم الأبواب الواسعة، فقد تولى رجال الـ « ك.ج.ب » زعامة روسيا وجاء أندروبوف من الـ « ك.ج.ب. » ثم جاء بعده غورباتشوف من نفس المبنى ومن نفس المنصب بل ونفس البلدة، جاء الجواسيس الروس إلى الحكم ليقولوا للناس: نحن أقوى وأقدر وأعلم بأمور العالم، والجواسيس يعلمون الكثير؛ فمنهم الجندي الغبي

الذي يحل مشكلات الدولة بالسوط والإرهاب ونشر الخوف في المجتمع فيتولى أشباح وأشباه رجال وخيال دولة وما فيها من الدولة شيء إذ يجعل المجتمع كله عبارة عن مكتب للتحقيق، فالكل متهم، والكل خائف، وراية الخوف والجوع والذل والعبودية مرفوعة.

وقد يوجد من الجواسيس عقلاء يعترفون بالانهيار ويحاولون إيقافه وقد لا يوفقون، وتكون الأزمة أكبر من جهودهم كما حصل قديماً زمن هتلر، والآن مع غورباتشوف. وهناك حقيقة تاريخية تغفل عنها الحكومات ولا يجرؤ أحد على ذكرها في غمرة الزهو بجهد الجواسيس، ألا وهي التناسب العكسي بين زيادة ونفوذ الجاسوسية وقوة الدولة، فكلما زاد عدد الجواسيس وقوي شأنهم ودورهم في المجتمع كلما كان زمن انهيار الدولة قريباً، ذلك لأنهم يكونون سلطة داعمة للدولة في البداية تحت هيمنتها في بادىء الأمر، ثم مشاركة مؤثرة في قراراتها في المرحلة الثانية، ثم تستبد بالأمر في المرحلة الثالثة، ويصل زعماء هذه الطائفة الجاسوسية إلى مقاعد السلطة وقد مَرَنَ سلوكهم وعقولهم على الإرهاب واحتقار الإنسان، فتكون النهاية التي حذّر منها الحديث: **«إن الأمير إذا ابتغى الريبة في الناس أفسدهم»**، فتنعدم الثقة بين الناس وترتفع شريعة الغاب ويسود الزعب مع الأجهزة الخفية وانتشار المراقبين، ويكره الناس العمل لأنفسهم وبلدانهم، وتهون القضايا لديهم ويكرهون أوطانهم وتقل نزعة الحمية عندهم لأنهم يشعرون بأنهم مطاردون ومسحوقون فيها، مستباحة أعراضهم وأموالهم، ويقل الإنتاج وتنهار الزراعة والصناعة وتسود الرشوة والفردية واقتناص الغنائم العارضة عن طريق الجواسيس أو ثقافة الجواسيس التي يصبغون بها البلاد.

ولقد حمل التاريخ لنا شواهد على هذه القضايا تحتاج إلى وعي وتدبر، ذلك أن الدول حين قيامها تعتمد على القوة المؤسسة وعلى صدق الدعوة وحرارة الإقناع وتوجه الجموع إلى العمل على ترسيخ الوضع الجديد الذي تراه بديلاً جيداً، فإذا تولى هذا الجيل وقل إهتمامه بسبب وجوده وعلة سيادته ذهب يبحث عن بدائل لترسيخ وجوده ويوهمه ضعفه وفقدانه للفكرة أو للمبدأ الذي قام من أجله أن الجاسوسية هي التي تضمن له البقاء وتحافظ على السلطة، وفي النهاية حيث ينتهي المبدأ أو الفكرة ويطفو

الأشخاص فيسخرون الأمم لذواتهم فقط وبلا شريك والوسيلة الجاسوسية هي التي تسلبه سلطته وتنهي قوته وتجعله يعيش في زنازين الوهم والخوف. ذلك لأن أجهزة الجاسوسية لا تبني مكانتها لدى الحاكم إلا بعد إخافته وإذلاله وإشعاره بالحاجة الدائمة لهذا الجهاز الذي يبعده يوماً بعد يوم عن الواقع ليغرق في وهم أن العالم كله ضده، وهي مشكلة تبدأ من إيجاد المكانة للجواسيس حيث تسعى لإقناع الحاكم بأهمية دورها ثم يصبح هذا اللعب والترويع عملها ليس للشعب وحده؛ بل للحاكم، تخيفه وترهبه حتى يأتي الزمن الذي تسلبه الحكم نهائياً أو تحتفظ به رمزاً فارغاً وتكمل مشوارها في ممارسة السلطة الفعلية التي تتهدم على رأسها ورأس الرمز أخيراً.

شاهد من الماضي

وقد استعان المأمون العباسي بالجواسيس، وعمل في خدمته جهاز مخابرات قوي من الرجال والنساء حتى قالوا: إنه بلغ عدد النساء اللاتي يتجسسن في بغداد ألفي امرأة ولكن قد كانت هذه الخطوة من الأسباب التي أفقدته النفوذ في بغداد وتسلط الغرباء على البلاد حتى تسلم الأتراك السلطة وتحول الخليفة العباسي من بعد المعتصم إلى مجرد كلمة تقال يوم الجمعة حتى قال أحد الخلفاء العباسيين واصفاً حاله:

أليس من العجائب أن مثلي ... يرى ما قل ممتنعاً عليه
إليه تحمل الأموال طراً ... وما من ذاك شيء في يديه

وشواهد من الحاضر:

وفي ألمانيا كانت سيادة الغستابو وهيمنتها على الحياة الألمانية والجيش والمدنيين تمثل النهاية الداخلية للألمان، حتى إذا أراد القادة الألمان خلاص ألمانيا من القيادة الاستبدادية لهتلر التي ورطتها في الحرب كان العائق هو الغستابو. وكانوا هم المتنفذين وعلى أيديهم وتحت مشورتهم ودعمهم لهتلر هلك ملايين الألمان وقتل قادة الجيش حتى لقد سقوا رومل السم واتهموه وغيره بالخيانة وتوالت الهزيمة والرعب في الداخل

وقسم البلد وانهارت الأمور حتى توفر العقلاء وأبعدوا الغستابو وحكمه، وعاشت ألمانيا الغربية حياة جديدة وعدلاً جديداً، وكانت السلامة من سرطان الجاسوسية. ولكنه بقي قريناً للإرهاب في ألمانيا الشرقية حتى تخلت ألمانيا عن هونيكر وزبانيته.

. وكان أبشع الأمثلة تشاوسيسكو في رومانيا التي حكمها بالجاسوسية والرعب، حتى لقد شق ممرات تحت الأرض له ولجواسيسه إلى كل المناطق المهمة في مدينته بحثاً عن الأمن واستسلاماً لمشورة الجواسيس، وكانت عاقبته شر عاقبة، وقتل مع زوجته شر قتلة.

والفرق بين هذه الأجهزة السابقة وغيرها من الأجهزة التي لم تزل تمارس دورها إلى الآن في البعد عن التدخل في السياسة الداخلية وتعمل على إخضاع الأعداء في الخارج كالـ « سي.آي.إيه » والموساد هو أن هذين الجهازين الأخيرين لم تزل الدائرة الداخلية محظورة أمامها إلا في إطار ضيق[1]. وإن كانت بداية الانكفاء الأمريكي إلى الداخل والسلم الذي تخطط له إسرائيل قد ينهيان المواجهة الخارجية ويتولى هذان الجهازان عملها التدميري في الداخل. وهناك مؤشرات على تدخل هذين الجهازين في إحداث الفوضى السياسية، فهذه « إيران غيت » « وأوليفر نورث »، وبوش يأتي للرئاسة من رئاسة الـ « سي.آي.إيه » وأيضاً بدأت المؤشرات المزعجة في علاقات الموساد بالحكومة الإسرائيلية وحجب الموساد لبعض المعلومات المهمة عن الحكومة[2].

والمقصود بالتجسس المدمر للشعوب هو التجسس الداخلي الذي عاناه الشعب الروسي وتعانيه بعض الشعوب التي اقتبست هذا النظام من روسيا وهتلر، ولكن شعوب العالم المتخلف لا طاقة لها باستيعاب العبر الكبرى.

١- مر في تاريخ أمريكا ما سمي بسنوات المكارثية حين قاد النائب مكارثي حركة مكافحة الشيوعية فنشر الرعب في المجتمع بدعوى ملاحقة الشيوعيين وذهب ضحية هذه الحركة عدد من التجار والسياسيين. ولكن كانت الموجة المضادة أقوى فاستطاعوا إيقاف الرعب الداخلي وإمتهان الجواسيس لحرمات الناس، وبقيت هذه الذكرى المؤلمة في أذهانهم حتى إن الطلاب ليتظاهرون في الجامعات حين يعلن ضباط الـ«سي.آي.إيه» عن قدومهم إلى الجامعات لتجنيد موظفين جدد.

٢- وردت إشارات لهذه القضية في كتاب « على طريق الخداع » **لفيكتور أوستروفسكي.**

مع القراء

وصلتنا رسائل أكثرها شفهية، يظهر القراء فيها تعاطفهم مع المجلة ومنهجها ولكنهم يأخذون عليها أن في بعض المقالات شدة على المخالف ويعتبرون هذا مخالفاً لمنهج الحكمة مثل ما كتبه الأستاذ عبد القادر حامد في نقده لكتاب البوطي (السلفية)، أو ما كتبه الأستاذ محمد عبد الله آل شاكر حول بعض دور النشر وطريقة إخراجها لكتب التراث، أو حول منهج التحقيق لهذه الكتب. ولهؤلاء الاخوة نورد مقتطفات مما كتبه الشيخ العلامة محمد بن إبراهيم الوزير من علماء القرن التاسع الهجري حول مناهج اللين والشدة في المراسلات والمحاورات ، يقول في كتابه (العواصم و القواصم في الذب عن سنة أبي القاسم) في معرض حديثه عن الطريقة الوعظية مع الناس:

« وهي نوعان التأليف والترغيب، والتخويف والترهيب، ولكل منهما مكان يليق به، وحال يصلح له، ومن ثَمَّ اختلف السمع في ذلك، ففي موضع يقول: ﴿**قولا له قولاً ليناً**﴾ [طه ٤٤]، ﴿ **فبما رحمة من ربك ...**﴾ [آل عمران ١٥٩]. وفي موضع : ﴿ **وليجدوا فيكم غلظة** ﴾ [التوبة ١٢٣]، ﴿ **وقل لهم في أنفسهم قولاً بليغاً** ﴾ [النساء ٦٣]، ﴿ **قال له موسى إنك لغوي مبين** ﴾ [القصص ١٨]. ومن ثم مدح المؤمنين بالذلة في موضع، وبالعزَّة في موضع.

أما النوع الأول: وهو نوع التأليف والترغيب، فهو الدعاء إلى الحق بالملاطفة، وضرب الأمثال، وحسن الخلق، ولين القول وحسن التصرف في جذب القلوب، وتمييل النفوس. وهذا النوع أشهر من أن يبين بمثال.

وأما النوع الثاني: وهو نوع التخويف والترهيب؛ وهو الدعاء إلى الحق بذكر الزواجر، وكشف غطاء المداهنة مع المخاطب. وقد ورد ذلك وروداً كثيراً، في السنة النبوية، والآثار الصحابية..... بل ورد في كتاب الله تعالى، قال الله – سبحانه – حاكياً عن كليمه موسى – عليه السلام – : ﴿ **فأصبح في المدينة خائفاً يترقب فإذا الذي استنصره بالأمس يستصرخه قال له موسى إنك لغوي مبين** ﴾ [القصص ١٨]. ومن ذلك قول يوسف لإخوته: ﴿ **أنتم شر مكانا** ﴾ [يوسف ٧٧] لما نسبوه إلى السرقة.

ومن الأحاديث الواردة في ذلك قول رسول الله صلى الله عليه وسلم لأبي ذر – رضي الله عنه –: « إنك امرؤٌ فيك جاهلية » رواه البخاري. ومن ذلك الحديث: « من سمع رجلاً ينشد ضالة في المسجد، فليقل: لا ردها الله عليك، فإن المساجد لم تبن لهذا » رواه مسلم عن أبي هريرة. وروى مسلم أيضاً عن بريدة: أن رجلاً نشد في المسجد، فقال له النبي صلى الله عليه وسلم: « لا وجدت » رواه مسلم. ومنه الحديث « إذا رأيتم من يبيع أو يبتاع في المسجد، فقولوا: لا أربح الله تجارتك » رواه الترمذي عن أبي هريرة، وقال: حديث حسن. وهذه الأخبار عامة في ناشد الضالة، والبائع، والمبتاع كائناً من كان.

وقد ذكر النووي فصلاً في كتاب « الأذكار »، في أنه يجوز للآمر بالمعروف والناهي عن المنكر، وكل مؤدِّب، أن يقول لمن يخاطبه في ذلك: ويلك، ويا ضعيف الحال، ويا قليل النظر لنفسه، أو يا ظالم نفسه، وأورد في ذلك أحاديث.

منها: حديث عدي بن حاتم، الثابت في صحيح مسلم: أن رجلاً خطب عند رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال: من يطع الله ورسوله، فقد رشد، ومن يعصهما، فقد غوى. فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: « بئس الخطيب أنت؛ قل: ومن يعص الله ورسوله. »

وروى فيه حديث جابر بن عبد الله: أن عبداً لحاطب جاء يشكو حاطباً، فقال: يا رسول الله ليدخلن حاطبٌ النَّار. فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: « كذبت، لا يدخلها فإنه شهد بدراً والحديبية » رواه مسلم في الصحيح.

وذكر فيه قوله – عليه السلام – لصاحب البدنة: « ويلك اركبها » رواه البخاري. وقوله – عليه السلام – لذي الخويصرة، : « ويلك فمن يعدل إن لم أعدل » رواه البخاري من حديث أبي سعيد الخدري.

وما روي من قول علي لابن عباس – رضي الله عنهما –: إنك امرؤ تائه – حين راجعه في المتعة.

ومن الآثار في ذلك: أثر عبد الرحمن بن أبي بكر. وفيه أن أباه ضيَّف جماعة، وأجلسهم في منزله، وانصرف إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فتأخر رجوعه. فقال: أعشيتموهم؟ قالوا: لا. فأقبل على ابنه عبد الرحمن، فقال: يا غُنْثَرُ، فَجَدَّع وسَبَّ. وفي هذا المعنى أخبار كثيرة، وآثار واسعة لا سبيل إلى استقصائها.

وهذا النوع أقسام: منه ما يقع مع أهل المعاصي، ويتضمن الذم لهم، والدعاء عليهم. وهذا القسم لا يكون في هذا الجواب منه شيء – إن شاء الله تعالى –، لأن هذا الجواب خطاب لأهل العلم والمراتب الشريفة.

ومنه ما يكون مع أهل العلم والفضل، ولكن على سبيل التأديب، مثل قوله صلى الله عليه وسلم لأبي ذر: « إنك امرؤٌ فيك جاهلية ». وقول عليّ لابن عباس: « إنك امرؤ تائه » رواه النسائي.

ومنه ما يكون على جهة التنبيه – لأهل الفضل والعلم – بقوارع الكلام الموقظة – على سبيل الحدة في الموجِدة والموعظة.

واعلم أن للزجر والتخويف بالألفاظ الغليظة شروطاً أربعة:

شرطين في الإباحة، وهما: أن لا يكون المزجور مُحقّاً في قوله أو فعله، وأن لا يكون الزاجر كاذباً في قوله، فلا يقول لمن ارتكب مكروهاً: يا عاصي، ولا لمن ارتكب ذنباً لا يعلم كِبرَهُ: يا فاسق، ولا لصاحب الفسق – من المسلمين – يا كافر، ونحو ذلك.

وشرطين في الندب، وهما: أن يظنَّ المتكلم أن الشدَّة أقربُ إلى قبول الخصم للحق، أو إلى وضوح الدليل عليه، وأن يفعل ذلك بنيَّةٍ صحيحةٍ، ولا يفْعَلَهُ لمجرد داعية الطبيعة.

* * *

اعتذار

نعتذر عن الخطأ المطبعي الذي ورد في العدد (٤٥) في صفحة (٦٦) في الآية الكريمة: ﴿ **ولولا دفع الناس بعضهم ببعض لفسدت الأرض ولكن الله ذو فضل على العالمين** ﴾ [البقرة ٢٥١] راجين من الله أن لا يتكرر. وشكراً لمن ينبهنا إلى مثل ذلك.

معاول ... معاول

إن المعاول التي تريد هدم شباب الأمة كثيرة، منها إعلامي، وآخر أخلاقي، وآخر كذلك ثقافي...، وهلم جراً، ولكن – ومن باب نقد الذات – هناك زمرة منا هم في الحقيقة معول هدم بل ومن أشدها قوة وتأثيراً، هذا المعول هو سلسلة تحطيم قدرات الشباب وازدرائها والحط منها تارة باسم « النضوج المبكر» وتارة باسم « قلة العلم والإدراك ».

ولا شك أن التقويم مطلوب ومعالجة الأخطاء ضرورة ملحة يفرضها الواقع وقبله الشرع الحنيف، ولكن ما مدى صحة طريقة عرض أخطاء شبابنا، إن عرضها بطريقة الحط والنيل والتشفي هي من أسباب سقام الأمة وقلة وعي شبابها، وإلا فما بال طفل عمره أحد عشر عاماً تحس منه فرط ذكاء ونبوغ، وبعد بضع سنين تظهر وتفوح منه الدونيّة والنظرة السطحية والآمال الأرضية؟ السبب لا شك هو وأدهُ قبل الولادة بهذا المعول ومعه عدة معاول أُخر. وأنا هنا لا أدعو إلى المدح المفرط والتأثير المزدوج وتحميل شبابنا أكثر وأكبر مما ينبغي بل « القصد القصدَ تبلغوا » و «الحسنة بين السيئتين ».

إن شباب الأمة هم روضها الناظر وزهورها التي ستثمر – إن شاء الله – فهلا رعيناها رعاية الأب المشفق المتجاوز عن السقطات العفوية، التي لا بد منها لكل عمل وبعيداً عن التهشيم الحاد. لا شك أننا سنكسب الكثير لمصلحة الدعوة وإلا سيجني أعداؤنا ثمرات سقطاتنا، وأخاف أن:

تمضي بنا سُفن الأيامِ ماخرة بحر الوجود ولا نُلْقِي مَراسينا

عبد الحليم الصالح البراك

من هي المرأة المسلمة؟

من هي المرأة المسلمة؟ سؤال يجب أن نطرحه دوماً لنعي معناه، من هي المرأة المسلمة حقاً وما هو دورها وما أهميته وكيف تشارك في مجال الدعوة إلى الله عز وجل.

المرأة المسلمة أم تُنجب الأبناء الصالحين وتربيهم على المنهج القويم وتصنع منهم رجالاً أكفاء يحملون هم الإسلام وعبء الدعوة ويبذلون في سبيله كل غال ونفيس، وهي زوجة صالحة تقف بجانب زوجها وتُثبته وتشد من أزره وتحثه على البذل والعطاء، إنها ليست أي زوجة فحسب وما ينبغي لها أن تكون كذلك..

إنها إمرأة تدرك واجب الدعوة إلى الله تعالى وأنه يتطلب وقتاً طويلاً وجهداً ليس بالقليل فيه تضحية بالراحة وبالأوقات مع الأبناء، وفيه تضحية بالمال والدنيا بأسرها وما عليها إن كان ذلك كله في سبيل مرضاة الله تعالى ثم إنها تدرك قبل ذلك أن هذه الأمة لم تقم ولن تقوم إلا بالتضحيات الغالية .

المرأة المسلمة زوجة داعية وأم راعية، إنها تعرف للصبر معناً وللأذى والاضطهاد حكمة وللحياة قيمة.

إن هذا الدور فقهته نساء الصحابة – رضوان الله عليهم – فراحوا يسطرون في ذلك صفحات خالدة ترسم القدوة والمنهج وتبعث الأمل وتنهض بالجيل، وعندما أغفلنا نحن هذا الدور وتهاونا فيه كان حالنا ما كان وأصبحت المرأة عاملاً في الانحطاط والفساد الذي أصاب الأمة وتغاضت عن صوت الحق الذي يناديها: أما

آن للمرأة المسلمة أن تفيق وتكون خير زاد في الطريق.

إنه لا أحد ينكر حاجة الدعوات إلى النساء، خاصة وأنهن أرق عاطفة وأكثر اندفاعاً وأسمح نفساً وأطيب قلباً وهي إذا آمنت بشيء لم تبال في نشره والدعوة إليه، وإذا صدقت بشيء عملت على إقناع زوجها وإخوتها وأبنائها به، ولجهاد المرأة المسلمة في سبيل الإسلام في عهد الرسول - صلى الله عليه وسلم - صفحات بيضاء مشرقة تؤكد لنا اليوم أن حركة الإصلاح الإسلامي ستظل وئيدة الخطى، قليلة الأثر في المجتمع حتى تشترك فيها المرأة فتُنشىء جيلاً من الفتيات على الإيمان والخلق والعفة والطهارة، هؤلاء أقدر على نشر هذه القيم التي يحتاج إليها مجتمعنا اليوم في أوساط النساء من الرجال، فضلاً عن أنهن سيكن زوجات وأمهات، وأن الفضل الكبير في تربية صغار الصحابة ثم التابعين من بعدهم يعود إلى نساء الإسلام اللاتي نشّأن هذه الأجيال على أخلاق الإسلام وآدابه وحب الإسلام ورسوله، فكانت أكرم الأجيال التي عرفها التاريخ من علو الهمة واستقامة السيرة.

فدعوة إلى الاستفادة من طاقات المرأة لتربية الأجيال، ودعوة إلى المرأة لتشمر السواعد للعمل لهذا الدين ونصرة الدعوة، ليعود للمسلمين عزهم وقوتهم ويعود للكفر خذلانه وسقوطه.

مريم السالم

مكتبة البيان

١- تربية الأطفال في رحاب الإسلام

كتاب جديد صدر عن مكتبة السوادي - جدة للمؤلفين: **محمد حامد الناصر** - **خولة درويش** والكتاب يستعرض مراحل التربية.

يقع الكتاب في ٤١٧ صفحة من القطع الكبير.

٢- جذور الانحراف في الفكر الإسلامي الحديث

لمؤلفه: **جمال سلطان** - صدر عن مركز الدراسات الإسلامية في بيرمنغهام - بريطانيا - يتحدث فيه المؤلف عن بعض الذين كتبوا حول النهضة في أوائل هذا القرن، وأخطأوا طريق الفهم الإسلامي الصحيح مثل: رفاعة الطهطاوي والكواكبي، ومدرسة الشيخ محمد عبده.

الكتاب في ١٨٨ صفحة من القطع الكبير.

٣- إخراج الأمة المسلمة وعوامل صحتها ومرضها

وهو الكتاب رقم (٣٠) من سلسلة كتاب الأمة، للدكتور: **ماجد عرسان الكيلاني**، ويتحدث المؤلف فيه عن مكونات الأمة المسلمة وهي: أفراد مؤمنون، وهجرة، وجهاد، ورسالة، وإيواء، ونصرة، وولاية.

والكتاب ١٦١ صفحة من القطع المتوسط.

٤- الرحمن على العرش استوى بين التنزيه والتشويه

للدكتور: **عوض منصور**، وهو يبحث كثيراً من الأخطاء التي يقع فيها الشباب المسلمون نتيجة تسرعهم وضعفهم في البحث والعلم الشرعي، ويحذر من التعصب للآراء الخاطئة التي لا دليل عليها، ومن الانحراف وراء الأهواء والعقائد الباطلة.

الكتاب في ١٦٠ صفحة من القطع الكبير.

بريد القراء

● الأخ **أحمد الجربوع** أرسل إلينا حاثاً على إجراء اللقاءات أو القيام بجولات استطلاعية عن أحوال المسلمين في الجمهوريات ذات الأغلبية المسلمة والتي كانت تشكل جزءاً كبيراً من الاتحاد السوفييتي.

● **البيان**: شكراً للأخ محمد ونرجو أن يتحقق ذلك.

● الأخ **طه جبر** أرسل رسالة أشاد فيها بالمجلة وببعض المقالات فيها كمقالات الدكتور أحمد إبراهيم خضر عن علماء الاجتماع والعداء للصحوة الإسلامية ويشكو عدم وصول المجلة لمدينته ويعد بالمشاركة.

● **البيان**: نرحب بالأخ طه جبر ومشاركته ونسأل الله أن نكون عند حسن ظنه وظنون القراء الكرام، ونرجو أن يتهيأ للمجلة أن تصل إلى كل من يحب قراءتها.

● الأخ **ظافر الدوسري** أرسل رسالة وذكر أنه أحد المعجبين والمتابعين لقراءة المجلة شهرياً لما تنظمه من مقالات ومواعظ وشعر ممتاز ونقل لأخبار المسلمين ويريد نشر موضوع عن أحوال المسلمين في يوغوسلافيا وسيريلانكا.

● **البيان**: نشكرك على اهتمامك ونرجو أن يتيسر لنا تحقيق رغبتك.

التخصص بدعة أم حاجة

د. مالك إبراهيم الأحمد

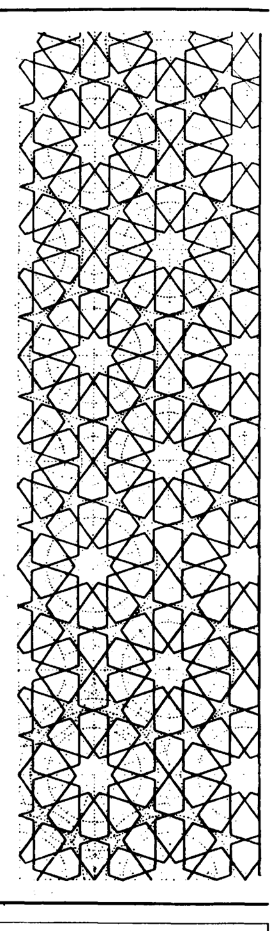
يصف الكثير من الكتاب المعاصرين عصرنا هذا بأنه عصر التخصص، وذلك في كثير من كتاباتهم في شؤون الحياة العلمية والعملية، فهذا مدير وهذا عالم وهذا خطيب وهذا كاتب... الخ. وذلك بخلاف الأزمنة السابقة حيث نجد العلماء الموسوعيين الذين يجمعون الكثير من الفنون.

وعند الحديث عن الدعوة الإسلامية، ينبغي استحضار هذه النظرية، وهي أنه نظراً لتشعب العلوم الإسلامية، ومجالات الدعوة الإسلامية، وصعوبة الحياة وتعقدها، وتقارب البلدان والثقافات، أصبح من اللازم تطبيق هذه النظرية على العاملين في هذا المجال، أي إنه لا بد من تخصص الداعية في فرع يجيده ينفع به المسلمين، ويثري هذا الجانب.

فنحن نريد دعاة متخصصين في كل مجال من مجالات الدعوة الإسلامية في الوقت الحاضر مثل: الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، التربية، الخطابة، الوعظ، الإدارة والقيادة، الكتابة، التعليم الشرعي، وغيرها، حيث تكون خطواتنا متزنة نظراً لأن العاملين في كل باب هم من المتخصصين فيه مما يتوقع منه إثراء مجالات الدعوة، وإبراز المواهب الإسلامية، وإعطاء الدعوة دفعة قوية للأمام.

ولا يعني هذا التخصص الجامد بحيث لا يجيد الداعية شيئاً غير تخصصه؛ بل لا بد من إلمامه في كثير من جوانب الدعوة وأساليبها، لكنه على علم صحيح بجانب يكون مرجعاً فيه، ومع هذا نحن لا نضيق بوجود علماء أفذاذ يتمتعون بمشاركة في كثير من المجالات العلمية تؤهلهم للقيادة؛ لكن الحديث هنا على مجموع الدعاة العاملين في الميدان الإسلامي الكبير.





العدد الثامن والأربعون
شعبان ١٤١٢ هـ
٢ / ١٩٩٢ م

مجلة إسلامية شهرية جامعة
تصدر عن
المنتدى الإسلامي
لنـــــدن

رئيـــــس التحـــــرير
محمد العبـــدة

العنـــــوان

AL BAYAN MAGAZINE

7 Bridges Place, Parsons Green
London SW6 4HR U.K

Tel : 071 - 731 8145
Fax : 071 - 371 5307

بسم الله الرحمن الرحيم

المحتويات

- الافتتاحية ٤
- القواعد الفقهية ٩

عبد العزيز الحويطان

- أثر الضعف الخلقي في سقوط الأندلس ١٦

د.حمد بن صالح السحيباني

- مبادرة كارتر: أسلوب جديد للتنصير ٢٥

د.حسن علي أحمد

- خواطر في الدعوة ٣١

محمد العبدة

- قراءة في مجلة المنار ٣٣

عبد القادر حامد

البيان الأدبي ________________ ٣٩

- وصية أبي حازم للزهري ٤٠

● أننسى؟..أننسى؟ ٤٧
محمود مفلح
● من كابل..إلى القدس ٤٩
د.محمد بن ظافر الشهري
المسلمون و العالم ———————— ٥١
● باسم الحرية ينحرون الحرية ٥٢
● أطراف القضية الجزائرية ٥٥
محمد حامد الأحمري
● رسالة إلى جبهة الإنقاذ الجزائرية.. ٧٥
● ماذا يريدون؟ ٧٤
● المستقبل لمن؟ ٨٣
● كتاب إحياء علوم الدين وأقوال العلماء فيه ٩٢
اختيار: ام قتيبة
● الانصهار في حمأة التهلكة ٩٧
د.عبد الله عمر سلطان
● منتدى القراء ١٠٠
● بريد القراء ١٠٦
● من نشاطات المنتدى ١٠٧
● الورقة الأخيرة ١٠٨
عبدالله القحطاني

أيها المسلم

إنك تعاني ما لا يعانيه غيرك من البشر، جهودك تضيَّع، وخططك تدمر، وأحلامك تُغتال. وتتواتر عليك المصائب دون انقطاع. إن من يقرأ ما كتب عنك ولا يعرفك يخرج بنتيجة حتمية - هذا إذا أنصف - وهي أنك أصبحت منبوذ هذا العصر، يتحاماك الناس في كل مكان، وينفرون منك لا لشيء، إلا لأن عقولهم امتلأت بالصور القبيحة التي يرسمها الإعلام لك، والإعلام في هذا العصر هو السلاح الذي لا يوضع، والحرب المشنونة التي لا تهدأ، إنك تواجه ضربين من الحروب:

أ- ضرب يجيء ويذهب بين الفينة والفينة، حينما تبلغ الكراهية الذروة، ويصل الضجيج إلى منتهاه، ولا يسكت إلا حينما يشفي غليله السنان والحسام والمدفع والدبابة والصاروخ.

ب- وضرب هو هذا « العرس الإعلامي » القائم الدائم بفحيحه وضجيجه، والذي لا يهدأ عن الهجوم على الإسلام: أفكاراً وأشخاصاً.

والضرب الثاني هو الأقسى والأنكى لأنه الأبقى، ومع أن الأول آلامه أعم، وبلاياه يحس بها الجميع، إلا أن الثاني لا يشعر به إلا العلماء وقادة الفكر وذوو الحس الحي في الأمة، الذين يتألمون لمصائب غيرهم ويشفقون من الآتي قبل حلوله.

إنك - أيها المسلم - غدوت ضحية هذه الحضارة المادية العاتية، تريد أن تطحنك برحاها، فتجدك عسر الهضم صعب المكسر، وهذا من أكبر العزاء لك، فلتكن ثقتك بالله قوية، ولا تحتقر نفسك وتشكو الضعف، وتجنب طريقة بني إسرائيل حيث شكوا لموسى عليه السلام الضعف والضراعة والاستكانة:

﴿ قالوا: أوذينا من قبل أن تأتينا ومن بعد ما جئتنا! قال: عسى ربكم أن يهلك عدوكم ويستخلفكم في الأرض فينظر كيف تعملون ﴾

[الأعراف ١٢٩].

أفلس أعداؤك جميعاً، مادياً ومعنوياً، أفلسوا من الخلق والدين والدنيا، باعوا دينهم بعرض قليل منزوع البركة، ينفق أكثره على نشر الفساد واستئصال المعروف وإرساء المنكر وإشاعة التقاليد الفرعونية، كل ذلك خوفاً منك، وعلاجاً لحضورك الذي يخيف سَدَنَة الفرعنة، ويهدد تقاليدها العفنة ورسومها المنخورة.

فاعرف نفسك - أيها المسلم - واعلم أنك - إن صدقت النية واستجمعت العزم - كنت اليد التي تُنَفَّذُ بها إرادة الله في الأرض من سحق الباطل وإنعاش الحق.

إن أعداءك يسلكون في سبيل إضعافك وإلغائك سياسة النَفَس الطويل والبناء الهادىء والمشاعر الباردة التي لا تستثار بسهولة، اطوِ قلبك على كراهية الكفر ورموزه، واثنِ جوانحك على مقت الخيانة والمكر التي تجرّب عليك كلّ حين، ولكن إياك أن تُستَدْرَجَ إلى عمل ينتظره شانئوك للإيقاع بك. أجِّل خلافاتك

مع من يشاركونك كلمة التوحيد، ويهدفون مثلك إلى إحياء عقيدة أهل السنة والجماعة، واستخلاصها من براثن الماسخين والمستغلين، فأعداء هذه العقيدة أمرهم عَجَبٌ في كثرتهم وتنوعهم واجتماعهم على هذا الهدف، رغم اختلافاتهم العميقة. وجِّه كل جهدك إلى من يريدون حصرك في مفهوم للدين من صنعهم، فهؤلاء هم العدو فاحذرهم، قاتلهم الله أنى يؤفكون. هؤلاء هم وكلاء الاستعمار بين ظهراني المسلمين، وهم موضع ثقته، وعيبةُ أسراره، ورواد دهاليزه.

إياك أن تنخدع بدعوى أن بلادنا مستقلة، حرة في قراراتها وإراداتها، تلفَّت يمنة تجد ألف دليل ودليل في كل صقع على أننا مكبلون، يُقرأ لنا، ويرسَمُ لنا، ويزرَع لنا، ويصنَع لنا، ويحفرَ لنا.

إن صعوبة المرحلة الاستعمارية المكشوفة - مع شراستها ومرارتها - لا تقارن بما يحدث في هذه المرحلة التي أعقبت تلك، التي يدبر أمرك فيها عدو من جلدتك بقلب مجلوب وعقل مستعار. لقد بان الصبح لذي عينين، فأنت الذي يحمل الشرعية، وأمامنا مثالان حاضران من أمثلة كثيرة، أحدهما في شرق الأرض، والآخر في غربها.

أما الأول ففي أفغانستان، حيث أنت الذي قام في وجه الإلحاد الغازي، وصَلِيتَ بنار الشيوعية قبل أن تولِّيك الأدبار تحت شدة ضرباتك الموفَّقة واستوصت على وليدها الخديج[1] كل من خَبُث من الأوصياء، قبل أن تندثر في مقبرة التاريخ.

وأما الآخر ففي الجزائر، لما قام الشعب هناك، فصحَّحَ خطأ عمره ثلاثون سنة سلماً لا حرباً، وأفصح عن إرادته تحت رقابة هؤلاء الذين يغتصبون هذه الإرادة

١- الخديج: المولود الذي يولد ناقصاً.

بكل صلافة وصفاقة وبعد عن المعقول حيث:

أجمعوا أمرهم عِشاءً فلما   أصبحوا أصبحت لهم ضوضاءُ

وقالوا: هذا لا يكون، وما هكذا رجونا أن تكون النتيجة، « والشعب لم يصوّت على شيء »!! الديموقراطية في خطر. الوحى الوحى، أدركوها قبل أن يعصف بها الإسلاميون!!

يا لله وهذا الافتراء! كيف يدان شخص قبل اقترافه الجريمة؟ ويدان ممن؟ ممن يداه ملطختان بدماء الأبرياء، وجيوبه منتفخة من حقوق المستضعفين!

أيها المسلم:

لا تستغرب ما ترى، فأنت تعيش في عصر الغرائب والأعاجيب، وحسبك هذا ليدفعك إلى الصبر والعمل ليل نهار دون كلل ولا ملل، لا تسمح للإحباط أن يتسرب إلى نفسك، فحق لك أن يتعب منك المرجفون ولا تتعب، وييأس من ثنيك عن عزيمتك وأهدافك دهاقنة الباطل ولا تيأس. لا تبالِ بالأوصاف الكاذبة التي تلصق بك، ولا بالأقلام المأجورة التي تنهشك، ولا تصرفْك الدعايات المسمومة التي تلفَّق ضدك عما توجهت له.

يعيبون عليك الاشتغال بالسياسة؟ وهل شرط المشتغل بالسياسة أن يتخلى عن دينه، ويدوس الأخلاق، ويترك هذا المجال لمحترفي الدجل يرسون دعائم الفساد ويحوطونها بالتشريعات الباطلة، ويحرسونها بالدساتير والقوانين المفصلة على قدِّ نواياهم الخبيثة، وسلوكهم المنافق؟ لِم هذا التردد والخوف البادي على تعبيراتك وأعمالك كلما سمعت من يتهمك بحب السلطة والحكم مع أنك لم تمارسهما يوماً، وكأنه عار وشنار تحب أن تتوارى منه، مع أن غيرك - وهو السفيه الأرعن، والجاهل الرعديد - تراه واثقاً من نفسه، لا يفكر أن توجه له

مثل هذه التهمة مع أنه متلبس بهما تلبساً كأن أمه ولدته على رقاب الناس؟

إن الباطل لا يستبحر في دنيا الناس ولا يعرّش إلا حينما يراهم يحبون الدعة والراحة والرفاه الكاذب الذي يُمَنِّيهم به، ويستحون مما لا يستحى منه، فيخجلون من الرجولة، ويتفاخرون بالفرار من تسمية الأمور بأسمائها التي وضعها لها البشر الأسوياء.

أيها المسلم:

إن الباطل ذا الرؤوس المخيفة الذي يخوفونك مغبة غضبته ليس كما يدعون، نعم، له أساليب جهنمية، وأرواح كثيرة، سبعة أرواح! ولكنها أرواح قصيرة كأرواح القطط والكلاب، فلا ترعك غضبته، ولا تصرفْك عن طِيَّتك أساليبه وتجاربه، لا تتردد عن الإصرار على دمغه بحقك فيزهق ويضمحلّ، ﴿ **ويومئذ يفرح المؤمنون بنصر الله، ينصر من يشاء، وهو العزيز الرحيم** ﴾

[الروم ٤ - ٥].

* * *

القواعد الفقهية

عبد العزيز الحويطان

معنى القاعدة لغة واصطلاحاً

القاعدة لغة: الأساس[1] وتجمع على قواعد وهي: أسس الشيء وأصوله حسياً كان ذلك الشيء أو معنوياً.

قال تعالى: ﴿ **وإذ يرفع إبراهيم القواعد من البيت وإسماعيل...** ﴾

وقال تعالى: ﴿ **فأتى الله بنيانهم من القواعد ...** ﴾

واصطلاحاً: عرفها الجرجاني بأنها « قضية كلية منطبقة على جميع جزئياتها »[2].

وقال تاج الدين السبكي: « هي الأمر الكلي الذي ينطبق عليه جزئيات كثيرة تفهم أحكامها منها »[3].

إذاً فقد عرفها السبكي بأنها أمر كلي، لكن الحموي له تعريف آخر فهو يعتبرها أمر أكثري أو قضية أغلبية فهو يقول: « إن القاعدة هي عند الفقهاء

غيرها عند النحاة والأصوليين، إذ هي عند الفقهاء حكم أكثري لا كلي ينطبق على أكثر جزئياته لتعرف أحكامها » [٤].

لكن ما السبب في جعلها حكماً أغلبياً لا كلياً؟

سيأتي معنا بعد قليل أن القاعدة تنخرم في بعض الأمور أي تشذ بعض الفروع فلا تنطبق على القاعدة، ولذا سميت قضية أو حكماً أغلبياً.

إذاً نستطيع أن نعرفها بأنها « حكم شرعي في قضية أغلبية يتعرف منها أحكام ما داخل تحتها » [٥].

الفرق بين القاعدة الفقهية والضابط الفقهي

حتى نعرف الفرق بين القاعدة الفقهية والضابط الفقهي، يجدر بنا أن نعرف الظابط الفقهي أولاً، ومنه يتضح الفرق إن شاء الله.

قال العلامة تاج الدين السبكي: « والغالب فيما اختص بباب وقصد به نظم صور متشابهة أن يسمى ضابطاً »[٦].

هذا هو المقصود بالضابط الفقهي، وهو أنه قاعدة تختص بباب واحد فقط.

أما الفرق بينهما، فقد قال ابن نجيم:

« الفرق بين الضابط والقاعدة: أن القاعدة تجمع فروعاً من أبواب شتى، والضابط يجمعها من باب واحد، هذا هو الأصل »[٧]. وأكد ذلك السيوطي - رحمه الله - في كتابه الأشباه والنظائر حيث قال: « القاعدة تجمع فروعاً من أبواب شتى والضابط يجمع فروع باب واحد »[٨].

وحتى يتضح الأمر تماماً دعنا نضرب مثالاً للضابط الفقهي، وهو حديث ابن عباس رضي الله عنهما عن رسول الله صلى الله عليه وسلم: « أيما إهاب دبغ فقد طهر »[٩]. فهذا الحديث يعتبر ضابطاً لطهارة الجلود في باب الآنية،

لذلك يقول الإمام إبراهيم النخعي رحمه الله: « كل شيء منع الجلد من الفساد فهو دباغ »[١٠].

أما مثال القاعدة فهي قاعدة « الأمور بمقاصدها » نجد أنها تدخل في أغلب أبواب الفقه إن لم يكن جميعها..

بهذا نكون قد وقفنا على الفرق بين الضابط والقاعدة في الفقه، وهذا لا يمنع أن يكون بعض العلماء قد ساروا في كتبهم على عدم التفريق بينهما.

الفرق بين القاعدة الفقهية والقاعدة الأصولية

أول من وجد له كلام عن التفريق بين القاعدة الفقهية والقاعدة الأصولية الإمام القرافي رحمه الله، حيث يقول:

« فإن الشريعة العظيمة المحمدية اشتملت على أصول وفروع، وأصولها قسمان:

١- المسمى بأصول الفقه وهو في غالب أمره ليس فيه إلا قواعد الأحكام الناشئة عن الألفاظ العربية خاصة، وما يعرض لتلك الألفاظ من النسخ والترجيح ونحو الأمر للوجوب والنهي للتحريم، والصيغة الخاصة للعموم ونحو ذلك...

٢- قواعد فقهية كلية، كثيرة العدد عظيمة المدد، مشتملة على أسرار الشرع وحكمه، لكل قاعدة من الفروع في الشريعة ما لا يحصى، ولم يذكر شيء منها في أصول الفقه، وإن اتفقت الإشارة إليه هناك على سبيل الإجمال فبقي تفصيل لم يتحصل »[١١]. إذاً فالشريعة من أصولها أصول الفقه والقواعد الفقهية كما قال القرافي.

ولو أنعمنا النظر في القواعد الأصولية والقواعد الفقهية، لوجدنا بينها فروق نذكرها على سبيل الإيجاز:

١- أن أصول الفقه بالنسبة للفقه ميزان وضابط للاستنباط الصحيح، شأنه في

ذلك شأن علم النحو لضبط النطق والكتابة، فهي التي يستنبط بها الحكم من الدليل التفصيلي وموضوعاتها دائماً الدليل والحكم، كقولك: الأمر للوجوب والنهي للتحريم والواجب المخير يخرج المكلف من العهدة فيه بفعل واحد مما خير فيه. أما القاعدة الفقهية فهي كلية تنطبق على جميع جزئياتها، وجزئياتها بعض مسائل الفقه، وموضوعاتها دائماً هو فعل المكلف.

٢- القواعد الأصولية كلية تنطبق على جميع جزئياتها، أما القواعد الفقهية فإنها أغلبية وتكون لها المستثنيات.

٣- القواعد الأصولية ذريعة لاستنباط الأحكام الشرعية، أما القواعد الفقهية فهي عبارة عن مجموعة الأحكام المتشابهة التي ترجع إلى علة واحدة تجمعها.

٤- القواعد الفقهية متأخرة في وجودها الذهني والواقعي عن الفروع، لأنها جمع لأشتاتها وربط بينها، أما الأصول فالفرض الذهني يقتضي وجودها قبل الفروع لأنها القيود التي أخذ الفقيه نفسه بها عند الاستنباط »[١٢].

هذه هي أهم الفروق بينهما، ولعلها اتضحت إن شاء الله. ويبقى أن نذكر أن من أهم مميزات القواعد الفهية أنها تخدم المقاصد الشرعية العامة والخاصة، وتمهد الطريق للوصول إلى أسرار الأحكام وحكمها[١٣].

معنى الأشباه والنظائر

هذا المبحث لأول وهلة يظن المرء أن لا دخل له في القواعد الفقهية، لكن كتب الأشباه والنظائر مليئة بالقواعد الفقهية وفنون أخرى، ولذلك ألحق بهذا البحث. فما تعريف الأشباه؟؟

- كلمة شِبْه أو شَبَه هي المثل في اللغة[١٤]، والنظير: المثل المساوي[١٥].

أما اصطلاحاً فقد عرف تاج الدين السبكي رحمه الله الأشباه فقال: « إن الأشباه: هو أن يجتذب الفرع أصلان ويتنازعه مأخذان فينظر إلى أولاهما

وأكثرهما شبهاً فيلحق به[١٦]. مثال ذلك: « إلحاق العبد المقتول بالحر، فإن له شبهاً بالفرس من حيث المالية وشبهاً بالحر لكن مشابهته بالحر في الأوصاف والأحكام أكثر فألحق بالحر[١٧].

وقد عرف الحموي الأشباه فقال: « المراد بها المسائل التي يشبه بعضها بعضاً مع اختلاف في الحكم لأمور خفية أدركها الفقهاء بدقة أنظارهم، وقد صنفوا لبيانها كتباً كفروق المحبوبي والكرابيسي » [١٨].

إذاً فالأشباه هي الفروع المتشابهة ظاهراً والمختلفة باطناً لعلة معينة، وأصل هذه الكلمة يرجع إلى كتاب أمير المؤمنين عمر بن الخطاب إلى أبي موسى الأشعري حيث جاء فيه: « الفهم الفهم فيما يختلج في صدرك مما لم يبلغك في الكتاب والسنة، اعرف الأمثال والأشباه، ثم قس الأمور عند ذلك، فاعمد إلى أحبها إلى الله وأشبهها بالحق فيما ترى »[١٩].

هذا فيما جاء في أصل هذه الكلمة، أما كلمة النظائر فلم يرد فيها أثر، لكن الفقهاء أضافوها إلى كلمة الأشباه مقابلة لها، وذلك أنهم ألفوا فنوناً فقهية عبارة عن أحكام متشابهة مع وجود بعض الفروق بينها [٢٠].

فالفروق أقاموا كلمة النظائر بدلها، وبعض المؤلفين ألف كتباً وسماها الفروق، بينما بعضهم ألف في نفس الفن وجاء بالأشباه والنظائر، ولذلك يقول السيوطي: « والمناظرة تكفي في بعض الوجوه ولو وجهاً واحداً » [٢١].

أما أول من ألف في الفروق فهو الإمام أحمد بن عمر بن سريج الشافعي (٣٠٦ هـ) ثم توالت التأليفات بعده [٢٢].

وقد عرف صاحب الفوائد الجنية الفروق فقال: « معرفة الجمع والفرق: أي معرفة ما يجتمع مع آخر في الحكم، ويفترق معه في حكم آخر كالذمي والمسلم يجتمعان في أحكام ويفترقان كذلك، ومن هذا الفن نوع يسمى الفروق: وهو

معرفة الأمور الفارقة بين مسألتين متشابهتين بحيث لا يسوى بينهما في الحكم»[٢٣].

وقال أبو محمد الجويني:« فإن مسائل الشرع ربما تتشابه صورها، وتختلف أحكامها لعلل أوجبت اختلاف الأحكام، ولا يستغني أهل التحقيق عن الإطلاع على تلك العلل التي أوجبت افتراق ما افترق منها واجتماع ما اجتمع منها » [٢٤].

ومن الأمثلة على ذلك:« إذا طرح في الماء تراب فتغير به طعمه أو لونه أو ريحه، لم يسلبه التطهير، ولو مزج فيه طاهر غير التراب كالزعفران والعصفر والصابون والملح الحجري فتغير بمخالطته بعض صفاته سلبه التطهير، والفرق بينهما أن التراب يوافق الماء في صفتيه الطهارة والتطهير، فلا يسلبه بمخالطته شيئاً منها...»[٢٥].

ومما سبق يتبين أن علم الأشباه والنظائر هونفسه الفروق، وهما يشملان القواعد الفقهية، لأن علم الأشباه والنظائر يحوي الألغاز والحيل وفنوناً عديدة منها القواعد الفقهية..

« يتبع »

الهوامش:

١- المفردات في غريب القرآن للراغب الأصفهاني ص ٤٠٦
٢- التعريفات للجرجاني ص ١٧١
٣- القواعد الفقهية لعلي أحمد الندوي
٤- غمز عيون البصائر شرح الأشباه والنظائر ٢٢/١
٥- القواعد الفقهية لعلي أحمد الندوي ص ٤٣

٦- القواعد الفقهية
٧- الأشباه والنظائر لإبن نجيم ص ١٩٢
٨- أخرجه الترمذي، كتاب اللباس، باب ما جاء في جلود الميتة إذا دبغت، وقال: حديث حسن صحيح.
٩- الآثار لأبي يوسف ص ٢٣٢
١٠- الفروق للقرافي ١/٢-٣
١١- انظر القواعد الفقهية ص ٥٨-٦١، للإطلاع على مزيد من هذه الفروق.
١٢- مصدر سابق ص ٦١
١٣- تاج العروس ٣٩٣/٩
١٤- مصدر سابق
١٥- الأشباه والنظائر ص ١٧
١٦- كشف اصطلاحات الفنون ١٧٣/٤
١٧- غمز عيون البصائر
١٨- سنن الدارقطني٢٠٦/٤ وسنن البيهقي ١١٥/١٠
١٩- القواعد الفقهية ص ٦٨
٢٠- الحاوي للفتاوى ٢٧٣/٢
٢١- القواعد الفقهية
٢٢- الفوائد الجنية ٨٧/١
٢٣- القواعد الفقهية للندوي ص ٧٣ ، وعزاه إلى كتاب الفروق للجويني - شريط مصور.
٢٤- القواعد الفقهية ص ٧٤ ، وعزاه إلى كتاب الفروق للسامري - شريط مصور.
٢٥- أخرجه البخاري، كتاب الديات، باب: المعدن جبار والبئر جبار ٢٥٣٣/٦ ترقيم البنا.

* * *

أثر الضعف الخلقي في سقوط الأندلس

د. حمد بن صالح السحياني

حينما دخل المسلمون الفاتحون بلاد الأندلس، كانوا قد انصهروا في بوتقة الإسلام، حيث تأدبوا بآدابه، فاتبعوا أوامره، واجتنبوا نواهيه، كما مثلوا أخلاقياته وما يدعو إليه من قيم سامية واقعاً ملموساً، أدركها جميع أهل تلك الديار، فأعجبوا بها. فقد قال أحد قادة لذريق في رسالة بعث بها إليه يصف بها جيش المسلمين الأول الذي عبر إلى الأندلس بقيادة طارق بن زياد: « لقد نزل بأرضنا قوم لا ندري أهبطوا من السماء أم نبعوا من الأرض »[1].

وقد بقي المسلمون خلال القرون الثلاثة الأولى من وجودهم هناك، محافظين على تلك القيم، معتزين بها. ولكن مع مضي الزمن بدأ البعض منهم بالتحلل منها مما أفقدهم شيئاً من مقومات أصالتهم ووجودهم هناك وقد أدرك هذه الحقيقة ابن خلدون حين قال: « إذا تأذن الله بانقراض الملك من أمة حملهم على ارتكاب المذمومات وانتحال الرذائل وسلوك طريقها، وهذا ما حدث في الأندلس وأدى فيما أدى إلى ضياعه »[2].

كما أدركها كوندي - أحد الكتاب النصارى - حيث قال: « العرب هووا عندما نسوا فضائلهم التي جاؤوا بها، وأصبحوا على قلب متقلب يميل إلى الخفة

والمرح والاسترسال بالشهوات »[3].

وصدق الله العظيم إذ يقول: ﴿ **وإذا أردنا أن نهلك قرية أمرنا مترفيها ففسقوا فيها فحق عليها القول فدمرناها تدميرا** ﴾ [الإسراء ١٦].

ومنذ أن بدأ الضعف في الجانب الخلقي عند بعض مسلمي الأندلس بالظهور كعرض من أعراض بعدهم عن منهج الله انتاب الوجود الإسلامي هناك نوع من الضعف وذلك لأن كل تقدم حضاري وسياسي وسمو فكري وارتفاع معنوي وأية عزة في السلطان كان مرده إلى التمسك بالإسلام، ومرتهنا بمقدار الالتزام بشريعته[4].

ولما كان هذا العامل من أهم عوامل سقوط بلاد الأندلس رأيت أن أكتب حول هذا الموضوع حيث سأقوم - بعون الله - برصد هذه الظاهرة منذ بدايتها كعامل أثر على الواقع السياسي والعسكري للمسلمين هناك، منذ عصر ملوك الطوائف حتى خروج المسلمين من تلك الديار.

ونظراً لتشعب الموضوع فإن دراستي هذه ستقتصر على عصر ملوك الطوائف وذلك لأن المرحلة الاولى من مراحل سقوط الأندلس بدأت فيه آملاً أن تتاح لي الفرصة مستقبلاً لإكمال رصد تلك الظاهرة حتى نهايتها.

وفي البداية قد يكون من المناسب أن نبين قبل حديثنا عن عوامل سقوط بلاد الأندلس حقيقة تاريخية هامة وهي:

أن سقوط الأندلس بيد العدو النصراني لا يعني سقوط مملكة غرناطة التي كان يحكمها بنو الأحمر فحسب؛ بل إن الأمر أعم من ذلك وأشمل، فسقوط الأندلس بدأ حقيقة في وقت مبكر من تاريخ المسلمين بتلك الديار، حيث يستطيع الراصد لذلك التاريخ أن يقول: إن بداية الانحسار الإسلامي في الأندلس كان منذ أن سقطت الدولة الأموية هناك، وبعد أن قام على أنقاضها العديد من الدويلات الإسلامية المتناحرة المتنازعة التي صورها الشاعر بقوله[5]:

مما يزهدني في أرض أندلس   أسماء معتمد فيها ومعتضد

ألقاب مملكة في غير موضعها   كالهر يحكي انتفاخاً صورة الأسد

ولعل مما يؤكد هذه الحقيقة أن مسلمي بلاد الأندلس لم يتمكنوا من الدفاع عن أنفسهم بعد سقوط الخلافة الأموية هناك بل بقوا متنازعين متناحرين فيما بينهم حتى بدأ الضعف بهم واضحاً نتيجة لتزايد الخطر النصراني ضدهم، الأمر الذي دفعهم إلى الدخول في سلطان دولة المرابطين ثم الموحدين، ثم الاعتماد بعد ذلك على المساعدات المرينية بشكل قوي وملموس.

وتتأكد هذه الحقيقة إذا تذكرنا أن الخطر النصراني ازداد ضد المسلمين هناك حينما ضعفت مساعدات مسلمي المغرب لإخوانهم مسلمي الأندلس.

وبعد هذه المقدمة السريعة - فإنه بوسعنا أن نقول أن سقوط مدينة طليطلة سنة ٤٧٨ هـ (١٠٨٥ م)[٦] كان مقدمة لسقوط غرناطة سنة ٨٩٧ هـ (١٤٩١ م)[٧] وأن تراجع مسلمي الأندلس نحو الجنوب منذ القرن الخامس كان هو الخطوة الأولى لعبورهم إلى الشمال الأفريقي في آخر القرن التاسع الهجري، كما أن غياب أمثال طارق بن زياد وموسى بن نصير والسمح بن مالك وعبد الرحمن الغافقي وغيرهم عن الساحة الإسلامية قد أتاح الفرصة لظهور مثل رذريق (القمبيطور) والفونسو الثامن، والفونسو الحادي عشر، وفرانده الخامس وغيرهم من زعماء النصارى الذين تولوا قيادة الجيوش النصرانية التي تولت مهمة حرب استرداد الأندلس كما يسمونها.

وقد أدرك هذه الحقيقة الشاعر الأندلسي المسلم الذي هز وجدانه سقوط طليطلة سنة ٤٧٨ هـ (١٠٨٥ م) فعرف أن ذلك له ما بعده حيث قال محذراً إخوانه المسلمين هناك[٨]:

حثوا رواحلكم يا أهل اندلس   فما المقام بها إلا من الغلط

السلك يُنثَر من أطرافه وأرى   سلكَ الجزيرة منثوراً من الوَسَطِ

من جاور الشر لا يأمن عواقبه   كيف الحياةُ مع الحيات في سَفَطِ

ضع قليلاً من الصمغ والصق هنا

قسيمة اشتراك

أرجو اعتباري مشتركاً في مجلة « البيان » اعتباراً من العدد ....

الاسم : .... Name

العنوان : .... Address

....

مرفق طيه قيمة الاشتراك : وذلك لمدة ☐ سنة

شيك ☐ ☐ سنتين

يكتب الشيك باسم : AL-MUNTADA AL-ISLAMI TRUST

وبالجنيه الاسترليني فقط .

ضع قليلاً من الصمغ والصق هنا

ضع قليلاً من الصمغ والصق هنا

اطو هنا

مقترحات إضافية

....

....

....

....

....

....

إذا كنت لا تحتاج هذه القسيمة فأعطها لمن تأنس به الرغبة

Name .... : الاسم

Adress .... : العنوان

City .... : المدينة

Country .... : الدولة

AL - BAYAN
AL-MUNTADA AL-ISLAMI TRUST
7 Bridges Place, Parsons Green,
London SW6 4HR
U . K .

طابع
Stamp

وهكذا نرى أن بداية الانحدار لمسلمي الأندلس كان في عهد ملوك الطوائف، وأن الضعف الذي حل بهم كان ضربة موجعة لم يستطعيوا التخلص من آثارها بعد ذلك بالرغم من التئام شملهم النسبي في عهدي المرابطين والموحدين.

ومما لا شك فيه أن هذا الضعف التدريجي الذي أدى في النهاية إلى خروج المسلمين من تلك الديار، لم ينشأ من فراغ، كما لم يكن وليد يومه أو ليلته، بل إنه كان نتيجة لعدة عوامل وأسباب نشأت في ظروف معينة، فلما نمت وترعرعت تمخض عنها ضعفهم، وخروجهم من الأندلس، ويمكن إجمال تلك العوامل والأسباب فيما يلي:

١- انحراف كثير من مسلمي الأندلس عن منهج الله.

٢- موالاة العدو النصراني والتخلي عن الجهاد.

٣- انعدام الوحدة السياسية بينهم.

٤- تكالب القوى النصرانية ضدهم.

هذه أهم عوامل سقوط بلاد الأندلس، ويعتبر الضعف في الجانب الخلقي عند المسلمين هناك أحد النتائج التي تمخضت عن العامل الأول وقد كان لهذا الضعف أكثر من مظهر وصورة ولعل من أهمها:

- الأنانية وحب الذات.
- التشبه بالعدو وتقليده.
- انتشار المجون والخلاعة بين المسلمين.

ولهذا سيكون حديثي عن هذا الموضوع من خلال هذه المحاور الثلاثة، حيث سأبدأ أولاً برصد هذه الظاهرة منذ بداية ظهورها، ثم انعكاسات ذلك على المجتمع الإسلامي في الأندلس، وآثارها على القوتين السياسية العسكرية عندهم.

الأنانية وحب الذات

مما لا شك فيه أن الإيثار والتعاون من أهم سمات المجتمع الإسلامي، فقد دعا الإسلام إلى هذا الأمر وأصله في نفوس المسلمين، قال تعالى: ﴿ **والذين تبوؤا الدار**

والإيمان من قبلهم يحبون من هاجر إليهم ولا يجدون في صدورهم حاجة مما أوتوا، ويؤثرون على أنفسهم ولو كان بهم خصاصة، ومن يوقَ شح نفسه فأولئك هم المفلحون ﴾ [الحشر ٩].

وقد دخل المسلمون الفاتحون إلى بلاد الأندلس بهذه الأخلاق الطيبة، كما تربى أفراد المجتمع الإسلامي هناك على هذا الخلق الإسلامي الأصيل عامتهم وخاصتهم، ولهذا قال أحد الباحثين: « بقينا في الأندلس ما بقينا مع الله، وضاعت الأندلس لما أضعنا طريق الله، بقينا في الأندلس بهمة عبد الرحمن الداخل الذي قال لما نزل من البحر إلى بر الأندلس وقد قدم إليه خمر ليشرب فأبى وقال: إني محتاج لما يزيد في عقلي لا لما ينقصه، فعرف الناس من ذلك قدره، ثم أهديت إليه جارية جميلة فنظر إليها وقال: إن هذه لمن القلب والعين بمكان، وإن أنا لهوت عنها بهمتي فيما أطلبه ظلمتها، وإن لهوت بها عما أطلبه ظلمت مهمتي فلا حاجة لي بها الآن[٩].

وقد سار المسلمون بالأندلس على هذا النهج حتى آخر عمر الدولة الأموية حيث يذكر ابن عذاري أن المنصور بن أبي عامر كان يسهر على مصالح رعيته وكانت متابعته لأمور رعيته تستنفد منه كل وقته لدرجة أنه كان لا ينام إلا سويعات قليلة متفرقة فلما قيل له: قد أفرطت في السهر وبدنك يحتاج إلى أكثر من هذا النوم، أجاب قائلًا: إن الملك لا ينام إلا إذا نامت الرعية، ولو استوفيت نومي لما كان في دور هذا البلد العظيم عين نائمة[١٠].

وفي آخر عمر الدولة الأموية ضعف تمسك الناس بكثير من الأخلاق الإسلامية، فانعكست آثار ذلك على المجتمع الإسلامي فضلًا عن الدولة الأموية التي بدأت تظهر عليها علامات الهرم والشيخوخة حينما خف اعتبارها عند الناس، لأن قادتها فقدوا واحداً من أهم مقومات دولتهم حيث يذكر المؤرخون أنه حينما أعلن سقوط الدولة الأموية في قرطبة سنة ٤٢٢ هـ مشى البريد في الأسواق والأرباض بألا يبقى أحد من بني أمية بقرطبة ولا يكنفهم أحد من القرطبيين[١١].

وبعد أن قامت دولة ملوك الطوائف على أنقاض الدولة الأموية ازداد الأمر سوءاً حيث تنافس أولئك القوم على السلطة، وتناحروا من أجلها، فانتشر بينهم العداء

المستحكم والخصام الدائم، فالكثير منهم لا هم له إلا تحقيق مصلحته الذاتية وإشباع أنانيته، وتثبيت أقدامه في السلطة ولو على حساب مصلحة المسلمين، وكأن الأندلس إنما وجدت له ولمصلحته الذاتية مهما كان قصير العمر، ذليل المكانة مهزوز القواعد(١٢)، ولهذا جعل الله بين أولئك الملوك والأمراء من التحاسد والتنافس والغيرة ما لم يجعله بين الضرائر المترفات، فلم يتعاونوا على بر أو تقوى أو يسعوا لمصلحة إسلامية، بل انصبت كل جهودهم على توفير ما يخدم مصالحهم الخاصة(١٣).

هكذا كان واقع أولئك القوم، ويجد الدارس لتاريخهم العديد من الأمثلة والحوادث التي تدل على صحة ذلك وعلى أنهم انشغلوا بأمورهم الخاصة وغفلوا عن الخطر النصراني الذي كان يتهدد هذه الجهة الشمالية من بلادهم، ومن الأمثلة على ذلك أنه حينما أغار فرناندو ملك ليون على بَطَلْيوس بلاد المظفر بن الأفطس فدمرها، واستباح حريمها، وانتهب أموالها ورد خبرها على المأمون بن ذي النون صاحب طليطلة، ولما دخل عليه وزيره أبو المطرف بن مثنى بعد وصول الخبر إليه وجده شديد الإطراق والضيق. وأخذ يفرج عنه معتقداً أن ما أصابه من ضيق كان بسبب ما سمعه مما أصاب المسلمين في بطليوس، فلما فهم مقصد ابن مثنى منه أعرض عنه وقال له: ألا ترى هذا الصانع - يعني عريف بنيانه - صبرت له وأغضيت له لكنه لا يمتثل لأمري وينغص علي لذتي ويستخف بإمرتي(١٤).

ولما تزايد الخطر النصراني ضد مسلمي الأندلس بعد حادثة بربشتر سنة ٤٥٦ هـ وجه أبو حفص عمر بن حسن الهوزني(١٥) رسالة إلى المعتضد ابن عباد (٤٣٣ - ٤٦٢ هـ) دعاه فيها إلى الجهاد، كما بين فيها شدة معاناة المسلمين، وسبب تزايد الخطر النصراني عليهم، وأنه لا خلاص للمسلمين من واقعهم المر إلا بالرجوع إلى ميدان الجهاد ومما جاء في تلك الرسالة:

أعباد جل الرزء والقوم هجع ... على حالة من مثلها يُتَوَقَّع

فَلَقِّ كتابي من فراغك ساعه ... وإن طال فالموصوف للطول موضع

وكتابي عن حالة يشيب لشهودها مفرق الوليد، كما يغير لورودها وجه الصعيد،

بدؤها ينسف الطريف والتليد، ويستأصل الوالد والوليد، تذر النساء أيامى والأطفال يتامى..[١٦]

هكذا نبه أبو حفص الهوزني ابن عياد إلى الخطر المحدق بالمسلمين هناك، كما بين له أن الخلاص من ذلك المأزق لا يتم إلا بالتخلي عن الذات، وجعل الجهاد هو الهاجس الدائم للمسلمين هناك عامتهم وخاصتهم. ويذكر المؤرخون أن موقف ابن عباد من تلك الرسالة كان سيئاً، فما إن تلقاها حتى أرسل إلى الهوزني يستدعيه للقدوم إلى أشبيلية، فلما قدم إليه أخذ يسعى للقضاء عليه حتى تمكن من قتله سنة ٤٦٠ هـ[١٧].

وبالإضافة إلى هذه الحادثة فقد ذكر المؤرخون العديد من الأمثلة التي قام بها المعتضد بن عياد من أجل تثبيت قدميه في السلطة حينما يرى أن سلطانه أصبح في خطر حيث تطاول على العديد من القادة والعلماء كما قتل ابنه من أجل هذا الغرض[١٨].

وكان ملوك الطوائف يسعون دائماً إلى إيجاد ما يدعمون به ملكهم ويثبت أقدامهم في السلطة، ومن ذلك بذلهم العطاء الوافر للشعراء والأدباء الذين يقولون قصائدهم في مدحهم، وقد أسرفوا في هذا الأمر إسرافاً لا مثيل له، وعلى سبيل المثال فقد منح المعتمد بن عباد الشاعر عبد الجليل بن وهنون ألفين من الدنانير على بيتين من الشعر، بينما منح المعتصم بن صمادح قرية بأكملها للشاعر أبي الفضل جعفر بن أبي عبد الله ابن مشرف حينما أنشده قصيدته التي مطلعها:

قامت تجر ذيول العَصْبِ والحِبَرِ ... ضعيفة الخصر والميثاق والنظر

ولما بلغ منها قوله:

لم يبق للجور في أيامهم أثر ... إلا الذي في عيون الغيد من حَوَرِ

قال المعتصم: « لقد أعطيتك هذه القرية نظير هذا البيت الواحد ووقع له بها وعزل عنها نظر كل وال »[١٩].

وقد ذكر عن علي بن مجاهد صاحب دانية أنه « طلب السّلم وأغمد السيف

وكانت همته في خراج يَجْبيه ومتجرٍ يُنَمِّيه[٢٠].

وهكذا يتبين لنا من خلال هذه الأمثلة التي ذكرناها أن الأنانية وحب الذات قد تأصلت عند ملوك الطائف حتى أصبحت خلقاً مألوفاً لدى الكثير منهم يصعب عليهم التخلص منها أو السعي لغيرها. وهذا بلا شك كان من أكبر معاول الهدم التي أصابت قوة المسلمين في تلك الفترة، وقد أدرك هذه الحقيقة عدد من مؤرخي تلك الفترة، فقال ابن حيان - شيخ مؤرخي الأندلس -: « دهرنا هذا قد غربل أهليه أشد غربلة فسفسف أخلاقهم، وسفه أحلامهم، وخبث ضمائرهم... فاحتوى عليهم الجهل، يعللون نفوسهم بالباطل..[٢١].

كما عد ابن حزم هذا الانحراف الذي مني به ملوك الطوائف بأنه منزلق خطير، وظاهرة لها ما بعدها من الآثار السلبية حيث قال: « اللهم إننا نشكو إليك تشاغل أهل الممالك من أهل ملتنا بدنياهم عن إقامة دينهم، وبعمارة قصور يتركونها عما قريب، عن عمارة شريعتهم اللازمة لهم في معادهم ودار قرارهم، وبجمع أموال ربما كانت سبباً في انقراض أعمارهم وعوناً لأعدائنا عليهم عن حاجة ملتهم حتى استشرف لذلك أهل القلة والذمة، وانطلقت ألسنة أهل الكفر والشرك »[٢٢].

وبالإضافة إلى هذا فقد ذكر ابن حزم في موضع آخر أن الأنانية وحب الذات قد تأصلت في نفوس أولئك الحكام حتى كأن الأندلس إنما خلقت لهم ولتحقيق رغباتهم، وأنهم يقدمون في هذا السبيل ومن أجل هذا الغرض تنازلات كبيرة حيث قال في ذلك: « والله لو علموا أن في عبادة الصلبان تمشية أمورهم بادروا إليها، فنحن نراهم يستمدون النصارى فيمكنوهم من حُرَم المسلمين وأبنائهم... وربما أعطوهم المدن والقلاع طوعاً فأخلوها من الإسلام وعمروها بالنواقيس»[٢٣].

وهكذا نرى كيف أن الأنانية وحب الذات عند ملوك الطائف قد جعلتهم يقدمون التنازلات الكثيرة للنصارى من أجل البقاء في السلطة حتى ولو كان ذلك على حساب مصلحة المسلمين العامة.

«يتبع»

المصادر:

١- المقري، نفح الطيب ٢٤٠/١

٢- مقدمة ابن خلدون ٤٤٦/٢

٣- شوقي أبو خليل، عوامل النصر والهزيمة عبر تاريخنا الإسلامي ص ١٢٢

٤- عبد الرحمن الحجي، التاريخ الأندلسي ص ٥٧٤

٥- مقدمة ابن خلدون ٧٥٢/٢، ابن الخطيب، أعمال الأعلام ١٤٤/٢

٦- ابن الكردبوس، تاريخ الأندلس ص ٨٥، المقري نفخ الطيب ٤٤١/١

٧- مؤلف مجهول، نبذة العمر ص ٣٩-٤٢، المقري، أزهار الرياض ٦٦/١، نفخ الطيب ٥٢٥/٤

٨- ابن سعيد، رايات المبرزين ص ٥٠، المقري نفخ الطيب ٢٥٣/٤

٩- شوقي أبو خليل، عوامل النصر والهزيمة عبر تاريخنا الإسلامي ص ١٢٢-١٢٣

١٠- البيان المغرب ٢٩٨/٢

١١- ابن بسام، الذخيرة ٥٢٧/٣، ابن الخطيب، أعمال الأعلام ص ١٣٩ . ويتأكد لنا أهمية هذا الأمر إذا تذكرنا ما كان للأمويين من اعتبار قوي عند الناس قبيل قيام دولتهم في الأندلس.

١٢- الحجي، التاريخ الأندلسي ص ٣٣٢

١٣- ابن الخطيب، أعمال الأعلام القسم الثاني ص ٢٤٤

١٤- ابن بسام، الذخيرة ق ٤ ١٤٧/١-١٤٨

١٥- وهو أبو حفص عمر بن حسن الهوزني من علماء الأندلس المشهورين ولد سنة ٣٩٢ هـ، واهتم بطلب العلم منذ صغره، وقد تفنن في كثير من العلوم حيث أخذ من كل علم بطرف وافر، (ابن بشكوال، الصلة ٤٠٢/٢-٤٠٣)

١٦- ابن بسام، الذخيرة ق ٢ ٨٣/١-٨٦

١٧-ابن بشكوال، الصلة ٤٠٢/١

١٨- انظر في تفصيلات هذه الحوادث كلا من ابن بسام، الذخيرة ق ٢ جـ ١ ص ١٤٧-١٥٠، ابن عذارى، البيان المغرب ٢٤٤/٣-٢٤٨، المراكشي، المعجب ص ١٤٧

١٩- ابن بسام، الذخيرة ق جـ ٤ ١٩٢/١، بالنثيا، تاريخ الفكر الأندلسي ص ٩٨

٢٠- رجب عبد الحليم، العلاقات بين الأندلس الإسلامية وإسبانيا النصرانية ص ٢٩٦

٢١- ابن بسام، الذخيرة ق ٣ جـ ١٨٨/١-١٨٩ (نقلاً عن ابن حبان)

٢٢- ابن حزم، رسائل ابن حزم تحقيق إحسان عباس ٤١/٣

٢٣- رسائل ابن حزم ١٧٦/٣

مبـــادرة كارتـــــر:

أسلوب جديد للتنصير

د. حسن علي أحمد

يبدو أن مشاغل جيمي كارتر هذه الأيام أكثر بمرات عديدة منها أيام فترته الرئاسية لأمريكا. هذه حقيقة مع فارق بسيط. فمع كثرة المشاغل والمتاعب إلا أنه وزوجته روزالين يجدان متعة عظيمة فيما يقومان به، لأنهما - كما يقول - يؤديان ما يؤمنان به وقد نذر بقية عمره لأجله، فالتنصير أو مايسمى تدليساً التبشير هو الهدف الرئيس الذي أنشأ من أجله مركز كارتر في أتلانتا بولاية جورجيا. هذا المركز والذي لاقت أعماله نجاحاً ودعما كبيراً من جمعيات التنصير العالمية، تكون ابتداءاً من قسم واحد يعمل من أجل السلام في العالم!، يتفرع اليوم إلى أقسام عديدة؛ أهمها مركز كارتر للديموقراطية (CCD)، وشبكة كارتر الدولية للتفاوض (CINN).

لقد استفاد المنصرون من تجاربهم والتي عانت من الفشل مرات كثيرة خاصة في بلاد المسلمين فتغيرت بعض أساليبهم وبشكل ملحوظ خلال العقد الماضي. فلم يعد التنصير اليوم حكراً على القسس والرهبان بل أصبح المنصر مهندساً أو

طبيباً أو قائداً لثوار ورئيساً سابقاً لدولة عظمى داعية للديموقراطية والسلام!؟

ويدعي كارتر أن شبكة التفاوض الدولية التابعة لمركزه تتابع أكثر من ١٠٤ نزاعات في العالم، صنفت اثنتان وثلاثون منها على أنها حروب كبيرة بعد أن سقط فيها أكثر من ١٠٠٠ قتيل. تقع ثمانية من هذه الحروب الكبيرة في أفريقيا؛ القارة الأقرب إلى قلب كارتر والتي سعى ويسعى فيها لدعم المسيحيين في القرن الأفريقي، والذين يشكلون أقليات في كل دول المنطقة حتى في أثيوبيا خلافاً لما يعتقده كثيرون. ويعرف من يتابع مجريات الأحداث في شرق أفريقيا والاجتماعات التي عقدت خلال الأعوام الماضية في أتلانتا ونيروبي وأديس أبابا، أن تبني كارتر لجورج قرنق في جنوب السودان وجبهة أسياس أفورقي النصراني في أرتيريا إنما كان لينفصل الأول عن السودان وتندمج الثانية بشكل نهائي في أثيوبيا كخطوة نحو إيجاد دولة أو كيان يضم كل المسيحيين في القرن الأفريقي، تحقيقاً لحلم يراود النصارى منذ زمن بعيد، حيث لم يفتأوا يصرون على أن المنطقة كانت ويجب أن تظل مسيحية.

وضمن جهود كارتر المتواصلة للتغلغل في المنطقة، زار خلال شهر تشرين الثاني الماضي زامبيا للإشراف على سير الانتخابات الرئاسية الأخيرة فيها وذلك في إطار برنامج مركزه للديموقراطية المذكور سالفاً. هناك أطلق كارتر - وفي بعض الدول الأخرى التي زارها - مجموعة من النداءات أراد لها أن تكون مبادرة تستهدف إنهاء النزاعات في القارة وتساهم في حل مشاكلها الصحية والاقتصادية. ونستعرض فيما يلي طرفاً مما قام به في رحلته هذه إضافة إلى مراقبة الانتخابات في زامبيا:

- قضى عطلة نهاية الأسبوع السابقة للانتخابات في محادثات مع طرفي النزاع في ليبيريا؛ الرئيس الانتقالي آموس سوير، وقائد المتمردين تشارلس تايلر؛ في

لاغوس، العاصمة النيجيرية، حيث التقى بالرئيس إبراهيم بابنجيدا من أجل الجلسة القادمة في سلسلة لقاءات سوير وتايلور والتي تعقد في باموس سكرو تحت إشراف الحكومة النيجيرية من أجل حل سلمي للنزاع الدامي الذي شغل ليبيريا لأكثر من ٢٢ شهراً. وبدا كارتر متعاطفاً مع زعيم المتمردين في تصريحاته التي ذكر فيها أن تايلر أصبح أكثر استعداداً للسلام والديموقراطية[١]. كما تعهد كارتر بمساعدات سيقدمها مركزه لإقامة انتخابات خلال العام المقبل في حالة حصول اتفاق بين الطرفين وإنهاء تقسيم ليبيريا. وجدير بالذكر أن الجبهة الوطنية الليبيرية قد أثارت فتنة عظيمة في البلاد بقيادة تشارلس تايلر النصراني المتعصب، راح ضحيتها آلاف المسلمين وتعرضت فيها ممتلكاتهم وأراضيهم للنهب والتخريب.

- بالإضافة إلى الإشراف على الانتخابات، يقدم المركز خدمات أخرى. فقد أعلن ممثل المركز أنه قد تم تنظيم مجموعات محلية هدفها حماية الأطفال وتعليمهم، وأعلن أن الجهود الأولى ستصرف في حملة تطعيم - ضد أمراض الحصبة والدفتيريا والتيفود والسعال الديكي.
- حرص كارتر على تنظيم لقاءات مع القيادات السياسية والفكرية لتلك الدول، كان أهمها اللقاء الأكاديمي الذي تم في المعهد النيجيري للشؤون الدولية وذلك ضمن حلقة علمية عن « دور ومشاركة الولايات المتحدة والاتحاد السوفييتي في نشوء النزاعات الأفريقية ». وقد حرص كارتر في ذلك اللقاء على دعوة مجموعة من الأساتذة الأفارقة لزيارة مركزه في أتلانتا لإلقاء المحاضرات فيه عن العلاقات الدولية كما كان حريصاً على طرح

١- مجلة « ويست أفريكا » الصادرة في لندن بتاريخ ١٤ ديسمبر ١٩٩١ م. وقد اعتمدت على ما كتبه مراسلهم من نيجيريا فيما نقلته من أقوال كارتر.

بعض النقاط التي تمس الواقع المتخلف لأفريقيا جنوب الصحراء والتي يمكن تلخيصها بالتالي:

١- إن أفريقيا لم تحصل على نصيب مكافىء من الثروة العالمية وأنها لا تزال تعاني من آثار النظم الاستعمارية التي اغتصبت شعوبها وثرواتها. وهذا بالتالي - كما يقول - أدى إلى وقوع أفريقيا في الديون التي ترزح تحتها اليوم.

٢- إن أمريكا لا بد أن تفعل كما فعلت أوروبا واليابان في إعفاء أفريقيا من بعض الديون وتخفيض معدلات الربا عليها. كما أن عليها أن تشتري المنتوجات الأفريقية - طبيعية وصناعية - بأسعار جيدة يكون من شأنها رفع مقدرة أفريقيا على دفع ديونها.

٣- إن سقوط الشيوعية وانتهاء الحرب الباردة يتيحان لنا فرصة عظيمة للاهتمام بالعالم النامي وقال: « إن النظام العالمي الجديد ليس حقيقة قائمة. وقد يكون فرصة جيدة لكنها لم توجد بعد؟! وقال: إنه يتمنى أن يتجاوز النظام العالمي الجديد كونه مجرد تغيير في التركيز من أوروبا الشرقية إلى الشرق الأوسط وأن يستطيع الوصول إلى أفريقيا المحرومة من حقها الطبيعي تحت الشمس السياسية! وأضاف أن الرؤساء والمسؤولين الأفارقة يقع عليهم عبء الإنتاج بمستوى الاقتصاد للقارة وعدم الاعتماد على المساعدات العالمية.

ولا نشك في أن كارتر قد استطاع لمس وجدان سامعيه بمثل هذه الطروحات. لكننا لا نشك أيضاً أن هدفه من وراء ذلك إنما هو محاولة إقناع الأفارقة بأنه مهتم وساع في حل مشاكل القارة على اختلافها ليحتل مكاناً في قلوبهم يمكنه من تنفيذ برامجه في التغلغل في القارة دونما شكوك أو معارضة. ولا يخفى على كل من عرف كارتر ومراكزه أن التنصير هو غايته الأولى، وليراجع من شاء تصريحاته وكتبه ومنشورات مركزه.

وحق لنا أن نتساءل، وقد تباكى كارتر على حرمان أفريقيا من حقها ووقوعها ضحية الاستغلال الغربي: لماذا لم يقدم لها كارتر شيئاً يذكر عندما كان رئيساً لأمريكا وكان بإمكانه أن يفعل الكثير؟ ففي فترة حكمه لم يزد مجموع المساعدات للقارة - جنوب الصحراء - على ٢٥٠ مليوناً من الدولارات كانت تضيع في أحسن أحوالها - وكارتر يعلم ذلك - بين قلة من الذين يسيطرون على مقاليد الأمور هناك.

لا أحسب أن تاريخ العالم يحفظ أسوأ من صورة مدنية الغرب في معاملة الآخرين وإنكار مصالحهم وتجاهل حقوقهم. وهذه السخائم الوبيلة ليست في طبيعة الغرب سجية محدثة، بل كانت المدنية الغربية ولا تزال تفرض إثمها على أنه شرف ورفعة وتنشر نزواتها وأهواءها على أنها قوانين عادلة.

وفي بداية الحملات الاستعمارية الحديثة على القارة الأفريقية، شكلت بعثات التنصير الكنسية طلائع هذا الغزو، وكانت أداة فعالة في ترسيخ الاستغلال الذي تحدث عنه - مستنكراً - كارترا!. لكن اليوم وقد اختلفت العوامل التي تربط الغرب بمصالحه في أفريقيا فقد تغيرت وسائله وانقلبت أولوياته، وأصبح الاستعمار الجديد والاستغلال الاقتصادي أدوات طيعة موجهة لخدمة أهداف الكنيسة. هذا ما كتبه النصارى أنفسهم وناقشوه في مؤتمر من أهم مؤتمراهم في هذا القرن اجتمعت له أعداد كبيرة من الهيئات والمنظمات المسيحية التي تستهدف المسلمين في ولاية كولورادو في ١٩٧٨/١٠/١٥م واشتهر بعدها بمؤتمر المنصرين. ثم جمعت مادة هذا المؤتمر في كتاب حرره القس دونالد ماكوري تحت عنوان « الإنجيل والإسلام»..

ليس أقصد من وراء هذا السرد إثارة الحسرة والأسى ولا التباكي على واقعنا الذي اعتراه ضعف وعجز في نواح كثيرة لكنها ذكرى لعل الدعاة إلى الله

. يستفيدون من مثل هذه التجارب والأساليب. فمثل هذه الأساليب قدمت خدمات تنصيرية فاقت إلى حد بعيد كل جهود القسس والرهبان والدعوة التقليدية.

إن المسلمين اليوم وإن كانوا في أعقاب فترة كلية، ولا زالوا ينفضون غبار الذل الذي أصابهم بعد أن طُويَ لواءهم، إلا أنهم يتهيأون - كما يرى كل ذي عينين - لانتفاضة مرموقة بإذن الله، وهم يستعدون لحمل رسالة الحق من جديد. ولا بد لهم في ذلك من وسائل ناجعة وصالحة، فإن دعائم الدعوة الموفقة الناجحة تلتقي كلها في الأخذ بكتاب الله سبحانه وسنة نبيه صلى الله عليه وسلم. نعم إن مستقبلنا في هذه الدنيا ثم مصيرنا يوم المعاد، كلاهما لا يضمنه إلا هذا المنهج الوثيق.



في الهدم والبناء

إن المتتبع لكل الجهود التي بذلها المسلمون خلاال القرن الماضي فيما سمي بـــ (النهضة) سيلاحظ شيئاً عجيباً، فهذه الجهود لم تكن تراكمية يستفيد فيها اللاحق من السابق، وينظر في أمرها فيأخذ ما صح منها ويبني عليه، ثم يأتي من بعده ويتم البناء، ولكنها في الغالب كانت تبدأ من الصفر فتخطىء وتصيب وتجرب مرات ومرات، وفي العادة تكون البدايات شاقة وتحتاج إلى طاقات كثيرة.

وسبب هذه الطريقة في التفكير والعمل - والله أعلم - أننا لم نتعود بعد على العمل المؤسسي الذي يقوم بالدراسات الدقيقة لكل عمل سبق وتقويمه تقويماً منصفاً حيادياً، ودراسة كل فكر تقدم، وكل تجربة لداعية أو عالم أو هيئة، وما هي الإنجازات التي تحققت أو الفشل الذي وقع. كما أننا لم نتعود على الإنصاف في تقدير جهود الآخرين، خاصة إذا كان يخالفنا ولو في شيء يسير، وثالث الأسباب أننا نحمل في داخلنا موروثات مذمومة من الحسد والشنآن فلا نذكر محامد أحد، بل إننا أقرب إلى حب التحطيم كما يفعل الأطفال بألعابهم.

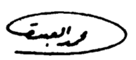
كتب خير الدين التونسي قبل أكثر من قرن محذراً من الطوفان القادم (الغرب) إن لم يتدارك الأمر بالمؤسسات والبعد عن الاستبداد في الأمة وما

يجر من ويلات، وعلى الرغم مما عندنا من ملاحظات على التونسي والكواكبي، وما في فكرهما من ثغرات وتشوش، فإن ما طرحاه في هذا الموضوع كان صحيحاً.

ولا يزال بين المسلمين من يقول بعدم إلزامية الشورى. ثم جاء الشيخ رشيد رضا وكتب في (المنار) مقالات قوية عن شؤون العمران والسنن الربانية في قوة الأمم ورقيها وأسباب ضعفها. واقترح تأسيس الجمعيات والمدارس التي تساهم في هذا الرقي وأظن أننا لم نستفد كثيراً مما كتب، وهكذا تكررت هذه الظاهرة، فقد قام الشيخ ابن باديس بتجربة قوية ناجحة في جمع علماء الجزائر في جمعية واحدة، وكان أثرها قوياً واضحاً في نهضة الجزائر، والآن نرى أكثر العلماء والدعاة متفرقين مع الأسف، وكتب مالك بن نبي عن المشكلة الحضارية وأن البدء يكون بتغيير ما بالأنفس، وكتب عن مشكلة الأشخاص والشيئية القادمة من عصور الانحطاط، ولكن المشكلة لا تزال قائمة وجاء سيد قطب فكتب فصولاً جيدة عن القاعدة الصلبة وكيف تتكون.

وليست المشكلة فقط أننا لا نستفيد من صواب كل واحد منهم بل إن بعضنا ينقض ما عندهمْ من إيجابيات ويقلل من شأنها، ويستهين بها. وهم في ذلك ﴿ **كالتي نقضت غزلها من بعد قوة أنكاثاً** ﴾ [النحل ٩٢].

ولا ندري إلى متى نستمر في البناء والهدم والحزبية وقلة الإنصاف، والنزعة الأنانية الضيقة. والله وحده المستعان على هذه الحال، ولا حول ولا قوة إلا بالله.



قراءة في مجلة المنار

عبد القادر حامد

كان الهم الشاغل لرشيد رضا حين أخرج مجلته هو الفجوة العلمية الضخمة بين الغرب من جهة وبين العالم الإسلامي من جهة أخرى، لهذا فإنه حض أولاً على نبذ الكسل والتهاون والضعف والاتكالية، واعتبر التربية والتعليم الوسيلة المثلى التي يمكن أن تردم هذه الفجوة أو تقلل منها على الأقل.

وهو مدرك صعوبة ما هو مقبل عليه، ويضع في حسابه أن يصطدم مشروعه الإصلاحي برغبات كثيرة من أصحاب النفوذ، ولهذا فهو يحاول أن يقتصر على الممكن، ويتجنب التورط في ما يثير هؤلاء عليه، ويحدد في عبارات تطمينية أهدافه حتى لا تذهب الظنون في تفسير خطته كل مذهب، فيقول: « وغرضها الأول (أي المنار) الحث على تربية البنات والبنين، لا الحط في الأمراء والسلاطين، والترغيب في تحصيل العلوم والفنون، لا الاعتراض على القضاة والقانون، وإصلاح كتب العلم وطريقة التعليم، والتنشيط على مجاراة الأمم

المتمدنة في الأعمال النافعة، وطروق أبواب الكسب والاقتصاد، وشرح الدخائل التي مازجت عقائد الأمة، والأخلاق الرديئة التي أفسدت الكثير من عوائدها، والتعاليم الخادعة التي لبّست الغي بالرشاد، والتأويلات الباطلة التي شبهت الحق بالباطل، حتى صار الجبر توحيداً، وإنكار الأسباب إيماناً، وترك الأعمال المفيدة توكلاً، ومعرفة الحقائق كفراً وإلحاداً، وإيذاء المخالف في المذهب ديناً، والجهل بالفنون والتسليم بالخرافات صلاحاً، واختبال العقل وسفاهة الرأي ولاية وعرفاناً، والذلة والمهانة تواضعاً، والخنوع للذل والاستبسال للضيم رضى وتسليماً، والتقليد الأعمى لكل متقدم علماً وإيقاناً »[1].

لكن على الرغم من هذه الاحتراسات الكثيرة التي أراد رشيد رضا أن تكون سوراً يدفع عن أفكاره المخاطر؛ فإنه اصطدم بما كان متوقعاً، وسيبدو لنا في المستقبل أمثلة من هذه الوقائع.

وقد يكون ظن في أول الأمر أنه سيترك وشأنه - وقد اختار الطريق الذي يبدو الأبعد، وهو طريق التربية والتعليم - ولعله رأى أن اختياره هذا الطريق سوف يقيه عواقب الاصطدام بالرغبات القريبة التي ترى في كل دعوة تجديدية تهديداً لمصالحها ونذير شؤم عليها، ولأن هذا الطريق هو الذي يبقى أثره بعده ضاربة جذوره في الأرض، لا يستطيع أحد أن يقضي عليه قضاءً كاملاً.

وهذا صحيح، فأي دعوة تهمل هذا الجانب مهددة بالانقراض بل والارتداد عليها. وأمامنا مثالان لذلك:

الفتح الإسلامي الأول بعد عصر الرسول صلى الله عليه وسلم.

والفتوحات التي قام بها العثمانيون في أوربا وغيرها.

ففي الفتح الإسلامي الأول كان تجييش الجيوش وتوجيهها في حركة الفتح

١- فاتحة العدد الأول

ليس هدفاً بنفسه، بل وسيلة إلى غاية أسمى وهي نشر الإسلام والدعوة إليه عن طريق تشجيع العلم والعلماء، وبيان أن الإسلام جاء إنقاذاً للبشرية من الظلم الاجتماعي وجور السلطات المهيمنة، فدخل الناس في دين الله أفواجاً، ونشر الصحابة وتلاميذهم العلم بين طبقات هذه الشعوب، وتحولت أعداد هائلة من أبناء هذه الشعوب الداخلة في الإسلام إلى دعاة ومدافعين عن الدعوة الجديدة وقرآنها ولغتها، وبرزت أسماء يصعب حصرها ممن تلقوا هذا العلم الأصيل، وحملوه في الآفاق، ونفعوا به شعوبهم وغير شعوبهم، وكانوا يتحركون من مكان إلى مكان لا يقف في وجههم عائق، ولا تحجزهم حواجز، بل إن من تقاليدهم التي رسخت أنهم كانوا يجعلون الرحلة في طلب العلم وسيلة للتقويم والمكانة، فبقدر عدد البلاد التي يطوِّف فيها الشخص تكون قيمته العلمية، وبقدر اختلاطه بعلماء الأمصار تزداد الثقة به والحاجة إليه. وهذا حق.

أما الفتوحات التي قام بها العثمانيون، فقد اكتفوا بالإخضاع، وجباية الجزية، وتركوا أهل البلاد يديرون شؤونهم بأنفسهم، وكانت الهوة سحيقة بين السلاطين وبين رعاياهم، ولم يُلْتَفت إلى أهمية أن تُعَدّ لهم جيوش من الدعاة والعلماء يكملون ما قامت به الجيوش، وتركت هذه الشعوب على ما هي عليه من أفكار وأحوال، واقتصر أمر الدعوة ونشر العلم على المبادرات الفردية، وما كان أضعفها في تلك الفترة، وأقل كفايتها وغناءها! حيث تأذنت حكمة الله أن لا ينبغ من بين سلاطين آل عثمان رجل يتبنى اللغة العربية لغة رسمية للسلطنة على كافة المستويات، فتركت هذه الميزة للغة التركية - وهي من أشد اللغات فقراً وأظهرها ضعفاً - حتى إذا ضعفت قبضة الدولة على هذه المقاطعات المفتوحة، برزت الكراهية العرقية والدينية التي لم يهذبها علم ولم يقاومها فكر، تغذيها وتمدها دول أوربا الطامعة المتربصة. ولم ينفع العثمانيين

آنذاك تسامحهم ولا إبقاؤهم على عقيدة البلاد المفتوحة، والسماح لأولئك بإدارة شؤونهم الدينية دون تدخل أو معارضة؛ بل انقلب هذا التسامح وهذه السياسة التي اتبعت أداة بيد هذه الشعوب للتخلص من الحكم العثماني؛ بل لتقويض بناء هذه الدولة، ولم يبق في ذاكرة هذه الشعوب إلا صورة الكرباج التركي وظل التركي القاسي الغليظ الذي عمموه - في فترة من الفترات على الأقل - على كل معتنق للإسلام[1].

إصلاح العقائد والعوائد:

إذا كان رشيد رضا قد اعتقد أنه بإعلانه تحاشي أولي السطوة وعدم استثارتهم قد ضمن سكوتهم عنه؛ فإنه لم يكن متحرزاً من فتح حلبة صراع لا تقل عن الأولى التي يحاول بحكمته تجنبها، وهي حلبة إصلاح عقيدة الأمة والعادات التي تراكمت عبر القرون واختلط صحيحها بفاسدها، وهذا ما يشير إليه قوله:

« الدخائل التي مازجت عقائد الأمة، والأخلاق الرديئة التي أفسدت الكثير من عوائدها ». فَمَنْ هي الجهة التي ستقف في وجه التجديد؟! إنها بلا شك خليط من صنفين من الناس:

أ- صنف ذكي يستثمر الجهل والغفلة، ويحب أن يبقي كل أمر على ما هو عليه، لأنه يشك في كل حركة وكل دعوة، ويرى في ذلك تهديداً لمصلحته الآنية، فيحارب كل ما يشك فيه، ويستنفر العامة بنفاقه وكذبه ويدخل في عداد هذا الصنف الخبيث القصد أصحاب النظر القصير - ممن لا يقدرون على

١- هذا الكلام هو تقرير لحقيقة، ولا نغفل عن الدور الإيجابي الذي قام به العثمانيون، ودوافعنا على كل حال تختلف عن دوافع القوميين العلمانيين.

النظر إلا في مواطن أقدامهم، ويستغلهم ذلك الصنف الذكي بوسائله الجهنمية الترهيب والترغيب، وقد يكون من هؤلاء أسماء طنانة وأصحاب ألقاب سيّارة.

ب- والصنف الثاني: العامة والدهماء، ممن يصدق بسرعة ودون روية وتفكير دعاوى الصنف الأول المتنوعة، وتهاويلهم البرّاقة، فيكونون ردءاً لهم وعوناً على تعطيل كل نية تهدف إلى تخليصهم من براثن الطغاة والمشعوذين. وهكذا يستمرون ضحية الجهل وعدم القدرة على التفكير من جهة؛ والاستغلال والتلاعب من جهة أخرى.

لقد ورث المسلمون - زيادة على ضعفهم السياسي والاقتصادي - ضعفاً اجتماعياً مخيفاً، لا يجاوز الحقيقة من ادعى أنه أدهى وأمر من الضعفين الأولين، بل هو السبب الرئيسي والمباشر لذينك الضعفين اللذين هما عَرَض ظاهر لذلك الجوهر الذي لا يبدو إلا للقليل من الناس، وإن بدا؛ فلا يقدر على تحليل عناصره وإرجاعها إلى مفرداتها البسيطة إلا القلة من هذا القليل.

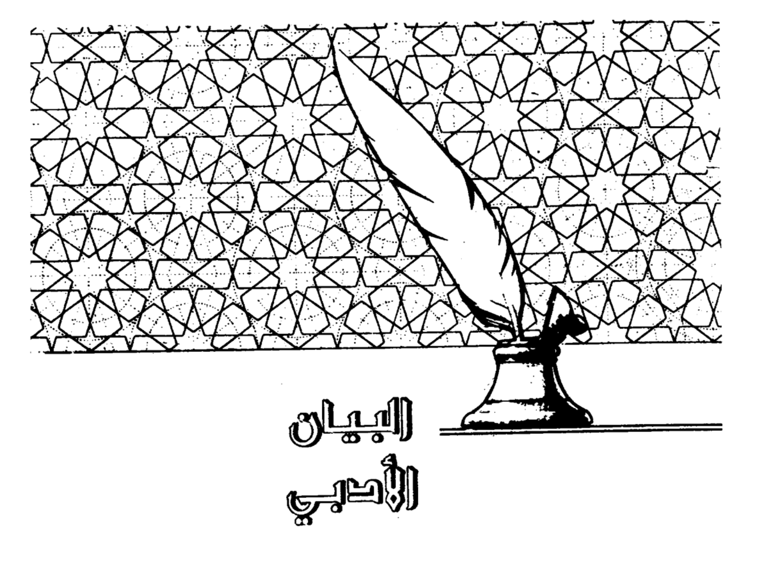
وأشد مظاهر هذا الضعف الاجتماعي خطراً ما ارتبط منه بالعقائد، والتصق « بالوجدان الجمعي » للأمة، حيث تصبح معالجة هذا الضعف تصدياً لا إلى حالة فردية؛ بل إلى قوة اجتماعية انصهرت فيها ألوان من القوى والمقاومات.

وبسبب ما توالى على المسلمين من أحداث ضخام، وما تعاورهم من ظروف تحمل إليهم كل يوم جديداً من التسلط والطغيان، وتسقط فوق رؤوسهم كلَّ ساعة ما لا يتوقعون من حيل شيطانية يمهر بتزيينها المتغلبون وأعوانهم؛... كل ذلك وغيره أثّر في حيويتهم، وترك في تقويمهم للأمور خرماً يصعب رتْقُه، حيث سحبوا على هذه الإرادات الطاغوتية ظلاً من إرادة الله، والتبست عليهم أقدار الخالق بأقدار المخلوق، وصار بهم الأمر إلى حالة سكونية ترضى بالقليل، وتستنيم إلى اللحظة الحاضرة وأصبح لسان حالهم يقول:

وما في سَطوة الأرباب عيبٌ ولا في ذِلَّـةِ الـعُـبـدان عـار!

لقد رأى رشيد رضا أن العقائد عندما تفسد يفسد المجتمع، وعندما تتحول العادات المرذولة إلى ما يشبه العقائد فإنها تهدم الكيان البشري للفرد، كما تهدم المجتمع. وهنا يظهر لنا أن رشيد رضا لا يبتعد عن الحديث عن السلطة إلا يجد نفسه وجهاً لوجه معها، وهو - واعياً أو مضطراً - « يرد الصدر على العَجُز » ويفِرُّ من جبروت السلطة والتعرض لها لعله يضمن حيادها وسكوتها عن مشروعه الإصلاحي؛ ليؤلِّب عليه طبقات اجتماعية لا تتورع عن الاستظهار بالسلطة للقضاء على خصومها وإسكاتهم وتعطيل ما يرمون إليه، فتجتمع عليه قوتان، ويواجه ما فرَّ منه وما فرَّ إليه! وهذه هي مأساة المصلحين في كل عصر، وهذا هو التحدي الذي ينتظرهم.

إن بقاء شعب أو شعوب تحت نير الاستبداد الدائم يقلل فيه من عناصر الخير والفضيلة، ويعدم الثقة المتبادلة بين أفراده، ويجعله يعبد القوة ليعوِّض عن ضعفه المتأصل بالنفاق والتملُّق للأقوياء، ويصبح اتكالياً يطلب من الحكومة أن تعمل له كل شيء، مع أنه لا يحبها ولا يثق بها، ويتهرب من رقابتها ما استطاع، وباختصار: إن الاستبداد نوع من السرطان فريد، قد لا يميت الإنسان، بل يبقيه حياً يتنفس، ولكن بإنسانية مفقودة، وشخصية مشوهة، وأخلاق مرذولة.



- وصية أبي حازم للزهري

- أننسى؟..أننسى؟

- من كابل..إلى القدس

وصية أبي حازم للزهري

تمهيد:

سبب اختيارنا لهذه الوصية أنها أثر ثمين في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، ومثال للأدب العالي الذي يتجاهله دارسو الأدب العربي في هذه الأيام، ونموذج فريد من « أدب الرسائل » بين العلماء يصلنا من وقت مبكر، من أوائل القرن الثاني الهجري، وكذلك فإن القوة في الألفاظ والمعاني مع السهولة والصدق الذي يميز هذه الوصية يجعلها بحق « أثراً ثميناً » يسرنا تقديمه لقرائنا الكرام.

ولا يخطرنّ على البال أننا نريد أن نحطب بحبل الذين يتحاملون على الأئمة بمجرد عثورهم على مثل هذا النص، فهذا من نقد الأقران الذي لا يسقط العدالة. ولا يحط من قدر العالم أن ينتقد، كما لا يعتبر مجرد قرب العالم من السلطان جرحاً فيه، بل إن ابتعاد أو إبعاد طبقة العلماء عن الحكام فيه ضرر كبير وشر مستطير يلحق بالمجتمع، ويخلي الساحة للجهلة والمفسدين أن يتصرفوا

بشؤون الناس كيفما يشاؤون، ومن راجع كتب الفقه في باب القضاء وحكم توليه وجد تفصيلاً شافياً يتعلق بهذه المسألة[1]،وإن مما تدل عليه هذه الرسالة الحرية الفكرية بين علماء السلف، فهذه الحرية هي التي تجعل واحداً مثل أبي حازم - وهو أصغر من الزهري ومن تلاميذه - ينصحه بهذه النصيحة القوية، ويبين له وجهة نظره بجلاء لا غموض فيه، وبعيداً عن المجاملات التي لا تنفع الأخوة والصادقة، وتكون الدعوة بعد ذلك من ضحاياها.

لا نريد الإكثار من الكلام حول هذا النص، بل إن هذا القليل اضطررنا إليه اضطراراً، وكم وددنا لو أخلينا بين القارئ وبين هذه الرسالة دون توسُّط.

أبو حازم

سلمة بن دينار، الأعرج، مولى لقوم من بني ليث بن بكر، روى عن ابن عمر، وسهل بن سعد، وأنس بن مالك، وقيل إنه رأى أبا هريرة، وسمع من كبار التابعين كسعيد بن المسيب، وأبي سلمة، وعروة بن الزبير وغيرهم. وهو ثقة عند عامة المحدثين. توفي سنة ١٤٤ في خلافة المنصور.

الزهري:

أبو بكر، محمد بن مسلم بن عبيد بن عبد الله بن شهاب الزهري، تابعي سمع من أنس وسهل بن سعد والسائب بن يزيد وغيرهم من الصحابة. ورأى ابن عمر وسمع من كبار التابعين وأئمتهم، قال فيه عمرو بن دينار: « ما رأيت أنصَّ للحديث من الزهري، وما رأيت أحداً الدينار والدرهم أهون عنده منه ». وقال فيه الليث بن سعد: « ما رأيت عالماً قط أجمع من ابن شهاب، ولا أكثر علماً

١-لمزيد معرفة بشخصية الإمام الزهري ومكانته يراجع ما كتبه الشيخ مصطفى السباعي رحمه الله في كتابه القيم: السنة ومكانتها في التشريع الإسلامي ص ٢٠٦-٢٢٦

منه ». وقال أحمد بن حنبل وإسحق بن راهويه: « أصح الأسانيد مطلقاً: الزهري عن سالم عن أبيه ». وقال الشافعي: « لولا الزهري لذهبت السنن من المدينة ». قال النووي: « ومناقبه والثناء عليه أكثر من أن تحصر ».

وتوفي في شهر رمضان سنة ١٢٤ هـ وهو ابن اثنتين وسبعين سنة.

النص

عافانا الله وإياك - أبا بكر - من الفتن، ورحمك من النار، فقد أصبحت بحال ينبغي لمن عرفك بها أن يرحمك منها، أصبحت شيخاً كبيراً قد أثقلتك نعم الله عليك، بما أصح من بدنك، وأطال من عُمُركَ، وعلمت حُجَجَ اللهِ تعالى مما حملَّك من كتابه، وفقَّهك فيه من دينه، وفَهَّمك من سنةِ نبيه - صلى الله عليه وسلم - فرمى بك في كل نعمة أنعمها عليك، وكل حجة يحتج بها عليك. وقد قال تعالى: ﴿ **لَئِنْ شَكَرْتُم لأَزِيْدَنَّكم، وَلَئِنْ كَفَرْتُم إِنَّ عَذَابِي لَشَدِيْدٌ** ﴾.

انظر... أي رجل تكون إذا وقفتَ بين يدي الله عز وجل، فسألك عن نعمة الله عليك؛ كيف رعيتها، وعن حججه عليك: كيف قضيتها، ولا تحسبنَّ اللهَ راضياً منك بالتعذيرِ، ولا قابلاً منك التقصيرَ، هيهات ليس كذلك!

أخذ على العلماء في كتابه إذ قال: ﴿ **لَتُبَيِّنُنَّهُ لِلنَّاسِ وَلا تَكْتُمُونَهُ، فَنَبَذُوهُ وَرَاءَ ظُهُورِهِمْ** ﴾.

إنك تقول إنك جَدِلٌ، مَاهِرٌ، عَالِم، قد جادلت الناس فَجَدَلتَهمْ[١]، وخاصمتهم فَخَصَمْتَهُم[٢]، إدلالاً منك بفهمك، واقتداراً منك برأيك؛ فأين

١- غلبتهم في المجادلة
٢- غلبتهم في المخاصمة

•

تذهب عن قول الله عز وجلّ: ﴿ **هَا أَنتُمْ هَؤُلاءِ جَادَلْتُم عَنْهُم في الحياةِ الدُّنيا؛ فَمَنْ يُجادِلُ اللَّه عَنْهُم يَوْمَ القِيامَةِ** ﴾ ؟!

اعلم أن أدنى ما ارتكبت، وأعظم ما احتقبت[١]؛ أن آنَسْتَ الظالم، وسهلت له طريق الغيّ بِدُنُوِّكَ حِين أُدْنِيتَ، وإجَابَتِكَ حين دُعِيتَ، فما أخلقك أن يُنَوَّه باسمك غداً مع الجَرَمة[٢]، وأن تُسأل عما أردت بإغضائك عن ظلم الظلمة.

إنك أخذت ما ليس لمن أعطاك، ودنوت ممن لا يرد على أحد حقاً، ولا ترك باطِلاً حين أدناك، وأجبت من أراد التدليس بدعائه إياك حين دعاك.

جعلوك قطباً تدور رحى باطلهم عليك، وجِسراً يعبرون بك إلى بلائهم، وسُلَّماً إلى ضلالتهم، وداعياً إلى غَيِّهم، سالكاً سبيلهم، يُدخِلون بك الشك على العلماء، ويقتادون بك قلوب الجهال إليهم، فلم يَبْلُغْ أخصُّ وزرائهم؛ ولا أقوى أعوانهم لهم إلا دون ما بلغت من إصلاح فسادهم. واختلاف الخاصة والعامة إليهم، فما أيسرَ ما عمَّرُوا لك في جنب ما خرَّبُوا عليك! وما أقل ما أعطَوْك بكثير ما أخذوا منك! فانظر لنفسك؛ فإنه لا ينظر لها غيرك، وحاسبها حساب رجل مسؤول.

وانظر كيف شُكْرُكَ لمن غذاك بنعمه صغيراً وكبيراً، وانظر كيف إعظامُكَ أمرَ من جعلك بدينه في الناس مُبَجَّلاً، وكيف صيانتك لِكُسْوةِ من جعلك بكسوته مستترا، وكيف قربك وبعدك ممن أمرك أن تكون منه قريباً.

ما لك لا تَتنبَّهُ من نعستك، وَتَسْتَقِيلُ من عثرتك، فتقول: والله ما قمت لله عز وجل مقاماً واحداً أُحيي له فيه ديناً، ولا أُميت له فيه باطلاً[٣]! أين شكرك

١- حملت في حقيبتك

٢- الجرمة: ج جارم مثل: كاتب وكتبة، أي المذنبون.

٣- هذه مبالغة من أبي حازم اقتضتها الشدة في الموعظة، وإلا فإن حياة الزهري كانت في سبيل إحياء الدين وإماتة الباطل، كما تنبيء بذلك أقوال علماء الجرح والتعديل.

لمن استحملك كتابه، واستودعك علمه؟!

ما يؤمنك أن تكون من الذين قال الله تعالى فيهم: ﴿ **فَخَلَفَ مِنْ بَعْدِهِم خلفٌ وَرِثُوا الكِتَابَ يَأخُذُونَ عَرَضَ هَذَا الأَدْنى...**﴾؟!

إنك لست في دار مقام، قد أُوذِنتَ بالرحيل، ما بقاء المرء بعد أقرانه؟ طوبى لمن كان مع الدنيا على وجل، ويا بؤسَ من يموت وتبقى ذنوبه من بعده!

إنك لم تؤمر بالنظر لوارثك على نفسك، وليس أَحَدٌ أهلاً أن تردفه على ظهرك. ذهبت اللذة وبقيت التَّبِعَةُ، ما أشقى من سَعِدَ بكسبه غَيْرُهُ، احذر فقد أُتِيتَ، وتخلص فقد أُدْهِيتَ!! إنك تعاملُ من لا يجهلُ، والذي يحفظ عليك لا يغفل.

تجهز؛ فقد دنا منك سفرٌ بعيد، وداو دِينَكَ فقد دخله سَقَمٌ شديد، ولا تَحسَبنَّ أني أردت توبيخك وتعييرك وتعنيفك، ولكني أردت أن تَنْعَش[1] ما فات من رأيك، وترد عليك ما عزب عنك من حلمك، وذكرت قوله تعالى: ﴿ **وذَكِّر فَإنَّ الذِّكْرَى تَنفَعُ المُؤْمِنِيْنَ** ﴾.

أَغْفلت ذكر من مضى من أسلافك وأقرانك، وبقيت بعدهم كقرنٍ أعضب[2]، فانظر هل ابْتُلوْا بمثل ما ابْتُلِيْتَ به، أو دخلوا في مثل ما دخلت فيه؟! وهل تراه ادَّخَرَ لك خيراً مُنِعوه، أو علَّمك علماً جهلوه، بل جهلت ما ابْتُلِيتَ به من حالك في صدور العامة، وَكَلَفِهِم بك أن صاروا يقتدون برأيك ويعملون بأمرك، إن أْحللتَ أحلُّوا. وإن حرَّمتَ حرَّموا. وليس ذلك عندك، ولكن إكبابهم عليك، ورغبتهم فيما في يديك، ذهاب عملهم، وغلبة الجهل عليك وعليهم، وطلبُ حب الرياسة، وطلب الدنيا منك ومنهم.

١ - تتدارك

٢- القرن الأعضب: القرن في رأس الدابة انكسر أخوه وبقي منفرداً.

أما ترى ما أنت فيه من الجهل والغِرَّة، وما الناس فيه من البلاء والفتنة؟! وابتليتهم بالشغل عن مكاسبهم، وفتنتهم بما رأوا من أثر العلم عليك، وتاقت أنفسهم إلى أن يدركوا بالعلم ما أدركت، ويبلغوا منه مثل الذي بلغت، فوقعوا بك في بحر لا يُدْرَكُ قَعْرُه، وفي بلاء لا يُقْدَرُ قَدْرُه، فالله لنا ولك ولهم المستعان.

واعلم أن الجاه جاهان: جاه يجريه الله تعالى على يدي أوليائه لِأوليائِه، الخاملِ ذكرُهُم، الخافيةِ شخوصُهُم، ولقد جاء نعتهم على لسان رسول الله صلى الله عليه وسلم: « إنَّ اللهَ يحب الأخفياءَ الأتقياءَ الأبرياءَ الذين إذا غابوا لم يفتقدوا، وإذا شهدوا لم يعرفوا، قلوبهم مصابيح الهدى، يخرجون من كل فتنة سوداء مظلمة »[1].

فهؤلاء أولياء الله الذين قال تعالى فيهم: ﴿ **أولئك حِزْبُ اللهِ، ألا إنَّ حزبَ اللَّهِ هُمْ الْمُفلِحُوْنَ** ﴾.

وجاه يجريه الله تعالى على يدي أعدائه لأوليائه، وَمِقَةٌ[2] يقذفها الله في قلوبهم لهم، فيعظمهم الناس بتعظيم أولئك لهم، ويرغب الناس فيما في أيديهم لرغبة أولئك فيه إليهم: ﴿ **أولئكَ حِزْبُ الشَّيطَانِ ألا إنَّ حِزْبَ الشيطَانِ هُم الخَاسِرُونَ** ﴾.

وما أخوفني أن تكون ممن ينظر لمن عاش مستوراً عليه في دينه، مقتوراً عليه في رزقه، معزولةً عنه البلايا، مصروفةً عنه الفتن في عنفوان شبابه وظهور جلده،

١- جزء من حديث في الترغيب والترهيب ١٥٤/٤ باب: الترغيب في الفقر وقلة ذات اليد. قال المنذري رواه ابن ماجة والحاكم واللفظ له، وقال: صحيح ولا علة له.
ولم نجده في صحيح سنن ابن ماجة للألباني.
وفي صحيح مسلم ط عبد الباقي ص ٢٢٧٧ عن سعد ابن أبي وقاص أنه قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: « إن الله يحب العبد التقي، الغني، الخفي». - التحرير -
٢- مقة: محبّة

وكمال شهوته. فغُنِيَ بذلك دهرَهُ، حتى إذا كَبِرَ سِنُّه، ورقَّ عظمه، وضَعُفَت قوته، وانقطعت شهوته ولذته؛ فُتِحت عليه الدنيا شر فتوح؛ فَلزِمَتْهُ تَبِعَتُها، وعَلِقَتْهُ فتنتها، وأعشت عينيه زهرتها، وصفت لغيره منفعتها.

فسبحان الله ما أبْيَنَ هذا الغَبْن، وأخسرَ هذا الأمر، فهلا إذا عَرَضَتْ لك فتنتُها ذكرت أمير المؤمنين عمر رضي الله تعالى عنه في كتابه إلى سعد... حين خاف عليه مثلَ الذي وقعتَ فيه عندما فتح الله على سعد:

« أما بعد، فأعرض عن زهرة ما أنت فيه حتى تلقى الماضين الذين دفنوا في أسمالهم، لاصقةٌ بطونُهم بظهورهم، ليس بينهم وبين الله حجاب، لم تفتنهم الدنيا ولم يُفتنُوا بها، رَغِبوا فَطَلَبوا، فما لبثوا أن لِحقوا ».

فإذا كانت الدنيا تبلغ من مثلك هذا في كِبَرِ سنك، ورسوخ علمك، وحضور أجلك؛ فمن يلوم الحَدَثَ في سنه، الجاهلَ في علمه، المأفونَ في رأيه، المدخول في عقله؟ « إنا لله وإنا إليه راجعون »! على من المُعَوَّل، وعند مَنِ المُسْتَعْتَب؟!

نحتسب عند الله مصيبتنا، وما نرى منك. ونحمد الله الذي عافانا مما ابتلاك به.

والسلام عليك ورحمة الله وبركاته..

أننسى؟ أننسى..؟

شعر: محمود مفلح

إذا كانت جراحُ الناس تغفو ... فإنَّ جراحنا أبداً تفور
وإن كانت همومهمُ رَماداً ... فإنَّ همومَنا الصغرى سَعير
أيحكم في قضيتنا عدوٌّ ... ويُرشدنا لغايتنا ضريرا؟
ونبقى في الحياة بلا لسانٍ ... وقد نطقتْ بحاجتها الحميرا!
ندور كما يقول القومُ دوروا ... وإن رغبوا الثباتَ فلا ندور
ومِنّا من يرى في الخيش خزاً ... ومنّا مَن يضايقهُ الحريرا!
ويبحث بعضُنا عن كأس ماءٍ ... وتُغرق بعضَ سادتنا الخمورُ؟
كأن النائبات لنا فراشٌ ... وأنَّ العادياتِ لنا دُثور
وما زالت تُؤرّقنا سفوحٌ ... لها في كل جارحةٍ حُضور
أننسى في دروب القدس ليلى ... وليلى تستغيثُ وتستجير؟

أننسى أعين الليمون ترنو — وأعشاشاً تحن لها الطيور
أننسى مسجداً ونداءَ فجرٍ — ومحراباً وهل تُنسى الجذورُ؟
لئن مِتنا فإنَّ لنا قبوراً — ستحكي كلُّ قصتنا القبور
رجالاً أصبح الأطفال فينا — وفي أرض الصدام لهم زئير
كأنهم من الصّوان قُدّوا — ومن بُركانه هذا الزفيرُ
فلا تعجبْ وليس لهم رصاصٌ — إذا وقعت على الموتِ الصدور
نعم ثاروا وعدتهم حجارٌ — ونحن القاعدون متى نثور!؟
نعم ثاروا وكلهمُ جياعٌ — ونحن المتخمين متى نثور!؟
دماؤهم على الطرقات مسكٌ — ويمضي للعبير بك العبيرُ
قبلنا بالحلول وأنكروها — وقالوا: إنه العار الكبير
وقبلّنا الأكفَّ لقاء سلمٍ — حقيرٌ ساقه الزمنُ الحقير
وضيّعنا الأمانة والأماني — فلا زحفٌ هناك ولا عبور
وماذا يحكم الشهداء فينا — غداةَ غدٍ إذا انتفضت قبورُ؟!
دماءٌ قد نسيناها ليبقى — لنا شاهٌ همامٌ أو وزير
ولكنَّ الرجال هناك قالوا — ألا كُفّوا فقد فُطم الصغير
فَنبْتُ القدس ليس له نظيرٌ — وحاشا أن يكون له نظير
بماءِ الذكر يُسقى كل يومٍ — وفي أحضانهِ تنمو البذور

من كابل..
..إلى القدس

د. محمد بن ظافر الشهري

دهى الوسواسُ بالمُلْكِ الكلابا | وأوهَمَهَا بأنَّ لها جَنَابا
وقيل له فَلَمْ تسمع لقولٌ | يُحَذِّرُها ولم تَقْبل عتابا
فأسْلَمَها الغرورُ لِبطشِ ليثٍ | يُحَكِّمُ مخْلبا فيها ونابا
رويدا يا عُلُوجَ الروسِ حتى | نُوَفِّيكم من القتلِ النِّصابا
لَئِنْ سُمنا جَحَافِلَكُم عذاباً | فإنَّ إلهَنَا أقْسى عِقابا
سَلَلْتُم سَيْفَ هَيبتِكُم علينا | فَصَيَّرْنَا لَهُ الحَدْبا جِرَابا
بنو الإسلام لا يَخْشَون خَلْقاً | فَربُّ الخلقِ أولى أنْ يُهَابا
وإن قُلْتُم تَقَاتَلْنا سِجَالاً | فكيفَ تَكُونُ دَعْواكُم صَوابا
أيستويانِ من بالموتِ يحيا | ومن يَصْلَى لدى الموتِ العَذَابا
أيستويانِ مَن في الأرضِ يَسْعى | بإصلاحِ ومن يسعى خرابا

وأَشْعَلْتُم فَتِيلَ الحربِ كَيْما ... تُخِيفُونا فَزِدْنَاهُ التِهَابا

ألا إنّا نَشُمُّ إذا غُزِيْنا ... لنارِ الحَرْب عَرْفاً مستطابا

هي الإكْسِيرُ إنْ دارت رَحَاها ... يعودُ كُهُولُنا فيها شبابا

أأنْسَتْكُمْ كُؤوسُ الخمرِ أنّا ... بنو من وَحَّدَ الدّنيا غِلابا

ومن لم يسألِ التاريخَ عنّا ... فنحنُ نُريهِ في الهَيْجا جوابا

نُسِيلُ دِمَاءَهُ وَعْداً علينا ... ونجعلُها لأفْرُسِنا خِضَابا

ألا مهلاً بني الخِنْزيرِ مَهْلاً ... فإنَّ لنا بذمَّتِكُمْ حسابا

وما مِن ذِمَّةٍ فيكمْ فأنتمْ ... قُرودٌ أُلبِسَتْ زوراً ثيابا

تطاولتمْ على الأطفالِ حتى ... تموت الأمُّ قهراً وانتحابا

وكم بطنٍ بَقَرْتُمْ للحبالى ... فاخجلتمْ بذا الفعلِ الذئابا

ألا هبُّوا لِلُقْيَانا فإنّا ... تُجاه القدسِ أطلقنا الرِّكابا

نُذَكِّرُكُمْ بأيامٍ خوالٍ ... إذا ذُكِرَتْ تموتونَ ارتعابا

بها سُقنا إناثَكُمُ إماءاً ... وأَلْحَفْنا ذُكوركُمُ الترابا

خُذُوا مِنْ نكبةِ الرّوسِيّ دَرْساً ... شَكَى ضِيْقاً فَزِدْناهُ اكتئابا

أتى دُبّاً يُزَمْجِرُ فَانبَرَيْنَا ... لَهُ حتى طَرَدْناهُ ذُبَابا

ألا لا تَهْرُبُوا مِنّا فإنّا ... سَنُدْرِكُكُمْ وإنْ تَعْلُوا السحابا

فإنَّ سُيُوفَنَا ظمأى جياعٌ ... تُحِبُّ الهامَ منكمْ والرقابا

سَيُؤتي اللهُ أَنْفُسَنا يَقِيناً ... وأَنْفُسَكُمْ شُكُوكاً واضطرابا

فُرُبُّ الناسِ غَضْبَانٌ عليكمْ ... ونُحنُ لِرَبِّنا جِئْنا غِضَابا



المسلمون و العالم

ملف الجزائر

- باسم الحرية ينحرون الحرية
- أطراف القضية الجزائرية
- رسالة إلى جبهة الإنقاذ الإسلامية
- ماذا يريدون؟
- المستقبل لمن؟

باسـم الحرية ينحرون الحرية

يوماً بعد يوم تكتشف البشرية أن تقدمها المادي في جميع العلوم النظرية والتطبيقية: في الطب والهندسة، في الكمبيوتر والالكترونيات، في علم الذرة والمفاعلات النووية، كل هذا لم يقدم لها السعادة المطلوبة، ولم يشفها من شقائها وأمراضها. لقد أنتج ما كان يسمى الاتحاد السوفييتي أكبر عدد من العلماء والمهندسين في علم الفضاء والعلوم النووية، ولكنه سجل أكبر إخفاق سياسي - إنساني في هذا العصر، وفي مقابل هذا التقدم العلمي الهائل في الطب الوراثي وفي علم (الجينات) الذي وصل إلى أن (تدر الأبقار حليباً يحتوي على عقاقير صالحة لشفاء الأمراض البشرية) ومع هذا نرى الفقر والتمزق يلفان معظم ما يسمونه العالم الثالث أو الرابع... كما نرى التسلط الذي تمارسه الدول الصناعية الكبرى نحو بقية دول العالم ومحاولة احتكار واحتجان الأموال بأيدي طبقة معينة وشعوب معينة، حتى تبقى على حالة من الرفاهية والازدهار لا تريد التنازل عنها.

إن الانفصام بين الدين والحياة بلغ مدى ربما لم يتوقعه أو يريده الذين دعوا إليه في القرنين الثامن عشر والتاسع عشر، هذا الانقطاع والقطيعة بين العقل والقلب لم يؤد إلا للدمار النفسي والاجتماعي. ولذلك بدأت قطاعات كبيرة من البشرية في العودة إلى الدين - أي دين - إلى الإيمان بقوة غيبية، يعودون إلى الدين ولو كان ديناً ملفقاً غير صحيح، ففي الغرب وفي أمريكا بالذات نجد عودة إلى البروتستانتية، وفي أمريكا الجنوبية عودة إلى الكاثوليكية، وفي الصين والهند عودة إلى البوذية، وهذا مؤشر على أن التدين والإيمان بالغيب نظرة أصيلة في الإنسان، وأن ما حاوله الملحدون والمستهزئون بالأديان من الابتعاد عن قوة مؤثرة في حياة الإنسان، وأن الإنسان يقوم وحده؟ كل هذا لم يمنع من بحث الإنسان عن شيء يفقده.

لقد رجع الملايين من المسلمين إلى دينهم في مناطق المسلمين التي احتلها الروس زمناً طويلاً، وذاق أهلها المر والعلقم من هذا الاحتلال، وتنفس المسلمون في أوربا الشرقية الصعداء، وبدأت رحلة العودة. وهناك مناطق في البلاد العربية لم يصلها دعاة ولا علماء وتفاجأ الدولة بالشباب المتدين بالمئات والألوف. كيف وقع هذا؟

إنها العودة إلى الدين بعد هذا الجفاء والجفاف، بعد رحلة الضنك والعذاب في مسيرة القومية والاشتراكية والعلمانية، إلى آخر الشعارات الفارغة من أي مضمون حقيقي، بعد رحلة العذاب مع الأنظمة التي احتقرت الشعوب واحتقرت حقوق الإنسان، وأقامت نفسها آلهة لشعوبها، وعبيداً أذلاء لأعداء الإسلام.

إن الإسلام قادم رغم مظاهر الضعف هنا وهناك، والعجيب أن الذين يعادون الإسلام يضعون رؤوسهم في الرمال ولا يحبون مواجهة الحقيقة، وهي حقيقة ما

في ذلك ريب، وأكبر دليل على ذلك شعب الجزائر الذي أعطى صوته للإسلام قبل أن يعطيه لشخص أو لهيئة، لقد عبر عن مشاعره الداخلية، ووجد أمامه شباباً لم يتلوثوا بالسرقات ونهب الخيرات، ولم يتلوثوا بالرشاوى والكذب والنفاق السياسي. لقد اتضحت الصورة وانكشف الغطاء، ومع أن هذا كان معروفاً من قبل ولكنها لم تكن واضحة كما هي في هذه الأيام، إن هؤلاء المتسلطين لا يريدون الإسلام من حيث هو، كانوا يتهمونه بـ (الإرهاب) و (الأصولية) فهل رحبوا به عندما جاءهم عن طريق صندوق الاقتراع؟ الجواب ماثل وواضح في هذه الدعاوى الكاذبة التي لا ينقصها شيء من الوقاحة وقلة الحياء، وهذه التعليقات التي قيلت حول انتخابات الجزائر.

إذن فالمقصود إبعاد الإسلام بأي شكل من الأشكال، وليست القضية قضية عنف أو سلام، ولقد قالوها دون حياء أو خجل، ومحاولاتهم هذه إنما تعرقل المسيرة وتؤخر اليوم المحتوم، ولكن تبقى الحقيقة قائمة هي أن الإسلام قادم ولو كره المشركون، والحمد لله أولاً وأخيراً.

* * *

أطـــراف القضـيـة الجزائرية

محمد حامد الأحمري

مدخل

كلمة الحق في القضية الجزائرية تذكرنا بموقف فخر الدين الرازي تجاه الحشاشين، فقد كان فخر الدين الرازي يعلم الناس في حلقته في المسجد ما يراه حقاً، ولم يكن لدى المسلمين آنذاك شبهة فصل الدين عن الحياة، وفي ذلك الزمان كانت فتنة الحشاشين قد ذرّت، وبدأت تنشر الإرهاب واغتيال قادة المسلمين، فاغتالوا نظام الملك، وحاولوا اغتيال صلاح الدين أكثر من مرة، وكل ذلك إرضاءً للصليبيين، ووصولاً إلى أهدافهم الباطنية، وكان أحد هؤلاء الحشاشين قد انتظم في حلقة الفخر الرازي لمدة طويلة، ليراقب الشيخ ثم يسكته عن النقد أو يغتاله، وسئل ذات يوم عنهم فشرح رأيه في الحشاشين وبين خطورتهم على الإسلام وأهله، ثم خرج الشيخ إلى داره، وفي ناحية من الطريق انفرد الحشاش بالشيخ - وكان الحشاش ضخماً قوياً - وعدا على الفخر وصرعه أرضاً، ثم جلس على صدره، وسل خنجره وقال: عدني ألا تعود إلى

نقد الحشاشين مرة أخرى وإلا قتلتك الآن، فتخلص منه الشيخ بالوعد الذي أراده، وفي يوم آخر سأل أحد الحاضرين الشيخ عن الحشاشين فقال له: يا بني هؤلاء القوم لا أقول فيهم شيئاً، لأن لهم حججاً ثقيلة؛ وأخرى حادة[1].

هذه هي قصة كلمة الحق في بعض الأزمان الماضية، وهي في زماننا لاتكاد تذهب بعيداً عن هذا، والناس بالخيار إما أن يقولوا الباطل وتلك هي الفتنة، أو أن يأخذوا بالعزيمة وهنا قد يتعرضون للسجون والاغتيال والحياة الصعبة، ولا خير في الترخص في هذا الزمن فقد غلب على الناس.

وقضية المسلمين في الجزائر مما لا يسع المرء السكوت عنه، كيف وهي مواجهة بين الحق والباطل وبين دين الله وقوى الشر والطغيان.

هوية الحركة في الجزائر

لقد كان الاتجاه السلفي في الجزائر والعودة إلى الكتاب والسنة هو السلاح الذي سله الجزائريون في وجه فرنسا، حيث قبلت الطرق الصوفية في الجزائر بالمعايشة مع المستعمر وموالاة أعداء الله، أعداء المسلمين بل قام كثير منهم بإصدار الفتاوى ضد حركة الاستقلال. وثلاثون عاماً مرت بعد الاستقلال لم يبد أنها غيرت من قناعة هذه الطرق قديمها وجديدها، فقد كان لها نفس الموقف من الجبهة، فهذه الطرق الآن في صف أعداء التوجه الإسلامي في الجزائر، وقد اجتمع مؤخراً مائة من رؤساء الزوايا والطرق الصوفية وأعربوا عن تأييدهم للمجلس الأعلى للدولة ورئيسه بوضياف[2] نكاية بالجبهة الإسلامية للإنقاذ، وانقياداً للمصلحة الفرنسية العليا، التي لم يزل الصوفية يفكرون بها منذ

١- في بعض روايات القصة أنه وعده بمال إن سكت (راجع كتاب «الحشاشون»، برنارد لويس).
٢- - الحياة ١٩٩٢/١/٢٣م

أيام الاستعمار، حيث وقفوا معها ضد جمعية العلماء وضد الثورة على المستعمر، ولا يظهر أنها قادرة على تجاوز عقدها الماضية، فلم يلهمهم الله فهماً في دينه بنصرة الإسلام أو المظلومين، كما لم يوفقوا في مكسب دنيوي محض بمشاركة سياسية كريمة. ولم يزل هؤلاء الطرقية تياراً يؤمن بالمهادنة والميوعة والتزلف، وقد وجد في السنوات الأخيرة تيار سياسي صوفي حارس للمصالح الأجنبية، ليس في الجزائر وحدها حيث يلوي شيخ الطريقة عنق الأمة تحت تلك الأقدام القذرة وإن كانت أقدام النصارى:

إذا كان الغراب دليل قوم　　　يمر بهم على جيف الكلاب

وجبهة الإنقاذ الإسلامي حركة سلفية فيها بساطة الإسلام، ووضوح شعارات القرآن والسنة، وفيها عزة الوضوح، وجماهيرية الاستجابة، وظاهرة الالتزام بالسنة، والأمة المسلمة عندما تصمم على امتلاك حقوقها فإنها لا تؤمن بالشيخ الوصي والوكيل عنها، المخدر لعقلها، الذي بيده كل الخيوط والأسرار وطرق السماء والأرض..! ليس الأمر كذلك، فكلام الله وهدي رسوله مبسوط ميسور، والسبق للعامل الملتزم المتقدم إلى ساحة العمل والوعي، وبذل النفس والمال والجهد، وليس في هذا أحاجٍ وألغاز يفهمها الغازي المستعمر وحده، ويفسرها للناس شيخ الطريقة حسب مصالح الأول.

والأمة لها عقل، قد تخطىء مرة، وقد تُضلَّل مرة، ولكن ليس دائماً. والجبهة الآن تمثل قضية المسلمين في الجزائر ووعيهم بأنفسهم وبمصلحة أمتهم، وتحديداً « العودة إلى الله » بعد غربة طويلة صنعها الاستعمار ثم زادها بعداً الحكومات المتتالية؛ التي كانت وجهاً عربياً للفرنسيين.

فرنسا والغرب

دار حديث في الأوساط السياسية في أعقاب أزمة الخليج عن ترتيب أوروبي أمريكي يلتزم بإبقاء نفوذ فرنسا قوياً للمرحلة القادمة في شمال أفريقيا، وزار ميتران تونس وأبدى عدم رضاه عن وجود نفوذ للثقافة الأنجلوسكسونية في تونس، ثم التزم لتونس بإرسال ثمانمائة مدرس للغة الفرنسية تدفع نفقاتهم فرنسا. وفي الجزائر ذكر سيد أحمد غزالي أن فرنسا تعامل الجزائر وكأنها لم تستقل بعد، أو أن الفرنسيين لم يقبلوا باستقلال الجزائر[١].

وقد كان توقع فوز الجبهة مثار هلع كبير في الصحافة الغربية والفرنسية بوجه خاص، تعكس ذلك بعض عناوين الصحف الفرنسية:« فرنسا: الدولة في حالة تأهب[٢]» وفي لندن « الأخبار المفجعة بفوز الجبهة الإسلامية للإنقاذ »[٣] وبعد الانتخابات رأى الفرنسيون في نجاح الجبهة خطراً لا يهدد فقط الجزائر والعلاقات مع فرنسا لكن أيضاً يهدد الأمن الفرنسي[٤]. ولم تخف وسائل الإعلام الغربية خوفها الشديد مما حدث، وقالوا: هذا الخطر ليس تهديداً لعلاقاتهم السياسية فقط، بل تهديداً للثقافة الغربية في الجزائر، وتساءلوا عن مصير المسرح وبرامج التلفزيون والجرائد والمدارس التي تعتمد اللغة الفرنسية وهي الواجهة الفرنسية في الجزائر، وتساءلوا أيضاً عن مصير شمال أفريقيا كله هل يعني هذا عودة الإسلام قوة في الساحل الجنوبي للبحر الأبيض المتوسط؟ وهل يعني هذا تغييراً شاملاً في المنطقة، وبالتالي بداية لتاريخ مختلف عن الذي

١- نص قول غزالي:«إن بعضهم في فرنسا ينظر إلى الجزائر كما لو أن هناك تضامناً بينهم وبيننا. لكن هناك من يستمر في التفكير في مشاكل الجزائر كما لو أنها مشاكلهم لأنهم لم يقبلوا بعد استقلالنا» الحياة، الأربعاء ١٨ رجب ١٤١٢ .

٢- عنوان رئيسي لمجلة لوبوان الفرنسية عدد ٩١٩، ١٩٩٠/٤/٣٠

٣- التايمز ١٩٩٠/٦/١٤

٤- المصور، ٩٢/١/٣ تلخيصاً عن لوموند الفرنسية

سجلته أوربا في عصور سيطرتها على العالم.

وفي واشنطن ذكر المتحدث باسم البيت الأبيض خطورة وصول الإسلاميين إلى الحكم في الجزائر وأن ذلك سيكون مهدداً لعلاقة الجزائر مع الغرب، ولما تولى الجيش أعلنت أمريكا أن هذه مسألة جزائرية داخلية، وذكرت بعض المصادر ما يوحي بعلاقة ما بين الجيش في الجزائر والسلطات الأمريكية(١). وأشار نفس المصدر إلى أن «المؤسسة العسكرية» ستجهض المناورة الأصولية»(٢). ومن المعروف أن أمريكا وفرنسا ومن يدور في فلكهما يريدون بقاء مصالحهم في الجزائر والتي على رأسها:

١- إبعاد الإسلام عن السياسة تماماً، وذلك باصدار قانون يمنع استغلال الدين في السياسة.

٢- فتح الأسواق للبضائع الأوروبية والأمريكية.

٣- تدفق الثروات الجزائرية رخيصة إلى الخارج.

٤- فتح المجتمع الجزائري للتغريب والإبقاء على الثقافة الفرنسية بكل أشكالها.

الديموقراطية

كانت الصادرات الأوروبية إلى العالم الإسلامي عديدة ومختلفة، بدءاً من وسائل الحياة الحديثة، إلى الأسلحة والأفكار والمبادىء، ومرت بنا مرحلة كنا نظن فيها هؤلاء الغربيين حريصين على أخذ كل شيء عنهم، وكتب من قومنا من كتب مرحباً بالزمن الغربي والحياة الغربية، وانقسمنا وما زلنا ننقسم تجاه ماذا نريد وماذا يريدون لنا. اختصاراً للقول تبين أنهم مع فرحهم بتقليدنا لهم لكنهم لا يرضون بأن نكون مثلهم أحراراً! مهما حرصنا على ذلك.

وقد كان هؤلاء الغربيون العنصريون دائماً لا يرون غيرهم في مستواهم

(١-٢) الوطن العربي ٩٢/١/١٠

الإنساني والعقلي، وبالتالي فنحن لا نستحق من الكرامة والحرية والإنسانية ما يستحق الإنسان الغربي، وقديماً وصف شاعرهم كيبلنغ الإنسان في العالم الثالث بأنه مركب من نصفين «نصفه طفل ونصفه شيطان»، وحين كان غاندي يلاين ويلاطف الإنجليز وهو ابنهم المخلص الذي تربى وعاش على ثقافتهم كان يصفه أحد كبار الساسة البريطانيين بـ «القرد العاري». واستضاف أحد الأفارقة فرنسياً وفرش له في داره خير ما عنده وأكرمه فكتب عنه الفرنسي: « لقد كان يزحف على طرف الفراش كما يزحف الكلب ».

لهذا فإن هذه الشياطين والقرود والكلاب - في منظور الغرب - لا تستحق الديموقراطية مهما سعت إليها، فهي ميزة وتكريم للإنسان الغربي فقط، ومهما تبجح الغرب أنه يساندها في العالم الثالث فإنه حقاً يحاربها إذا كانت ستحمل الكرامة والحرية أو شيئاً من هذا للإنسان في العالم الإسلامي، وذلك ليس لأنه لم يبلغ درجة عالية في إنسانيته - كما تقول الفلسفة السياسية لداروين - ولكن لأن الغرب الآن يقف معنا على أرض واحدة وميدان حرب جديدة منذ بدأنا نعي أنفسنا أخيراً. ونطالب بحريتنا وكرامتنا بين سكان هذا العالم.

ويخطئ بعض الكتاب والدعاة عندما يرون أن الغرب يمكن أن يصدر لنا هذه البضاعة « الديموقراطية ». ولكن أحداث الجزائر اليوم شاهد يفقأ عين المخالف، فها نحن لما حاولنا تقليدهم أو الاستفادة من بعض ما عندهم حاربونا وحرمونا حتى حق تقليدهم، وهكذا في الصناعات سيقفلون أسواقهم عنا لو حاولنا تصدير بعض البضائع اليسيرة، وأيضاً يمنعوننا حتى أن ندفع لهم الملايين لشراء أسلحة من مصانعهم مهما التزمنا بمواثيقهم، وإن كان عائدها المالي خيالياً بالنسبة لهم، ويبقى شبح كرامتنا وحريتنا واستقلالنا يرهقهم ويفكرون فيه كثيراً. ويبقى السؤال: هل يعامل العالم الغربي الناس في خارجه كبشر حقاً؟

الحق الذي لا مرية فيه أنهم لن يرضوا لنا خيراً أبداً ﴿ **ما يود الذين كفروا من أهل الكتاب ولا المشركين أن ينزل عليكم من خير من ربكم والله يختص برحمته من يشاء** ﴾ [البقرة ١٠٥]، أي خير! حتى الذي يمكن أن يحمله إلينا بعض أفكارهم التي لا نشك في انحرافها والتي لا تقوم على أساس نعتقد شرعيته، ويمكن أن يعطونا بعض أفكارهم ومذاهبهم ولكن بشرط أن نترك الإسلام، وقد تساءل أحدهم: هل ستستمر الديموقراطية في الجزائر؟ ثم قال: «نعم ولكن بدون إسلام»[1] وقد تبنى بوضياف هذا القول وترجمه إلى العربية على أنه من كلامه وهدد به الجزائريين. وأنه لا يسمح باستخدام الدين في السياسة «لأن الإسلام مقدس»؟؟ نعم ولأن السياسة بمفهومه معاكسة للمقدس.

الإسلاميون هم سبب الديكتاتورية

كان من الممكن في العالم العربي أن تتوفر فيه ديموقراطية كالتي في الهند، وقد كان في مرحلة ما بعد الاستعمار بوادر شيء من ذلك، ولكن حين بدأ الصوت الإسلامي في الظهور من بلد إلى آخر كان الجواب الغربي: تسليط استبداد العساكر عليهم، من المعلوم في قصة الجزائر أن الغرب والشرق كان سيرضى عن نتائج الديموقراطية في الجزائر، لو خرجت النتائج لغير الجبهة الإسلامية وكانت الجزائر ستجد من التحية والإشادة بها وبإيمانها بالحرية والديموقراطية ما تجده الآن من الإشادة بهذه الديكتاتورية المكشوفة التي لا يحجبها إلا ألاعيب زائفة يدركها أنصار الحرية وأعداؤها على السواء. إن العالم يقرأ أو يسمع هذه المواقف العالمية ويستغرب تماماً هذه الجريمة التي يمارسها العالم، ضد ما يدعي من مبادىء الحرية والديموقراطية وحق الشعوب في اختيار

١-الغارديان ويكلي، ٢٦/١/٩٢

حكامها وتقرير مصائرها، وفجأة إذا هذه الدول وهذه المنظمات تمد يدها لاغتيال كرامة شعب مسلم وحريته، وتؤيد الاستبداد والسجون والتعذيب للقيادات الجزائرية لأن هذه القيادات مسلمة داعية إلى الحق من خيرة المجتمع الجزائري: وقالت هذه القوى بصراحة لا تحسد عليها: مرحباً بكل فساد يقف ضد المد الإسلامي. وكنا نتوقع المراوغة في المواقف والنفاق، ولكن صراحة أعداء الإسلام في مواجهة المسلمين كانت فوق كل تقدير.

الجيش

مع بداية تصاعد مطالبة المسلمين في الجزائر بأن يحكموا بالكتاب والسنة وأن يتخلصوا من الاستبداد أصبحت القوى المخالفة لرغبة مصلحة الشعب تراهن على لعب البطاقة الأخيرة ضد رغبة الناس وحريتهم وقد نشرت إحدى المجلات الفرنسية(١) خبراً يقول أنه في يوم ٢٩ كانون الأول بعد ثلاثة أيام من الدورة الانتخابية الأولى غادرت ثلاث طائرات من طراز هركليز مطار وهران إلى الجزائر العاصمة محملة برجال الاستخبارات العسكرية يلبسون لباساً شبيهاً بلباس الإسلاميين وموفرين للحاهم وذكرت المجلة أن السيناريو الذي يتوقعه كثير من الديبلوماسيين الغربيين(٢) وكثير من الجزائريين أن تجري حوادث استفزازات دامية خلال الأسبوعين الأولين من السنة الجديدة، تعطي فرصة للقضاء على الجبهة الإسلامية في الجزائر وتترك الجزائر تعيش في جو من عدم الاستقرار وقد تقع تحت سيطرة الجيش.

وقال المعلقون: «المعروف أن تصميم هذه المؤسسة «الجيش» على قطع

١- الكنار أنشيني Le canar enchaine، ٩٢/١/١

٢- لأنهم هم الذين صمموه فلا يرون مجالاً لتوقع آخر

الطريق أمام الإسلاميين للوصول إلى السلطة ليس جديداً»[1]. وكان معروفاً منذ ما قبل انتهاء الانتخابات أن الجيش سيتدخل في حال فوز الجبهة الإسلامية بالنتائج واستعد بقواته وحاصر بها المدن حتى تم الانقلاب العسكري الذي جاء بهذه الشخصية الغائبة عن الجزائر لمدة تزيد عن ٢٧ عاماً إلى الحكم، والذي يشير له المراقبون أنها شخصية يرضى عنها أعداء الجبهة الإسلامية وصفها حشاني بالقيادة المستوردة. وهي شخصية عارضة في هذه المرحلة، حيث القرارات والسلطة الفعلية بأيد أخرى وهو ستار مدني لحكم عسكري.

وقد بدا شأن الجزائر في هذه الأيام يوحي بأن المتحكمين في المجلس الأعلى أقرب إلى حال مجموعة من السفراء لمصالح خارجية. فقد علقت وسائل الإعلام على هؤلاء الأشخاص بأن فلان رجل فرنسا والآخر رجل الجيران والثالث...والرابع... ولم تحمل هذه الأسماء من يمثل واقع الشعب وحاجته، وهكذا واقع السياسة في العالم الثالث السياسة القادمة من الخارج أهم من الشعب ومصالحه، وهذا ما جعل غزالي يشك في أن الفرنسيين لم يقبلوا بعد استقلال الجزائر كما سبق. وهذه الحقيقة هي التي تفسر عدوان الجيش على مصلحة الشعب ومصادرة حقوقه إذ أن فيه من يعمل لمصالح أخرى كما سبق في فقرة «فرنسا والغرب». على الرغم من أن قطاعاً كبيراً من الجيش لا يبدو أنه ذو قناعة تامة في الخروج على الدستور وأنه لا يريد المواجهة العسكرية مع الشعب. وهذا ما جعل الانقلابيون يفرقون من خطابات عبد القادر حشاني زعيم الجبهة الإسلامية للجيش ومناشدته للجيش بتقوى الله وعدم قتل الناس وجر البلاد إلى حرب أهلية، ونادى الجيش بترك دعمه للاستبداد.

وأصبح الجيش في الجزائر وللأسف تلك العصا التي يُجلد بها الشعب بإرادة

١- الأسبوع العربي، عدد ١٦٨٤، كانون الثاني ١٩٩٢م.

خارجية وتلك مأساة الجيوش في العالم العربي ذات قدرة فعالة في التدمير وإذلال وقمع الشعوب في الداخل، ومقدرة نادرة في الهزيمة أمام كل عدو خارجي.

ولا يصعب تفسير هذه الظاهرة إذ الجيوش في عالمنا غالباً متخلفة عن الوعي الديني العام، وتدين بالولاء لعقليات قمعية ومستبدة، ربت جيوشها على الاستبداد وفردية القرار والطاعة العمياء في الحق والباطل، ويحال بينها وبين وسائل المعرفة والوعي عن قصد، لهذا كانت سلاحاً خطيراً يضرب بلا وعي. وواجب الأمة تدارك هذا الفساد وإيجاد هدنة ما بين الشعوب وجيوشها ومصلحة الأمة لا تختلف بحال عن مصلحة الجيش أخيراً.

المسألة الاقتصادية

تناول بعض أعداء التوجه الإسلامي في الجزائر القضية الاقتصادية وذكر أنها هي السبب في إقبال الشعب على الحل الإسلامي وعلى كل ما حدث، وهؤلاء الكتاب فيما يبدو ليسوا شيوعيين، وهم يعرفون كذب هذا الذي زعموه، وأيضاً فهم لا يملكون الشجاعة في قول الحق، ولا الخروج من عقدة الحقد على التوجهات الإسلامية في العالم الإسلامي، لهذا يخرجون بتحليلات ساذجة وبعيدة عن الصدق، وتؤكد ثقافة التزوير التي يشهدها عالمنا الإسلامي لمصلحة أعدائه. نعم في الجزائر حالة اقتصادية سيئة، كما يقول أحد الصحافيين[1]: - وليس إسلامياً حتى لا نُتهم - «إن الشعب الجزائري ذاق طعم الحرية بعد سنوات طويلة من حكم الاستبداد والديكتاتورية والرأي الواحد والحزب الأوحد. فبعد عقود متصلة من القهر والنصب والفشل والخداع باسم الاشتراكية مرة وباسم الحفاظ على حقوق الشعب العامل مرة أخرى، اقتنع

١- إبراهيم سعدة

الشعب الجزائري بهول الجريمة التي ارتكبت في حقه، فلا الأحلام التي عاش عليها بعد الاستقلال تحققت ولا الثروات الطبيعية الهائلة التي وهبها الله له فوق وتحت الأرض الجزائرية صرفت على تحسين مستوى المواطنين، ولا المتاعب والأعباء المعيشية الصعبة نجح الحكام في التخفيف من حملها وضغطها»[1].

ليس هذا فحسب بل إن السرقات التي سرقها الحكام والمتنفذون السابقون والتي ذكرت وسائل الإعلام إمكان عودتها من الحسابات السرية في أوربا بلغت ٢٠ مليار دولار[2] وتزيد بعض التقديرات هذا المبلغ إلى ثلاثين مليار دولار فالذين لا يؤمنون بيوم الحساب، ولا يؤتمنون على مصلحة الأمة سواءاً جاءوا من جبهة التحرير أو من العساكر هم الذين سرقوا ثروات الأمة، ورجال الإسلام هم موضع الثقة حقاً في هذا العصر وفي كل عصر، ثم لماذا لا يتوجه الجزائريون إلى حزب آخر إذا كان الأمر هو الضائقة الاقتصادية، بل لو كان الأمر هكذا لدعم الشعب الجزائري جبهة التحرير وسيد غزالي، كيف وقد تدفقت القروض على الجزائر بمجرد وصوله لأنه رجل الغرب، وقد تكفل لهم بحرب الجبهة الإسلامية للإنقاذ، ولو كان هدف الشعب فقط أن يملأ بطنه لوجد غير الجبهة ممن رفع هذا الشعار. لكنها الدوافع الإيمانية أولاً وقبل كل شيء ثم فساد الحكومات العلمانية المتوالية أكد للناس حاجتهم إلى دين الله وعدل الإسلام. والجبهة كما يعلم أي عاقل لن تحمل لهم ثروات العالم. والمسألة الاقتصادية تحدٍ مهم ولا شك لكنهم يثقون على الأقل أنها لن تنهب وتسرق ثرواتهم وستعمل الجبهة الإسلامية على تخفيف الديون الباهظة التي أصبحت الحكومة غير قادرة على تسديد أرباحها الربوية.

١- أخبار اليوم ١٣ رجب ١٤١٢، ١٨ كانون الثاني ١٩٩٢

٢- القدس ١٨ رجب ١٤١٢، ٢١ كانون الثاني ١٩٩٢

أطراف أخرى للقضية

يندرج كثير من القوى الفاعلة في الساحة الجزائرية تحت بعض الأطراف السابقة، فجبهة التحرير ذات الاسم والشهرة التاريخية أصبحت ميراثاً عاماً للشعب بمالها وما عليها، وبقية رجالها إما واقعون تحت نفوذ الجيش ومنهم طائفة أخرى لها صوت معارضة لسلطة الجيش ولا يظهر أنهم جادون في اتخاذ موقف يخرج عن دائرة مصالح الأطراف المعارضة للجبهة الإسلامية.

البربر

يشكل البربر، قرابة ٤ ملايين[1] من ٢٦ مليون عدد سكان الجزائر، منهم طائفة كبيرة تتبنى منهج وأسلوب الجبهة الإسلامية، بالمطالبة بعودة البلاد إلى الحياة الإسلامية، وبرز منهم قيادات إسلامية من أمثال الشيخ محمد سعيد في الجزائر العاصمة، أما في مناطق القبائل «تيزي أوزو» فقد اتضح مناصرة عدد منهم لآيت أحمد « القوى الاشتراكية» وهم منطقة نفوذه واستغل قضية البربر مواجهاً بها الجبهة الإسلامية وعندما أسس آيت أحمد حزبه البربري في فرنسا بدعم من فرنسا أكد على قضايا عديدة منها إبعاد البربر عن الإسلام واللغة العربية ومحاولة كتابة اللغة الأمازيغية البربرية وإحلالها محل اللغة العربية، وبالتالي يستطيع تشكيل أقلية وحقوق أقلية ومسمار فتنة في الجزائر عسى أن يتلافى الإسلاميون تقصيرهم في حقوق إخوانهم وأن يوقفوا الفتنة قبل تعاظمها.

الليبراليون التحرريون

وهناك ما يسمى بالقوى الليبرالية «التحررية» وهي القوى التي تراعي مصالح الغرب وتؤمن بأفكارهم وأسلوب حياتهم، وقد درج هذا القطاع من الناس على التحريض على الإسلام ودعاته ووصمهم بتلك الألقاب التي كانت ترددها

١-ليس هناك إحصاءات دقيقة في هذا الموضوع.

فرنسا زمن حرب التحرير وكانت تصف المجاهدين في الجزائر بأوصاف التعصب والرجعية. والآن تردد بقايا جيوب الظلام العلماني نفس المقولة بكل ببغائية وسذاجة فتصف الجبهة بالتعصب والرجعية والتطرف والخوف على الانحلال والدمار الاقتصادي الذي جلبته مرحلة الضياع في الجزائر. وهذه الطائفة تمثل الطابور الخامس في كل بلدان العالم الإسلامي وهم دعاة الفساد وجلاوزة الاستبداد ويحلو لهم أن يلبسوا لباس الثقافة الليبرالية، وهم بعكس هذا.

وليست لهم قوة مهمة في الجزائر غير أنهم يتمتعون برعاية عناصر الديكتاتورية في الجزائر والدعم الغربي المحارب للتوجه الإسلامي ويتوزعون على الأحزاب المعارضة للجبهة ويقيم بعضهم في فرنسا. وهذه الطائفة مع أمثالها خارج الجزائر تقوم بدور الدعاية المضادة للإسلام ولمصلحة الجزائر ورغبة شعبها.

إن سير الأحداث لا يدل على أن أعداء الإسلام يمكن أن يسمحوا له بالوجود ولا للمسلمين بممارسة حقهم في حكم أنفسهم بما يريدون[١] فالمسلمون أسرى في بلدانهم لقوانين عبودية غربية جائرة؛ وأمام أعيننا هذا المشهد الذي يثير عجب كل عاقل، ويثير حمية كل مسلم، ينتهك حقه وحريته وكرامته، فعندما نستخدم قوانين الغرب وأعرافه لننال بها حقاً لنا يتنكر هؤلاء للقوانين التي سنوها ويحطمون ما أسموه مبادئ وحريات وديموقراطيات، ويواجهون المسلمين بالسجون والمطاردة والتعذيب والتخويف وهم الذين شهد قانونهم ومحاكماتهم بما أوصلوا له العباد من فساد وفقر وخوف، ثم يستمرون

١- قد يسمح للمسلمين بنشر كتب عن الإسلام أو إرسال دعاة من الأزهر وغيره أو بث برامج عن الإسلام في حدود ولكنهم لا يمكن أن يسمحوا بإقامة دولة للإسلام ولو في جزيرة في المحيط لأنها بداية لنهاية التسلط الصليبي على المسلمين، سيد قطب ؛ الإسلام ومشكلات الحضارة» فصل طريق الخلاص.

ويعدون بأنهم سوف يسمحون بالديموقراطية بعد إصدار قانون يحرم استخدام الإسلام في السلطة، وهم اليوم يمنعون المساجد أن تذكر فيها قضايا المسلمين ويحاولون إغلاقها وجعلها منابر حكومية، ﴿ **ومن أظلم ممن منع مساجد الله أن يذكر فيها اسمه وسعى في خرابها أولئك ما كان لهم أن يدخلوها إلا خائفين لهم في الدنيا خزي ولهم في الآخرة عذاب عظيم** ﴾ [البقرة ١١٤].

ختاماً

لقد تبين من الانتخابات التي كانت نتائجها صحيحة ولم يثبت لدى اللجنة القضائية[١] خلاف ذلك وبطلت الطعون التي قدمها أعداء الجبهة الإسلامية أن الشعب يرى قيادته الفعلية التي تحقق مصلحته وتخرجه من الفساد هي الجبهة الإسلامية، وأي قوة غيرها تهيمن عليه إنما هي سلطة يرفضها الشعب ابتداءاً، ويعلم أنها ستسوقه في طريق أشد ظلمة مما حاولت الخروج منه، وسيمارس المغامرون من عساكر الانقلاب الجديد أسلوبهم في نهب الثروة وإذلال الشعب، حتى ترضى فرنسا ويرضى غيرها من القوى التي أيدت مجيئهم ويسرها كل شر يقع للمسلمين. وربما حدث ما لا يتمناه مسلم من حرب أهلية قد لا يستطيع مثيروها إيقافها وقد تتسع دائرتها وتترك كل شيء بعدها خراباً.

وقد حرصت الجبهة على تجنب الاضطرابات وضبط النفس والتعامل بأسلوب إسلامي راق ومتزن ولم يتوفر هذا الانضباط والهدوء في مواجهة الموقف وتقدير المسؤلية من غيرهم، في حين يقع الظلم والتزوير عليهم، فهل الإسلاميون قادرون على تحمل المزيد من الأذى وضبط النفس أم سيواجهون من

١- تكونت اللجنة من سبعة أشخاص ثلاثة منهم قضاة سابقون وقد خرجوا بإثبات سلامة الانتخابات وردوا الطعون وهذا من الأسباب التي عجلت بخروج الجيش قبل الدورة الأخيرة ثم أخرج الجيش خطاباً سياسياً ادعى فيه تزوير الانتخابات، علماً بأن الأطراف المتنافسة المهمة ترى نزاهة الانتخابات. مع وجود بعض المناطق لم توزع فيها البطاقات الانتخابية، وكانت من مناطق نفوذ الجبهة.

الآن وتكون العاصفة، أم هل سيقبلون بالتأجيل إلى جولة أخرى والصبر على مرارة الموقف حتى يعدوا أنفسهم لجولة أخرى يقابلون بها هذه الانتهازية والتسلطية التي تصر على إبعاد الشعب عن دينه وهويته ومصالحه، والعمل على قطع جذور الفساد والتبعية، وإحلال السلم والأمن والعدل محل النهب والسطو والجور الذي يصفق له العالم المنحاز بكل صفاته؟ ليس طريق الحق سهل الورود، فدونه فتن وابتلاءات قص الله في كتابه منها ما يجعل المؤمن يثق بالحق ويدافع عنه ويصبر عليه مهما لقي في طريقه بقطع النظر عما حقق. ﴿ **ألم أحسب الناس أن يتركوا أن يقولوا آمنا وهم لا يفتنون ولقد فتنا الذين من قبلهم فليعلمن الله الذين صدقوا وليعلمن الكاذبين** ﴾ والذي أصبح معروفاً لدى عدونا ويعاملنا وفقه هو أن يمارس علينا أسلوب القتل والسجن والإرهاب ثم يستمر في طغيانه بلا رادع بواسطة وكلائه عندنا ويحقق بهذه الممارسة كل رغبات الصليبيين واليهود الذين يسمون علماء الأمة ودعاتها وقادتها ورجال إنقاذها بالمتطرفين والأصوليين وقد وُصف رسول الله صلى الله عليه وسلم والأنبياء بأكثر من هذا، وما أسعد اليهود والنصارى حين يرون الدبابات والأسلحة والجيوش - وكل هذا يقال أنها جيوشنا وسلاحنا - تسدد ضربات للأمة وتقتل وتسجن وتشرد خيار رجالها وقادة العلم والفكر والسياسة فيها، إلا إنه لم يقدم لعدونا من النصرة علينا وهزيمتنا مثلما قدمته جيوشنا التي تخصصت في قتلنا وتعويق أي سبيل لنا في النهوض أو أنها على أحسن الظنون استخدمت بلا وعي. اللهم إنا نسألك لإخواننا الثبات على الحق وألا تعرضهم لفتنة أكبر وأنت القادر على ذلك.

رسالــــــة إلى

جبهة الإنقاذ الإسلامية

ببالغ الفرحة والسرور تلقينا خبر نجاحكم في الدورة الأولى للانتخابات الجزائرية والتي خرجت بنتائج باهرة افرحت كل مسلم يحمل هم الإسلام في قلبه. وأغاظت كل عدو وحاقد ومنافق لا يريد لكلمة الحق أن ترتفع، ولا لأصحابها أن يعلو شأنهم تماماً كما وصفهم الله عز وجل: ﴿ **إن تمسسكم حسنة تسؤهم، وإن تصبكم سيئة يفرحوا بها** ﴾

[آل عمران ١٢٠].

ونحن - علم الله - فرحنا بفوزكم الذي إن دل على شيء فإنما يدل على أن الشعوب المسلمة التي ذاقت الذل تحت نير المناهج الأرضية تشتاق إلى التحرر من نير العبودية للمناهج والأنظمة الوضعية الدخيلة، إنه الظمأ إلى جرعة من النبع السلسبيل بعد أن أفسد الملح الأجاج حياتنا.

إن انتصاركم - أيها الأحبة - عزاء لنا في هذا الزمن.. زمن الهزائم المتكررة والاستسلامات المتتابعة.

لا يغرّنكم ما صنعوه وما سيصنعوه ليفسدوا عليكم هذا الانتصار الرائع فأنتم الأعلون إن كنتم مؤمنين.

أيها الإخوة: لقد ساءنا هذا النفاق العالمي الذي يكيل الأمور بمكيالين، فمن حق شعوب العالم قاطبة أن تختار المنهج الذي تريد والقائد الذي تريد. أما الشعوب المسلمة فهي شعوب فسدت أذواقها. فلم تبلغ بعد سن الرشد لتختار من تريد.

أيها الإخوة: لقد ساءنا هذا التضامن الإقليمي الذي لم يفلح قط إلا في محاربة الحركات الإسلامية الأصيلة التي تريد العودة بالأمة إلى عزتها واستقلالها.

إن هؤلاء العملاء المحليين يرفضونكم ويرفضون أمثالكم. وهم في المقابل يدخلون اليهود في نسيجنا السياسي والثقافي. فقبح الله قوماً جعلوا اليهود أصدقاء وجعلوا الدعاة والمخلصين أعداء يحرصون على إيذائهم وإخفات صوتهم بكل سبيل. مرة أخرى أيها الأحبة: لا يغرنكم ما صنعوه وما سيصنعونه ليفسدوا عليكم هذا الانتصار الكبير فأنتم الأعلون إن شاء الله.

أيها الإخوة: نحمد الله أن عاد للجماهير وعيها فاختارت الإسلام ليكون هو الحل والمنهج، لقد قدمتم للدعاة نموذجاً متقدماً من نماذج العمل الإسلامي الجماهيري، ولكن الجماهير وحدها لا تصنع نصراً، إننا نطمح بعد نجاحكم في العمل الجماهيري، أن تقدموا لنا نجاحاً آخر في مجال بناء القاعدة الصلبة وإعداد الكوادر المؤهلة.

إن العمل الإسلامي على مستوى الأمة - والجزائر جزء منه - بحاجة إلى قلة تنقذ الموقف. بحاجة إلى رجال متجردين ينبرون لعملية الإصلاح السياسي والاقتصادي والإعلامي وقبل ذلك الإصلاح الديني العقدي.

هؤلاء هم الذين سيقومون بتربية الجماهير ونشر العلم الشرعي بينها، حتى يصبح الإسلام مطلباً شعبياً ملحاً تغضب من أجله الجماهير أكثر من غضبها لمطالبها اليومية.

إن هذه الجموع المباركة التي تربت على يد القاعدة الصلبة لن تقف في وجهها ألاعيب الساسة العلمانيين، ولن يرهبها سيف الجيش المسلط، كما لن تغريها الوعود بالرخاء والرفاهية.

أيها الإخوة: إن حجماً هائلاً من الكيد العالمي والمحلي يكيد لكم ولأمثالكم من الدعاة المخلصين، وأحياناً ينسينا التأييد الشعبي المكثف حجم هذا الكيد فيظن الظان أننا قاب قوسين من قطف الثمار.

أيها الإخوة: نطالبكم بألا تدعوا أعداءنا وأعداءكم يستجرونكم إلى معركة لم تحددوا مكانها ولا حجمها ولا أدواتها. وكما أن البذرة لا تصبح ثمرة يانعة بين عشية وضحاها - وأنتم أدرى بذلك - في أرض الزيتون والعنب؛ فكذلك الدعوات بحاجة إلى التعهد والرعاية والبناء حتى يصلب العود ويخرج شطأه ويستغلظ.

أيها الإخوة: لا تظنوا أنكم تقفون في أرض الجزائر بمفردكم، فهناك الألوف والألوف من إخوانكم في شتى بقاع العالم يرقبونكم ويعيشون معكم بقلوبهم، إن الروح الإسلامية باقية وإن ظنوا أنها قد أخمدت عندما هدمت الخلافة، ومزّق الاستعمار أراضينا إلى دويلات صغيرة هزيلة.

هذه الروح الإسلامية هي التي تجعل الهندي المسلم يفرح بفوز الجزائري المسلم، وهي الروح التي جمعت المسلمين على شتى لغاتهم وأعراقهم في أرض أفغانستان المسلمة. لذلك - أيها الأحبة - حافظوا على هذه التجربة الناجحة وخذوا بأسباب النصر الشرعية التي ذكرها الله في كتابه، فنجاحكم سيكون

نموذجاً لغيركم، وبداية لحقبة جديدة في تاريخ المسلمين المعاصر.

واختم رسالتي هذه بدعوة إلى الدعاة إلى الإسلام في الجزائر من خارج الجبهة فأقول لهم:

- إن العدو لا يفرق بين معتدل ومتطرف، فالجميع أصوليون تجب محاربتهم والقضاء عليهم.

أيها الإخوة: ما أحوجكم إلى الاتحاد والتعاون ونبذ الفرقة والاختلاف كما قاله تعالى: ﴿ **ولا تكونوا كالذين تفرقوا واختلفوا من بعد ما جآءهم البينات وأولئك لهم عذاب عظيم** ﴾ [آل عمران ١٠٥].

﴿**ولا تنازعوا فتفشلوا وتذهب ريحكم، واصبروا إن الله مع الصابرين**﴾ [الأنفال ٤٦].

إن الخلاف شر وخصوصاً في مثل هذه الظروف العصيبة من تاريخ المسلمين، وتاريخ الجزائر على وجه الخصوص. وهذه الظروف تحتم التعاون مع إخوانكم في الجبهة ومساعدتهم، وأن لا تكونوا سهماً في كنانة العلمانيين الذين بدت البغضاء من أفواههم وما تخفي صدورهم أكبر؛ يستخدمونه ضد كل من يلتف المسلمون الصادقون حوله، وأختم رسالتي بآية عطرة من كتاب الله الكريم: ﴿ **لتبلون في أموالكم وأنفسكم ولتسمعن من الذين أوتوا الكتاب من قبلكم ومن الذين أشركوا أذىً كثيراً، وإن تصبروا وتتقوا إن ذلك من عزم الأمور** ﴾ [آل عمران ١٨٦].

ماذا يريـدون ؟

من الملفت للنظر هذا الدوي الإعلامي والسياسي الهائل الذي أعقب الدورة الأولى من الانتخابات في الجزائر، وتداعيات الأحداث التالية لهذا الحدث المزلزل. ومع هذا الكم الهائل من التحليلات والتوقعات والإشارات فإن الحدث الجزائري يظل هائلاً، مدوياً، بل زلزالاً بكل المقاييس والمعطيات، ولا أظن أن هذا الحدث قد أخذ أبعاده وآثاره وبصماته المستقبلية بعد، وإن كان قد رسم لنا معالم حاضرة ومستقبلية هامة، لعل من المناسب الحديث عن أبرزها..

إن الحدث قدكشف عن هشاشة الطروحات العلمانية واليسارية والقومية والانتهازية، فهي أول انتخابات يشارك فيها أكثر من خمسين حزباً طرحت كل المناهج والرؤى المعاصرة فلا مكان للحجج القائلة بأن التيار الإسلامي قد مارس إرهاباً فكرياً أو حمل الناخبين قسراً على تبني الحل الإسلامي. ففي المثال الجزائري كان الشيوعيون المحنطون يعرضون بضاعتهم المزجاة جنباً إلى جنب مع «حزب فرنسا» الذي يصيح بكل ما أوتي من صوت منادياً باستعمار الجزائر من

جديد على يديه وفي حضور كل التيارات السياسية المعاصرة... والحق أن الإسلاميين كانوا القوة الوحيدة التي لم تكن تتكئ على قوة خارجية أو دعم من خارج الحدود - كما كان وضع بقية صفوف الأحزاب السياسية - التي اكتشفت أنها ظل ثقيل «للآخر» الذي يضخمها بدعمه الخارجي.

إن الحدث بأطواره الأخيرة لا يمكن أن يفصل عن إطاره التاريخي والموضوعي والمنهجي.. فأحداث الجزائر ليست وليدة اللحظة، ولم تنبت من فراغ، فهي إفراز متوقع لحالة المواجهة الضارية التي خاضها المسلمون في هذا الصقع، منذ نزول الصليبيين الفرنسيين قبل أكثر من قرنين ومحاولة هؤلاء سلب هذا الشعب العريق هويته العقدية والحضارية. وفي خضم هذا الصراع ظل الإسلام وحملته هم ضمير الأمة وقادة الصفوف في ساعة الزلزلة، منذ عبد القادر الجزائري ومروراً بزعماء جمعية العلماء (ابن باديس والإبراهيمي) وحتى امتدادهم المتمثل بجبهة الإنقاذ.. وقضية الإسلام كهوية وثقافة ومنهج تفرض نفسها من جديد بالرغم من محاولة العسكر (بعد الاستقلال) طمس هذه القضية أو تحجيمها من خلال تبني الطروحات السياسية والاشتراكية، وإن كانت ظروف بومدين وعصابته بالأمس قد أوهمتهم بالتغلب على هذه الإشكالية، فإن الواقع اليوم يؤكد أن قضايا الأمة الكبرى لا يحلها الإرهاب والتسلط، وأن المعضلات المتعلقة بالكيان الحضاري والصيرورة العقدية ترفض أن تخضع لفوهة المدفع أو تسلط الحذاء العسكري الثقيل، إنها في جوهرها بالنسبة للمسلم اليوم الوجود أو الذوبان.. ومن هنا فإن التدخل العسكري الثالث للجيش بعد تدخل عام ١٩٨٨م ويونيو ١٩٩١م يواجه الإخفاق الذي واجهه في المحاولات السابقة، ويقابل بنفس الكراهية والاحتقار من قبل جماهير الجزائريين الذين أثبتوا في السابق أن الحلول المبترة لا تؤدي إلا إلى نتائج

عكسية.

إن أحداث الجزائر الأخيرة نزعت ورقة التوت الأخيرة عن الأصوات والتيارات والأحزاب والشخصيات المطلة عبر أجهزة التثقيف والإعلام في العالم العربي، والتي تمسك بخطام التوجيه وزمام القيادة.. لقد كان رد فعلها غاية في التشنج وإيغالاً في ممارسة الإرهاب الفكري، كما كان الطرح في مجمله يفضح إشكالية ما يسمى بالتيار التحديثي والتوفيقي (حل وسط ومدهش يرمي إلى دمج الإسلام بالثقافة الغربية) وبعد هذا التيار عن أرضية المجتمع والأمة التي هي من المفترض أن يعبر عن تطلعها وآمالها. إن ما يكتب خلال هذه الفترة أبعد ما يكون عن الموضوعية وأقرب إلى شكل « الإسقاط » النفسي حيناً ومزج الخيال المحطم بالواقع الصارخ في وجوههم... حيناً آخر.

والسؤال الحائر لا يزال يطرح بقوة: هل كان الغرب ومؤسساته الإعلامية أكثر اتزاناً من ظله العربي العلماني؟ ولعل استعراضاً لعناوين الصحف والتحليلات العربية يؤكد هذه النظرية مضيفاً إلى هذا المنحى الخطر غثاثة وسطحية واختزالاً ونقلاً «كربونياً » يدعو القارئ إلى الغثيان! (وهي لازمة لعصر الإفلاس الثقافي والإعلامي في العالم العربي اليوم).

إن أحداث الجزائر كشفت عن «نسبية» جديدة لم تكن مكشوفة إلى هذه الدرجة وعارية إلى هذا الحد..، فخلال أزمة الصيف التي كانت محاولة أخرى من محاولات العقلية البوليسية لمصادرة الحل الإسلامي اتهمت جبهة الإنقاذ بأنها ضد الديموقراطية والاختيار الحر، وأصبحت طروحات الجبهة تمثل لهؤلاء المرتجفين التسلط، أما انتشار الجيش ومطاردته للمدنيين المسالمين فيمثل «قمة الحكمة والضبط».. فالأمور هنا نسبية.. فالدكتاتورية النزقة والتسلط المفزع تغدو «حكمة» و «حماية للديموقراطية» و «حراسة للدستور»!! ثم أتت

الانتخابات، ولأول مرة في التاريخ المعاصر تتهم الحكومة حزباً معارضاً بأنه زوَّر الانتخابات. وبالرغم من عدم قدرة المجلس الدستوري على إثبات هذا الادعاء فإن الخيار الديموقراطي الذي دافعوا عنه قبل أيام يتحول بين عشية وضحاها إلى «كابوس»؛ ومن خلال نسبية الثقافة هذه يطالب ابن فرنسا سعد سعدي أو مطايا الماركسيين المفلسين باستخدام القوة لمنع «الخيار الديموقراطي».. أو لم تقل اللوموند بالأمس: «الديموقراطية جميلة لكن الأصولية غير مرغوب فيها»!! إذن الإشكالية تكمن لدى الغربيين في أن الديموقراطية تستحق البكاء والعويل إذا دفعت إلى السلطة دماها المتعددة يساراً أو يميناً، وتصبح كابوساً وديكتاتورية حين يكون المكون العقدي المخيف - الإسلام - قاب قوسين من استلام مقاليد الأمور. وهنا تكون الديكتاتورية العسكرية والتسلطية البوليسية قمة الحكمة والحرية. فالمسألة نسبية لدى صليبيّي اليوم وحزب النفاق المحلي!!

تردد أقلام النفاق المستتر والإعلام الوصولي مقولة يسارية صدئة خلاصتها أن انتخابات الجزائر أظهرت أن القضية الاقتصادية في أساسها وأن الجماهير تريد الخبز والكساء والحياة الرغيدة.. فقط لا غير..!! ولكن السطحية والتناقض لا حد لها في خطاب «مترجمي الفكر» و«مجتري الطروحات الغربية»، وهم يلمزون الجبهة بأنها لا تملك برنامجاً اقتصادياً واضحاً ، وأنها لا تقدم البديل للجماهير.. ولذا فهي تلجأ لشعارات فضفاضة..

هذه « النظرية » التي اكتشفها بعض « المفكرين » و « المترجمين » تنقصها الحبكة المسرحية اللازمة لتمرير مثل هذه النكتة الثقيلة الظل.. فالجميع يعرف أن الجبهة لا تستند لأي مجموعة اقتصادية أو دعم مالي خارجي مؤثر.. وأنها خاضت الانتخابات في مواجهة أحزاب تعد الناخب الجزائري بمساعدات خارجية وتطرح برامج اقتصادية تلائم طبع الدول العربية والشركات المتعددة

الجنسيات كما تكرس ربط الجزائر بالسوق الدولي ودورته الاقتصادية؛ إضافة إلى أن الغرب قد هب لمساعدة الحكم القائم بمئات الملايين من الدولارات لمواجهة خطر « الأصوليين» في الوقت الذي لم تعد الجبهة بمساعدات دولية أو تعرض أرض الجزائر في مزاد « النخاسة» النفطي وهنا نجد أن من حقنا أن نطرح السؤال المنطقي التالي:

إذا كانت القضية تدور حول جوع الجماهير وتلبية رغبتها الاستهلاكية الملحة، فلمن ستصوت الجموع؟؟ لمجموعة سياسية لا تدعمها دول وقوى اقتصادية عظمى وتتهم بأنها لا تملك برنامجاً اقتصادياً أو خبرة إدارية كافية. أم لأحزاب ومؤسسات وهيئات تلح في حملتها الانتخابية على أهمية التعاون والاندماج بالقوى الدولية المؤثرة، وتعد الجماهير برفاهية اقتصادية وملء البطون وسد الحاجات الاستهلاكية؟!

والجواب المنطقي والواقعي هو أن الذين ينثرون الوعود والذين تتسابق القوى الإقليمية والدولية لدعمهم اقتصادياً هم الأحرى بتوجه الجماهير الجائعة المتطلعة إلى إشباع الغرائز إليهم! لكن، ماذا نرى؟ نرى الجماهير المتحدث عنها هي التي لفظت هؤلاء المرتزقة والمرتشين والأذناب بعد أن عرفت أنهم سرقوا في فترة لا تزيد عن خمس سنوات أكثر من ثلاثين بليون دولار. كما أن هذه الجماهير المتعبة ترى أن المعضلة الاقتصادية التي صنعها النموذج العلماني/الاشتراكي هي في حقيقتها مرتبطة بإطار أكبر وواقع أشمل حكم البلاد من خلال فلسفة مستوردة لا تصلح أرض الجزائر لاستنباتها، بل حوّلت هذه الفلسفة أرض الجزائر - وهي الأرض المعطاء - إلى أرض بلقع بوار.

أثبتت أحداث الجزائر أن الخائفين من الحل الإسلامي، المطاردين لدعاته يصابون بحالة من «الحول الحاد» تجعلهم يرون الشيء شيئين واللون ألواناً

متداخلة والحقيقة زيفاً..!! فما إن يفوز التيار الإسلامي في أي عملية انتخابية مثلاً حتى يخرجوا للجماهير مبررين هذا الفوز بأسباب أصبحت ممجوجة من سطحيتها وتكرارها مثل: إن أعداداً كبيرة من الناخبين لم تصوت في الانتخابات..! فمن أدراكم أن الذين لم يصوتوا سيصوتون في قناة التيار اللاديني..؟! والقاعدة الفقهية تقول: لا ينسب إلى ساكت قول! ويقولون بأن الإسلاميين يستغلون كل قواهم وقواعدهم في الانتخابات وهل في هذا الأمر حرج وهذا من قواعد اللعبة الديموقراطية المجلوبة والتي يكون فيها إجحاف بحق الناخب لا سيما في العالم المتخلف حيث إن المناوئين للحل الإسلامي اليوم يستنفرون فئات لا تتعاطف معهم مستخدمين سيف المعز وذهبه.. وهذان كفيلان بترغيب وترهيب أعداد كبيرة لا تصوت عن قناعة؟؟

ثم أخبرونا أيها المتباكون على كل نصر للأصالة والعودة إلى الجذور.. كم يصوت في انتخابات أمريكا (النموذج الديموقراطي)..؟ أليسوا في حدود النصف إن لم يكن الرقم أقل منذ لك.. ثم يحكم الرئيس الأمريكي ويفوز بنصف أصوات الناخبين أي أنه يحكم بأصوات المؤيدين له وهم لا يتجاوزون الربع.. ثم تُدعى هذه الانتخابات بأنها أكثر الانتخابات الديموقراطية نزاهة وأرقى نماذج الحكم الذي توصلت له البشرية اليوم؟!

إن حالة «الحول المفاجيء» تصيب مرضاها بمضاعفات خطيرة أبرزها «الانفصام النفسي» والتناقض المحجوج الذي لا شفاء منه إلا بالصدق والأمانة وهذا دواء يستعصي على من مرد على النفاق قبوله.

تصور أن...

تصور أيها القاريء الكريم لو أن تسلسل الأحداث في الجزائر قد سار بطريقة مختلفة عما آل إليه الأمر.. وتصور لو أن المسار التصاعدي للتحولات الجزائرية

قد انحرف إلى زاوية ترضي أهواء الغرب - لا سيما فرنسا وأمريكا - والنظام السياسي العربي القائم، بقيادة أي اتجاه محارب للإسلام معادٍ لأصول الأمة ومعتقدها..، قد تقول إن الشعب الجزائري قد أثبت بالدليل القاطع رفضه لكل «الجراثيم الفكرية» ووقف في وجهها وقفة الرجل الواحد مرة بعد أخرى!! لكن دعنا نفترض مساراً آخر للحدث، يرضى ولو آنياً خيال المنافقين والعملاء.

تصور أن «حسين آيت أحمد» في الجزائر قرر عقب السماح بتكوين الأحزاب أن يرشح نفسه للانتخابات البلدية في الجزائر.. وأنه - ويا للهول - قد حصد أكثر من ثمانين بالمئة من البلديات وأكثر من ستين بالمئة من أصوات الناخبين..!! ماذا ستكون افتتاحيات اللوموند والفيجارو والنيويورك تايمز وصحافة العرب المترجمة والمرتجفة من خصوم آيت أحمد وليكن علي بلحاج أو عباسي مدني، وكأني بها وقد حملت عناوين ضخمة أحدها بالخط العريض «الجزائريون يلفظون الظلام ويختارون الرجل المتحضر »...!

تصور أن الرجل المتحضر الذي يحقد على الإسلام ويرفض التحدث بالعربية - لأنه متحضر فهو يتحدث بالفرنسية - قد أصبح الزعيم المرتقب للجزائر، وعندها قرر الحزب الحاكم أن يقلم أظافره ويغير من قانون الانتخابات بحيث يحول دون انتصار كاسح للرجل «المتحضر» و«خياره العلماني»... سيكون ملخص التعليقات والتحليلات شرقاً وغرباً: «مجزرة الديموقراطية في الجزائر»! وتصور أن الرجل « المتحضر» قد قام بمقاومة هذا الظلم والحيف بأسلوب متحضر هو الآخر ونادى بالجزائريين المتعاطفين معه أن يقاوموا القانون الجائر بالتظاهرات السلمية في الساحات العامة منبهاً لضرورة البعد عن استخدام العنف.. أخال أن الوكالات الدولية ستحمل الخبر الآتي « غاندي الجزائر .. ينادي بالثورة السلمية ضد الظلم»!!

تصور أن العسكر قد قرروا أن ينهوا ربيع الديموقراطية وذلك بافتعال مواجهة مصطنعة مع الزعيم المتحضر وجماهيره المنضبطة وخلال هذه المواجهة تفصل السلطات جميع الرافضين للتسلط والقهر، كما تزعم أن آيت أحمد « وزبانيته » يخططون للانقلاب على السلطة وتعرض على وسائل الإعلام الدولية الأدلة الدامغة على ذلك.. (كما فعلت بعد مواجهتها مع جبهة الإنقاذ في الصيف الماضي) مقلمة أظافر.. وسكيناً لتقشير التفاح.. وحبلاً.. وزجاجة كوكاكولا فارغة!!!

ولم تجد السلطات العسكرية بدأ للحد من تزايد التعاطف مع الزعيم المتحضر حسين آيت أحمد سوى أن تعتقله ونائبه دون توجيه تهمة أو جناية وتأمر الجيش بالنزول للشوارع وتلغي الانتخابات لأجل غير مسمى!! وهنا قد تتسارع الأحداث وتعلن فرنسا سحب سفيرها من الجزائر وتوقف تعاملها مع الجزائر.. أما بوش زعيم النظام الدولي الجديد فيعلن أن نظامه الجديد لن يسمح للدكتاتورية بالعيش.. أو أن يتحول بن جديد إلى صدام آخر يغتال الديموقراطية، ويئد الأحرار بلا سبب دستوري!! وهنا تجتمع الأمم المتحدة ليلقي مندوبو الدول المؤيدة للحرية خطباً عصماء تنادي بانتهاء عصر الظلم.. ويرسل عرفات برقية إلى بن جديد يناشده فيها باسم الكفاح المسلح أن ينهي مسلسل الإحباط ويفرج عن المناضلين الأبرار وفي مقدمتهم الأخ الفاضل.. حسين آيت أحمد!!

تصور أيها الأخ العزيز أن قضية حسين آيت أحمد ستشغل الصحف الصفراء والخضراء والسوداء لأسابيع.. ويصبح هذا الرجل المناضل «مانديلا الجزائر» - لاحظ الرموز المقتبسة - .. وفي ظل الحملة الدولية والإقليمية يعلن الرئيس الجزائري بأن الزعيم المتحضر سيحاكم بعدالة وأنه قرر إجراء انتخابات عامة للخروج من المأزق، لكنه يعين أحد المتواطئين معه لتفصيل القانون الانتخابي

على مقاس جبهة التحرير الحاكمة..، هنا ستوجه الأمم المتحدة (الأمريكية) تحذيراً أخيراً وتحرك القوى الخفية في داخل الجزائر تشتري الذمم وتزرع العملاء.. ويعلن بن جديد احترامه للدستور وأن حزب القوى الاشتراكية مدعو للاشتراك في الانتخابات القادمة.

يحجم الحزب البربري وزعيمه المؤقت عن الاشتراك في الانتخابات التي ستحرمه من فوز مؤكد وساحق.. وتتدخل الأصابع الفرنسية والأمريكية والمحلية لإقناع الزعيم المتحضر ومناصريه بالاشتراك في هذه الحملة لإحراج السلطة ليس إلا..

تصور أن هذا الحزب المظلوم، المقهور، المطارد قد فاز بـ١٨٩ مقعداً مقابل ٢٠ مقعداً لجبهة الإنقاذ و١٥ مقعداً لجبهة التحرير هنا سأكتفي بعنوان واحد لصحيفة عربية أفردت ملحقاً خاصاً من عشرين صفحة للحدث/القنبلة، عنونت له في صفحتها الأولى بعناوين مثيرة منها:

« انتصار خيار المستقبل على المتاجرين بالدين »

« الجزائريون يختارون التحضر ويلفظون الأصوليين البرابرة!!!»

« الأصوليون يندحرون في وجه الفوز الساحق للزعيم المتحضر ».

* * *

المستقبل لمن ؟

في يوم السبت السابع من رجب ١٤١٢ هـ الموافق ١٢ / ١ / ١٩٩٢ ظهر الرئيس الجزائري الشاذلي بن جديد على شاشة التلفزيون وألقى كلمة قصيرة أعلن فيها استقالته قائلًا: إنه قرر الاستقالة لكي لا يصبح عقبة تعرقل التفكير في حل يحفظ الوحدة الوطنية. وقال أيضاً: إن انسحابه ليس تهرباً من المسؤولية، بل وطلب من الجزائريين أن يعتبروا ذلك تضحية. إن أخطر ما قاله هو أنه قرر الاستقالة لكي لا يصبح عقبة تعرقل التفكير في حل يحفظ الوحدة الوطنية!!.. فمن الذي يهدد الوحدة الوطنية؟ ومن الذي يفكر في حلٍ يصرح الرئيس المستقيل أنه عقبة تعرقل هذا الحل؟ لا أظن أن الإجابة على هذه التساؤلات تحتاج إلى عناء كبير، فإن الأمر الذي أشغل الساحة الجزائرية بل والعربية والعالمية هو فوز جبهة الإنقاذ الإسلامية في الانتخابات الجزائرية فوزاً ساحقاً يعبر بوضوح عن حالة جديدة تمر بها هذه الأمة للخروج من حالة الضياع والتشرذم الذي تعيشه، وعلى الرغم من أن الأحداث في الجزائر تمر

بمرحلة انتقالية يصعب التكهن بنتائجها، فإنه يجب على كل مسلم أن يعيش مع إخوانه في آمالهم وآلامهم وتجاربهم، وألا يبخل عليهم بما يستطيع من دعوة صالحة في ظهر الغيب، ونصيحة مشفقة خالصة مع دعمهم بكل ما يستطيع. ومساهمة في هذا السبيل نقدم هذه القراءة المتواضعة في أحداث الجزائر لعلها تكون عوناً على فهم الحاضر والتعامل مع المستقبل.

وجيز الأحداث

في الأول من نوفمبر ١٩٥٤ أعلن حزب جبهة التحرير الوطنية ميثاقه ومما جاء في ذلك الإعلان:

استعادة دولة جزائرية ذات سيادة ديموقراطية واجتماعية في نطاق المبادىء الإسلامية. وقامت حرب التحرير على أساس إسلامي شديد الوضوح، وقدم الجزائريون التضحيات العظيمة من أجل استعادة إسلامهم وعروبتهم، حتى سميت الجزائر بلد المليون شهيد، ولكن ما إن تم التحرير، وخرج المستعمر؛ حتى تربع على السلطة من سرق ثمرة الجهاد، فكافأ رجاله بفتح المعتقلات والسجون لمن؟ لعملاء الاستعمار؟ لا، بل للدعاة المخلصين الذين لهم الدور الأكبر في مجاهدة المستعمر، وقام (بن بلا) ومن بعده (بومدين) بفرض النهج الاشتراكي، وأقاموا دولة بوليسية قائمة على الكبت والاضطهاد، مع ما صاحب ذلك من عمليات سلب لثروات الأمة.

وفي عهد (بن جديد) الذي خلف (بومدين) لم يتغير شيء سوى ازدياد عمليات النهب المنظمة للثروة، أو عجز الحكومة، أو قل: عدم اهتمامها بتقديم الخدمات الأساسية للشعب المطحون، فحصلت أحداث شغب في يونيو (حزيران) ١٩٨٨م مما أوقع مئات القتلى، واتضح فشل النظام وترهله مما أرغمه على اللعب بورقة التعددية الحزبية، وسياسة الانفتاح والحرية، وفتح المجال

لتكوين الأحزاب، ولم تعد جبهة التحرير متفردة بالساحة السياسية، فقد تم تسجيل حوالي ٥٨ حزباً تراوحت بين إسلامية من طرف وإلحادية من طرف آخر وكثير من اللافتات المتنوعة في الوسط، مما يدل على شراسة الهجوم الفكري الذي تعرض له هذا الشعب المسلم، ومن هذه الأحزاب:

١- جبهة الإنقاذ الإسلامية تم إعلانها رسمياً في مطلع ١٩٨٩م وذلك بمبادرة من عدد من الدعاة من بينهم رئيس الجبهة الشيخ عباسي مدني، ونائبه الشيخ علي بلحاج وللجبهة مجلس شورى يتكون من ٦٠ عضواً.

٢- حركة المجتمع الإسلامي (حماس) وتم إعلانها في ديسمبر ١٩٩٠م على يد الشيخ محفوظ النحناح.

٣- حركة النهضة الإسلامية: قام بإعلانها الشيخ عبد الله جاب الله.

٤- حزب الأمة: أسسه يوسف بن خده رئيس الوزراء سابقاً، وهو يؤكد على الأهداف الإسلامية والعربية.

٥- حزب القوى الاشتراكية: (FES) قام بتأسيسه حسين آيت أحمد عام ١٩٨٩م. ويدعو إلى ضرورة فصل الدين عن الدولة، وتبني التعددية اللغوية والثقافية بين عربية وبربرية وفرنسية (علماني بربري فرانكفوني).

٦- التجمع من أجل الثقافة والديموقراطية: أسسه الدكتور سعيد سعدي وهو حزب بربري شبيه بالحزب السابق.

٧- الحركة من أجل الديموقراطية: أسسه أحمد بن بلا الرئيس السابق.

٨- حزب العدالة والإصلاح: أسسه قاصدي مرباح رئيس الحكومة السابق بعد خروجه من جبهة التحرير.

٩- حزب الطليعة الجزائري (الحزب الشيوعي).

١٠- حزب التجديد الجزائري.

١١- الحزب الوطني للتضامن الإسلامي.
١٢- حزب التجمع الجزائري البومديني الإسلامي.
١٣- الحركة الجزائرية من أجل العدالة والتنمية.
وغيرها بالإضافة إلى جبهة التحرير الوطني التي حكمت الجزائر لمدة ثلاثين سنة متوالية.

انتخابات الجزائر، حقائق وأرقام

جرت الانتخابات يوم الخميس ١٩٩١/١٢/٢٦ وقد بلغت نسبة التصويت ٥٨٪ من أصل ١٢،٢ مليون ناخب. وبلغت الأصوات الباطلة حوالي ١٠٪ وأعلن وزير الداخلية عن عدم وصول ما يقارب من مليون بطاقة انتخابية إلى أصحابها، وقد بلغ عدد الذين أدلوا بأصواتهم حوال ٧ مليون و٧٠٠ ألف وهي نسبة كبيرة إذا ما قورنت بنسبة المشاركة في الدول الغربية، أما نتائج الانتخابات فقد كانت صدمة لمن أجروها ولمن أعلنوها، وتباينت ردود الفعل فقد كانت الصدمة بادية على محيا وزير الداخلية وهو يعلن الفوز الكاسح لجبهة الإنقاذ، كان متعباً وهو يقرأ النتائج بصوت متهدج، أما رئيس الوزراء فقد حلّ ضيفاً على القناة الثانية في التلفزيون الفرنسي، وقد كان شاحباً وحزيناً متلعثماً وكان يبدو تحت وقع الصدمة[1].

وخلافاً للتوقعات التي كانت تنتظر أن تكون النسب على الشكل التالي:

- ١٥٠ مقعداً للجبهة الإسلامية.
- ١٢٠ مقعداً لجبهة التحرير.
- ٧٠ مقعداً لجبهة القوى الاشتراكية.

١- الأسبوع العربي ٦ / ١/ ١٩٩٢

●٤٠-٥٠ مقعداً للتجمع من أجل الثقافة والديموقراطية.
●٤٠ مقعداً للأحزاب الأخرى والمستقلين.

فقد جاءت النتائج على النحو التالي:

لقد شارك ٤٩ حزباً من أصل ٥٨ فازت جبهة الإنقاذ بـ ١٨٨ مقعداً من أصل ٢٢٨ وحلت جبهة القوى الاشتراكية في المركز الثاني بحصولها على ٢٧ مقعداً، أما جبهة التحرير الوطني فقد جاءت في المرتبة الأخيرة وحصلت على ١٦ مقعداً فقط، والمستقلون حصلوا على ٣ مقاعد.

كانت ردود الفعل متباينة، ويمكن معرفة ردود الفعل الرسمية غير المعلنة عن طريق متابعة وسائل الإعلام، وهذه أهم ملامح التوجهات الإعلامية في تلك الفترة:

◇ في اليوم الأول الذي أعلن فيه الفوز الساحق لجبهة الإنقاذ بأكثرية الأصوات لم تشر جلُّ الصحف إلى ذلك، مع أن وكالات الأنباء نقلت هذا الفوز الكبير. وبعد أن أفاقوا من الصدمة بدأت مرحلة التهوين من الانتصار وتحليل أسباب انتصار الجبهة، وحيث أن حكم الإسلام غير مطروح فقد كثرت التحليلات لكيفية الخروج من هذا المأزق وإليك بعضها:

١- التركيز على أن التصويت للجبهة كان بسبب كراهية الناس لجبهة التحرير، وليس حباً في جبهة الإنقاذ أو كما يقولون:«ليس حباً في زيد لكن كراهية في عمرو» وكأن الجبهة الإسلامية هي الحزب الوحيد بجانب جبهة التحرير.

٢- تبنوا طروحات الأحزاب العلمانية الجزائرية الخاسرة وادعوا أن الانتخابات فيها الكثير من التجاوزات من جانب جبهة الإنقاذ، بل وقدمت طعون كثيرة بصورة مبالغ فيها حيث بلغت ٣٤١ طعناً قدمت فيها جبهة التحرير

١٧٤ طعناً، وهولوا من خطورة هذه الطعون على مستقبل الجبهة حيث ستفقد أغلبية المقاعد التي حصلت عليها، ولكن المجلس الدستوري رفض هذه الطعون وكان على وشك إعلان ذلك ومنعه من ذلك الأُحداث اللاحقة.

٣- أكثروا من الكلام حول امتناع حوالي نصف الناخبين عن المشاركة وأنهم ضد الجبهة، وأن الفرصة سانحة لتعديل النتيجة في الدور الثاني، ولكن هذا التحليل تهافت سريعاً، حيث بدأت الأحزاب العلمانية تحذر من الخطر على الديموقراطية عندما تحكم جبهة الإنقاذ، وطالب بعض الديموقراطيين بإلغاء الانتخابات.

٤- وفي النهاية تعلقوا بالأمل الأخير لحماية الديموقراطية والحفاظ على الدستور وهو الجيش الذي تتجاذبه النزعات الفرنسية والأمريكية.

٥- ولقوة هذا الخيار فقد بدأوا بالكلام عن السيناريو والإخراج لهذا الترتيب، حيث تحدثوا عن خلاف بين بن جديد والجيش واحتمال استقالة بن جديد، وذلك بعد فشل الأحزاب العلمانية في محاولة جر الجبهة للاصطدام بها، ليكون ذلك ذريعة لتدخل الجيش بدعوى حفظ النظام.

أما مراسل هيئة الإذاعة البريطانية فقد قال في سلسلة أحاديثه (الجزائر عشية أول انتخابات حرة) إن رئيس الوزراء هو مرشح الجيش لتشكيل حكومة ائتلاف ديموقراطي بعد الانتخابات، وفي الحلقة الثانية شكك بقبول جبهة الإنقاذ لقواعد اللعبة الديموقراطية، وفي الحلقة الرابعة تحدث عن الجماعات الإسلامية وأشاع دعاوى كاذبة حول إهدار الإنقاذ لدم محفوظ النحناح. وفي الحلقة الخامسة تحدث عن آيت أحمد المتفرنس البربري وعن تكتيكه الجديد وكيف أن مرشحيه صاروا يستعملون العربية الفصحى.

أما موقف الإعلام في شمال أفريقيا فهو كما يلي:

◇ بعد ظهور نتائج الانتخابات بدأت الصحافة الجزائرية الناطقة بالفرنسية وأجهزة الإعلام الأخرى التي يسيطر عليها الشيوعيون؛ بدأوا بحملة ضارية ضد الجبهة وتخويف الناس من مستقبلهم إذا اختاروا الجبهة، أما في المغرب فقد التزمت الصحف الرسمية الصمت في البداية، مما يوحي بأنها لا تريد تحديد موقف متسرع وأن الأمر متعلق بأمور داخلية، ثم تحول الأمر إلى هجوم على الأصولية.

◇ وفي تونس كانت الانتخابات محل اهتمام كبير لدى الأوساط السياسية والرسمية حيث جاءت النتائج مخالفة لما توقعته من فوز جبهة التحرير، وأبدت تلك الأوساط قلقاً صريحاً من فوز الإسلاميين في الجزائر.

◇ وفي مصر عكست الصحافة القلق من هذه التطورات وأهمية اتخاذ المثال المصري للديموقراطية القائم على خنق الأفكار الإسلامية والسماح بأحزاب تحددها السلطة سلفاً.

أما وسائل الإعلام الغربية فإنها منذ بدء الانتخابات وهي تهول وتحذر من المد الأصولي القادم الذي سيخرب البناء الجزائري، وسيعيد البلاد إلى عصور التأخر، ولمحت بعض الصحف من جانب آخر إلى أن وصول الإسلاميين ربما يجعلهم يهتمون بالسلاح النووي، وفي برنامج أسبوعيات الصحافة البريطانية الذي أذيع في يوم الجمعة ١٤١٢/٦/٢٨هـ (١٩٩٢/١/٣م) نقل البرنامج العديد من وجهات النظر البريطانية المتشنجة وفيها صحيفة (اليوربيان) التي أسسها اليهودي «ماكسويل»، التي نشرت تحليلاً يثير الخوف والهلع من استلام الإسلاميين، وقالت بأن الجيش سيتولى الحكم وسيحكم مجلس مكون من

جنرالين ورائد وهم وزير الدفاع ووزير الداخلية ورئيس الشرطة السرية حتى لا يتمكن الإسلاميون من الحكم.

أما (الايكونومست) فقالت بأن الجزائريين لن يصمتوا حيال حكم مستبد جديد بدل حكم مستبد سابق.

أما فرنسا فقد تعاملت في البداية بحذر يعكسه ما نسب إلى الأمين العام لوزارة الخارجية حين قال: «إن بلاده تعتبر ما تشهده الجزائر قضية داخلية فرنسية نظراً لامتداداتها داخل فرنسا، وأضاف بأن علاقاتنا بالجزائر ثابتة لا تتأثر بعوامل ظرفية مؤقتة». ويوضح الخلاف الحاصل في الوقت الحاضر بين فرنسا والحكومة الانقلابية تحسس فرنسا من عدم ثبات النظام الجديد، وبالتالي لا تريد التورط معه في علاقة تؤثر على مستقبل العلاقات، وقد يكون الانقلاب أمريكياً يقصد منه إبعاد الإسلاميين وأيضاً النفوذ الفرنسي، ولا ننسى انقلاب عبد الناصر الأمريكي على النفوذ البريطاني في مصر.

الموقف الإيراني

كانت السياسة الخارجية الإيرانية ناجحة كعادتها في محاولة توظيف الأحداث التي تحدث في العالم الإسلامي لصالحها، وقد استفادت إيران كثيراً من قضية سلمان رشدي رغم أنها ركبت هذه الموجة متأخرةً، وكانت الرابح الأكبر من حرب الخليج وتحطيم العراق، وها هي تستفيد مما يعانيه السودان من ضيق اقتصادي، وهي الآن تحاول الاستفادة من أحداث الجزائر وتوظيفها لصالح النفوذ المتزايد لشيعة إيران، حيث تظهر بمظهر الحكومة الوحيدة التي تتبنى التحولات الحاصلة نحو الإسلام. مع أنهم في الحقيقة لا يحبذون قيام حكومة سنية في الجزائر كشأنهم مع أفغانستان، ولكنه موقف سياسي، وقد وقع ١٧٠ نائباً إيرانياً رسالة أوضحوا فيها دعمهم الكامل للشعب الجزائري، ولذلك

وصلت الأمور بين البلدين إلى سحب الجزائر سفيرها في طهران، ولا يسعنا هنا إلا أن نقول للإخوة في جبهة الإنقاذ: حذار من إيران.

جبهة الإنقاذ بعد الانقلاب

من المؤكد أن ما جرى كان احتمالاً وارداً، ولكن الجبهة استفادت من الخيار المطروح لتثبت للعالم أن الشعوب تريد الإسلام، وأيضاً تريد إحراج أدعياء الديموقراطية في كل مكان وبالتالي كان تعاملها مع النظام الجديد بحكمة، فقد حرصوا على أن لا يُجَرُّوا بالاستفزاز حين بدأ النظام بحملة اعتقالات القصد منها استفزاز الجبهة لردة فعل تكون مبرراً لضربة عنيفة، وقد توجت هذه الحملة باعتقال الشيخ عبد القادر حشاني الرئيس المؤقت للجبهة يوم الأربعاء ١٨ رجب ١٤١٢هـ (١٩٩٢/١/٢٢م) بتهمة تحريض الجيش على التمرد، وكانت هيئة الإذاعة البريطانية قد أجرت مقابلة معه قبل اعتقاله بقليل أوضح فيها أن الجبهة لن تتخلى عن اختيار الشعب لها.

وإننا نرجو الله سبحانه وتعالى أن ينصر عباده المخلصين وأن تصمد الجبهة أمام هذه الهجمة، وأن تستمر متماسكة وتعود أقوى مما كانت، وإننا على ثقة بنصر الله، والله غالب على أمره، ولا ننسى قوله تعالى:

﴿يريدون ليطفئوا نور الله بأفواههم والله متم نوره ولو كره الكافرون..﴾.

* * *

أقـوال العلماء في كتـاب:

إحياء علوم الدين

اختيار: أم قتيبة

إن كتاب إحياء علوم الدين للشيخ أبي حامد الغزالي المتوفي سنة (٥٠٥ هـــ) رحمه الله وعفا عنه، وهو كتاب عرفه العامة والمثقفون والعلماء والجاهلون، وقد كثرت فيه أقوال العلماء سلباً وإيجاباً، وقيل عنه بأنه يحتوي على أحاديث وآثار ضعيفة بل موضوعة كثيرة، وفيه أشياء من أغاليط الصوفية وترهاتهم، وقد رأيت أن أورد أقوال بعض العلماء في هذا الكتاب:

١- الذهبي

قال في « سير أعلام النبلاء »[١]:

« أما « الإحياء » ففيه من الأحاديث الباطلة جملة، وفيه خير كثير، لولا ما فيه من آداب ورسوم وزهد من طرائق الحكماء ومنحرفي الصوفية، نسأل الله علماً

١- ٣٣٩/١٩

نافعاً، تدري ما العلم النافع؟ هو ما نزل به القرآن ، وفسره الرسول صلى الله عليه وسلم قولاً وفعلاً...»

إلى أن قال معرضاً:

« وإياك وآراء عباد الفلاسفة، ووظائف أهل الرياضيات، وجوع الرهبان، وخطاب طيش أصحاب الخلوات، فكل الخير في متابعة الحنيفية السمحة، فواغوثاه بالله، اللهم اهدنا إلى صراطك المستقيم ».

٢- ابن كثير:

قال في « البداية والنهاية »[1] عن الغزالي:

« وصنف في هذه المدة كتابه « إحياء علوم الدين » وهو كتاب عجيب، يشتمل على علوم كثيرة من الشرعيات، وممزوج بأشياء لطيفة من التصوّف وأعمال القلوب، لكن فيه أحاديث كثيرة غرائب، ومنكرات، وموضوعات، كما يوجد في غيره من كتب الفروع التي يستدل بها على الحلال والحرام، فالكتاب الموضوع للرقائق والترغيب والترهيب أسهل أمراً من غيره.

وقد شنَّع عليه أبو الفرج ابن الجوزي، ثم ابن الصلاح، في ذلك تشنيعاً كثيراً، وأراد المازري أن يحرق كتابه « إحياء علوم الدين » وكذلك غيره من المغاربة، وقالوا: هذا كتاب إحياء علوم دينه، وأما ديننا، فإحياء علومه كتاب الله وسنة رسوله، كما قدحكيت ذلك في ترجمة من « الطبقات » ولقد زيَّف ابن شكر مواضع « إحياء علوم الدين » وبيّن زيفها في مصنَّف مفيد، وقد كان الغزالي يقول: أنا مُزْجى البضاعة في الحديث...».

١- ١٨٠/١٢

٣- ابن تيمية:

قال في « درء تعارض العقل والنقل »[١]

« ذكر أبو حامد في كتاب الإحياء كلاماً طويلاً في علم الظاهر والباطن، قال: « وذهبت طائفة إلى التأويل فيما يتعلق بصفات الله تعالى، وتركوا ما يتعلق بالآخرة على ظواهره، ومنعوا التأويل، وهم الأشعرية - أي متأخروهم الموافقون لصاحب « الإرشاد » - قال: وزاد المعتزلة عليهم حتى أولوا كونه سميعاً بصيراً والرؤية والمعراج وأنه لم يكن بالجسد، وأوّلوا عذاب القبر والميزان والصراط، وجملة من أحكام الآخرة، ولكن أقّروا بحشر الأجساد والجنة، واشتمالها على المأكولات ».

قلت [ابن تيمية]: تأويل الميزان والصراط، وعذاب بالقبر، والسمع والبصر، إنما هو قول البغداديين من المعتزلة دون البصرية.

قال أبو حامد: وبترقّيهم إلى هذا الحدّ زاد الفلاسفة، فأولوا كل ما ورد في الآخرة إلى أمور عقلية روحانية ولذّات عقلية.

إلى أن قال: « وهؤلاء هم المسرفون في التأويل، وَحَدُّ الاقتصاد بين هذا وهذا دقيقٌ غامض لا يطّلع [عليه] إلا الموفقون، الذين يدركون الأمور بنور إلهي لا بالسماع، ثم إذا انكشفت لهم أسرار الأمور على ما هم عليه، ونظروا إلى السمع والألفاظ الواردة فيه، فما وافق ما شاهدوه بنور اليقين قرروه، وما خالف أوَّلوه، فأما من يأخذ هذه الأمور كلها من السمع، فلا يستقر له قدم ».

قلت [ابن تيمية]: هذا الكلام مضمونه أنه لا يستفاد من خبر الرسول صلى الله عليه وسلم شيء من الأمور العلمية، بل إنما يدرك ذلك كل إنسان بما حصل له

١- ٣٤٧/٥

من المشاهدة والنور والمكاشفة. وهذان أصلان للإلحاد فإنَّ كل ذي مكاشفة إن لم يزنها بالكتاب والسنة وإلا دخل في الضلالات ».

وقال رحمه الله في « مجموع الفتاوي »[1] في معرض كلامه في الصفات والأسماء ونقضه كلام الفلاسفة:

« وأبو حامد في « الإحياء » ذكر قول هؤلاء المتأولين من الفلاسفة وقال: إنهم أسرفوا في التأويل، وأسرفت الحنابلة في الجمود، وذكر عن أحمد بن حنبل كلاماً لم يقله أحمد، فإنه لم يكن يعرف ما قاله أحمد، ولا ما قاله غيره من السلف في هذا الباب، ولا ما جاء به القرآن والحديث، وقد سمع مضافاً إلى الحنابلة ما يقوله طائفة منهم، ومن غيرهم من المالكية والشافعية، وغيرهم من الحرف والصوت. وبعض الصفات مثل قولهم: إن الأصوات المسموعة من القراء قديمة أزلية، وإن الحروف المتعاقبة قديمة الأعيان، وأنه ينزل إلى سماء الدنيا ويخلو منه العرش، حتى يبقى بعض المخلوقات فوقه، وبعضها تحته، إلى غير ذلك من المنكرات. فإنه ما من طائفة إلا وفي بعضهم من يقول أقوالاً ظاهرها الفساد، وهي التي يحفظها من ينفِّر عنهم، ويشنع بها عليهم، وإن كان أكثرهم ينكرها ويدفعها، كما في هذه المسائل المنكرة التي يقولها بعض أصحاب أحمد ومالك والشافعي، فإن جماهير هذه الطوائف ينكرها، وأحمد وجمهور أصحابه منكرون لها.

٤- ابن الجوزي:

قال في « تلبيس إبليس »:[2]

وجاء حامد الغزالي فصنف لهم كتاب « الإحياء » على طريقة القوم، وملأه

١- ٣٦٢/١٧

٢- ص ١٨٦

بالأحاديث الباطلة وهو لا يعلم بطلانها، وتكلم في علم المكاشفة، وخرج عن قانون الفقه، قال: إن المراد بالكوكب والشمس والقمر اللواتي رآهنّ إبراهيم صلوات الله عليه أنوار هي حُجُبُ عز وجل، ولم يرد هذه المعروفات! وهذا من جنس كلام الباطنية!

وقال في (منهاج القاصدين) [1]

واعلم أن في كتاب « الإحياء » آفات لا يعلمها إلا العلماء، وأقلها الأحاديث الباطلة الموضوعة، والموقوفة وقد جعلها مرفوعة، وإنما نقلها كما اقتراها لا أنه افتراها، ولا ينبغي التعبد بحديث موضوع، والاغترار بلفظ مصنوع.

٥- محمد ناصر الدين الألباني

قال في « سلسلة الأحاديث الضعيفة »[2]:

« وكم في كتاب « الإحياء » من أحاديث جزم بنسبتها إلى النبي صلى الله عليه وسلم وهي مما يقول الحافظ العراقي وغيره فيها: لا أصل له ».

* * *

١- المختصر ص ٣

٢- ١/١٨

فـازت بـجـنـات الـعـلا عـنـد مـلـيـك مـقـتـدر
مـقـعـد صـدق لم يَـذُرْ بِـخَـلَـدٍ ولا عَـبَـر
قـد نـبـذوا فـانـيـة حُـفَّـت بـهـول وخـطـر
إبـلـيـس قـد زيَّـنـهـا وهـي عـجـوز ذات شـر
تـبـرز لـلـطـالـب في أبـلـغ زي مـعـتـبـر
كـم أهـلـكـت مـن بـشـر أردتـهـم وسـط سـقـر
لـكـنْ عـبـاد الـلـه لم يـصـبـهـمُ مـنـهـا شـرر
فـضـل مـن الـلـه لمن حـبـاه لـطـفـاً فـغـفـر
فـلـيـغـفـر الـلـه لـنـا فـهـو الـعـفـو المقـتـدر

عبد الجبار الطعمة

استثمار المواقف

أورد ابن حجر في (لسان الميزان) قصة عجيبة، ذكرها أبو محمد بن حزم لعبد الله بن محمد بن العربي، والد القاضي أبي بكر، « أنه – أي ابن حزم – شهد جنازة، فدخل المسجد فجلس، قبل أن يصلي، فقيل له، قم فصلِّ تحية المسجد، ففعل، ثم حضر أخرى فبدأ الصلاة، فقيل له: اجلس ليس هذا وقت صلاة، وكان بعد العصر: فحصل له خزي ، فقال للذي رباه: دلني على دار الفقيه، فقصده وقرأ عليه الموطأ، ثم جد في طلب العلم بعد ذلك ».

لقد أجاد أبو محمد كما رأينا في التعامل مع هذه الموقف، وحوله من خسارة إلى مكسب، إن هذه القضية نموذج ساطع لفن التعامل مع المواقف واستثمارها.

ولا نستطيع في - الواقع - الاستمرار في الحديث عن الموقف واستثماره دون وضع تعريف محدد للمقصود به هنا، فالموقف إذاً: « هو كل ما يتعرض له الفرد من أحداث، ويتطلب منه اتخاذ قرار، إيجابي أو سلبي، تجاه هذه الأحداث، ويكون له القدرة على اتخاذه » وبعبارة اخرى، فالحياة: مجموعة مواقف.

إن استثمار المواقف يحتاج إلى منهج واضح، لعلنا في هذه العجالة نلقي ضوءاً على بعض أسسه، إن المبادئ (العقائد) التي يحملها الفرد، والقيم التي تحكم تصرفاته، والطباع الشخصية المحركة لدوافعه، تمثل الأسس الداخلية التي يقوم عليها منهج الاستثمار المتوازن للمواقف، فضعف الإيمان بالمبدأ - مثلاً - أو قوته ومدى سلبيته أو إيجابيته، ونتائج التخلي عنه تحدد مدى قوة تأثير العامل.

كما أن هناك مؤثرات أخرى (خارجية)، كالبيئة التي يعيش فيها الفرد والأصدقاء المقربين له، والضغوط التي يتعرض لها سواء كانت اجتماعية أو اقتصادية أو فكرية وغيرها كثير، وسيكون استعراضنا هنا لأثر الأسس أو العوامل الداخلية (الفردية) وذلك لأنها المحدد النهائي لمدى الاستجابة (الاستثمار) وكيفيته.

فالأَنَفَة - على سبيل المثال - طبع شخصي عند ابن حزم، دفعته إلى تصحيح وضع خاطئ (جهل المرء بدينه) بإيجابية ملهمة - كما رأينا سابقاً، وجعلته فيما بعد ممن يشار إليهم بالبنان.

والتعصب الأعمى للقبيلة • وكل تعصب أعمى - من القيم الجاهلية المعروفة إلا أن أثرها كما سيظهر في القصة التالية خطير وأي خطير.

فقد أورد ابن كثير في (البداية والنهاية) رواية للبيهقي جاء فيها أن أبا جهل وأبا سفيان والأخنس ابن شريق خرجوا ليلة ليسمعوا من رسول الله صلى الله عليه وسلم وهويصلي بالليل في بيته، فأخذ كل رجل منهم مجلساً ليستمع منه، وكل لا يعلم بمكان صاحبه، فباتوا يستمعون له حتى إذا أصبحوا وطلع الفجر تفرقوا فجمعهم الطريق فتلاوموا، وقال بعضهم لبعض: لا تعودوا فلو رآكم بعض سفهائكم لأوقعتم في نفسه شيئاً، ثم أنصرفوا، وتكرر هذا الأمر ثلاث ليال، حتى قالوا: « لا نبرح حتى نتعاهد أن لا نعود، فتعاهدوا على ذلك ثم تفرقوا، فلما أصبح الأخنس بن شريق أخذ عصاه ثم خرج حتى أتى أبا سفيان في بيته وسأله عن رأيه فيما سمع قال ابو جهل: « ماذا سمعت؟! تنازعنا نحن وبنو عبد مناف الشرف، أطعموا فأطعمنا، وحملوا فحملنا، وأعطوا فأعطينا، حتى إذا تجاثينا على الركب ، وكنا كفرسي رهان قالوا: منا نبي يأتيه الوحي من السماء، فمتى ندرك هذه؟ والله لا نسمع به أبداً ولا نصدقه!».

انظر إلى هذه القيم وماذا تفعل بالبشر!

أما عن أثر المبادئ - وهو الأهم - على استثمار المواقف فالشواهد عليه لا تحصى، وسنعرض لموقف فريد منها، لم يتكرر في القرآن الكريم، ولم يذكر صاحبه إلا في هذه السورة التي حملت اسمه، إنه النبي يوسف عليه الصلاة والسلام.

وسنتوقف قليلاً عند هذا الموقف ونتأمله! كما وصفه الله عز وجل في محكم تنزيله. رزق الله يوسف عليه السلام بجمالٍ أخاذ في الخلقة، وعقل راجح، وفصاحة في البيان و... مما جعله محط أنظار الناس. وسكن في بيت العزيز - حاكم مصر - بعد أن اشتراه بثمن بخس!!، وأعجبت به امرأة العزيز:

﴿ وراودته التي هو في بيتها عن نفسه، وغلقت الأبواب وقالت هيت لك، قال معاذ الله إنه ربي أحسن مثواى إنه لا يفلح الظالمون، ولقد همت به، وهم بها لولا أن رأى برهان ربه كذلك لنصرف عنه السوء والفحشاء إنه من

عبادنا الصالحين، واستبقا الباب وقدت قميصه من دبر وألفيا سيدها لدى الباب قالت ما جزاء من أراد بأهلك سوءاً إلا أن يسجن أو عذاب أليم ﴾ [يوسف ٢٣-٢٥].

كانت الظروف كلها - مهيأة تقريباً لحدوث ما لا تحمد عقباه، إن حب الشهوات طبع بشري عالجه يوسف عليه الصلاة والسلام وأزاله بالمبدأ السامي (طاعة الله)، والذي هو عقيدة كل مسلم.

وختاماً فإن الفرد - منا - بحاجة إلى مبادىء صحيحة يعتقدها وتنير دربه، وقيم صالحة ينتقيها، وطباع بشرية يهذبها، ليكون الاستثمار الأمثل للحياة.

خالد السبيعي

نحو وعي إسلامي سياسي

إلى الأمة المسلمة، إلى الأمة العربية: أي إسلام تريدون؟ أتريدون الإسلام المستأنس، أم إسلام الخوارج، أم إسلام الكتاب والسنة؟

لأن الإسلام من عند الله الذي لا يحابي أحداً، ولا تكريم عنده إلا للتقي، ولأن التقوى منزلة عزيزة المطلب ولأن حب التسلط من طبع البشر ولا يتخلص إلا القليل منهم من نوازع نفسه وحب ذاته؛ ولأن الآية والحديث سيف في يد قائلهما؛ لكل ذلك لا بد للسلطان الذي يحكم الهوى أن يستأنس إسلاماً يسانده في سلطانه ويحقق منافعه ويستخدمه سلاحاً ضد أعدائه. وعملية استئناس الإسلام عملية قديمة قدم الانحراف عن منهج الكتاب والسنة،

وستستمر ما بقي سلطان في الأرض يحكم بالإسلام اسماً، وبالقرآن رسماً وبالمصالح والأهواء عملاً وواقعاً.

والمستفيدون من ذلك يرون لزاماً عليهم أن يقربوا رجالاً يتزينون بزي الدين فينطقونهم حيث يريدون ويسكتونهم حيث يشاؤون، ويضع هؤلاء لهم من الفتاوى ما يناسب أذواقهم وأهواءهم، ويفصلون لهم من الدين أثواباً على قياسهم، ولذلك فالإسلام المستأنس إسلام عجيب، إذا كان السلطان يطبق النظام الشيوعي كان الإسلام المستأنس شيوعياً وكذلك إذا كان اشتراكياً لا ترى ولا تسمع إلا الأحاديث التي تشيد بالمساواة وآيات الإنفاق، وإذا كان السلطان يطبق النظام الرأسمالي بكل احتكاراته وظلمه وغشمه لا تسمع إلا: « إن دماءكم وأموالكم عليكم حرام ».

واليوم حيث تتشابك السبل وتشتبه النصوص وتقل المعرفة ويستأنس علماء الإسلام بالترغيب تارة وبالترهيب أخرى، ويصنع لكل سلطان في كل بلد جبة إسلامية تناسبه في الشكل والموضوع يخرج فكر الخوارج من معاقله فنسمع عن جماعات التكفير والهجرة وعلى شاكلتها.

وإسلام الكتاب والسنة ليس هذا ولا ذاك، إنه إسلام مهتد ينطق بالحق ولا يبرر الواقع، ويصدع بالنص كما يريده الله ورسوله، ولا يلوي عنقه ليوافق أهواء الناس. إسلام الكتاب والسنة هو الإسلام الكامل الذي أنزله الله لا يجامل أحداً، ولا يستغله أحد، يقوم عليه علماء نذروا أنفسهم لله وتواضعوا له فرفعهم وأخلصوا نياتهم فأشرقت قلوبهم بنور الوحي فعرفوا طريقهم وعظموا الله فذل كل جبار في أعينهم، وتواصوا بالمرحمة فعلموا الجاهل وأرشدوا الحائر وصبروا على إساءة الظالم طمعاً في هداية الخلق ورغبة في ثواب الخالق، فأي إسلام تريدون يا أمتنا .

عبد الرحمن البشير

بريد القراء

• الأخت نجوى دمياطي

شكراً لك على مشاركتك الجيدة والمستمرة للمجلة، ونعتذر عن نشر مقالك الأخير « قرأت لك » لأن المقال خرج طويلاً جداً ولأنه لم يراع الأسلوب المناسب لعرض الكتب حيث خرج بشكل مختارات من الكتاب وليس عرضاً له ونرحب بمشاركتك مستقبلاً.

• الأخ محمد محمد بدري

نشكرك على مشاركتك الجيدة في المجلة ونعتذر عن نشر مقاليك الأخيرين، لأن الكتاب الذي عرضته « رؤية إسلامية في أحوال العالم الإسلامي المعاصر » لم يعد جديداً الآن. والمقال الآخر عن الشرك قد كثر الحديث عنه على صفحات المجلة كما تعلم، ونرحب بمشاركاتك مستقبلاً، شاكرين لك اهتمامك بالمجلة.

• الأخ أبو عبد الرحمن الحمروي

كتب مقالاً يحذر فيه من تقصير كثير من الشباب في أمر العبادة وبخاصة الخشوع في الصلاة معتذرين بقصة عمر رضي الله عنه أنه اكن يجند الأجناد، وهذا إذا كان جدث لعمر رضي الله عنه مرة واحدة فكيف تجعلون منه قاعدة في تشاغلكم عن الروحانية في الصلاة بما ترونه إهتماماً بالدعوة فالذي يهتم بالدعوة أولى به تمام الاهتمام بالصلاة والخشوع فيها.

• الأخ محمد سعود الطيار

نشكرك على ثقتك ونسأل الله أن نكون عند حسن ظن كل مسلم، أما عن المنتدى فليس له معهد لدراسة اللغة الإنجليزية وبه مدرسة إسلامية باللغة الإنجليزية والعربية، أما اللقاءات الإسلامية فهي في أوقات متعددة خلال كل عام والدورة الشرعية خلال شهر أغسطس.

من نشاطات المنتدى

أقام المنتدى الإسلامي بلندن يومي السبت والأحد ٢١-٢٢ جمادى الآخرة الملتقى الثقافي الحادي عشر. وقد استضاف فيه الشيخ الدكتور **محمد بن سعيد القحطاني** أستاذ العقيدة بجامعة أم القرى، والشيخ الدكتور **يوسف عبد الله الوابل** أستاذ العقيدة بالمعهد العلمي بمكة المكرمة. وقد اشتمل الملتقى على المحاضرات:

- **الخلاف في العقيدة: جذوره - أسبابه - علاجه**
- **علاقة المسلمين بغيرهم.**

كما شارك الشيخان الفاضلان في ندوة عن « **قضايا التكفير وضوابطه** » بالإضافة إلى فقرات أخرى. واختتم الملتقى بلقاء مفتوح مع أسئلة المشاركين.

هذا وقد توافد إلى الملتقى أعداد كبيرة من الرجال والنساء من جميع أنحاء بريطانيا.

كما زار الشيخ **محمد سعيد القحطاني** مدينة شيفيلد في وسط بريطانيا، وألقى فيها محاضرة عن « **ثوابتنا ضد المتغيرات الجديدة** » ولنفس الغرض زار الشيخ **يوسف الوابل** مدينة بورتسموث في جنوب بريطانيا.

والمنتدى الإسلامي يشكر الشيخين الفاضلين على هذه الزيارة المفيدة، وعلى المحاضرات القيمة، ويشكر جميع الإخوة الذين شاركوا في الملتقى.

كما نعلن للإخوة أن أشرطة المحاضرات السابقة متوفرة، ويمكن طلبها من مكتبة المنتدى.

قَدَرُنا وقَدَرُهم

عبد الله القحطاني

حملت وكالات الأنباء الغربية في نفس اليوم الذي اعتقل فيه زعيم جبهة الإنقاذ المؤقت خبراً مفاده أن نحو مئة من رؤساء الزوايا الصوفية في الجزائر أعربوا عن تأييدهم للمجلس الأعلى للدولة ورئيسه بوضياف، وأصدر هؤلاء بياناً بعد اجتماع عقد في «ادرار» في الصحراء الجزائرية..وأضاف الخبر مُعرِّفاً بهذه الزعامات: «والزاوية مركز لتعليم القرآن تقام عادة في جوار ضريح أحد الأئمة، وتحمل اسمه، وكانت رابطة العلماء بقيادة ابن باديس قد نددت في الماضي بالزوايا وعلمائها بعد الاشتباه بتعاونها مع السلطات الفرنسية (١٨٣٠-١٨٦٢)».

هذا الخبر والتعريف بالطرق الصوفية الخرافية يقدم مستنداً جديداً على تخاذل هؤلاء المشعوذين الراقصين على جراح وآلام المسلمين كلما ضرب دف المستعمر، وأذناب الاستعمار السمر!! وكأن قرنين من العمالة والارتماء في أحضان القراصنة الصليبيين لا تكفي لتأتي حركات وجماعات الخرافيين بدليل آخر على خيانتها وتآمرها وطعنها في ظهور الأحرار والصادقين، ولتؤكد على أن هذه العقليات لا تزال تحكم شيوخ الرقص والموشحات الآكلين من موائد أعداء الأمة الذين يرون فيهم عوناً لهم على تحقيق أغراضهم. أما أهل السنة والجماعة في جزائر الأحرار فهم لا يعرفون تحت هذه الظروف للنوم طعماً، أو للقمة شهية، أو لمتاع الدنيا الرخيص متعة، لقد رأوا في سلف هذه الأمة نماذج لا تنطفيء: الصحابة والتابعون والأئمة والعلماء الأعلام الذين لم يخضعوا لظالم، ولم تكن تأخذهم في الله لومة لائم. وكلمات ابن تيمية لا زالت حية تنطق:«ماذا يفعل أعدائي بي أنا جنتي في صدري..إن سجني خلوة، ونفيي سياحة وقتلي شهادة»!

قدر هذا الفريق أن يبقى رافعاً لواء السنة والجماعة على مر العصور، ومدافعاً عن هذا الدين، مجاهداً في سبيله، ولهم الفضل، بعد الله، بأنهم يحفظون هذا الدين غضاً كما أنزل على محمد صلى الله عليه وسلم وأتباعه إلى يوم الدين، لا يصدهم عن دين الله من خالفهم أو من خذلهم..أما قدر الخرافيين والراقصين في الموالد والمآدب فهو العمالة والذل والاندحار عند كل نازلة تنزل بأهل الإسلام...


Bibliotheca Alexandrina
05335473